منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الثامن عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۸

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

حمدا لك يا من ألهمتنا حقائق الإيمان، و هديتنا إلى جنابك بنور العلم و العرفان، و دعوتنا إلى مأدبتك القرآن الفرقان، و جعلتنا أهلا للإطّلاع على درر مكنونه عند خزنه علمک، و أذنت لنا فى الفحص عن أسرار مستتره عند عيبه وحيک و غيبک.

اللهمّ صلِّ على نبيّک الخاتم، المنزل عليه كتاب يهدى للّتى هى أقوم؛ و على آله الكرام البرره، و أصحاب العصمه و المعرفه. و على جميع من اجتبيت من رسلک و أرسلتهم إلى عبادک. و على الّذين احتذوا حذوهم، و اقتفوا آثارهم، و اقتدوا بهديهم.

و بعد: فيقول العبد المحتاج إلى مولاه الغنىّ نجم الدّين الحسن بن عبد الله الطبرىّ الاملى رحمهما اللّه تعالى و عفى عنهما: إنّ ما لفظه لسان ميزان القسط و باب مدينه العلم بحر لا تنفد لالى معانيه الغاليه، و ما أودعه فى لطائف ألفاظه كنوز لا يزيدها الإنفاق إلّا كثره و سعه، فقد تيسّر لنا بالكدّ و الجهد التامّين استخراج قبضه من تلک اللئالى و الكنوز فهذه بضاعتنا المزجاه نهديها إلى بغاه علم الدّين فى شرح كلمات علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام، و نطلب من اللّه التوفيق لاتمام الشرح على النهج السّديد، و نرجوه لكلّ خير و نستزيد.

و هذا هو المجلّد الرابع من تكمله منهاج البراعه فى شرحنا على نهج البلاغه فينتهى المنهاج به إلى ثامن عشر، فنقول مستعينا بواهب المعانى و الصور:

ص:۲

تتمّه المختار التاسع من كتبه عليه السّلام و رسائله

تتمه المعنى

اشاره

قوله عليه السّلام:«و أمّا ما سألت من دفع قتله عثمان إليك - إلى قوله: و لا إلى غيرك» هذا الفصل جواب عن قوله معاويه له عليه السّلام: فان كنت صادقا فأمكنّا من قتلته نقتلهم به.

و قد دريت من مباحثنا السالفه أنّ معاويه لم يجد شيئا يستغوى به النّاس و يستميل به أهواءهم إلّا أن قال لهم: قتل إمامكم مظلوما فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب له جفاه طعام، عبيد قزام، جمعوا من كل أوب، و تلقطوا من كلّ شوب.

و أنّ عمّار بن ياسر قال فى بعض أيّام صفين - كما رواه أبو جعفر الطبرىّ فى التاريخ و نقلناه فى ص ۲۸۶ ج ۱۵ -: أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الّذين يبغون دم ابن عفّان، و يزعمون أنّه قتل مظلوما، و اللّه ما طلبتم بدمه و لكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمرءوها، و علموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرّغون فيه من دنياهم، و لم يكن للقوم سابقه فى الاسلام يستحقّون.

طاعه الناس و الولايه عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوما، ليكونوا بذلك جبابره ملوكا، و تلك مكيده بلغوا بها ما ترون، و لو لا هى ما تبعهم من الناس رجلان؛ إلخ.

و أنّ معاويه لم يكن ولىّ دم عثمان حتّى يطلبه، بل كان ولده أولياء دمه و أشار أمير المؤمنين عليه السّلام إليه تلويحا: فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك.

و أنّ معاويه لم يكن له ولايه شرعيّه على المسلمين، ثمّ لم يرافع إليه أحد فى دم ابن عفّان شيئا، و ما ترافع إليه الخصمان فيه فأنّى له أن يطلب قتله عثمان؟ و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن شريكا فى دمه، بل كان فى عزله عن قتله و لم يحضر قتل عثمان يوم قتل.

و نصّ أبو جعفر الطبرىّ فى التاريخ أنّه لما حصر عثمان كان علىّ عليه السّلام بخيبر فلو رأى معاويه أنّه عليه السّلام كان من قاتليه فهو خطأ، و علمت أنّ إسناد قتله إليه اختلاق بل فى مروج الذهب للمسعودى أنه لمّا بلغ عليّا عليه السّلام أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته حتّى أنّ القوم لما اشتبكوا جرح الحسن و شجّ قنبر.

و كذا قال المسعودىّ: لمّا حصر الناس عثمان فى داره منعوه الماء فأشرف على الناس و قال: ألا أحد يسقينا؟ فبلغ عليّا عليه السّلام طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء - إلخ، فراجع إلى (ص ۳۳۰ ج ۱۶).

و لو رآه ولىّ المسلمين، و حاكم الشرع المبين طلب عنده حقّا من غيره فقد كان واجبا عليه أن يرافع الدّعوى إليه عليه السّلام مع الشروط المعتبره فى الترافع و ما فعل معاويه ذلك.

على أنّما قتله خلق كثير حتّى شهد قتله ثمانمائه من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يرون أنّ عثمان كان يستحقّ القتلى بأحداثه ففى كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى (ص ۱۷۶ الطبع الناصرى) مذكور أنّما جرى بين عمّار بن ياسر رضوان اللّه عليه و عمرو بن العاصى كلام طويل فى بعض أيّام صفين - إلى أن قال عمرو لعمّار: فعلى م تقاتلنا؟ أو لسنا نعبد إلها واحدا، و نصلّى قبلتكم، و ندعو دعوتكم، و نقرأ كتابكم، و نؤمن برسولكم؟ قال عمّار: الحمد للّه الّذى أخرجها من فيك إنّها لى و لأصحابى القبله و الدّين و عباده الرحمن و النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و الكتاب من دونك و دون أصحابك؛ الحمد للّه الّذى قرّرك لنا بذلك دونك و دون أصحابك، و جعلك ضالاّ مضلاّ لا تعلم هاد أنت أم ضالّ، و جعلك أعمى و ساء خبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك، أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أن اقاتل الناكثين و قد فعلت، و أمرنى أن اقاتل القاسطين فأينم هم و أمّا المارقين فما أدرى ادركهم أم لا؟(۱) أيها الأبتر أ لست تعلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله

۱- (۱) لم يدركهم لانه رضوان اللّه عليه قتل فى صفين قتله الفئه الباغيه معاويه و أتباعه و قدمنا ترجمه عمار فراجع الى ج ۱۶ من ص ۲۷۳ الى ۲۹۹. منه

قال لعلىّ عليه السّلام: من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللّهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولى اللّه و رسوله و علىّ بعده و ليس لک مولى.

قال عمرو: لم تشتمنى يا أبا اليقظان و لست أشتمک؟ قال عمّار: و بم تشتمنى أ تستطيع أن تقول إنّى عصيت اللّه و رسوله يوما قطّ؟.

قال له عمرو: إنّ فيک لمسبات سوى ذلک.

فقال عمّار: إنّ الكريم من أكرمه اللّه: كنت وضيعا فرفعنى اللّه، و مملوكا فأعتقنى اللّه، و ضعيفا فقوّانى اللّه، و فقيرا فأغنانى اللّه.

و قال له عمرو: فما ترى فى قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء قال عمرو: فعلىّ قتله، قال عمّار: بل اللّه ربّ علىّ قتله و علىّ معه، قال عمرو:

كنت فيمن قتله من هنا عند ابن عقبه، قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم اقاتل معهم، قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، فقال عمرو:

ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلک لقومه:

ألا تسمعون.

و بالجمله إذا كان قتله عثمان هذا الجمع العظيم و كان فيهم كبار الصحابه من الأنصار و المهاجرين و مثل عمّار بن ياسر على جلاله شأنه و علوّ مقامه و ثباته فى الدّين اعترف بالمشاركه فى قتله فكيف يسع أمير المؤمنين عليه السّلام دفعهم إلى معاويه أو إلى غيره أوّلا، و مع فرض تمكّنه من ذلک كيف يسوّغه الشرع قتل جمع عظيم من الأنصار و المهاجرين و كبار التابعين برجل أحدث أحداثا نقمها الناس منه و طعنوا عليه و قتلوه بها ثانيا.

و لعلّ قوله عليه السّلام:«و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان فإنّى نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه و عينيه فلم أر دفعهم إليک و لا إلى غيرک» يشير إلى الوجه الأخير خاصّه.

و روى أنّ أبا هريره و أبا الدرداء أتيا معاويه فقالا له: على م تقاتل عليّا

و هو أحقّ بالأمر منك لفضله و سابقته؟ فقال: لست اقاتله لأنّى أفضل منه و لكن ليدفع إليّ قتله عثمان، فخرجا من عنده و أتيا عليّا عليه السّلام فقالا له: إنّ معاويه يزعم أنّ قتله عثمان عندك و فى عسرك فادفعهم إليه فإن قاتلك بعدها علمنا أنّه ظالم لک.

فقال عليّ عليه السّلام: إنّى لم أحضر قتل عثمان يوم قتل و لكن هل تعرفان من قتله؟.

فقالا: بلغنا أنّ محمّد بن أبى بكر و عمّارا و الأشتر و عدىّ بن حاتم و عمرو بن الحمق و فلانا ممّن دخل عليه.

فقال عليّ عليه السّلام: فامضيا إليهم فخذوهم، فأقبلا إلى هؤلاء النفر و قالا لهم:

أنتم من قتل عثمان و قد أمر أمير المؤمنين بأخذكم قال: فوقعت الصيحه فى العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر عليّ أكثر من عشره آلاف رجل فى أيديهم السيوف و هم يقولون: كلّنا قتله، فبهت أبو هريره و أبو الدّرداء ثمّ رجعا إلى معاويه و هما يقولان: لا يتمّ هذا الأمر أبدا فأخبراه بالخبر.

و قد مرّ قريب من هذه الروايه عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم فى صدر هذا الشرح قول عليّ عليه السّلام لأبى مسلم الخولانى: اغد عليّ غدا فخذ جواب كتابک - إلى قول نصر: فلبست الشيعه أسلحتها ثمّ غدوا فملأوا المسجد و أخذوا ينادون:

كلّنا قتل ابن عفّان.

و فى روايه اخرى: لما سئل عليّ عليه السّلام تسليمهم قال و هو على المنبر: ليقم قتله عثمان، فقام أكثر من عشره آلاف رجل من المهاجرين و الأنصار و غيرهم.

فكيف يمكن تسليم أكثر من عشره آلاف رجل جلّهم من حماه الدّين و قواعده إلى من يطلب بدم رجل واحد قتلوه بأحداثه الّتى نقموها منه؟.

قوله عليه السّلام:«و لعمرى لئن لم تنزع عن غيّک - إلى قوله: و زور لا يسرک لقيانه» هذا الفصل جواب عن قول معاويه حيث قال فى كتابه مخاطبا له عليه السّلام:

«و الّذى لا إله إلاّ هو لنطلبنّ قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البرّ و البحر حتّى

يقتلهم اللّه أو لتلحقن أرواحنا باللّه».

و لمّا كان معاويه شمخ بأنفه و تجاوز عن حدّه و جعل اللّه تعالى عرضه فى يمينه و هدّد الأمير و شيعته بقوله الشنيع أجابه الأمير عليه السّلام و أخبره عن عاقبته السؤى بقوله ذلك: أى لعمرى قسمى لئن لم تنته و لم تكفّ عن ضلالك و خلافك لتعلمنّ أنّ هؤلاء المسلمين الّذين يجاهدون فى سبيل اللّه يطلبونك بعد زمان قليل، و لا يشقون عليك أن تطلبهم فى البرّ و البحر و الجبال و الرمال، يعنى لا حاجه إلى أن تكلّف نفسك فى طلبهم، بل أنّهم يطلبونك، فلا يخفى لطف كلامه و عذوبته فى تهديده عليه السّلام معاويه قبال كلامه فى تهديده أمير المؤمنين عليه السّلام.

ثمّ هدّده بعاقبه هذا الطلب بقوله: أنّ هذا الطلب يسوءك وجدانه، و زور لا يسرّك لقيانه، و الظاهر أن قوله عليه السّلام: عن قليل يطلبونك، إشاره إلى ما سيوقع فى وقعه صفين، و سيأتى نحو قوله هذا كلامه عليه السّلام فى آخر الكتاب الثامن و العشرين الّذى كتبه إلى معاويه أيضا جوابا: فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد - إلخ.

قوله عليه السّلام: «و قد كان أبوك أتانى حين ولّى النّاس أبا بكر، إلخ» قال اليعقوبى فى التاريخ (ص ١٠۵ ج ٢ طبع النجف) و كان فيمن تخلّف عن بيعه أبى بكر أبو سفيان بن حرب و قال: أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم و قال لعليّ بن أبى طالب: امدد يدك ابايعك و على معه قصى فقال:

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم و لا سيّما تيم بن مرّه أو عدى

فما الأمر إلّا فيكم و إليكم و ليس لها إلّا أبو حسن عليّ

ابا حسن فاشدد بها كفّ حازم فاتك بالأمر الذى يرتجى ملى

و إنّ امرأ يرمى قصيّا وراءه عزيزا الحمى و النّاس من غالب قصى

و قال المفيد فى الجمل (ص ۴٢ طبع النجف): فى الفصل المترجم بقوله:

انكار جماعه بيعه أبى بكر، بعد عدّ عدّه من المنكرين بيعته: و قال أبو سفيان بن حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بنى هاشم أرضيتم أن يلى عليكم بنو تيم بن مرّه حاكما على العرب و متى طمعت أن تتقدّم بنى هاشم فى الأمر، انهضوا لدفع هؤلاء

القوم عمّا تمالوا إليه ظلما لكم، أما و اللّه لأن شئتم لأملأنّها عليكم خيلا و رجالا ثمّ قال: بنى هاشم، الأبيات.

و قال فى الإرشاد (ص ۹۰ طبع طهران ۱۳۷۷): و قد كان جاء أبو سفيان (يعنى بعد ما بدر الطّلقاء بالعقد للرجل) إلى باب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و علىّ و العباس متوفّران على النظر فى أمره فنادى: بنى هاشم لا تطمعوا، الأبيات؛ ثمّ نادى بأعلى صوته: يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أرضيتم أن يلى عليكم أبو فصيل الرّذل ابن الرّذل أما و اللّه لو شئتم لأملأنّها عليهم خيلا و رجلا.

فناداه أمير المؤمنين عليه السّلام: ارجع يا أبا سفيان فواللّه ما تريد بما تقول و ما زلت تكيد الإسلام و أهله و نحن مشاغيل برسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و على كلّ امرىء ما اكتسب و هو ولىّ ما احتقب. فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بنى اميه مجتمعين فحرّضهم على الأمر و لم ينهضوا له. و كانت فتنه عمّت، و بليّه شملت، و أسباب سوء اتّفقت، تمكّن بها الشيطان، و تعاون فيها أهل الإفك و العدوان، فتخاذل فى انكارها أهل الايمان و كان ذلك تأويل قول اللّه عزّ و جلّ، «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ».

خاتمه

يذكر فيها مسئله فقهيه

و هى أنه قد تقدّم فى شرح هذا الكتاب (ص ۳۸۳ ج ۱۷) أنّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فى يوم احد كانوا يدفنون الاثنين و الثلاثه من القتلى فى قبر واحد. و كذلك قد تظافرت الاثار فى أنّ ابن سعد لعنه اللّه عليه لما رحل من كربلاء خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولا بالغاضريه إلى سيّد الشهداء أبى عبد اللّه الحسين و أصحابه روحى لهم الفداء فصلّوا عليهم و دفنوا الحسين عليه السّلام حيث قبره الان و دفنوا ابنه علىّ بن الحسين عند رجله و حفروا للشهداء من أهل بيته و أصحابه الّذين صرعوا حوله مما يلى رجلى الحسين عليه السّلام و جمعوهم فدفنوهم جميعا معا و دفنوا العبّاس بن علىّ عليهما السّلام فى موضعه الّذى قتل فيه على طريق الغاضريّه حيث قبره الان.

ففيهما دلاله على جواز دفن ميّتين أو أكثر فى قبر واحد، أمّا الأوّل فلأنّه

كـان فى حضـره رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله بـل كـان بـاذنه حيث قـال صـلّى اللّه عليه و اله: انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصـحابه فى القبر. و قال فى الخبر الاخر: المروى عنه صـلّى اللّه عليه و اله كما فى مدارك الأحكام فى شرح شرايع الاسلام: انه قال للأنصار يوم احد:

احفروا و أوسعوا و عمقوا و اجعلوا الاثنين و الثلاثه فى القبر الواحد.

و أمّـا الثانى فلأنّ بنى أسـد كانوا مسـلمين بل لعلّهم كانوا مؤمنين فلو لا علمهم بجواز ذلک من الشـرع لما فعلوه فى المقام، على أنّه لم ينكر عليهم أحد.

و الجواز لا خلاف فيه و إنّما الكلام فى أنّ جواز ذلک فيما يقتضـيه الضـروره كما هى ظاهر المقامين سـيما الثانى، أو أنّ العمل جـائز مطلقـا، ثمّ لو لاـ الضـروره أ كـان مكروها أو محرّما. و هل يفصّل فى المقام بين ما كان الميتان رجلين أو امرأتين و بين ما كانـا رجلاـ و امرأه، و على الثـانى بين مـا كانـا أجنبيّين و غير أجنبيّين و على التقادير كلّها هل يجوز دفن أكثر من واحـد فى قبر ابتداء أو مطلقا.

فالمنقول عن الشيخ قدّس سرّه فى المبسوط: الأولى أن يفرد لكلّ واحد منهم قبر لما روى عنهم عليهم السّلام أنّه لا يدفن فى قبر واحد اثنان. و قال فيه: فان دعت الضـروره إلى ذلک جاز أن يجمع اثنان و ثلاثه فى قبر واحد كما فعل النبىّ صلّى اللّه عليه و اله يوم احد. قال: فإذا اجتمع هؤلاء جعل الرجل ممّا يلى القبله و الصّبيان بعدهم ثمّ الخناثى ثمّ النساء، انتهى.

و فى التهـذيب: محمّـد بن الحسن الصّـفّار قـال: كتبت إلى أبى محمّـد عليه السّـلام أ يجوز أن يجعل (نجعل - معا) الميّتين على جنازه واحده و يصلّى عليهما؟ فوقّع عليه السّلام: لا يحمل الرجل مع المرأه على سرير واحد.

و رواه فى الوسائل هكـذا: قال: كتبت إلى أبى محمّد عليه السّـلام أ يجوز أن يجعل الميّتين على جنازه واحده فى موضع الحاجه و قلّه النـاس و إن كـان الميّتـان رجلا و امرأه يحملان على سـرير واحـد و يصـلّى عليهما؟ فوقّع عليه السّـلام: لا يحمل الرجل مع المرأه على سرير واحد.

فيستفاد من الخبر أمران: أحدهما جواز حمل الميّتين الرجلين على جنازه

و ثانيهما عدم جوازه إذا كان أحدهما رجلا و الاخر امرأه حتّى حال الضروره.

فيحكم على ذلك فى دفنهما أيضا على طريق الأولويّه أعنى الجواز فى الصوره الاولى و عدمه فى الثانيه.

و قد ذهب بعض العلماء إلى حرمه دفن رجل أجنبىّ و امرأه أجنبيّه فى قبر واحد و لعلّه افتى به من ظاهر هذا الخبر و إن كان الخبر أعم شمولا فانّه نهى عن حمل الرّجل و المرأه الميّتين فى سرير مطلقا.

كما أنّ الشيخ قدّس سرّه حكم بجعل الرجل ممّا يلى القبله - إلخ فى الدفن من الروايات الوارده فى الصلاه على الجنائز المتعدّده المختلفه الجنس.

و الأصل يقتضى عدم جواز دفن الميّتين فى قبر حال الإختيار كما هو المنقول عن ابن سعيد فى الجامع و المرسل المذكور فى المبسوط ظاهر فى عدم الجواز.

اللّهمّ إلاّ أن يقال إنّ ادّعاء الضروره فى واقعه احد غير ثابت فاذنه صلّى اللّه عليه و اله دليل على الجواز مطلقا من غير كراهه. لكن العلماء قد ذهبوا إلى القول بالكراهه فى حال عدم الضروره و بعدمها فى الضروره فمع الضروره تزول الكراهه قطعا.

هذا إذا دفنّا ابتداء و أمّا إذا استلزم دفن ميّت فى قبر ميّت آخر بعد دفنه نبشه فحرام لتحريم النبش أوّلا، و لأنّ الأوّل قد ملكه بالحيازه لكن قد يناقش على الأوّل بأنّ الكلام فى إباحه الدفن نفسه لا النبش و أحدهما غير الاخر، و على الثانى بعدم ثبوت حقّ الأوّل و فى المسأله كلام بعد يطلب فى الكتب الفقهيّه و الّذى حرىّ أن يقال فى المقام: إنّ دفن الميّتين فى قبر واحد ابتداء مكروه إذا لم يقتض الضروره و معها تزول الكراهه. و أمّا دفن ميّت فى قبر آخر قبل أن يصير رميما فحرام. و إذا كان الميّتان رجلا و امرأه اجنبيّين فلا يترك الاحتياط فى أن يفرد لكلّ واحد منهما قبر.

الترجمه

این کتاب نهم از باب کتب و رسائل أمیر علیه السّلام است که بمعاویه نوشت.

روزی أبو مسلم خولانی با گروهی از قاریان شام که از پیروان معاویه بودند بدو گفتند: تو که چون علی صحبت و قرابت با پیغمبر و سابقت در اسلام و هجرت نداری، از چه روی با وی سر کارزار داری؟.

معاویه گفت: من ادّعا نمیکنم که در این صفات از وی برتر یا با وی برابرم و لکن نه این است که عثمان بستم کشته شد؟ گفتند: آری چنین است، گفت:

علی کشندگان عثمان را تسلیم ما کند تا کار به کار زار نکشد، گفتند: در این باره بدو نامه ای نویس، معاویه نامه ای بأمیر علیه السّلام نوشت و خولانی را برای رساندن نامه بسویش گسیل داشت.

خولانی نامه را بأمیر علیه السّلام رسانید و بدو گفت: اکنون زمام تولیت امور مسلمانان در دست تو است، و بخدا سوگند اگر از خود داد حق بدهی دوست ندارم که أمر خلافت به دست دیگری جز تو باشد؛ همانا که عثمان مسلمان بود و خونش بستم ریخته شد تو أمیر مائی کشندگانش را بما ده، چه اگر کسی بمخالفت با تو برخیزد دستهای ما بیاریت آماده، و زبانهای ما در حقّت گواه، و مر تو را نیز در نزد خدا و مردم عذر و حجّت خواهد بود.

امام علیّ علیه السّلام فرمود: فردا بیا و پاسخ نامه را بستان، چون فردا بیامد دید که مردم از نامۀ معاویه آگاه شده همگی با سلاح در مسجد گرد آمده ندا در می دهند:

ما همه کشندگان عثمانیم.

خولانی بنزد أمیر علیه السّلام آمد، أمیر بدو گفت: سوگند بخدا من نخواستم که بیک چشم بهم زدنی آنانرا بدست تو دهم چه این أمر را نیک نگریستم و آنرا زیر و رو کردم، سزاوار ندیدم که ایشان را بدست تو یا جز تو دهم.

پس خولانی نامه بستاند و بسوی معاویه بازگشت و داستان را بدو باز نمود.

ص:۱۱

اینک

ترجمهٔ نامهٔ معاویه

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، از معاویه پور بو سفیان به علیّ بن أبی طالب: درود بر تو، با تو خدا را ستایش میکنم و نعمتهای او را سپاس می گذارم، آنکه جز او خدائی نیست؛ أمّا بعد همانا که خداوند بدانش خود محمّد صلّی اللّه علیه و اله را برگزید، و او را أمین بروحیش و رسول به خلقش گردانید و از مسلمانان یارانی برایش برگزید که بدستیاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود، و رتبهٔ آنان در نزد خدا و رسول باندازه فضلشان در اسمان بود، پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است، سپس جانشین سوّم عثمان که بستم کشته شد.

و تو أی علی بر همهٔ شان حسد بردی، و بهمه آنان ستم کردی، ما این معنی را از چپ چپ نگریستن، و بخشم و تند و تیز نگاه کردن، و از گفتار زشت، و از آه کشیدن و دم بر آوردن دراز، و از درنگ و کندی نمودنت در یاری جانشینان پیمبر پی بردیم.

تو آنی که چون شتر نر مهار کرده (چوب در بینی کشیده)(۱) بسوی

۱- (۱) عبارت معاویه این است: «تقاد الی کل منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتی تبایع» و مخشوش یعنی شتر سرکش که در بینی او خشاش کرده باشند و خشاش بالکسر چوبکی است که در بینی حیوان سرکش گذارند و زمامش را بدان بندند تا رام و منقاد شود و بهتر اطاعت کند. و این عمل را در ولایت ما با گاو کاری سرکش میکنند تا رام شود و در شخم کردن سرکشی نکند؛ و گاهی بجای چوب و ریسمان باریک در بینی آن در می کشند و از دو طرف بشاخش می بندند و گویند گاو را مهار کرده است.و ابن أثیر در نهایه گوید: و فی حدیث الحدیبیه أنه أهدی فی عمرتها جملا کان لابی جهل فی أنفه خشاش من ذهب. الخشاش: عوید یجعل فی أنف البعیر یشد به الزمام لیکون أسرع لانقیاده، و منه حدیث جابر فانقادت معه الشجره کالبعیر المخشوش هو الذی جعل فی انفه الخشاش و الخشاش مشتق من خش فی الشیء اذا دخل فیه لانه یدخل فی أنف البعیر.

هر یک از خلفای رسول برای بیعتت برده اند سرباز زدی و از آن کاره بودی و بویژه بعثمان بیشتر از دیگران حسد ورزیده ای با این که از جهت رحامت و خویشاوندی و دامادی او به پیمبر از همه سزاوارتر بود که با وی چنان کاری نکنی پس قطع رحم کردی، و خوبیهای او را زشت گردانیدی، و مردم را بر او شورانیدی، و زیر و رو کرده ای تا از هر سوی مردم بدو رو آوردند، و بر علیه او در حرم رسول خدا حمل سلاح کردند، تا او را کشتند، و تو حاضر بودی و ناله و فریاد او را می شنیدی و حرفی نزدی و کاری نکردی تا گمان بد در باره تو نبردند و تهمت بتو نزنند و بدانند که به قتل او راضی نبودی.

براستی سوگند یاد میکنم که اگر به یک سو می شدی و مردم را از کشتن عثمان باز می داشتی یک تن ما از تو بر نمی گشت، علاوه این که این عمل تو آنچه را که در بارهٔ تو راجع به عثمان می پنداشتند جبران میکرد و گمان بدشان را در بارهٔ تو محو میکرد.

و دیگر این که در نظر أنصار عثمان، متّهمی که کشندگانش را جا و پناه دادی که اکنون تو را بازوان و یارانند و همدستان و دوستان خاصّ. و با این همه شنیدم که خویشتن را از خون عثمان تبرئه می نمائی، اگر راست میگوئی ما را بر آنان دست ده تا ایشان را بقصاص خون عثمان بکشیم، آن گاه بسویت شتابیم، و گرنه تو و یارانت را طعمهٔ شمشیر گردانیم.

سوگند به آن که جز او خدائی نیست اگر قاتلان عثمان در کوهها و ریگستانها و دشت و دریا پراکنده شوند، هر آینه بر آنان دست یابیم تا این که خدا آنانرا بکشد؛ یا این که آنان جانهای ما را بخدا بپیوندند.

ترجمهٔ نامهٔ امیر المؤمنین علی علیه السلام در پاسخ نامهٔ معاویه

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، از بندهٔ خدا علی أمیر مؤمنان به معاویه پور بو سفیان:

أمّا بعد همانا که بو مسلم خولانی نامه ای از شما آورده که در او رسول خدا، و نعمت هدایت و وحی را که خدا باو انعام فرموده ذکر کرده ای، پس حمد خدائی را که به وعده اش در بارهٔ پیمبرش وفا کرد، و نصرتش را بر او تمام گردانید، و مر او را در شهرها تمیکن داد، و بر قوم او - که دشمنی و کینه توزی با او داشتند، و بر او حمله ها کردند، و بغض او را در دل انباشتند، و به دروغ نسبتش دادند، و به قتال با او قیام کردند، و بر اخراج او و أصحابش از مکّه هم پشت شدند، و عرب را بر او تحریک کردند، و آنانرا بر جنگ او گرد آوردند، و تمام کوشش در کار او نمودند، و کارها را بر او دگرگون کردند - پیروز گردانید، تا دین خدا - با این که آنان از آن بیزاری داشتند - آشکار شد و غالب گردید، و شدیدترین مردم بر او قوم او بویژه خویشان نزدیک او بودند؛ مگر کسانی که خداوند آنانرا حفظ کرد.

ای فرزند هند! روزگار أمر شگفتی از شما بر ما پوشیده داشت؛ پیش آمدی و بد نمودی و ناروا کردی که ما را از آزمایش خدا به پیمبرش محمّد صلّی اللّه علیه و اله و به ما، خبر می دهی چه در این کار چون آن کسی که خرما به هجر برد، یا آنکه بگستاخی استادش را که از او تیراندازی بیاموخت به تیراندازی بخواند.

در آن کتاب گفتی: «خداوند از مسلمانان یارانی برای پیمبرش برگزید که بدستیاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود و رتبهٔ آنان در نزد خدا و رسول باندازهٔ فضلشان در اسلام بود پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است» بجانم (یا به دینم) سوگند که آن دو را در اسلام پایه ای بزرگ است، و از تیر مرگی که بدانها رسیده زخمی سخت در پیکر اسلام پدید آمده؛ خداوند رحمتشان کناد و نیکوترین پاداش دهاد(۱).

ص:۱۴

۱- (۱) ترجمه عبارت مطابق نسخه بحار چنین است: و در آن کتاب گفتی: خداوند از مسلمانان یارانی.... جانشین پیمبر صدیق، و جانشین جانشین او فاروق است.بجانم سوگند آنچه در نامه ات در بارهٔ بو بکر و عمر آوردی اگر تمام باشد آن همه صفات از تو دور است (یعنی به آنها متصف نیستی و لیاقت مقام خلافت و در دست گرفتن زمام امور ملت را نداری) و اگر ناتمام است بتو ثلمه و رخنه ای رو نخواهد کرد.تو را به صدیق چه رسد؟ صدیق آن کس است که حق ما را تصدیق کند، و تو را چه رسد به فاروق؟ فاروق آن کسی است که میان ما و دشمنان ما فرق گذارد

و در آن نـامه آورده ای که عثمـان در فضـل و رتبه سوّمین آنهـا بود؛ اگر عثمـان نیکوکـار بود خداونـد او را به نیکو کـاریش پاداش می دهد و اگر بدکار بود دیدار می کند پروردگار آمرزنده ای را که گران و بزرگ نیاید او را گناهی که بیامرزدش.

بخدای لا یزال قسم که همانا امیدوارم و آرزو دارم که چون خداوند مردم را به پایهٔ فضائل آنان در اسلام، و نصیحتشان در راه خدا و رسول پاداش عطا کند بهرهٔ ما در آن از دیگران زیادتر باشد؛ چه محمّد صلّی اللّه علیه و اله چون مبعوث برسالت شد و به ایمـان بخـدا و توحیـد دعوت کرد مـا أهـل بیت او نخستین کسـی بودیم که به او ایمان آوردیم، و به آن چه آورده تصـدیق کردیم.

و چند سال تمام بود که در سرزمین عرب هیچ خانواده ای جز ما خدا را پرستش نمی کردند. و قوم ما خواستند که پیغمبر ما را بکشـند، و بیخ و بن ما را براندازند، در بارهٔ ما چیزها اندیشـیدند، و کارهایی بما روا داشـتند، و آب و نان را بروی ما بسـتند، و توشه را از ما بریدند، و زندگی خوش را از ما بازداشـتند، و ما را همنشین و همدم ترس و بیم نمودند، و جاسوسان و دیده بانها بر ما گماشـتند، و بکوهی سـخت (شـعب أبو طالب) ما را مضـطر گردانیدنـد، و برای ما آتش جنگ برافروختند، و با هم پیمان بسـتند و همدست شدند و نوشـته بمیان آوردند که کار را چنان بر ما تنگ گیرند حتّی با ما نخورند و ننوشند و ازدواج نکنند، و از ایشان در تمام مـدّت سال جز در موسم حـجّ ایمن نبودیم تا این که پیغمبر را بدست آنها دهیم که او را بکشـند و مثله اش کنند.

پس خداوند متعال ما را عزیمت آن داد که دست ستم آنانرا از سر رسول

ص:۱۵

بریـدیم، و شـرّشان را از ناحیهٔ حضـرتش بازداشتیم، و آنان را از حریم حرمتش دور کردیم، و در ساعات خوف، شب و روز با شمشیرها در حضور او ایستادگی نمودیم.

مؤمن ما باین حفظ و حراست پیمبر طلب پاداش میکرد، و امیـدوار ثواب بود؛ و کافر ما حمایت از اصل و نسب و دودمان خود میکرد. (مراد این است از بنی هاشم و بنی مطلّب آنکه ایمان برسول آورد مثل أبو طالب پـدر أمیر المؤمنین علیّ علیه السّـلام و حمزه بن عبـد المطّلب رضوان اللّه علیهما در حمایت پیغمبر امیدوار ثواب از خدا بودند و در راه خدا دین و پیغمبر را حفظ می کردنـد؛ بخصوص أبو طالب رضوان اللّه علیه که خـدمت بسـیار بزرگ به اسـلام کرده و رنـج و خـدمت او از همه بیشتر بود و دین خود را از کفّار نهان می داشت تا بهتر بتوانـد خـدمت باسـلام کند و پیغمبر او را کافل الیتیم خوانده که فرمود: أنا و کافل الیتیم کهـاتین فی الجنّه؛ و آنکه از بنی هـاشم ایمان نیاورده و کافر بود چون عبّاس عموی پیغمبر و عقیل و طالب فرزنـدان أبی طالب و حارث و پـدرش نوفل و عمویش أبو سـفیان فرزندان حارث بن عبد المطلب که در شـعب أبو طالب با پیغمبر و مؤمنین محصور بودند و حمایت از رسول می کردند نه بحساب دین و رسالت بلکه برای حفظ دودمان و اصل نسب و پس از خلاصی از شـعب یکی پس از دیگری اسـلام آوردنـد. و از بنی هاشم أبو لهب و پسـرش همـدست با کفّار بودنـد و آنان را کمک می کردند).

و از قریش کسانی که اسـلام آورده بودند از خوفی که ما داشتیم و رنجی که در آن بودیم ایمن بودند، یا بسبب هم قسمی که با مشـرکان داشـتند که آنان را از شـرّ مشـرکان باز می داشت، یا بسـبب عشـیره ای که پیش رویشان از آنها دفاع می کردنـد تا کسی بر آنان دست نیابد که از قتل در أمان بودند، تا روزگاری بدین منوال بگذشت.

سپس خداونـد پیغمبرش را أمر بهجرت فرمود، و بعـد از آنش بقتـال مشـرکین اذن داد. و هنگامی که جنگ سـخت می شـد و مردم از ترس عنان باز پس می کشیدند و رو می گردانیدند و دو طرف کارزار آماده جنگ می شدند، رسول خدا أهل بیت

ص:۱۶

خود را بر پا میکرد و آنان را پیش می داشت که بایشان اصحاب خود را از گرمی و سوزش نیزه ها و شمشیرها حفظ میکرد، که عبیده بن حارث پسر عمّ آن حضرت در جنگ بدر کشته شد، و حمزه در روز احد، و جعفر طیّار و زید بن حارثه در جنگ موته.

و کسی که اگر بخواهم اسمش را ببرم (مراد از این کس خود أمیر المؤمنین علیه السلام است و آن جناب خبر از خودش می دهد) چندین بار در جنگها با پیغمبر صلّی اللّه علیه و اله شهادتی را که آن شهداء خواستند نیز خواسته و آرزوی آن را داشته است جز این که روزگارشان بسر آمد که بدرجۀ رفیعه شهادت رسیدند ولی عمر وی بسر نیامده که مرگش بتأخیر افتاد. خداوند بایشان در ازای آن کارهای شایسته که پیش فرستاده اند نیکو احسان کننده و نعمت دهنده است.

و کسی از حامیان پیمبر را مخلص تر بخدا در طاعت رسولش، و مطیع تر برسول در طاعت پروردگارش، و شکیباتر در محنتها و سختیها و هنگام ترس و مواطن مکروه با پیغمبر، از این چند تن که نام برده ام ندیدم و در مهاجرین خیر بسیار می شناسیم خداوند ایشان را نیکوترین پاداش دهاد.

و در آن نامه گفتی که «من بر خلفا حسد برده ام، و از بیعت بانان کندی و خودداری نمودم، و بر ایشان ستم کردم» أما ستم معاذ اللّه که چنین باشد و من بأحدی ستم کرده باشم.

و أما در خودداری از بیعت و طاعت و در کراهت بامرشان؛ هیچ عذری پیش کسی نیاورم و پوزش نطلبم، زیرا خداوند چون قبض روح پیمبر کرد قریش گفتند أمیر باید از ما باشد و أنصار گفتند از ما؛ پس قریش گفتند: محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله از ما بود در نتیجه ما سزاواریم بأمر خلافت و أمارت، و انصار تسلیم شدند و أمارت را بقریش تفویض کردند. پس سبب بر کنار شدن انصار از أمارت و استحقاق قریش آنرا این بود که محمّد صلّی اللّه علیه و اله از قریش بود. و بهمین بیان آنکه در میان قریش به پیغمبر أولی و أقرب است بخلافت نیز باید أحق و أولی باشد (مرادش از این گفتار خود آن بزرگوار است). و گرنه انصار در میان عرب از آن بهرۀ بزرگ داشتند.

نمی دانم أصحابم بگرفتن حقم تن در دادند، یا انصار بمن ظلم کردند؟ همین قدر دانم که حقّ من گرفته شد؛ واگذاشتم آنرا بر ایشان خدا از ایشان در گذرد.

أما آنچه در بارهٔ عثمان گفتی که «قطع رحم کردم، و مردم را بر او شورانیدم» تو خود دیده ای که عثمان در دین چه ها نمود، و با مردم چه ها کرد که سرانجام کارهای او سبب قتلش شده، و تو خود دانی که من در قتل او شریک نبودم و از آن کناره گرفتم و عزلت اختیار کردم؛ مگر این که بخواهی افترا بمن زنی و بدروغ نسبت به جنایتم دهی پس هر چه خواهی بکن، و هر چه دلت خواست بگو.

ای عجب از روزگار که با من قرین شد کسی (یعنی معاویه و خلفای گذشته) که در راه دین بپایهٔ من قدم برنداشت و سابقه اش در اسلام چون سابقه من نبود؛ سابقه ای که کسی نتواند بمثل آن توسّل جوید و دعوی چنان سابقت نماید مگر کسی ادعا کند آنچه را که من نشناسمش، و گمان نکنم که خدای آن را بشناسد (کنایه از این که جز آن چه گفته ام وجود ندارد و صرف ادعا است اگر کسی ادعا کند دروغ گفته است) و حمد خدای را بر هر حال.

و أمّا آنچه در بارهٔ قاتلان عثمان گفتی و از من طلب کردی که ایشان را تسلیم تو کنم؛ من در این امر نظر نمودم و نیک آن را زیر و رو کردم ندیدم که تسلیمشان بتو و بغیر تو برایم گنجایش داشته و مقدور باشد.

بجانم – یا بدینم – سوگند اگر از گمرهیت باز نایستی و از دعوی خلافت دست بر نداری خواهی دید که کشندگان عثمان خودشان بطلب تو آیند و زحمتت نمی دهند که در صحرا و دریا و کوه و دشت ایشان را طلب کنی؛ جز این که طلب کردنشان تو را طلبی است که از آن خوشت نیاید و دیدارشان دیداری است که خوشنودت ننماید (کنایه از این که چنان کار را بر تو سخت کنند که دمار از روزگارت در آورند و زندگی در کام تو تلخ گردد).

ای معاویه هنگامی که مردم ابو بکر را والی قرار دادند پدرت بو سفیان نزد

من آمد و بمن گفت: «تو بعد از محمّد بخلافت و امارت سزاواری؛ برخیز و حقّ خود بستان و اگر کسی با تو مخالفت کند من کفالت و حمایتت نمایم، اکنون دست دراز کن تا با تو بیعت کنم» ولی من نپذیرفتم.

و تو دانی که این سخن را پدرت بمن گفت و از من خواست؛ ولی من بودم که قبول نکردم از بیم این که مبادا تفرقه میان مسلمانان چون قریب العهد بکفر بودند رخ دهد. پس پدرت بحقّ من از تو آشناتر بود و تو اگر چون پدرت حقّ مرا شناسی راه راست را یافته ای و گرنه خداوند ما را کفایت کند و از تو بی نیاز گرداند. درود بر آنکه سزاوار آنست.

و من کتاب له علیه السّلام الیه أیضا

اشاره

و هو الکتاب العاشر من باب المختار من کتبه و رسائله و کیف أنت صانع إذا تکشّفت عنک جلابیب ما أنت فیه من دنیا قد تبهّجت بزینتها، و خدعت بلذّتها، دعتک فأجبتها، و قادتک فاتّبعتها، و أمرتک فأطعتها. و إنّه یوشک أن یقفک واقف علی ما لا ینجیک منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، و خذ أهبه الحساب، و شمّر لما قد نزل بک، و لا تمکّن الغواه من سمعک؛ و إلاّ تفعل أعلمک ما أغفلت من نفسک، فإنّک مترف قد أخذ الشّیطان منک مأخذه، و بلغ فیک أمله، و جری منک مجری الرّوح و الدّم.

ص:۱۹

و متى كنتم يـا معـاويه سـاسه الرّعيّه و ولاه أمر الامّه بغير قـدم سـابق و لا شـرف بـاسق. و نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشّقاء، و أحذّرك أن تكون متماديا فى غرّه الامنيّه مختلف العلانيه و السّريره. و قـد دعوت إلى الحرب فـدع النّاس جانبا و أخرج إلىّ و أعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه، و المغطّى على بصـره فأنا أبو حسن قاتل جـدّك و خالك و أخيك شـدخا يوم بـدر و ذلـك السّيف معى و بـذلك القلب ألقى عـدوّى. مـا اسـتبدلت دينـا، و لا اسـتحدثت نبيّا و إنّى لعلى المنهاج الّذى تركتموه طـائعين و دخلتم فيه مكرهين. و زعمت أنّك جئت ثائرا بعثمان و لقـد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالبا فكأنّى قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال و كأنّى بجماعتك تدعونى جزعا من الضّرب المتتابع، و القضاء الواقع، و مصارع بعد مصارع إلى كتاب اللّه و هى كافره جاحده، أو مبايعه حائده.

سند الكتاب و نقل صورته الكامله

هذا الكتاب نقله نصر بن مزاحم المنقرىّ فى كتاب صفين مسندا (ص ۵۹، الطبع الناصرىّ ۱۳۰۱ ه) و الرجل توفى قبل الرّضى بمأتى سنه تقريبا. و ما فى النهج بعض ما فى كتاب نصر على ما هو عاده الرضى كما اشرنا غير مرّه إلى أنّ غرضه الأهم انتخاب كلامه الذى له براعه فى الفصاحه و البلاغه، و دونك الكتاب على صورته الكامله الّتى نقلها نصر:

كتب عليه السّلام إلى معاويه: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإنّى أحمد اللّه الّذى لا إله إلّا هو. أمّا بعد فإنّك قد رأيت من الدّنيا و تصريفها بأهلها و إلى ما مضى منها و خير ما بقى من الدّنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى و من نسى الدّنيا نسيان الاخره يجد بينهما بونا بعيدا.

و اعلم يا معاويه أنّك قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا فى القدم و لا فى الولايه و لست تقول فيه بأمر بيّن تعرف لك به أثره، و لا لك عليه شاهد من كتاب اللّه و لا عهد تدّعيه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد انتهت بزينتها، و ركنت إلى لذّتها، و خلّى فيها بينك و بين عدوّ جاهد ملحّ مع ما عرض فى نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها، و قادتك فاتّبعتها، و أمرتك فأطعتها، فايس من هذا الأمر، و خذ أهبه الحساب، فانه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يجبنك منه مجن.

و متى كنتم يا معاويه ساسه للرّعيه، أو ولاه لأمر هذه الامه بغير قدم حسن و لا شرف سابق على قومكم؛ فشمّر لما قد نزل بك، و لا تمكّن الشيطان من بغيته فيك مع أنّى أعرف أنّ اللّه و رسوله صادقان فنعوذ باللّه من لزوم سابق الشقا و إلّا تفعل اعلمك ما أغفلك من نفسك فانك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدّم فى العروق.

و اعلم أنّ هـذا الأـمر لو كـان إلى النّـاس أو بأيـديهم لحسـدونا، و لأمتنّوا به علينا، و لكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شكّ بعد العرفان و البيّنه. اللّهمّ احكم بيننا و بين عدوّنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

فكتب إليه عليه السّلام معاويه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من معاويه بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب أمّا بعد فدع الحسد فانّك طالما لم تنتفع به و لا تفسد سـابقه قـدمك بشـره نخوتـك، فـانّ الأعمـال بخواتيمها، و لا تمحق سابقتك فى حقّ من لا حقّ لك فى حقّه فانّك إن تفعل لا تضـرّ بـذلك إلاّ نفسـك، و لاـ تمحق إلاّـ عملـك، و لا تبطل إلاّ حجّتك و لعمرى ما مضـى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقا لما اجترأت عليه من سـفك الدّماء، و خلاف أهل الحقّ، فاقرأ سوره الفلق و تعوّذ باللّه من شـرّ نفسك فانّك الحاسد إذا حسد.

و اعلم أنّ بين صوره كتاب الأمير عليه السّـلام على نسـخه كتاب صـفين الّتى نقلناه عنها و بين صورته على نسخته الّتى نقله عنها الفاضل الشارح المعتزلى فى شرحه على النهج بونا بعيدا و تفاوتا كثيرا و لسنا نعلم أنّ هذا الإختلاف الفاحش من أين تطرّق إلى كتاب واحد و لم يحضـرنى نسـخه مصحّحه من كتاب صفين و لا نسخ متعدّده منه لنحكم بتّا على صحّه نسخه و لا يبعد أن يقال أنّه إذا دار الأمر إلى اختيار نسخه من بين النسـخ و ترجيحها على غيرها فالمختار هو ما فى النهـج لمكانه الرضـى فى معرفه فنون الكلاـم و أساليبه كيف لا و قـد كان عالما نبيلا، و شاعرا مفلقا، و أديبا بارعا، و مترسـلا قويّا ماهرا، و فى تميز فصـيح الكلام من غيره إماما خرّيتا يشهد على ذلك ديوان أشعاره و خطبته على النهج و سائر آثاره.

و أمّا الكتاب على نسـخه الشارح المعتزلى فهذه صورته: من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان سلام على من اتّبع الهدى فانّى أحمد إليك اللّه الّذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد فانّك قد رأيت مرور الدّنيا و انقضاءها و تصرّمها و تصرّفها بأهلها

و خير مـا اكتسب من الـدّنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الـدّنيا بالاخره يجـد بينهما بعيـدا (بونا بعيـدا - ظ).

و اعلم يا معاويه أنّك قـد ادّعيت أمرا لست من أهله لا فى القـديم و لا فى الحـديث و لست تقول فيه بأمر بيّن يعرف له أثر و لا عليـك منه شاهـد و لست متعلّقـا بايه من كتاب اللّه و لا عهـد من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله فكيف أنت صانع إذا تقشّـعت عنك غيابه ما أنت فيه من دنيا قـد فتنت بزينتها، و ركنت إلى لـذّاتها، و خلّى بينك و بين عـدوّك فيها، و هو عـدوّ كلب مضـلّ جاهـد مليح ملح مع ما قد ثبت فى نفسك من حبّها دعتك فأجبتها، و قادتك فاتّبعتها، و أمرتك فأطعتها؛ فاقعس عن هذا الأمر، و خذ أهبه الحساب فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما يخبيك مجن.

و متى كنتم يـا معاويه ساسه الرعيه، أو ولاه لأمر هـذه الامّه بلا قـدم حسن، و لا شـرف تليـد على قومكم؛ فاستيقظ من سـنتك و ارجع إلى خالقـك، و شـمّر لما سينزل بك؛ و لا تمكّن عـدوّك الشـيطان من بغيه (بغيته - خ ل) فيك مع أنّى أعرف أنّ اللّه و رسوله صادقـان نعوذ بـاللّه من لزوم سـابق الشـقاء و إلاّ تفعـل فـانّى اعلمـك مـا أغفلت من نفسك أنّك مترف قـد أخـذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدّم فى العروق، و لست من أئمّه هذه الامّه و لا من رعاتها.

و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى النّاس أو بأيديهم لحسدوناه، و لا متّنوا علينا به، و لكنّه قضاء ممّن منحناه و اختصّـنا به على لسان نبيّه الصادق المصدّق لا أفلح من شكّ بعد العرفان و البيّنه ربّ احكم بيننا و بين عدوّنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

فكتب معاويه إليه الجواب من معاويه بن أبى سفيان.... و لا تفسد سابقه جهادك بشره.... و لا تمحص سابقتك بقتال من لا حقّ لك.... فاقرأ السوره الّتى يذكر فيها الفلق و تعوّذ من نفسك فانّك الحاسد إذا حسد.

اللغه

«تكشّـفت عنك» أى ارتفعت و زالت عنك و «انقشـعت» و «تقشّـعت» بمعنى انكشـفت و تكشّـفت يقال: انقشع السحاب و تقشّع أى زال و انكشف.

ص:۲۳

«جلابيب» جمع الجلباب بكسر الجيم و سكون اللام و تخفيف الباء و بكسر اللّام و تشديد الباء أيضا: الملحفه و هى الثوب الواسع فوق جميع الثياب. و تجلبب الرّجل جلببه أى لبس الجلباب و لم تدغم لأنّها ملحقه بد حرج.

«تبهّجت» أى تحسّنت. «يوشك» بالكسر أى يقرب و يدنو و يسرع، يقال:

أو شك يوشك إيشاكا فهو موشك، و الوشيك السريع.

قال الجوهرىّ فى الصحاح: و قد أوشك فلان إيشاكا أى أسرع السير؛ و منه قولهم يوشك أن يكون كذا. قال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندى:

إذا جهل الشقىّ فلم يقدّر ببعض الأمر أوشك أن يصابا

و العلامه تقول: يوشك بفتح الشين و هى لغه رديئه، انتهى كلامه.

«يقفك واقف على ما لا ينجيك منه» أى يطلعك عليه. قال الجوهرىّ فى الصحاح:

وقفته على ذنبه أى اطّلعته عليه.

«مجنّ» الترس: و بعض النسخ «منج» اسم الفاعل من قوله عليه السّلام ينجيك.

«اقعس عن هذا الأمر» أمر من قعس عنه قعسا من باب علم أى تأخّر عنه كتقاعس و اقعنسس كما فى صحاح الجوهرى؛ و على نسخه نصر أمر من أيس منه إياسا من باب علم أى قنط و قطع الرجاء منه. «الأهبه» فى الصحاح: تأهّب: استعدّ، و أهبه الحرب عدّتها؛ و الجمع اهب، «شمّر» فقد مضى تفسيره و تحقيقه فى شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب (ص ۱۹۰ ج ۱۶) فراجع.

«الغواه» كالقضاه جمع غاو أى الضالّ. الإغفال: الإهمال و الترك. «المترف» مفعول، و فى الصحاح: أترفته النعمه أى أطغته. و فى بعض النسخ مشكول على هيئه الفاعل و الصواب ما قدّمناه؛ قال اللّه تعالى: «وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَهٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّ قالَ مُتْرَفُوها إِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ » (سبا - ۳۴). و قال تعالى: «وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ » (أنبياء - ۱۴).

المأخذ: المنهج و المسلك، و يروى على هيئه الجمع أعنى الماخذ أيضا، و جاءت الماخذ بمعنى المصائد أيضا.

ص:۲۴

«ساسه» جمع سائس كبطله جمع باطل إلاّ أنّ حرف العلّه فيها أبـدلت ألفا و أصـلها سـيسه. «باسق» أى عال رفيع، يقال: بسق فلان على أصـحابه أى علاهـم و بسق النخـل بسوقـا أى طـال و ارتفعت أغصـانه و منه قوله تعالى: «وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ » (ق - ١٢) قال هشام أخو ذى الرّمه فى أبيات يرثى بها أخاه ذا الرّمه و ابن عمّه أو فى بن دلهم (الحماسه ٢۶۴).

نعوا باسق الأفعال لا يخلفونه تكاد الجبال الصمّ منه تصدّع

«متماديا» فاعل من التمادى و أصـله المـدى أى الغايه، يقال: تمادى فلان فى غيّه أى دام على فعله و لجّ و بلغ فيه المدى. «الغرّه»: الغفله. «الامنيّه» بضمّ الهمزه واحده الأمانى: ما يتمناه الإنسان و يؤمل إدراكه و طمع الناس.

«أعف» أمر من الإعفاء، و فى بعض النسخ مشـكول بضمّ الفاء و همزه الوصل و لكنّه و هم و الصواب الأوّل يقال: أعفاه من الأمر أى برّاه منه. و فى الصحاح:

يقال: أعفنى من الخروج معك أى دعنى منه؛ و استعفاه من الخروج معه أى سأله الاعفاء.

«المرين» اسم مفعول من ران كالمدين من دان، و فى النهايه الأثيريه: يقال:

رين بالرجـل رينا إذا وقع فيما لا يسـتطيع الخروج منه، و أصل الرين: الطبع و التغطيه و منه قوله تعالى: «كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ » (المطفّفين - ١۵) أى طبع و ختـم، و منـه حـديث علىّ عليه السّـلام: لتعلم أيّنـا المرين على قلبه و المغطّى على بصـره؛ و المرين المفعول به الرين؛ و منه حـديث مجاهد فى قوله تعالى: «وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » (البقره - ٧٧) قال: هو الرّان، و الرّان و الرّين سواء كالذام و الذيم، و العاب و العيب. انتهى كلامه.

و لا يخفى عليك أنّ ابن الأثير أشار بقوله: «و منه حديث علىّ عليه السّـلام لتعلم أيّنا المرين على قلبه و المغطّى على بصـره» إلى هذه الفقره من ذلك الكتاب الذى نحن بصدد شرحه و ابن الأثير هذا هو مبارك بن أبى الكرام أثير الدّين محمّد الجزرىّ توفى بموصل سنه ۶٠۶ من الهجره.

و فى الصحاح للجوهرىّ: الرّين الطبع و الدنس، يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا و ريونا أى غلب. و قال أبو عبيده فى قوله تعالى: «كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ » أى غلب. و قال الحسن، هو الذّنب على الذّنب حتّى يسوادّ القلب. و قال أبو عبيده: كلّ ما غلبك فقد ران و رانك و ران عليك. و قال أبو زيد:

يقال: رين بالرّجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه و لا قبل له به، و ران النعاس فى العين و رانت الخمر عليه غلبته. و قال القنانىّ الأعرابىّ: رين به أى انقطع به و رانت نفسه ترين رينا أى خبثت و غثّت. انتهى قول الجوهرىّ.

«شدخا» قال الجوهرىّ فى الصحاح: الشد خ كسر الشىء الأجوف، تقول:

شدخت رأسه - من باب منع - فانشدخ، و شدّخت الرّؤوس شدّد للكثره. انتهى.

«المنهاج» كالمعراج: الطريق الواضح «ثائرا بعثمان» ثأر القتيل و بالقتيل ثأرا أو ثؤره من باب منع: طلب دمه و قتل قاتله فهو ثائر، و قال الشاعر كما فى الصحاح:

شفيت به نفسى و أدركت ثؤرتى بنى مالك هل كنت فى ثؤرتى نكسا

و قال الجوهرىّ: الثائر: الّذى لا يبقى على شىء حتّى يدرك ثأره.

و قال المرزوقىّ فى شرح الحماسه (۶۰۷) عند قول منصور بن مسجاح:

ثأرت ركاب العير منهم بهجمه صفايا و لا بقيا لمن هو ثائر

و الثائر ليس من حقّه أن يبقى، و الأصل فى الثائر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم، يقال: ثأرت فلانا و ثأرت بفلان إذا قتلت قاتله.

«عضّ تک» عضّه عضّا و عضيضا من باب منع أى أمسكه بأسنانه و يقال بالفارسيه: گاز گرفت او را، يقال: عضّه، و عضّ به و عضّ عليه و هما يتعاضّان إذا عضّ كلّ واحد منهما صاحبه و كذلك المعاضّه و العضاض. و أعضضته الشىء فعضّه و فى الحديث فأعضّوه بهن أبيه و لا تكنوا، و يقال: أعضضته سيفى أى ضربته به.

و عضّه الزمان أى اشتدّ عليه. و عضّ الشىء أى لزمه و استمسك به.

«ضجيج» مصدر من قولك ضجّ يضجّ من باب ضرب أى جلّب و صاح و جزع

من شیء فالضجیج: الصیاح.

«حائده» أجوف یائی من حاد یحید حیدا من باب باع یقال: حاد عن الطریق إذا مال عنه و عدل.

الاعراب

«من دنیا» کلمه من بیانیّه لکلمه ما، و ضمیر تبهّجت و أخواتها یرجع إلی الدّنیا و ضمایر الخطاب إلی من أجاب دعوتها.

«یوشک» من أفعال المقاربه، هو و أخواه کاد و کرب من النوع الأوّل منها الّذی وضع للدلاله علی قرب الخبر للمسمّی باسمها. و هی تعمل عمل کان إلّا أنّ خبرها یجب کونه جمله لیتوجّه الحکم إلی مضمونها و شذّ مجیئه مفردا فواقف اسم لیوشک. و أن یقفک فی موضع نصب خبر له قدّم علی الاسم، و علی صله یقف.

و الفاء فی فاقعس فصیحه، و تفعل و اعلمک مجزومان بان فی إلّا لأنّ أصلها ههنا إن لا. و کلمه من فی من نفسک بیانیّه یفسر کلمه ما. و مفعول اغفلت العائد إلی ما محذوف أی ما أغفلته، أو یقال من نفسک متعلّق لأغفلت و إن لم نجد فی المعاجم الحاضره لدینا أن یقال أغفل منه و نحوه.

«مأخذه» مفعول لقوله أخذ، و روی الماخذ بالجمع أیضا. و کذا مجری الروح و الدّم لقوله جری.

قوله: متی کنتم - إلخ - استفهام علی سبیل الانکار، قوله: بغیر قدم سابق استفهام آخر أیضا علی سبیل التعنیف و العتاب و الانکار أی: أ بغیر قدم سابق و شرف باسق.

«مختلف العلانیه» خبر بعد خبر لقوله أن تکون؛ و الخبر الأوّل متمادیا.

و قد دعوت؛ المفعول محذوف أی و قد دعوتنی أو دعوتنا.

«جانبا» منصوب علی الظرفیه لقوله دع، و اللاّم فی «لیعلم» جارّه للتعلیل و الفعل المدخول بها مأوّل بأن المصدریه مضمره إلی المصدر المجرور باللام، و المعلل الأفعال الثلاثه أعنی دع و أخویه التالیین له.

ص:۲۷

«قاتل جدّك» إمّا خبر بعد خبر للضمير أنا، أو صفه لأبى حسن نحو قوله تعالى: «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » فى كونه صفه «لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ».

«شدخا» تميز يبيّن ابهام النسبه فى قوله عليه السّلام أنا قاتل جدّك. «ما استبدلت دينا» المبدل منه محذوف أى ما استبدلت دينا بدينى.

«ثائرا» حال لضمير جئت. و «جزعا» تميز للنسبه فى تدعو. من الضرب متعلّق بقوله جزعا، و القضاء عطف على الضرب و كذا المصارع الاولى معطوفه على الضرب مجروره بالفتح لأنّها غير منصرفه و الثّانيه مجروره بالإضافه. و جمله «و هى كافره» حاليه و العامل فى الحال تدعو و ضمير التأنيث يرجع إلى جماعه معاويه. و إلى كتاب اللّه متعلّق بتدعو. و جاحده صفه للكافره، و مبايعه معطوفه على الكافره، و حائده صفه للمبايعه.

المعنى

اشاره

كتب عليه السّلام هذا الكتاب إلى معاويه لمّا أراد المسير إلى أهل الشام بعد ما شاور من كان معه فى ذلك و أورد كلامه عليه السّلام فى المشاوره مع قومه و كلام عدّه من أنصاره و أعوانه فى جوابه عليه السّلام و كذا كلام بعض من المنافقين له عليه السّلام و ما دار بينهم و بين أصحابه عليه السّلام نصر فى كتاب صفّين و لا بأس بنقلهما لأنّ كلمات أنصاره فى المقام تزيد القارى إيمانا.

نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن إسماعيل بن يزيد و الحارث بن حصيره عن عبد الرّحمن بن عبيد أبى الكنود قال: لمّا أراد علىّ عليه السّلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار فحمد اللّه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانكم ميامين الرأى مراجيح الحلم مقاويل بالحقّ مباركو الفعل و الأمر و قد أردنا المسير إلى عدوّنا و عدوّكم فأشيروا علينا برأيكم.

أقول: كلامه عليه السّلام هذا مع وجازته و جودته و فصاحته و بلاغته ليس بمذكور فى النهج.

ص:۲۸

كلام هاشم بن عتبه له عليه السلام

فقام هاشم بن عتبه بن أبى وقّاص فحمد اللّه و أثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال:

أمّا بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جدّ خبيرهم لك و لأشياعك أعداء و هم لمن يطلب حرث الدّنيا أولياء، و هم مقاتلوك و مجاهدوك لا يبقون جهدا مشاحّه على الدّنيا وضنّا بما فى أيديهم منها و ليس لهم إربه غيرها إلّا ما يخدعون به الجّهال من الطلب بدم عثمان بن عفّان، كذبوا ليسوا بدمه يثارون و لكن الدّنيا يطلبون فسر بنا إليهم فان أجابوا إلى الحقّ فليس بعد الحقّ إلّا الضلال، و إن أبوا إلّا الشقاق فذلك الظنّ بهم و اللّه ما أراهم يبايعون و فيهم أحد ممّن يطاع إذا نهى و يسمع إذا أمر.

كلام عمار بن ياسر له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الرّحمن بن عبيد أبى الكنود أنّ عمّار بن ياسر قام فذكر اللّه بما هو أهله و حمده و قال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا تقيم يوما واحدا فاشخص بنا قبل استعار نار الفجره و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقه، و ادعهم إلى رشدهم و حظّهم فان قبلوا سعدوا، و إن أبوا إلّا حربنا، فو اللّه إنّ سفك دمائهم و الجدّ فى جهادهم لقربه عند اللّه و هو كرامه منه.

كلام قيس بن سعد له عليه السلام

و فى هذا الحديث: ثمّ قام قيس بن سعد بن عباده فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدوّنا و لا تعرّج فو اللّه لجهادهم أحبّ إلىّ من جهاد الترك و الروم لادهانهم فى دين اللّه و استذلالهم أولياء اللّه من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و اله من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه و فيئنا لهم فى أنفسهم حلال و نحن لهم فيما يزعمون قطين، قال:

يعنى رقيق.

كلام سهل بن حنيف له عليه السلام

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمه بن ثابت و أبو أيّوب الأنصارى و غيرهما: لم تقدّمت أشياخ قومك، و بدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال: أمّا إنّى عارف بفضلكم، معظم لشأنكم و لكنّى وجدت فى نفسى الضغن الّذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف فقام سهل فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت، و حرب لمن حاربت، و رأينا رأيك، و نحن كفّ يمينك. و قد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفه فتأمرهم بالشخوص و تخبرهم بما صنع اللّه لهم فى ذلك من الفضل فانّهم هم أهل البلد و هم الناس؛ فان استقاموا لك استقام لك الّذى تريد و تطلب و أمّا نحن فليس عليك منّا خلاف؛ متى دعوتنا أجبناك، و متى أمرتنا أطعناك.

كلام اربد الفزارى له عليه السلام و قتله

نصر عمر بن سعد، عن أبى مخنف، عن زكريا بن الحارث، عن أبى جيش عن معبد قال: قام علىّ عليه السّلام خطيبا على منبره فكنت تحت المنبر حين حرّض الناس و أمرهم بالمسير إلى صفّين لقتال أهل الشام فبدأ فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن سيروا إلى بقيّه الأحزاب و قتله المهاجرين و الأنصار فقام رجل من بنى فزاره يقال له أربد فقال: أ تريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصره فقتلناهم كلّاها اللّه(۱) إذا لا- نفعل ذلك.

فقام الأشتر فقال: من لهذا أيّها النّاس؟ و هرب الفزاريّ و اشتدّ الناس على أثره فلحق فى مكان من السوق تباع فيه البرازين فوطّؤه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعال سيوفهم حتّى قتل، فأتى علىّ عليه السّلام فقيل: يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال: و من قتله؟ قالوا: قتلته همدان و فيهم شوبه من الناس، فقال: قتيل عميّه

۱- (۱) كلاها اللّه مخفف كلا و اللّه و معناها بالفارسيه، نه چنين است سوگند بخدا. منه.

لا يدرى من قتله، ديته من بيت مال المسلمين. قال علاقه التميمى:

أعوذ بربّى أن تكون متيّتى كما مات فى سوق البرازين أربد

تعاوده همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد وضعت يد

كلام الاشتر له عليه السلام

قال: و قام الأشتر فحمد اللّه و أثنى عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت و لا يؤيسنّك من نصرنا ما سمعت من مقاله هذا الشقىّ الخائن إنّ جميع من ترى من الناس شيعتك و ليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك و لا يحبّون بقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلى عدوّك و اللّه ما ينجو من الموت من خافه و لا يعطى البقاء من أحبّه و ما يعيش باءمال إلاّ شقىّ، و إنّا لعلى بيّنه من ربّنا، إنّ نفسا لن تموت حتّى يأتى أجلها؛ فكيف لا نقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين و قد و ثبت عصابه منهم على طائفه من المسلمين فأسخطوا اللّه و أظلمت بأعمالهم الأرض و باعوا خلاقهم بعرض من الدّنيا يسير.

فقال علىّ عليه السّلام: الطريق مشترك و الناس فى الحقّ سوّاء و من اجتهد رأيه فى نصيحه العامّه فله ما نوى و قد قضى ما عليه ثمّ نزل فدخل منزله.

كلام ابن المعتم و حنظله العبسى المعروف بحنظله الكاتب له عليه السلام

و كانا كاتبين لمعاويه و مخالفين لأمير المؤمنين على عليه السلام، و ما قال لهما قوم على عليه السلام و أمره بهدم دار حنظله و ما جرى فى ذلك.

نصر عمر بن سعد قال: حدّثنى أبو زهير العبسىّ، عن النضر بن صالح: إنّ عبد اللّه بن المعتم العبسى، و حنظله بن الربيع التميمى لما أمر علىّ عليه السّلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا فى رجال كثير من غطفان و بنى تميم على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له التميمىّ: يا أمير المؤمنين إنا قد مشينا إليك بنصيحه فاقبلها منّا و رأينا لك رأيا فلا تردّه علينا: فإنّا نظرنا لك و لمن معك أقم و كاتب هذا الرجل و لا تعجل إلى قتال أهل الشام فإنّى و اللّه ما أدرى و لا تدرى لمن تكون إذا لقيتم الغلبه و على

من تكون الدبره؟ و قام ابن المعتم فتكلّم و تكلّم القوم الّذين دخلوا معهما بمثل ما تكلّم به.

فحمد علیّ علیه السّلام اللّه و أثنى علیه و قال: أمّا بعد فإنّ اللّه وارث العباد و البلاد و ربّ السماوات و الأرضین السبع و إلیه ترجعون یؤتی الملک من یشاء و ینزعه ممّن یشاء و یعزّ من یشاء و یذلّ من یشاء. أمّا الدّبره فانها على الضالّین العاصین ظفروا أو ظفر بهم. و أیم اللّه إنّی لأسمع کلام قوم ما أراهم یریدون أن یعرفوا معروفا و لا ینکروا منکرا.

فقام إلیه معقل بن قیس الیربوعی ثمّ الریاحی فقال: یا أمیر المؤمنین إنّ هؤلاء و اللّه ما أتوک بنصح و لا دخلوا علیک إلاّ بغشّ فاحذرهم فإنّهم أدنا العدوّ.

فقال له مالک بن حبیب: یا أمیر المؤمنین انّه بلغنی أنّ حنظله هذا یکاتب معاویه فادفعه إلینا نحبسه حتّى تنقضی غزاتک ثمّ تنصرف.

و قام إلى علیّ علیه السّلام عیاش بن ربیعه و قائد بن بکیر العبسیّان فقالا: یا أمیر المؤمنین إنّ صاحبنا عبد اللّه بن المعتمّ قد بلغنا أنّه یکاتب معاویه فاحسبه أو أمکنّا منه نجسه حتّى تنقضی غزاتک و تنصرف.

فأخذا (یعنی ابن المعتم و حنظله الکاتب) یقولان: هذا جزاء من نصرکم و أشار علیکم بالرأی فیما بینکم و بین عدوّکم.

فقال لهما علیّ علیه السّلام: اللّه بینی و بینکم و إلیه أکلکم و به أستظهر علیکم اذهبوا حیث شئتم.

ثمّ بعث علیّ علیه السّلام إلى حنظله بن الربیع المعروف بحنظله الکاتب و هو من الصحابه فقال: یا حنظله أعلیّ أم لی؟ قال: لا علیک و لا لک. قال: فما ترید؟ قال: اشخص إلى الرها فإنّه فرج من الفروج أصمد له حتّى ینقضی هذا الأمر؛ فغضب من ذلک خیار بنی عمرو بن تمیم و هم رهطه. فقال: إنّکم و اللّه لا تغرّونی من دینی دعونی فأنا أعلم منکم. فقالوا: و اللّه لئن لم تخرج مع هذا الرّجل لا ندع

فلانه يخرج معك لام ولده و لا ولدها و لئن أردت ذلك لنقتلنّك فأعانه ناس من قومه فانتزلوا سيوفهم، فقال: أجّلونى حتّى أنظر فدخل منزله و أغلق بابه حتّى إذا أمسى هرب إلى معاويه و خرج من بعده إليه من قومه رجال كثير، و لحق ابن المعتمّ أيضا حتّى أتى معاويه و خرج معه أحد عشر رجلا من قومه، و أمّا حنظله فخرج بثلاثه و عشرين رجلا من قومه و لكنّهما لم يقاتلا مع معاويه و اعتزلا الفريقين جميعا فقال حنظله حين خرج إلى معاويه:

يسلّ عواه عند بابى سيوفها و نادى مناد فى الهجيم لأقبلا

سأترككم عودا لأصعب فرقه إذا قلتم كلّا يقول لكم بلا

قال: فلمّا هرب حنظله أمر علىّ عليه السّلام بداره فهدمت هدمها عرّيفهم بكر بن تميم و شبث بن ربعى.

كلام عدى بن حاتم الطائى له عليه السلام

نصر: عمر بن سعد، عن سعد بن طريف، عن أبى المجاهد، عن المحلّ بن خليفه قال: قام عدىّ بن حاتم الطائى فبدأ فحمد اللّه بما هو أهله و أثنى عليه ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين ما قلت إلّا بعلم و لا دعوت إلّا إلى حقّ و لا أمرت إلّا برشد فان رأيت أن تستأنى هؤلاء القوم و تستديمهم حتّى يأتيهم كتبك و يقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا و يرشدوا و العافيه أوسع لناولهم و إن يتمادوا فى الشقاق و لا ينزعوا عن الغىّ فسر إليهم و قد قدّمنا إليهم العذر و دعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحقّ فواللّه لهم من اللّه أبعد و على اللّه أهون من قوم قاتلناهم بناحيه البصره أمس لما أجهدنا لهم الحقّ فتركوه ناوحناهم براكاء القتال حتّى بلغنا منهم ما نحب و بلغ اللّه منهم رضاه فيما يرى.

كلام زيد بن حصين الطائى له عليه السلام

فقام زيد بن حصين الطائى و كان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال:

الحمد للّه حتّى يرضى و لا إله الاّ اللّه ربّنا و محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله نبيّنا أمّا بعد فواللّه لئن كنّا فى شكّ من قتال من خالفنا لا يصلح لنا النّيه فى قتالهم حتّى نستديمهم

و نستأنيهم ما الأعمال إلّا فى تباب و لا السعى إلّا فى ضلال و اللّه يقول: «و أمّا بنعمه ربّك فحدّث» إنّا و اللّه ما ارتبنا طرفه عين فيمن يبتغون دمه فكيف بأتباعه القاسيه قلوبهم، القليل فى الاسلام حظّهم، أعوان الظلم، و مسدّدى أساس الجور و العدوان ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين باحسان.

فقام رجل من طىء فقال: يا زيد بن حصين أكلام سيّدنا عدىّ بن حاتم تهجن؟ قال: فقال: ما أنت بأعرف بحقّ عدىّ منّى و لكن لا أدع القول بالحقّ و إن سخط الناس، قال: فقال عدىّ بن حاتم: الطريق مشترك و النّاس فى الحقّ سواء فمن اجتهد رأيه فى نصيحه العامّه فقد قضى الّذى عليه.

كلام أبى زبيب بن عوف له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحراث بن حصيره (حصين - خ ل) قال: دخل أبو زبيب بن عوف على علىّ عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين لئن كنّا على الحقّ لأنت أهدانا سبيلا و أعظمنا فى الخير نصيبا و لئن كنّا فى ضلاله انك لأثقلنا ظهرا و أعظمنا وزرا أمرتنا بالمسير إلى هذا العدوّ و قد قطعنا ما بيننا و بينهم من الولايه و أظهرنا لهم العداوه نريد بذلك ما يعلم اللّه و فى أنفسنا من ذلك ما فيها؛ أليس الّذى نحن عليه الحقّ المبين؛ و الّذى عليه عدوّنا الغىّ و الحوب الكبير؟ فقال علىّ: شهدت أنّك إن مضيت معنا ناصرا لدعوتنا صحيح النيّه فى نصرتنا قد قطعت عنهم الولايه و أظهرت لهم العداوه كما زعمت فانّك ولىّ اللّه تسبح فى رضوانه و تركض فى طاعته فأبشر أبا زبيب.

فقال له عمّار بن ياسر: اثبت أبا زبيب و لا تشكّ فى الأحزاب عدوّ اللّه و رسوله قال: فقال أبو زبيب ما احبّ أنّ لى شاهدين من هذه الأمّه فيشهدا لى على ما سألت عنه من هذا الأمر الّذى أهمّنى مكانكما. قال: و خرج عمّار و هو يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبىّ سيروا فخير الناس أتباع علىّ

هذا أوان طاب سلّ المشرفىّ و قودنا الخيل و هزّ السّمهرىّ

ص:٣۴

کلام یزید بن قیس الارحبی

عمر بن سعد، عن أبی روق قال: دخل یزید بن قیس الأرحبیّ علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین نحن علی جهاز و عده و أکثر الناس أهل التّقوی و من لیس بمضعف و لیس به علّه فمر منادیک فلیناد الناس یخرجوا إلی معسکرهم بالنخیله فإنّ أخا الحرب لیس بالسّؤم و لا النّؤم و لا من إذا أمکنه الفرص أجّلها و استشار فیها و لا من یؤخّر الحرب فی النوب إلی غد و بعد غد.

کلام زیاد بن النضر له علیه السلام

فقال زیاد بن النضر: لقد نصح لک یا أمیر المؤمنین یزید بن قیس و قال ما یعرف فتوکّل علی اللّه وثق به و اشخص بنا إلی هذا العدوّ راشدا معانا فإن یرد اللّه بهم خیرا لا یدعوک رغبه عنک إلی من لیس مثلک فی السابقه مع النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و القدم فی الإسلام و القرابه من محمّد صلّی اللّه علیه و اله و إلّا ینیبوا و یقبلوا و یأبوا إلّا حربنا نجد حربهم علینا هیّنا و رجونا أن یصرعهم اللّه مصارع إخوانهم بالأمس.

کلام عبد الله بن بدیل له علیه السلام

ثمّ قام عبد اللّه بن بدیل بن ورقاء الخزاعی فقال: یا أمیر المؤمنین إنّ القوم لو کانوا اللّه یریدون أو للّه یعملون ما خالفونا و لکنّ القوم إنّما یقاتلون فرارا من الاسوه و حبّا للأثره و ضنّا بسلطانهم و کرها لفراق دنیاهم الّتی فی أیدیهم و علی إحن فی أنفسهم و عداوه یجدونها فی صدورهم لوقایع أوقعتها یا أمیر المؤمنین بهم قدیمه قتلت فیها آباءهم و إخوانهم.

ثمّ التفت إلی الناس فقال: فکیف یبایع معاویه علیّا و قد قتل أخاه حنظله و خاله الولید و جدّه عتبه فی موقف واحد و اللّه ما أظنّ أن یفعلوا و لا یستقیموا لکم دون أن تقصد فیهم المران و تقطع علی هامهم السیوف و تنثر حواجبهم بعمد الحدید و تکون امور جمه بین الفریقین.

ص:۳۵

سب أصحاب على عليه السلام معاويه و أتباعه و براءتهم عنهم

و منعه عليه السلام اياهم عن السب

نصر: عمر بن سعد، عن عبد الرّحمن، عن الحارث بن حصيره، عن عبد اللّه ابن شريك قال: خرج حجر بن عدىّ و عمرو بن الحمق يظهر ان البراءه و اللّعن من أهل الشام فأرسل إليهما علىّ عليه السّلام أن كفّاعما يبلغنى عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون و تتبرّؤن و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر و قلتم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم و اصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله، و يرعوى عن الغىّ و العدوان من لهج به كان هذا أحبّ إلىّ و خيرا لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك و نتأدّب بأدبك.

و قال عمرو بن الحمق: إنّى و اللّه يا أمير المؤمنين ما أحببتك و لا بايعتك على قرابه بينى و بينك و لا إراده مال تؤتينه و لا التماس سلطان برفع ذكرى به و لكن أحببتك لخصال خمس: إنّك ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، و أوّل من آمن به، و زوج سيّده نساء الامّه فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و اله، و أبو الذرّيّه الّتى بقيت فينا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، و أعظم رجلا من المهاجرين سهما فى الجهاد، فلو أنّى كلفت نقل الجبال الرواسى، و نزح البحور الطوامى حتّى يأتى علىّ يومى فى أمر أقوى به وليّك و أوهن به عدوّك ما رأيت أنّى قد أدّيت فيه كلّ الّذى يحقّ علىّ من حقك.

فقال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: اللّهمّ نوّر قلبه بالتقى و اهده إلى صراط مستقيم ليت أنّ فى جندى مائه مثلك.

فقال حجر: إذا و اللّه يا أمير المؤمنين صحّ جندك، و قلّ فيهم من يغشّك ثمّ قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب و أهلها الّذين...(۱)

ص:۳۶

۱- (۱) كلمه واحده خرمت فى الاصل منه..

و ننتجها قد ضارسنا و ضارسناها و لنا أعوان ذو صلاح و عشيره ذات عدد، و رأى مجرّب و بأس محمود، و أزمّتنا منقاده لك بالسمع و الطاعه، فان شرقت شرقنا، و إن غربت غربنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال علىّ عليه السّلام: أكلّ قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلّا حسنا و هذه يدى عنهم بالسمع و الطاعه و بحسن الإجابه، فقال له علىّ عليه السّلام خيرا.

قال نصر: و فى حديث عمر بن سعد قال: و كتب علىّ عليه السّلام إلى عمّاله:

فكتب إلى مخنف بن سليم و كان عامله عليه السّلام على اصفهان و همدان كتابا و هو قوله عليه السّلام:

كتابه عليه السلام الى مخنف بن سليم و قد كان عامله عليه السلام

على اصفهان و همدان

و هذا الكتاب لم يأت به الرضى رضوان اللّه عليه فى النهج سلام عليك فإنّى أحمد إليك اللّه الّذى لا إله إلّا هو أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبه عنه و هبّ فى نعاس العمى و الضلال اختيارا له فريضه على العارفين إنّ اللّه يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه و إنّا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الّذين عملوا فى عباد اللّه بغير ما أنزل اللّه و استأثروا بالفىء و عطّلوا الحدود و أماتوا الحقّ و أظهروا فى الأرض الفساد و اتّخذوا الفاسقين و ليجه من دون المؤمنين فإذا ولىّ للّه أعظم أحداثهم أبغضوه و اقصوه و حرّموه؛ و إذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه و أدنوه و برّوه فقد أصرّوا على الظلم و أجمعوا على الخلاف و قديما مّا صدّوا عن الحقّ، و تعاونوا على الإثم و كانوا ظالمين فإذا اتيت بكتابى هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك فى نفسك و أقبل إلينا لعلّك تلقى هذا العدوّ المحل فتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تجامع الحقّ و تباين الباطل فإنّه لاغناء بك و لا بك عن أجر الجهاد و حسبنا اللّه و نعم الوكيل و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم، و كتب عبد اللّه بن أبى رافع سنه سبع و ثلاثين.

ص:٣٧

قال نصر: فاستعمل مخنف على اصبهان الحرث بن أبى الحرث بن الربيع، و استعمل على همدان سعيد بن وهب و كلاهما من قومه و أقبل حتّى شهد مع علىّ عليه السّلام صفين.

كتابه عليه السلام الى عبد اللّه بن عباس و قد كان عامله على البصره

و هذا الكتاب أيضا ليس فى النهج قال نصر: و كان علىّ عليه السّلام قد استخلف ابن عبّاس على البصره فكتب عبد اللّه بن عبّاس إلى علىّ عليه السّلام يذكر له اختلاف أهل البصره فكتب إليه علىّ عليه السّلام:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن عبّاس أمّا بعد فالحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد عبده و رسوله أمّا بعد فقد قدم علىّ رسولك و ذكرت ما رأيت و بلغك عن أهل البصره بعد انصرافى و ساخبرك عن القوم هم من بين مقيم لرغبه يرجوها أو عقوبه يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه و الانصاف له و الاحسان إليه، و حلّ عقده الخوف عن قلوبهم فانّه ليس لامراء أهل البصره فى قلوبهم عظم إلاّ قليل منهم و انته إلى أمرى و لا تعده، و أحسن إلى هذا الحىّ من ربيعه و كلّ من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء اللّه و السلام. و كتب عبد اللّه بن أبى رافع فى ذى القعده سنه سبع و ثلاثين.

كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطنه

و كتب إلى الأسود بن قطنه: أما بعد فإنّه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر و من أعجبته الدّنيا رضى بها و ليست بثقه فاعتبر بما مضى تحذر ما بقى و اطبخ للمسلمين قبلك من الطّلاء ما يذهب ثلثاه و أكثر لنا من لطف الجند و اجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند فإنّ للولدان علينا حقّا، و فى الذريّه من يخاف دعائه و هو لهم صالح و السلام.

أقول: هذا الكتاب ليس بمذكور فى النهج أيضا و قد يأتى كتاب آخر له عليه السّلام إلى الأسود بن قطنه، و هو الكتاب ۵۹. و جاء بعض النسخ قطيبه، و الاخر:

قطبه.

كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عامر

، و هذا الكتاب أيضا لا يوجد فى النهج قال نصر: و كتب عليه السّلام إلى عبد اللّه بن عامر: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن عامر، أمّا بعد فإنّ خير الناس عند اللّه عزّ و جلّ أقومهم للّه بالطاعه فيما له و عليه و أقولهم بالحقّ و لو كان مرّا فإنّ الحقّ به قامت السماوات و الأرض و لتكن سريرتك كعلانيتك؛ و ليكن حكمك واحدا، و طريقتك مستقيمه فانّ البصره مهبط الشيطان فلا تفتحنّ على يد أحد منهم بابا لا نطيق سدّه نحن و لا أنت و السلام.

و كتب إلى عبد اللّه بن عبّاس - إلخ. هذا الكتاب هو الّذى أتى به الرّضىّ رضوان اللّه عليه فى موضعين الأوّل هو الكتاب ۲۲ أوّله: أمّا بعد فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته - إلخ. و الثانى هو الكتاب ۶۶ أوّله: أمّا بعد فإنّ المرء ليفرح بالشىء الّذى لم يكن ليفوته و إنّما ذكره مرّتين لاختلاف الروايه فى صورته و سيأتى شرحه فى محلّه بعون اللّه تعالى.

قال نصر: و كتب عليه السّلام إلى امراء الخراج: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى امراء الخراج: أمّا بعد فانّه من لم يحذر ما هو صائر إليه - إلخ. و هو الكتاب ۵۱ من النهج و سيأتى تفصيله و شرحه إنشاء اللّه تعالى.

قال نصر: و كتب إلى معاويه - إلخ. و هو الكتاب العاشر من النهج الّذى نحن بصدد شرحه.

و كتب إلى عمرو بن العاص - إلخ. و هو الكتاب ۴۹ من النهج أوّله: فإنّ الدّنيا مشغله عن غيرها - إلخ. و سيأتى شرحه إنشاء اللّه تعالى فقد آن لنا أن نرجع إلى شرح جمل الكتاب:

قوله عليه السّلام: «بسم اللّه - إلى قوله: بأهلها» و عظ عليه السّلام معاويه بعد تسميه اللّه و تحميده بأنّ الدّنيا منقضيه متصرّمه و متصرّفه بأهلها أنحاء التصرّف فقد أشابت الصغير و أفنت الكبير و أبنائها فيها كأنّما قد قضوا نحبهم و انصرمت آجالهم فإنّ

الموت قريب، و الدّنيا دار مقرّ. و ليس الناس للدّنيا خلقوا؛ و بالجمله أنّه عليه السّلام وعظه و ذكّره بمرور الدّنيا و تصرّمها بأهلها لعلّ العظه و التذكره تنفعانه، و لكن معاويه زيّن له الحياه الدّنيا و صار قلبه أشدّ قسوه من الحجاره فأنّى له أن يذّكّر، و ينفعه نصحه عليه السّلام، قال عزّ من قائل فی سوره الأعلى: «فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى اَلَّذِی يَصْلَى النّارَ الْكُبْرى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى».

قوله عليه السّلام: «و خير ما بقی من الدّنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى» هذه عظه اخرى له. و كلمه من الجاره صله بقی لا ـ أنّها بيانيّه تبيّن ما، و ما الثانيه خبر خير، و العباد فاعل أصاب، و الضمير العائد إلى ما الثانيه محذوف أی ما أصابه العباد لأنّه يجوز حذف العائد المنصوب إذا كان متصلا منصوبا و ناصبه فعل أو وصف غير صله الألف و اللّام نحو يعلم ما يسرّون و ما يعلنون أی يسرّونه و يعلنونه. و لم يبيّن ما الثانيه ليذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب خير و رأسه التقوى كما أتى بها فی نسخه الشارح المعتزلی. و ما الثالثه يمكن أن تفسّر إمّا بالزّمان أی فی الزّمان الّذی مضى من عمرهم، قال تعالى: «فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» - إلى قوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخالِيَهِ» (الحاقه ٢٠-٢٥) أو بالامور و الأفعال و نحوهما أی فی بين الامور الّتی مضت منهم و صدرت عنهم فتذكير الفعل على هذا الوجه باعتبار ظاهرها.

قوله عليه السّلام: «و من نسی الدّنيا نسيان الاخره يجد بينهما بونا بعيدا» كانت نسخه الشارح المعتزلی: «من يقس الدّنيا بالاخره يجد بينهما بونا بعيدا» و معناها واضح و الغرض انّ العاقل لا يبيع الدار الباقيه بالفانيه و لا يخرب الاولى لأجل الثانيه قال عزّ من قائل: «إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً» (الدّهر - ٢٨).

و أمّا النسخه الاخرى فمعناه أنّ من زهد فی الدّنيا مثل من زهد فی الاخره يجد بين الدّنيا و الاخره بونا بعيدا، أی يجد ذلک الّذی ترک الدّنيا بينه و بين

ص:۴۰

من ترک الاخره فی الاخره بونا بعیدا فإنّ الأوّل له درجات عند ربّه و الثانی ینسی فی الاخره؛ قال تعالی: «اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ » (الأعراف – ۵۱).

أو يقال: من نسی حظوظ الدّنيا و ترک الشهوات النفسانيّه لأجل أن لا ينسی فی الاخره فيجد بينهما بونا بعيدا، و لعلّ غيری يفهم معنی آخر أدقّ و ألطف ممّا تبادر إليه ذهنی.

و معلوم أنّ غرضه عليه السّلام ترغيب معاويه فی ما ينفعه؛ و تحذيره ممّا يوجب نكال الاخره. و نقل العباره الشارح البحرانی هكذا: «و من نفس الدّنيا بشأن الاخره – إلخ» و الظاهر أنّ نفس فی نسخته تحريف يقس؛ لأنّ نفس ثلاثيا أو مزيدا لم يجیء لمعنی يناسب المقام، أو أنّه تحريف ينسی.

قوله عليه السّلام: «و اعلم يا معاويه – إلی قوله: من رسول اللّه» يعنی أنّ معاويه ادّعی مقام الخلافه و الإمامه و ليس من أهله و ذلک لأنّ هذا المقام هو خلافه اللّه و خلافه الرّسول و لا بدّ لمن يدّعيه شاهد من كتاب اللّه و عهد من الرّسول و قد قدّمنا طائفه من البحث عن الخلافه و أوصاف الإمام فی شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب و قد حرّرنا هناک أنّ الإمام يجب أن يكون منصوبا من عند اللّه تعالی، و معصوما من الذّنوب مطلقا لما دريت أن ذلک المقام عهد اللّه و لا ينال عهده الظالمين فراجع.

و قوله عليه السّلام: و لا لک عليه شاهد من كتاب اللّه، و لا عهد تدّعيه من رسول اللّه؛ صريح بأنّ الخلافه ليست زعامه عاديه عاميه تثبت بالشوری؛ بل هی رئاسه عامّه إلهيّه فی امور الدّين و الدّنيا و الفائز بهذا المنصب الالهی إنّما يفوز به بنصّ اللّه تعالی و رسوله.

ثمّ إنّ معنی العباره علی نسخه الفاضل الشارح أعنی قوله عليه السّلام: «انّک قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا فی القديم و لا فی الحديث» بيّن لا يحتاج إلی التفسير و أمّا علی النسخه الاخری أعنی قوله عليه السّلام: «انّک قد ادّعيت أمرا لست من أهله

لا فى القدم و لا فى الولايه» فلعلّ معناها: انّك ادّعيت أمر الخلافه لست من أهله لا فى القديم على أن يقرأ القدم بكسر القاف و فتح الدال بمعنى مقابل الحدوث، و يحتمل بعيدا أن يقرأ بفتحهما نحو قوله الاتى فى هذا الكتاب: بغير قدم سابق، و نحو ما مضى منه عليه السّلام فى الكتاب السابق: إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى. و لا فى الولايه بكسر الواو أى الإماره لأنّ الولايه الإلهيّه تلزم التدبير و العلم بالدّين و سائر ما يجب أن يكون صاحب هذه الرتبه واجدها و منها أن يكون وليّ العهد بنصّ اللّه تعالى و رسوله و لم تكن لمعاويه الولايه. و لعلّ حرف التعريف فيها يشير إلى أنّ الولايه المعهوده يجب أن تكون لخليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و يؤيّد ما فسّرنا قول عمّار بن ياسر فى صفين حيث قال: أيّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الّذين يبغون دم ابن عفّان - إلى قوله: و لم يكن للقوم (يعنى بهم معاويه و أتباعه) سابقه فى الإسلام يستحقّون بها طاعه النّاس و الولايه عليهم فخذعوا أتباعهم، إلى آخر ما روينا عن الطبرى فى ص ۲۸۶ ج ۱۵ و رواه نصر أيضا فى كتاب صفين ص ۱۶۵ من الطبع الناصرى.

و أظنّ أنّ الأصل فى الموضعين هو النسخه الّتى نقلناها عن نصر و الّتى نقلها الشارح المذكور عنه مصحّفه و ذلك أنّ نسختنا لا تخلو من اعضال و غرابه و لما لم يكن الذهن يستأنس بها فى جليّ النظر حرّفت إلى ما ترى كما هو دأب الناس فى ماله غرابه.

قوله عليه السّلام:«فكيف أنت صانع إذا - إلى قوله: فأطعتها» العباره فى نسخ النهج مذكوره بالواو مكان الفاء أى «و كيف أنت صانع» و الصواب الفاء دون الواو و ذلك لأنّ العباره متفرّعه على ما قبلها و الفاء هذه فصيحه تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها أى إذا لم يكن لك فى ادّعائك هذا الأمر شاهد من كتاب اللّه، و لا عهد من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، و لا أمر بيّن تعرف لك به أثره فكيف أنت صانع - إلخ.

أى فما ذا تفعل إذا ارتفعت و زالت عنك ما كانت تغطيك و تواريك من جلابيب ما أنت فيه من دنيا فبقيت مكشوفا غير مستور منها.

و الغرض أنّ معاويه لم يكن له هذا الشأن العظيم الإلهى إلاّ أنّ الدّنيا

فتنته بزينتها و غرّته و خدعته فتجاوز عن حدّه فادّعى ما لم يكن له و كأنّه عليه السّلام أشار بقوله جلابيب حيث أتى بلفظ الجمع إلى كثره اغتراره من الدّنيا و توغّله فيها و إحاطتها به كأنّ خدعتها إيّاه فى كلّ مرّه كانت ملحفه غشيته. و بقوله: فأجبتها فاتّبعتها، فأطعتها؛ إلى أنّه استغشى ثيابها أيضا.

ثمّ إنّ من تصدّى لخدعه الغير لا بدّ له من أن يلبس الباطل فى ثياب الحقّ و يزين المنكر و يزخرفه حتّى يزوّر عليه الأمر فيصطاده بتلك الشرك المموّهه؛ و لذا قال عليه السّلام: قد تبهّجت بزينتها و خدعت بلذّتها.

قوله عليه السّلام:«و إنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ» أجرى عليه السّلام المخاطب مجرى الغافل عن شىء ثمّ أخبره بذلك الشىء كقول الشاعر:

جاء شقيق عارض رمحه إنّ بنى عمّك فيهم رماح

و ذلك لأنّ أعمال معاويه تشبه عمل من لم يقرّ بالموت و لم يذعن بالحساب و الجزاء فأخبره تذكيرا له بأنّ مطلعا يطّلعه عن قريب على ما لا يتّقى منه بترس و لا ينجيه منه منج. و لم يبيّن كلمه ما ليعمّ الموت و ما يتبعه من أحوال ما بعد الموت و أهواله. و ما لزم معاويه ممّا اكتسبها من معاصى اللّه و التجاوز عن حدوده فانّها صارت رينا على قلبه فما له من محيص قال عزّ من قائل: «ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ » (البقره - ٢٨٠) و قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » و الظاهر أنّ المراد من الواقف هو اللّه تعالى، أو ملك الموت؛ أو الموت، أو أنّه عليه السّلام أراد به نفسه و يخبره عن عواقبه النازله عليه فى صفّين كقوله عليه السّلام فى ذيل هذا الكتاب: كأنّى قد رأيتك تضجّ من الحرب - إلخ. و إن كان الأخير لا يناسب سياق الكلام.

قوله عليه السّلام:«فاقعس عن هذا الأمر» الفاء فصيحه و أخذ عليه السّلام أن ينفّره

ص:۴۳

و يحذّره من سوء أعماله أى إذا كان الموت آتيك عن قريب و أنت رهين ما اكتسبت فتأخّر عمّا تدّعيه و اقطع الرجاء منه و أمسك عن أباطيلك، و تنحّ عن أضاليلك.

قوله عليه السّلام:«و خذ أهبه الحساب» عطف على قوله اقعس، أى تأهّب و استعدّ لحسابك يوم يقوم النّاس لربّ العالمين قال تعالى: «اِقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ » (الأنبياء - ٢) و قال عزّ من قائل. «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » (الغاشيه: ٢٥).

قوله عليه السّلام:«و شمّر لما قد نزل بك» عبّر ما يأتى بلفظ الماضى لتحقّق وقوعه عن قريب حتّى كأنّه وقع. ثمّ إنّه عليه السّلام خوّفه من سوء ماله و نكال مابه فى الاخره بقوله شمّر لما قد نزل بك أى تهيّأ لأمر هائل و خطب عظيم لما قد دريت من مباحثنا السالفه انه يقال: فلان شدّ عقد إزاره، أو كشف عن ساقيه أو شمّر عن ساقيه، أو شمّر ذيله، أو نحوها إذا تهيّأ لأمر هائل و خطب عظيم و فظيع.

و يمكن أن يكون مراده عليه السّلام بقوله هذا تهديده و إنذاره من عواقبه و إخباره بما ينزل به و يفضحه فى وقعه صفين كقوله عليه السّلام له فى ذيل كتابه هذا: فكأنّى قد رأيتك تضجّ من الحرب - إلخ. و لكن المعنى الأوّل أوفق بسياق الكلام.

قوله عليه السّلام:«و لا تمكّن الغواه من سمعك» يقال مكّنه و أمكنه من الشىء إذا جعل له عليه سلطانا و قدره. أى لا تسلّطهم على سمعك و لا تسمع منهم ما يوحون إليك و لا تشاورهم فانّهم يغوونك فيردونك لأنّ اتّباع الاراء الباطله مرديه و ذلك لأنّ بعد الحقّ ليس إلّا الضلال.

و من هؤلاء الغواه عبيد اللّه بن عمر لما علمت فى شرح المختار ٢٣۶ من باب الخطب و شرح المختار الأوّل من باب الكتب أنّ عمر لما ضرب فى غلس الصبح و اشتبه الأمر فى ضاربه سمع ابنه عبيد اللّه قوما يقولون قتله العلج فظنّ أنّهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد اللّه إليه فقتله قبل أن يموت عمر؛ فسمع عمر بما فعل ابنه فقال: قد أخطأ عبيد اللّه إنّ الّذى ضربنى أبو لؤلوه و إن عشت لأقيدنّه به فانّ عليّا لا يقبل منه الديه و هو موليه. فلمّا مات عمر و تولّى عثمان طالبه علىّ عليه السّلام

بقود عبيد اللّه و قال: إنّه قتل مولاى – يعنى الهرمزان – ظلما و أنا وليّه، فقال عثمان:

قتل بالأمس عمر و اليوم تقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى علىّ. و قال علىّ: لئن أمكننى الدّهر منه يوما لأقتلنّه به فلمّا ولى علىّ عليه السّلام هرب عبيد اللّه إلى الشام و التجأ إلى معاويه و خرج معه إلى حرب صفين فقتله علىّ عليه السّلام فى حرب صفين.

و منهم ذو الكلاع، و منهم مروان بن الحكم طريد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله؛ و منهم عمرو بن العاصى و كثير ممّن أشرنا إليهم فى الشروح السالفه قد استحبّوا الدّنيا و أسرّوا الكفر و جعلوا قتل عثمان عرضه لأغراضهم النفسانيّه و أهوائهم الشيطانيه فخذعوا أتباعهم بقولهم قتل امامنا مظلوما.

قوله عليه السّلام:«و إلّا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك» أى إن لا تردع نفسك عن الغىّ و الضلال و لا تتأخّر عن هذا الأمر الّذى تدّعيه و لا تتّعظ بما و عظتك به و لا تفعل ما أمرتك فانّى اعلم نفسك الّتى أهملتها و تركتها. و إهمال النفس إرخاء عنانها و إرسالها فيما تشاء و عدم روضها فى طاعه اللّه، و لا يخفى على عاقل أنّ النفس أبيّه العنان و لا تنقاد لحكم العقل إلّا أن تروّض و تمنع ممّا تهويه و تشتهيه فلو اهملت و لم تلجم لسلكت طريقه عمياء فانّها أمّاره بالسوء، فطوبى لامرئ ألجم نفسها و أمسكها عن معاصى اللّه و قادها إلى طاعته تعالى.

و لم يبيّن عليه السّلام متعلّق الإعلام أعنى أنّه لم يقل بماذا يعلمه ليعمّ جميع تبعاتها. يعنى أنّك إن لم تنته عن أباطيلك و لم تمتثل أمرى لاذيقنّك حرّ السيوف و شراره الموت حتّى تعلم نفسك ما كانت عليها من الأوزار الّتى اكتسبتها بإهمالك إيّاها.

و يمكن أن يكون من نفسك متعلّق أغفلت فعلى متعلّق الاعلام مذكور لكنه مبهم فيندرج فى حكم الأوّل.

قوله عليه السّلام:«فانّك مترف – إلى قوله: و الدّم» الظاهر من سياق العباره

ص:۴۵

دالّ على أنّ الفاء تعليليّه لقوله عليه السّلام: اعلمك؛ لا لقوله: أغفلت. أى اعلمك نفسك المهمله لأنّك ممّن أطغته النعمه و استكنّ فيه الشيطان و تسلّط عليه و فعل فيه ما شاء من الامال و الأهواء، و جرى فيه مجرى الروح و الدّم، و المراد أنّ معاويه تجاوز عن حدود اللّه بترفّه فلا بدّ للامام المبسوط اليد من أن يسدّه عن التجاوز إمّا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أوّلا، و إمّا بحرّ الأسنّه و السيوف إن لم ينته عن التجاوز ثانيا و لذا قال عليه السّلام: و إلّا تفعل اعلمك - إلخ.

و قوله عليه السّلام: و جرى منك مجرى الروح و الدّم إشاره إلى ما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: إنّ الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدّم. و حمل الروح على معنى الروح البخارى أولى من حمله على النفس الناطقه المجرّده لمكان مجرى و ذلك لأنّ للنفس النّاطقه تعلّق تدبير و تصرف للبدن و لا يقال إنّها جاريه فيه بخلاف الروح البخارى فانّه ليس بمجرّد بل جسم لطيف.

قوله عليه السّلام:«و متى كنتم - إلى قوله: سوابق الشقاء» هذا استفهام انكار، و قد قدّمنا فى مباحثنا السالفه أنّ الفائز برتبه الخلافه يجب أن يكون فى جميع الصفات الكماليه أفضل من غيره طول عمره، فلو كان لغيره سابقه الشرف و التقدّم فى الامور لم يكن له أهليّه ذلك المقام.

و قوله عليه السّلام:«بغير قدم سابق و لا شرف باسق» استفهام على سبيل التقريع و التعنيف و العتاب و الانكار أى هل كنتم ساسه الرعيه و ولاه أمر الامّه بغير قدم سابق يعنى أنّى يكون كذلك أن يلى أحد امور الامّه بغير قدم سابق و لا شرف سابق؟.

و قوله عليه السّلام:«و نعوذ باللّه - إلخ» كأنّما يشير إلى ما جرى فيه القضاء الإلهى من لزوم سوابق الشقاء فانّه لا يبدّل و لا يغيّر و نعم ما قال الخواجه عبد اللّه الأنصارى بالفارسيّه: إلهى همه از آخر ترسند و عبد اللّه از أول زيرا آنچه رفته در أول، در آخر نمى شود مبدّل.

قوله عليه السّلام:«و احذّرك أن تكون متماديا فى غره الأمنيه» أى اخوّفك من

أن تدوم و تستمرّ فى غفله الامال الباطله و الأهواء المرديه كادّ عائه الخلافه. أى انته عنه فانّ عاقبته و خيمه.

قوله عليه السّلام:«مختلف العلانيه و السريره» أى احذّرك أن تكون منافقا، و معلوم أنّ المنافق أضرّ بالدّين من الكافر فإنّ من كان معلوم الحال يتّقى منه؛ و المنافق يردّ الناس عن صراط اللّه القهقرى يظهر الإيمان و يصير إلى الكفر. و كان لمعاويه فى ذلك النصيب الأوفر.

و فى الكافى بإسناده عن سعيد بن يسار، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به فى بعض بنائه فلم يستقم له فى الموضع الّذى أراد فحوّله فى موضع آخر فلم يستقم له و كان آخر ذلك أن أحرقه بالنّار.

رؤيه النبى صلى الله عليه و آله بنى اميه فى المنام على صور قرود

تصعد منبره و ترد الناس عن الاسلام القهقرى

قال الفيض فى تفسير الصافى عند قوله تعالى: «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَهً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِى الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً » (الأسراء - ٦٣):

العيّاشىّ عن الباقر عليه السّلام أنّه سئل عن قوله تعالى: «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ »؟ فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله ارى أنّ رجالا من بنى تيم و عدىّ على المنابر يردون النّاس عن الصراط القهقرى؛ قيل: و الشجره الملعونه؟ قال: هم بنو اميّه.

و عن الصادق عليه السّلام مثله إلاّ أنّه قال: رأى أنّ رجالا على المنابر يردّون النّاس ضلالا رزيق و زفر.

أقول: و هما كنايتان عن الأوّلين و تيم و عدىّ جدّاهما.

قال: و فى روايه اخرى عنه عليه السّلام: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قد رأى رجالا من

نـار على منـابر من نـار يردّون النـاس على أعقابهم القهقرى؛ قال: و لسـنا نسـمّى أحـدا، و فى اخرى: إنّا لا نسـمّى الرجال و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله رأى قوما على منبره يضلّون الناس بعده على الصراط القهقرى.

و فى روايه اخرى قال: رأيت اللّيله صبيان بنى اميّه يرقون على منبرى هذا فقلت: يا ربّ معى؟ فقال: لا و لكن بعدك.

و فى الكافى عن أحدهما عليهما السّلام: أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يوما كئيبا حزينا؛ فقال له علىّ عليه السّلام: مالى أراك يا رسول اللّه كئيبا حزينا؟ فقال: و كيف لا أكون كـذلك و قـد رأيت فى ليلتى هـذه انّ بنى تميم و بنى عـدىّ و بنى اميّه يصعدون منبرى هذا يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فقلت، يا ربّ فى حياتى أو بعد موتى؟ فقال: بعد موتك.

أقول: معنى هـذا الخبر مستفيض بين الخاصّه و العامّه إلاّ أنّ العامّه رووا تاره أنّه رأى قوما من بنى اميّه يرقون منبره و ينزون عليه نزو القرده فقال هو حظّهم من الدّنيا يعطونه بإسلامهم:

و اخرى انّ قرودا تصعد منبره و تنزل فساءه ذلك و اغتمّ به.

و القمّى قال: نزلت لما رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فى نومه كأنّ قرودا تصعد منبره فساءه ذلك و غمّه غمّا شديدا فأنزل اللّه: و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك إلاّ فتنه لهم ليعمهوا فيها و الشجره الملعونه كذا نزلت و هم بنو اميّه.

و العياشىّ عن البـاقر عليه السّلام و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك إلاّ فتنه لهم ليعمهوا فيها و الشجره الملعونه فى القرآن يعنى بنى اميّه.

و مضمرا أنّه سئل عن هذه الايه فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله نام فرأى أنّ بنى اميّه يصعدون منبره يصدّون الناس كلّما صعـد منهم رجل رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله الـذلّه و المسكنه فاستيقظ جروعا من ذلك فكان الّذين رآهم اثنى عشر رجلا من بنى اميّه فأتاهم فأتاه جبرئيل عليه السّلام بهـذه الايه، ثمّ قال جبرئيل: إنّ بنى اميّه لا يملكون شيئا إلاّ ملكك أهل البيت ضعفيه.

و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث قال: أما إنّ معاويه و ابنه سيليانها بعد عثمان ثمّ يليها سبعه من ولد الحكم بن أبى العاص واحدا بعد واحد يكمله اثنى عشر إمام ضلاله و هم الّذين رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على منبره يردّون الامّه على أدبارهم القهقرى، عشره منهم من بنى اميه و رجلان أسّسا ذلك لهم و عليهما أوزار هذه الامّه إلى يوم القيامه.

و فى مقدّمه الصحيفه السجّاديّه عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أخذته نعسه و هو على منبره فرأى فى منامه رجالا ـ ينزون على منبره نزو القرده يردّون الناس على أعقابهم القهقرى فاستوى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله جالسا و الحزن يعرف فى وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الايه: «و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك» الايه يعنى بنى اميّه.

قال: يا جبرئيل أعلى عهدى يكونون و فى زمنى؟ قال: لا و لكن تدور رحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرا ثمّ تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين مر مهاجرك فتلبث بذلك خمسا ثمّ لا بدّ من رحى ضلاله فى قائمه على قطبها ثمّ ملك الفراعنه، قال: و أنزل اللّه فى ذلك: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » تملكها بنو اميّه ليس فيها ليله القدر فاطّلع اللّه نبيّه انّ بنى اميّه تملك سلطان هذه الامّه و ملكها و طول هذه الامّه فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن اللّه بزوال ملكهم و هم فى ذلك مستشعرون عداوتنا أهل البيت و بغضنا أخبر اللّه نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد و أهل مودّتهم و شيعتهم منهم فى أيّامهم و ملكهم.

أقول: إنّما أرى صلّى اللّه عليه و اله ردّ النّاس عن الإسلام القهقرى لأنّ الناس كانوا يظهرون الإسلام و كانوا يصلّون إلى القبله و مع هذا كانوا يخرجون عن الإسلام شيئا فشيئا كالّذى يرتدّ عن الصراط السوى القهقرى و يكون وجهه إلى الحقّ حتّى إذا بلغ غايه سعيه رأى نفسه فى الجحيم.

و فى الاحتجاج عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام فى حديث انّه قال لمروان بن الحكم:

أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك و لا سببت أباك و لكن اللّه عزّ و جلّ لعنك و لعن

أباک و أهل بیتک و ذرّیتک و ما خرج من صلب أبیک إلی یوم القیامه علی لسان محمّد صلّی اللّه علیه و اله؛ یا مروان ما تنکر أنت و لا ـ أحد ممّن حضر هذه الامّه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله لک و لأبیک من قبلک و ما زادک اللّه یا مروان بما خوّفک إلاّ ـ طغیانا کبیرا و صدق اللّه و صدق رسوله یقول اللّه تعالی: «وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِی الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما یَزِیدُهُمْ إِلاّ طُغْیاناً کَبِیراً » و أنت یا مروان و ذرّیتک الشجره الملعونه فی القرآن.

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث و جعل أهل الکتاب القائمین به و العاملین بظاهره و باطنه من شجره أصلها ثابت و فرعها فی السماء تؤتی أکلها کلّ حین بإذن ربّها أی یظهر مثل هذا العلم لمحتملیه فی الوقت بعد الوقت و جعل أعدائها أهل الشجره الملعونه الّذین حاولوا إطفاء نور اللّه بأفواههم و یأبی اللّه إلاّ أن یتمّ نوره و لو علم المنافقون لعنهم اللّه ما علیهم من ترک هذه الایات الّتی بیّنت لک تأویلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه.

أقول: و فی قوله سبحانه: «فَما یَزِیدُهُمْ إِلاّ طُغْیاناً کَبِیراً » لطافه لا یخفی.

انتهی ما أتی به الفیض قدّس سرّه فی هذا المقام من تفسیره.

جمیع ملک بنی امیه کان ألف شهر کامله

لما انجرّ الکلام إلی ذکر الحدیث فی أنّ لیله القدر خیر من ألف شهر تملکها بنو امیّه لیس فیها لیله القدر یعجبنی أن أذکر مقدار المدّه من الزّمان و ما ملکت فیه بنو امیّه من الأعوام علی التفصیل لیزداد القاری بصیره فی ما أخبره اللّه تعالی و رسوله و آل الرسول و قد ذکر المسعودیّ المتوفّی سنه ۳۴۶ ه فی مروج الذّهب (ص ۱۹۸ ج ۲ طبع مصر ۱۳۴۶ ه): کان جمیع ملک بنی امیّه إلی أن بویع أبو العبّاس السفّاح ألف شهر کامله لا تزید و لا تنقص لأنّهم ملکوا تسعین سنه واحد عشر شهرا و ثلاثه عشر یوما.

قال المسعودیّ: و النّاس متباینون فی تواریخ أیّامهم و المعوّل علی ما نورده و هو الصحیح عند أهل البحث و من عنی بأخبار هذا العالم و هو أنّ معاویه بن أبی سفیان

ملک عشـرين سـنه، و يزيد بن معاويه ثلاث سـنين و ثمانيه أشـهر و أربعه عشر يوما، و معاويه ابن يزيد شهرا و أحد عشر يوما، و مروان بن الحكم ثمانيه أشـهر و خمسه أيّام، و عبد الملک بن مروان إحدى و عشـرين سـنه و شـهرا و عشـرين يوما، و الوليد بن عبد الملک تسع سـنين و ثمانيه أشـهر و يومين، و سـليمان بن عبد الملک سـنتين و ستّه أشهر و خمسه عشر يوما، و عمر بن عبد العزيز سـنتين و خمسه أشـهر و خمسه أيّام، و يزيـد بن عبـد الملک أربع سـنين و ثلاثه عشـر يوما، و هشام بن عبـد الملک تسع عشره سنه و تسعه أشهر و تسعه أيّام، و الوليد بن يزيد بن عبد الملک سنه و ثلاثه أشهر، و يزيد بن الوليد بن عبد الملک شهرين و عشـره أيّام و أسـقطنا أيّام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملک کاسـقاطنا أيّام إبراهيم بن المهدى أن يعدّ فى الخلفاء العبّاسـيّين، و مروان بن محمّد بن مروان خمس سنين و شهرين و عشره أيّام إلى أن بويع السفّاح فتکون الجمله تسعين سنه و أحد عشر شهرا و ثلاثه عشـر يومـا، يضـاف إلى ذلـک الثمـانيه أشـهر الّتى کان مروان يقاتل فيها بنى العبّاس إلى أن قتل فيصـير ملکهم إحـدى و تسـعين سـنه و تسـعه أشـهر و ثلاثه عشر يوما يوضع من ذلک أيّام الحسن بن علىّ و هى خمسه أشهر و عشره أيّام، و توضع أيّام عبد اللّه بن الزبير إلى الوقت الّذى قتل فيه و هى سـبع سنين و عشره أشهر و ثلاثه أيّام فيصير الباقى بعد ذلک ثلاثا و ثمانين سنه و أربعه أشهر يکون ذلک ألف شهر سواء.

قال: و قـد ذکر قوم إنّ تأويل قوله عزّ و جلّ: «لَيْلَةُ الْقَـدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَـهْرٍ » ما ذکرناه من أيّامهم. و قد روى عن ابن عبّاس أنّه قال: و اللّه ليملکنّ بنو العبّاس ضـعف ما ملکته بنو اميّه باليوم يومين و بالشـهر شهرين و بالسنه سنتين و بالخليفه خليفتين انتهى ما أردنا من نقل کلام المسعودى فى المروج.

قوله عليه السّـلام:«و قـد دعوت إلى الحرب – إلى قوله: و المغطّى على بصـره» أى قـد دعوتنا إلى الحرب؛ و قـد قدّمنا فى شـرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام نادى يا معاويه علام يقتل النّاس بينى و بينک؟ هلمّ

ص:۵۱

احاكمك إلى اللّه فأيّنا قتل صاحبه استقامت له الامور. و قد ذكرنا شعر المتنبّى و حكايه سيف الدوله مع الأخشيد المناسبه للمقام فراجع إلى ص ۳۱۶ ج ۱۵.

و أفاد الشارح المعتزلى فى المقام بقوله: و إنّما قال أمير المؤمنين عليه السّلام هذه الكلمه - يعنى: أيّنا المرين على قلبه و المغطّى على بصره - لأنّ معاويه قالها فى رساله كتبها و وقفت عليها من كتاب أبى العبّاس يعقوب بن أبى أحمد الصيمرى الّذى جمعه فى كلام علىّ عليه السّلام و خطبه و أوّلها أمّا بعد فانّك المطبوع على قلبك المغطّى على بصرك، الشرّ من شيمتك، و العتوّ من خليفتك، فشمّر للحرب، و اصبر للضرب فو اللّه ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت و العاقبه للمتقين؛ هيهات هيهات إحظاءك ما تمنّى و هوى قلبك فيما هوى؛ فاربع على ظلعك و قس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من تزن الجبال حلمه و يفصل بين أهل الشكّ علمه و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا بعد يا ابن صخر، يا ابن اللّعين؛ يزن الجبال فيما زعمت حلمك و يفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجاهل القليل الفقه، المتفاوت العقل، الشارد عن الدّين، و قلت: فشمّر للحرب و اصبر فإن كنت صادقا فيما تزعم و يعينك عليه ابن النابغه، فدع النّاس جانبا و اعف الفريقين من القتال و ابرز إلىّ لتعلم أيّنا المرين على قلبه، المغطّى على بصره. فأنا أبو الحسن حقا قاتل أخيك و خالك و جدّك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوّى.

قوله عليه السّلام:«فأنا أبو حسن»كان يعرف و يكنّى عليه السّلام بأبى حسن و من الأمثال السائره من صدر الاسلام إلى الان قولهم: قضيّه لا أبا حسن فيها.و لم يأت بالألف و اللّام فى ابنه رعايه للتواضع. و هضم النفس لا استصغارا لابنه عليه السّلام نعوذ باللّه لأنّ حرف التعريف يدلّ على التعظيم و التجليل فما كان يعجبه عليه السّلام ادخاله على اسم ابنه، و إن كان الأعداء يذكرونه بلا حرف التعريف احتقارا فقد قال الشيخ الأجلّ أبو الفتح الكراجكى المتوفّى سنه ۴۴۹ ه فى كتابه المترجم بكتاب التعجّب (ص ۴۴ طبع ايران ه ۱۳۲۲):

ص:۵۲

و من عجيب أمرهم و ظاهر بغضهم لأهل البيت عليهم السّلام انّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن علىّ عليه السّلام الّذى هو ولد رسول اللّه و ريحانته و قرّه عينه و الّذى نحله الإمامه و شهد له بالجنّه حذف من اسمه الألف و اللاّم و يقال حسن بن علىّ و لأولاده أولاد حسن استصغارا و احتقارا لذكره، ثمّ يقولون مع ذلك: الحسن البصرى فيثبتون فى اسمه الألف و اللاّم إجلالا له و إعظاما و تفخيما لذكره و إكراما و ذلك أنّ هذا البصرى كان متجاوزا عن ولايه أهل البيت عليهم السّلام و هو القائل فى عثمان قتله الكفّار و خذله المنافقون و لم يكن فى المدينه يوم قتله إلاّ قاتل و خاذل فنسب جميع المهاجرين و الأنصار إلى الكفر و النفاق، و تخلّف عن الامام الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهما السّلام ثمّ خرج مع قتيبه بن مسلم فى جند الحجّاج إلى خراسان.

قوله عليه السّلام:«قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوّى» و قد تكرر هذا الكلام منه عليه السّلام فى عدّه كتبه إلى معاويه: فقد يأتى فى آخر المختار ۲۸ من هذا الباب قوله عليه السّلام: قد صحبتهم ذرّيه بدريّه و سيوف هاشميّه قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدّك و أهلك «وَ ما هِيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ »؛ و فى المختار ۶۴ من هذا الباب أيضا قوله عليه السّلام: و عندى السّيف الذى أعضضته بجدّك و خالك و أخيك فى مقام واحد.

و جدّه هذا هو جدّه لامّه هند عتبه بن ربيعه بن عبد شمس فانّ عتبه كان أبا هند و خاله هو الوليد بن عتبه، و أخوه هو حنظله بن أبى سفيان و قد مضى كلام عبد اللّه ابن بديل رحمه اللّه تعالى فى صدر شرح هذا الكتاب: فكيف يبايع معاويه عليّا و قد قتل أخاه حنظله و خاله الوليد و جدّه عتبه فى موقف واحد.

قوله عليه السّلام:«و دخلتم فيه مكرهين» قد مضى كلام أبى اليقظان عمّار رحمه اللّه فى معاويه و أتباعه أنّهم ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعوانا، و كذا كلام غير واحد من الصحابه و من تثنى عليهم الخناصر فيهم فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب فراجع إلى ص ۳۷۰ ج ۱۵.

أقول: كلام أبى اليقظان مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام كما يأتى فى

المختار ۱۶ من هذا الباب: فوالّذی فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لکن استسلموا و أسرّوا الکفر فلما وجدوا أعوانا علیه أظهروه.

قوله علیه السّلام:«و زعمت أنّک - إلی قوله: إن کنت طالبا» قد أشرنا فی الشروح السالفه غیر مرّه إلی أنّ أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام کان فی عزله عن دم عثمان و أبرأ النّاس منه و قد دریت فی شرح المختار الأول من باب کتبه علیه السّلام أنّ عمرو بن العاص کان شدید التحریض و التألیب علی عثمان، و أنّ عثمان لما أبی أن یخلع نفسه تولّی طلحه و الزبیر حصاره، و أنّ عائشه کانت أوّل من طعن علی عثمان و أطمع الناس فیه و کانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد فجر، نقله الدینوریّ فی الإمامه و السیاسه و کانت تقول للناس: إنّ فیکم فرعون هذه الامّه تعنی به عثمان.

و مراده علیه السّلام من کلامه هذا انّ معاویه إن کان صادقا فی قوله انّه یطلب بدم عثمان و لم یکن غرضه استغواء الناس و لم یجعل دمه عرضه لأهوائه الردیه المردیه فلیطلبه من حیث وقع دمه یعنی من قتله و ألّب الناس علی قتله أی من طلحه و الزبیر و عائشه و عمرو بن العاصی و أمثالهم.

قوله علیه السّلام:«فکأنّی قد رأیتک - إلخ» إخبار بما یأتی علی معاویه و أتباعه فی غزوه صفین من الذّله و المسکنه و الهوان أوّلا بقوله جزعا من الضرب المتتابع و القضاء الواقع و مصارع بعد مصارع.

و بحیله عمرو بن العاصی فی رفع مصاحف لما ظهرت هزیمه أهل الشام ثانیا.

و قد أتینا بنبذه ما وقعت فی صفین فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب و قال الیعقوبی فی التاریخ ص ۱۶۴ ج ۲ طبع النجف: ثمّ وجّه علیّ علیه السّلام إلی معاویه یدعوه و یسأله الرجوع أن لا یفرّق الامّه بسفک الدّماء فأبی إلّا الحرب فکانت الحرب فی صفّین سنه سبع و ثلاثین و أقامت بینهم أربعین صباحا، و کان مع علیّ یوم صفین من أهل بدر سبعون رجلا و ممّن بایع تحت الشجره سبعمائه رجل و من سائر المهاجرین و الأنصار أربعمائه رجل، و لم یکن مع معاویه من الأنصار إلّا النعمان

ابن بشير و مسلمه بن مخلد.

قال: و صدقت نيات أصحاب عليّ عليه السّلام فى القتال و قام عمّار بن ياسر فصاح فى النّاس فاجتمع إليه خلق عظيم فقال: و اللّه إنّهم لو هزمونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّهم على الباطل؛ ثمّ قال: ألا من رائح إلى الجنّه فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاويه فقاتل القوم قتالا و قتل عمّار بن ياسر و اشتدّت الحرب فى تلك العشيه و نادى النّاس قتل صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله تقتل عمّارا الفئه الباغيه.

قال: و زحف أصحاب عليّ عليه السّلام و ظهروا على أصحاب معاويه ظهورا شديدا حتّى لصقوا به فدعا معاويه بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال:

قد نزل ما ترى فما عندك؟ قال: لم يبق إلّا حيله واحده أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها فتستكفهم و تكسر من حدّهم و تفت فى أعضادهم.

قال معاويه: فشأنك فرفعوا المصاحف و دعوهم إلى التحكيم بما فيها و قالوا ندعوكم إلى كتاب اللّه فقال عليّ عليه السّلام: إنّها مكيده و ليسوا بأصحاب قرآن.

و إنّما قال عليه السّلام: فكأنّى قد رأيتك - إلخ، لأنّ الزّمان و المكان و سائر الأجسام و الجسمانيّات انّما هى حجب لنا و أمّا الحجج الالهيّه فانّهم يرون الوقائع فى متن العالم على ما هى عليه.

ثمّ لا يخفى لطافه كلامه عليه السّلام فى ذلك حيث أتى بلفظ الماضى و قال: قد رأيتك و ما قال فكأنّى أرى، لئلّا يتوهّم متوهّم أنّه عليه السّلام لما رأى ما جرى بينه و بين معاويه و تمهّد لهما تفرّس فيما سيكون لمعاويه و جنده من هزيمه و ذلّه و هوان.

على أنّ غايه ما يمكن أن يقال لمن كان له حزم له تفرّس فى نحو هذه الامور أن يتفرّس فى امور كليّه مثلا أنّ له ظفرا على خصمه و أمّا أن يتفرّس فى جزئيات الوقائع الّتى لا يعلمها إلّا اللّه و الراسخون فى العلم و لا يتيسّر لغيرهم العلم بها عاده فلا؛ فانظر فى قوله عليه السّلام: و كأنّى بجماعتك تدعونى إلى كتاب اللّه نظر درايه و إنصاف هل يمكن أن يقال إنّه عليه السّلام لما رأى مقدّمات الامور تفرّس فى رفعهم

المصاحف فيما يأتى من زمان طويل و أمد مديد. و ما أرى هذا الظنّ بمن له خبره فى الامور و من جانب المراء و التعصّب و نظر بعينى العقل و الفهم.

و قد نقل اليعقوبىّ فى التاريخ (ص ۱۶۹ ج ۲ طبع النجف) خطبه له عليه السّلام لما قدم الكوفه بعضها قوله عليه السّلام: سلونى قبل أن تفقدونى فانّى عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فلو الّذى فلق الحبّه و برأ النّسمه لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعه و لا عن فئه تضلّ مائه أو تهدى مائه إلّا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها إلى يوم القيامه - إلخ.

و قد مضى نحو كلامه هذا قوله عليه السّلام فى الخطبه ۹۹ لكأنّى انظر إلى ضلّيل قد نعق بالشام و فحص براياته فى ضواحى كوفان إلخ. و قوله عليه السّلام فى الخطبه ۱۸۷ أيّها النّاس سلونى قبل أن تفقدونى فلأنا بطرق السماء أعلم منّى بطرق الأرض - إلخ.

قوله عليه السّلام:«و هى كافره جاحده أو مبايعه حائده» كان أتباع معاويه صنفين و قوله عليه السّلام و هى كافره جاحده يشير إلى المنافقين من جماعته، و قوله: أو مبايعه حائده إلى الّذين بايعوه ثمّ نكثوا عهده يقال حاد عن الأمر أى مال و عدل عنه.

و قد روى الفريقان فى جوامعهم أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و اله قال لعلىّ عليه السّلام انّه يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و الناكثون أصحاب الجمل، و القاسطون أصحاب معاويه و المارقون خوارج نهروان.

الترجمه

اشاره

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام در جواب نامهٔ معاویه نوشت:

معاویه به أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام نوشت: تویی آنکه مهر غفلت و زنگ گناه بر دلش زده، و پرده هوی و هوس بر چشمش افکنده شد. بدی خوی تو، و گردنکشی و تجاوز سرشتت است. از این روی آماده جنگ باش، و برای ضرب و شکنجه دیدن شکیبا. قسم بخدا کار بجایی کشد که خود دانی؛ و عاقبت برای پرهیزکاران است. چه بسا دور است رسیدنت بارزویت و بخواسته دلت. پس از آنچه که از عهده ات خارج و از طاقت دور است دست بدار و خودداری کن. و وجبت را به درنه ات اندازه گیر(۱) تا بدانی تفاوت حال تو و آنکه بردباریش همسنگ کوهها، و دانش او تمیز مردم گاه شکّ و شبهه میباشد؛ تا چه حدّ است، و السلام.

نامهٔ أمیر علیه السلام در پاسخ معاویه

أمیر علیه السّلام در جواب وی نوشت: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم از بنده خدا علی أمیر مؤمنان به معاویه پور سفیان: أمّا بعد درود بر آنکه پیرو راه رشاد است ستایش میکنم آنکه را جز او خدایی نیست. ای معاویه می بینی که دنیا با اهلش چگونه بسر می برد، بهترین توشه در روزگار آنست که بندگان شایسته گرد آوردند؛ آنکه دنیا را باخرت بسنجد، و چشم از دنیا بپوشد و کار آخرت نماید تفاوت این سرا و آن سرا را بسیار می یابد.

ای معاویه ادّعای أمری (مقام خلافت و امامت) میکنی که سزاوار آن نیستی

۱- (۱) یعنی چنانکه درنه بوجب نرسد تو بمن نرسی، و أصل عبارت این است: و قس شبرک بفترک. شبر بکسر شین و سکون با مسافت بین سرانگشت شصت دست تا سر انگشت کوچک دست است در صورتی که دست گشاده و انگشتها باز و کشیده باشد که بکلمه واحد سره آنرا وجب گویند. و فتر بر وزن شبر مسافت بین سر انگشت شصت تا سر انگشت شهادت در صورت نامبرده است که آن مسافت را در مازندران درنه گویند و آن بضم دال و سکون را و فتح نون است و چون لغت سره فارسی برای فتر نیافتم بجای آن درنه آوردم. منه.

نه در سابقگی، و نه در ولایت عهـدی، و أمر بیّن و حجّتی نداری که بدان در بارهٔ تو مکرمت و برگزیدگی شناخته شود؛ و نه مر تو را برای این مقام از قرآن شاهدی است، و نه از رسول خدا عهدی؛ پس چه خواهی کرد آن گاه که پرده ها از تو برداشته شود و رسوا گردی، پرده های دنیایی که خود را بزینتش آراسته و بلذّتش فریفته است، و تو را خوانده و اجابتش کرده ای، و افسارت را کشیده و پیرویش نموده ای و سر در پی او نهادی، و فرمانت داد و فرمان بردی.

همانا بزودی کسی آگاهت کند بر آنچه که کسی نتواند از آن برهاندت - و یا بهیچ دافعی از خود نتوانی دفع کرد - پس از این ادّعا دست بدار و دور شو، و برای حساب آماده باش، و بر آنچه که بر تو فرود آید دامن بر میان زن، و بحرف گمراهان گوش مده.

و اگر چنین نکنی، جانت را که ترکش گفته ای و افسارش را رها کرده ای اعلام کنم بدانچه که خواهم اعلام کرد - یا بدانچه که خود را از آن غافل کرده ای اعلام خواهم کرد - که نعمت فراوان ترا سرکش کرده و در طغیان افکنده است و در تو شیطان راه یافته - یا این که دامهای خود را در تو نهاده - و بارزوی خود رسیده، و در تو چون جان و خون در جریان است.

ای معاویه کی شما مدیر امور رعیت، و والی أمر این امّت بوده اید؟ آیا بی سابقه و أثر نیکو، و پایه بلند و ارجمند باید صاحب آن مقام باشید؟ بخدا پناه می برم از لزوم رقم بدبختی که از قلم قضای إلهی گذشته است. بپرهیز از این که پیوسته در غفلت آرزوها بسر بری و دو رو باشی.

ما را بجنگ خوانده ای؛ اگر راست گوئی مردم را به یک سوی نه و هر دو سپاه را از آن معاف دار و تنها با من در آی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشمش افکنده شد، که منم آن أبو حسنی که در جنگ بدر نیا و خالوی و برادرت را سر کوفتم و هر یک را طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم. نه دینم را به دینی تبدیل کرده ام، و نه پیغمبری

ص:۵۸

از نو گرفته ام، و من بر همان راه روشنم که شما باختیار ترکش گفته اید و باکراه بدان در آمدید.

گوئی که بخونخواهی عثمان آمدم، تو که خود دانی خونش را که ریخته است از آن کس بخواه.

هان ای معاویه بدهان اژدهای جنگ بینمت که دندانش را در تو چنان فرو برده که بسان شتران زیر بار گران ناله ات در گرفته است؛ و سپاهت را که یا کفر کیشند و یا پیمان شکن بینمی که از دیدن ضربتهای پی در پی و قضای بوقوع پیوسته یکی پس از دیگری بر خاک هلاک افتاده مرا بکتاب خدا خوانند.

بدان اگر مقام امامت و خلافت بدست مردم بودی و این کار بدیشان برگزار می شدی هر آینه بر ما رشک می بردند و منت می نهادند لکن این مشیّت إلهی و قضای آسمانی است که خداوند از زبان پیمبر راستگویش که خود براستیش تصدیق کرده است بما موهبت فرموده و ارزانی داشته است، آنکه پس از روشن شدن حق و إقامه بیّنه و برهان بر حقانیت آن دو دل باشد و شک و شبهه نماید رستگار نخواهد شد. بار خدایا میان ما و دشمن ما بحق حکم بفرما که تو بهترین حاکمی.

ترجمه نامه أمیر علیه السّلام در پاسخ نامه معاویه مطابق نسخه صمیری چنین است:

ای پسر صخر، ای فرزند لعین، پنداری که کوهها هموزن حلم تو و تمیز أهل شک علم تو است و حال این که نادانی کم فهم و پریشان عقل و رمیده از دینی.

بمن گفتی که آماده جنگ باش و صابر. اگر راستگویی و ابن نابغه (عمرو بن عاص) تو را کمک است مردم را بیک سوی نه و هر دو سپاه را از کار زار معاف دار و تنها با من در آی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشمش افکنده شد که منم همان أبو الحسن که در جنگ بدر برادر و خالو و نیایت را سر کوفتم و طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم.

پاسخ معاویه بأمیر علیه السلام

معاویه در جواب أمیر علیه السّـلام نوشت: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم از معاویه بن أبی سفیان به علیّ بن أبی طالب أمّا بعد؛ دست از حسـد بردار که هیچگـاه از آن سودی نبری، و گـامی که در راه دین از پیش برگرفته ای به آز بزرگ منشـی و خود خواهی تبـاه مکن که کارها وابسـته به پایان است، و سابقه ات را در حق کسـی که بر او حقی نـداری نابود مگردان که اگر چنان کنی جز خویشتن را آزار نکنی، و جز کارت را نابود نگردانی، و جز حجّتت را باطل ننمائی.

بجانم سوگنـد آن همه سابقه خـدمت در دین که داشـته ای بخونهایی که ریخته ای و خلاف با مردم حق کرده ای شسـته ای و فرا آب داده ای. پس سوره قـل أعوذ بربّ الفلق را بخوان و از شـرّ نفس خود بخـدا پناه ببر، چه تویی آن حاسـدی که خـدا در فلق فرمود: «وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ ».

و من وصیه له علیه السّلام وصی بها جیشا بعثه الی العدو

اشاره

و کلامه هذا هو المختار الحادی عشـر من باب الکتب و الرسائل فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بکم فلیکن معسکرکم فی قبل الأشراف أو سـفاح الجبـال، أو أثنـاء الأنهار کیما یکون لکم ردءا و دونکم مردّا. و لتکن مقاتلتکم من وجه واحـد أو اثنین. و اجعلوا لکم رقباء فی صیاصی الجبال، و مناکب الهضاب؛ لئلا یأتیکم العدوّ من مکان مخافه أو أمن.

و اعلموا أنّ مقدّمه القوم عيونهم، و عيون المقدّمه طلائعهم. و إيّاكم و التّفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، و إذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرّماح كفّه؛ و لا تذوقوا النّوم إلاّ غرارا أو مضمضه.

سندها و نقلها على صورتها الكامله على روايه نصرفى صفين،

اشاره

و الحسن بن على بن شعبه فى تحف العقول

قد روى كلامه هذا نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى فى كتابه فى صفين مسندا (ص ۶۶ من الطبع الناصرى) و ما أتى به الرضىّ فى النهج فملتقط ممّا أتى به نصر فى صفين و أشرنا غير مرّه إلى أنّ عاده الرضىّ التقاط الفصيح و البليغ من كلامه عليه السّلام و إن كان هذا الكتاب على صورته الكامله من محاسن كتبه عليه السّلام. و قد دريت فى شروح الكتب السالفه أنّ نضرا فى نفسه ثقه، و فى نقله ثبت؛ و أنّه كان يعيش قبل الرضىّ بمائتى سنه تقريبا؛ فدونك الوصيّه على ما رواها نصر:

نصر: عمر بن سعد، حدّثنى يزيد بن خالد بن قطن أنّ عليّا عليه السّلام حين أراد المسير إلى النخيله دعا زياد بن النضر و شريح بن هانى و كانا على مذحج و الأشعريين فقال: يا زياد اتّق اللّه فى كلّ ممسى و مصبح و خفف على نفسك الدّنيا الغرور و لا تأمنها على حال من البلاء. و اعلم أنّك إن لم ترع نفسك عن كثير ممّا يجب مخافه مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعا و ادعا من البغى و الظلم و العدوان فإنّى قد ولّيتك هذا الجند فلا تستطيلنّ عليهم و إنّ خيركم عند اللّه أتقيكم، و تعلّم من عاملهم [علّم] جاهلهم و احلم عن سفيههم فإنّك إنّما تدرك الخير بالحلم و كفّ الأذى و الجهد.

أقول: كلامه هذا مذكور فى النهج المعنون بقول الرضىّ: و من وصيّه

له علیه السّلام وصّی به شریح بن هانی لمّا جعله علی مقدّمته إلی الشام: اتّق اللّه فی کلّ صباح و مساء و خف علی نفسک الدّنیا – إلـخ. و هو المختار ۵۶ من بـاب الکتب و الرسائـل و بین النسـختین أعنی بین ما فی النهـج و کتاب صـفین لنصـر اختلاف فی الجمله و سیأتی شرحها و تحقیقها فی محلّها إن شاء اللّه تعالی، فلنرجع إلی ما أتی به نصر فی کتاب صفین.

فقال زیاد: أوصیت یا أمیر المؤمنین حافظا لوصیّتک مؤدّبا بأدبک، یری الرشد فی نفاذ امرک، و الغیّ فی تضییع عهدک.

فأمرهما أن یأخـذا فی طریق واحـد و لا یختلفا. و بعثهما فی اثنی عشـر ألفا، علی مقـدّمته شـریح بن هانی علی طائفه من الجند و زیاد علی جماعه. فأخذ شـریح یعتزل بمن معه من أصـحابه علی حده و لا یقرب بزیاد بن النضر. فکتب زیاد مع غلام له أو مولی یقال له شوذب:

کتاب زیاد بن النضر الی أمیر المؤمنین علی علیه السلام

لعبـد اللّه علیّ أمیر المؤمنین من زیاد بن النضـر سـلام علیک فانّی أحمـد إلیک اللّه الّذی لا إله إلّا هو؛ أمّا بعد فانّک ولّیتنی أمر النّاس و انّ شریحا لا یری لی علیه طاعه و لا حقّا و ذلک من فعله بی استخفافا بأمرک و ترکا لعهدک.

کتاب شریح بن هانی الیه علیه السلام

و کتب شـریح بن هانی – إلیه علیه السّـلام – سـلام علیک فإنّی أحمـد إلیک اللّه الّـذی لا إله إلّا هو أمّا بعد فانّ زیاد بن النضـر حین أشـرکته فی أمرک و ولّیته جنـدا من جنـودک تنکّر و اسـتکبر و مـال به العجب و الخیلاء و الزهو إلی مـا لا یرضـاه الربّ تبارک و تعالی من القول و الفعل فان رأی أمیر المؤمنین أن یعزله عنّا و یبعث مکانه من یحبّ فلیفعل فإنّا له کارهون و السلام.

ص:۶۲

كتابه عليه السلام الى زياد بن النضر و شريح بن هانى فى جواب

كتابهما

و هذا الكتاب هو الذى أتى به الرضى فى النهج و عنونه بقوله و من وصيه له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه الى العدو أعنى تلك الوصيه التى نحن بصدد شرحها الان على صورته الكامله على روايه نصر فكتب إليهما علىّ عليه السّلام: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر و شريح بن هانى، سلام عليكما فإنّى أحمد إليكما اللّه الّذى لا إله إلّا هو؛ أمّا بعد فانّى قد ولّيت مقدمتى زياد بن النضر و أمّرته عليها و شريح على طائفه منها أمير، فان أنتما جمعكهما بأس فزياد بن النضر على الناس، و إن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفه الّتى ولّيناه أمرها.

فاعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم، و عيون المقدمه طلائعهم. فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما فلا تسأما من توجيه الطّلائع، من نقض (نفض - ظ) الشعاب و الشجر و الخمر فى كلّ جانب كيلا يغترّ كما عدوّ، أو يكون لهم كمين.

و لا تسيّرنّ الكتائب إلّا من لدن الصباح إلى المساء إلّا على تعبيه؛ فإن دهمكم دهم، أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه.

و إذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكر كم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كى ما يكون ذلك لكم ردءا، و تكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين.

و اجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال، و بأعالى الأشراف، و مناكب الأنهار يرون لكم لئلا يأتيكم عدوّ من مكان مخافه أو أمن.

و إيّاكم و التفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا رحلتم فارحلوا جميعا و إذا غشيكم ليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح و الأترسه (و الترسه)؛ و رماتكم يلون ترستكم و رماحكم و ما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفله، و لا تلفى لكم

غره؛ فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنّهم فى حصون.

و احرسا عسكر كما بأنفسكما، و إيّاكما أن تذوقا نوما حتّى تصبحا إلّا غرارا أو مضمضه، ثمّ ليكن ذلك شأنكما و دأبكما حتّى تنتهيا إلى عدوّ كما، و ليكن عندى كلّ يوم خبر كما، و رسول من قبلكما؛ فانّى و لا ـ شىء إلّا ما شاء اللّه حثيث السير فى آثاركما، عليكما فى حربكما بالتّؤده، و إيّاكم و العجله إلّا أن تمكّنكم فرصه بعد الإعذار و الحجّه، و إيّاكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلّا أن تبديا، أو يأتيكما أمرى إن شاء اللّه و السّلام.

صوره الكتاب على روايه ابن شعبه

قد رواه أيضا الشيخ العالم الجليل أبو محمّد الحسن بن علىّ بن شعبه الحرّانى المتوفّى ۳۳۲ ه فى تحف العقول عن آل الرسول (ص ۴۴ طبع ايران ۱۳۰۳ ه) لكنّه رحمه اللّه نقل أنّ هذا الكتاب كتبه إلى زياد بن النضر فقط فانّه بعد ما أتى بالوصيّه الّتى وصىّ بها زياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفين و هى قوله عليه السّلام:

اتّق اللّه فى كل ممسى و مصبح - إلى قوله: و كفّ الأذى و الجهد - كما رواها نصر قال: ثمّ أردفه بكتاب يوصيه فيه و يحذّره.

اعلم أنّ مقدّمه القوم عيونهم، و عيون المقدّمه طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك، و دنوت من عدوّك فلا تسأم من توجيه الطلائع فى كلّ ناحيه و فى بعض الشعاب و الشجر و الخمر و فى كلّ جانب حتّى لا يغيّركم عدوّكم و يكون لكم كمين، و لا تسير الكتائب و القنابل من لدن الصباح إلى المساء إلّا تعبيه، فان دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه، و إذا نزلتم بعدوّ فليكن معسكركم فى اقبال الاشراف، أو فى سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كى ما تكون لكم ردءا و دونكم مردا. و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد و اثنين، و اجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال، و بأعلى الأشراف، و بمناكب الأنهار يريئون لكم لئلّا يأتيكم عدوّ من مكان مخافه أو أمن، و إذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا رحلتم

فارحلوا جميعا. و إذا غشيكم اللّيل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح و الترسه، و اجعلوا رماتكم يلون ترستكم كيلا تصاب لكم غرّه، و لا تلقى لكم غفله. و احرس عسكرك بنفسك. و إيّاك أن ترقد أو تصبح إلاّ غرارا أو مضمضه، ثمّ ليكن ذلك شأنك و دأبك حتّى تنتهى إلى عدوّك. و عليك بالتأنّى فى حربك. و إيّاك و العجله إلاّ أن تمكنك فرصه. و إيّاك أن تقاتل إلاّ أن يبدءوك أو يأتيك أمرى و السّلام عليك و رحمه اللّه.

ثمّ إنّ كتابه هذا على روايه تحف العقول منقول فى أبواب الجهاد من البحار (ص ۹۸ ج ۲۱ من الطبع الكمبانى و فى ص ۶۲۷ ج ۸ منه أيضا) و على روايه صفين لنصر منقول فى باب بغى معاويه و امتناع أمير المؤمنين عليه السّلام تأميره من البحار (ص ۴۷۷ ج ۸ من ذلك الطبع).

اللغه

«أحمد إليكما اللّه» قال المرزوقىّ فى شرح الحماسه ۹۳: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاه، و بهذا المعنى فارق الشّكر، لأنّ الشكر لا يكون إلاّ على صنيعه، انتهى.

أقول: الظاهر من قوله و بهذا المعنى فارق الشكر أنّه أراد أن يبيّن مورد افتراق معنيى الحمد و الشكر و إلاّ فالحمد أعمّ من الشكر لأنّك تحمد الانسان على صفاته الذاتيه و على عطائه و لا تشكره على صفاته.

و أمّا معنى قوله: أحمد إليكما اللّه فقال: ابن الأثير فى النهايه: و فى كتابه عليه السّلام أمّا بعد فانّى أحمد إليك اللّه أى أحمده معك فأقام إلى مقام مع. و قيل: معناه أحمد إليك نعمه اللّه بتحديثك إيّاها.

«ولّيت» من التوليه يقال: ولّى الأمير فلانا الأمر إذا جعله واليا عليه.

و فى صحاح الجوهرىّ: ولّاه الأمير عمل كذا، و ولّاه بيع الشىء و تولّى العمل أى تقلّد.

«مقدّمتى»فى الصحاح: مقدّمه الجيش بكسر الدال: أوّله. و فى النهايه الأثيريّه و فى كتاب معاويه إلى ملك الروم: لأكوننّ مقدّمته إليك أى الجماعه الّتى يتقدّم الجيش من قدّم بمعنى تقدّم؛ و قد استعيرت لكلّ شىء فقيل: مقدّمه الكتاب و مقدّمه الكلام بكسر الدال و قد يفتح. «أمّرته عليها» أى جعلته أميرا عليها يقال: أمّره إذا ولّاه الإماره و حكّمه.

«عيونهم» العيون واحد العين بفتح العين، و معناه ههنا: الجاسوس و الراصد و يقال بالفارسيه ديدبان ففى الصحاح: العين: الديدبان و الجاسوس. و فى النهايه الأثيريّه:

و فى الحديث أنّه بعث بسبسه عينا يوم بدر أى جاسوسا. و اعتان له إذا أتاه بالخبر؛ و منه حديث الحديبيّه كان اللّه قد قطع عينا من المشركين أى كفى اللّه منهم من كان يرصدنا و يتجسّس علينا أخبارنا.

«طلائعهم» جمع طليعه و طليعه الجيش هم القوم الّذين يبعثون ليطّلعوا طلع العدوّ كالجواسيس. «لا تسأما» أى لا تملا، يقال سئم الشىء يسئم سامه من باب علم أى ملّه و ضجر منه؛ و السامه: الملل و الضجر.

«نقض» النقض بالقاف: الهدم، و لكنّى أرى أنّ النقض مصحّف و الصواب النقض بالفاء ففى صحاح الجوهرىّ: و قد نقضت المكان و استنفضته و تنفّضته أى نظرت جميع ما فيه قال زهير:

و تنقض عنها غيب كلّ حميله و تخشى رماه الغوث من كلّ مرصد

و استنفض القوم أى بعثوا النفيضه، و يقال: إذا تكلّمت ليلا فانفض أى التفت هل ترى من تكره. و النفض بالتحريك: الجماعه يبعثون فى الأرض لينظروا هل فيها عدوّ أو خوف، و كذلك النفيضه نحو الطليعه.

و فى النهايه الأثيريّه: و فى حديث أبى بكر و الغار: أنا أنفض لك ما حولك أى أحرسك و أطوف هل ترى طلبا. يقال: نفضت المكان و استنفضته و تنفّضته إذا نظرت جميع ما فيه. و النفضه بفتح الفاء و سكونها، و النفيضه قوم يبعثون متحسّسين هل يرون عدوّا أو خوفا.

ص:۶۶

«الشعاب» بكسر الشين جمع الشعب بكسرها أيضا أى الطريق فى الجبل.

و ما انفرج بين الجبلين، و مسيل الماء فى بطن أرض.

«الخمر» بالتحريك كلّما سترك و واراك من الشجر و الجبال و نحوها؛ قال ابن الأثير فى النهايه: و منه حديث أبى قتاده فابغنا مكانا خمرا أى ساترا بتكاثف شجره. و فى الصحاح: تقول: توارى الصيد منّى فى خمر الوادى. و فى البيان و التبيين للجاحظ ص ۲۱۰ ج ۳ قال الشاعر:

ثمّ أرميكم بوجه بارز لست أمشى لعدوّى بخمر

«كمين» الكمين: القوم يكمنون المعدوّ و يستخفون فى مكمن لا يفطن له ثمّ ينتهزون غرّه العدوّ فينهضون عليه، من قولهم كمن كمونا من بابى نصر و علم إذا اختفى و توارى. و منه قولهم: هذا أمر فيه كمن؛ أى دغل لا يفطن له.

«الكتائب» جمع الكتيبه من كتبت أى جمعت، تقول: فلان كتّب الكتائب تكتيبا أى عبّى كتيبه كتيبه، و تكتّبت الخيل أى تجمعّت فالكتيبه من الجيش ما جمع فلم ينتشر؛ الحق الهاء بها لأنّه جعل اسما. و فى النهايه الأثيريّه: فى حديث السقيفه نحن أنصار اللّه و كتيبه الإسلام، الكتيبه: القطعه العظيمه من الجيش، و الجمع الكتائب.

قال الفرّار السّلمى (الحماسه ۳۸):

و كتيبه لبّستها بكتيبه حتّى إذا التبست نفضت لها يدى

فتركتهم تقص الرّماح ظهورهم من بين منعفر و آخر مسند

فى شرح المرزوقى عليها: هذا يتبجّح بأنّه مهياج شرّ و أذى، و جمّاع بين كتائب شتّى تتقاتل من دونه، ثمّ يخرج هو من بينهم غير مبال بما يجرون إليه، و لا مفكّر فيما ينتج من الشّر فيهم، فيقول: ربّ كتيبه خلطتها بكتيبه.

فلما اختلطت نفضت يدى منهم و لهم و خلّيتهم و شأنهم.

«فان دهمكم دهم» دهمه أمر أى فاجأه و غشيه من بابى منع و علم و فى الحماسه ۷۱:

ص:۶۷

و كم دهمتنى من خطوب ملمّه صبرت عليها ثمّ لم أتخشّع

قال الجوهرىّ فى الصحاح: الدّهم: العدد الكثير؛ و الجمع الدّهوم و قال الشاعر:

جئنا بدهم يدهم الدّهوما مجر كأنّ فوقه النجوما

و فى النهايه الأثيريه: فى الحديث لما نزل قوله تعالى تسعه عشر (المدّثر - ۳۱) قال أبو جهل: أما تستطيعون يا معشر قريش و أنتم الدّهم أن يغلب كلّ عشره منكم واحدا؟ الدّهم: العدد الكثير. و منه الحديث محمّد فى الدّهم بهذا القوز(۱) و حديث بشير بن سعد فأدركه الدّهم عند اللّيل، و الحديث الاخر من أراد أهل المدينه بدهم أى بأمر عظيم و غائله؛ من أمر يدهمهم أى يفجأهم.

«معسكر» على هيئه المفعول: موضع العسكر أى الجيش و يقال بالفارسيه:

لشكرگاه.

«قبل» فى الصحاح: القبل - بضمّ القاف و سكون الباء - و القبل - بضمّهما -:

نقيض الدّبر و الدّبر - كذلك و يقال: أنزل بقبل هذا الجبل أى بسفحه. انتهى قوله. و فى النهايه: القبل: ما استقبلك من الشىء، فقبل الأشراف ما استقبلك منها.

و جاء فى بعض النسخ قبيل مصغّرا؛ و فى بعضها الاخر: قبل بكسر القاف و فتح الباء و لكن الأوّل هو الصواب.

«الأشراف» جمع الشرف محرّكه ففى الصحاح: الشّرف: العلوّ و المكان العالى. و قال الشاعر:

آتى النديّ فلا يقرّب مجلسى و أقود للشّرف الرفيع حمارى

يقول: إنّى خرفت فلا ينتفع برأيي، و كبرت فلا استطيع أن أركب من الأرض حمارى إلّا من مكان عال و جبل مشرف عال.

«سفاح» بكسر أوّله جمع السفح بالفتح. و فى الصحاح: سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء و هو مضطجعه، و قال المرزوقىّ فى شرح الحماسه ۳۳:

۱- (۱) القوز بالفتح: العالى من الرمل كأنه جبل. منه.

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقى طلحها و سيالها

دعوا لنزار و انتمينا لطيّىء كأسد الشرى إقدامها و نزالها

ما هذا لفظه: و السفح أسفل الجبل و لاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل.

«أثناء الأنهار» منعطفاتها، جمع الثنى بكسر الأوّل و سكون الثانى.

و فى الصحاح: قال أبو عبيد: الثّنى من الوادى و الجبل منعطفه.

«ردءا» الرّدء بالكسر فالسكون: العون و الناصر، تقول: ردأت الرجل ردءا من باب منع، و أردأته بمعنى أعنته. و أردأته بنفسى: إذا كنت له ردءا. و فى القرآن الكريم: «وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ » (القصص - ٣۶) و جمع الردء أرداء.

«رقباء» جمع الرقيب، و الرقيب الحافظ و الراصد و الحارس تقول رقبه رقوبا من باب نصر إذا رصده و حرسه، و رقيب الجيش طليعتهم و عينهم أيضا.

«صياصى» جمع الصيصه و الصيصه و فى الصحاح: الصيصه: شوكه الحائك الّتى يسوّى بها السداه و اللحمه؛ و منه صيصه الديك الّتى فى رجله، و صياصى البقر قرونها، و ربما كانت تركّب فى الرماح مكان الأسنّه. و الصياصى: الحصون. انتهى.

و فى النهايه الأثيريّه: فيه - يعنى فى الحديث - انه ذكر فتنه تكون فى أقطار الأرض كأنّها صياصى بقر أى قرونها، واحدها صيصيه بالتخفيف. و قيل:

شبّه الرماح الّتى تشرع فى الفتنه و ما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعه و منه حديث أبى هريره أصحاب الدّجال شواربهم كالصياصى يعنى أنّها أطالوها و فتلوها حتّى صارت كأنّها قرون بقر، و الصيصه أيضا الوتد الّذى يقلع به التمر، و الصناره الّتى يغزل بها و ينسج.

أقول: فبما ذكرنا من معانى الصياصى يمكن أن يكون معنى صياصى الجبال رؤوسها لأنّ أحد معانيها القرون و أحد معانى القرون رءوس الجبال، كما يمكن

أن تكون الاضافه من قبيل لجين الماء أى الجبال الّتى كالحصون أو أنها حصون لأنّه يمتنع بها كما أنّ ذا القرن يمتنع بقرنه.

«مناكب» جمع المنكب بفتح الميم و كسر الكاف، و فى الصحاح: المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.

«الهضاب» بكسر الهاء جمع الهضبه بفتحها، و فى الصحاح: الهضبه: الجبل المنبسط على وجه الأرض و الجمع هضب و هضاب.

«الأـترسه» الصواب الترسه، و الاولى مصحّفه. و الترسه جمع التّرس و هى صفحه من الفولاد تحمل للوقايه من السيف و نحوه و يقال بالفارسيّه: سپر، و فى الصحاح: التّرس جمعه ترسه و تراس و أتراس و تروس قال يعقوب: و لا تقل أترسه. انتهى.

«رماتكم» الرّماه جمع الرامى كالمشاه جمع الماشى. و أصلها الرميه كالطلبه أبدلت ياؤها ألفا.

«لاـ تلفى» أى لاـ توجد. تقول: ألفيت الشىء إذا وجدته. قال تعالى: «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ » (البقره – ١۶٧).

«كفّه» بكسر الكاف أى مستديره بحيث تحفّ العسكر و تصير حصنا لهم.

و فى الصحاح: كفّه القميص بالضمّ: ما استدار حول الذيل. و كان الأصمعى يقول:

كلّ ما استطال فهو كفّه بالضمّ نحو كفّه الثوب و هى حاشيته، و كفّه الرّمل و جمعه كفاف؛ و كلّ ما استدار فهو كفّه بالكسر نحو كفّه الميزان، و كفّه الصائد و هى حبالته، و كفّه اللثه و هى ما انحدر منها. قال: و يقال: كفّه الميزان أيضا بالفتح و الجمع كفف. انتهى.

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه ۵۶:

ملأت عليه الأرض حتّى كأنّها من الضّيق فى عينيه كفّه حابل

و الكفّه يجوز أن يريد به الحفيره الّتى ينصب الحابل فيها الحباله، و يجوز أن يريد بها قترته، و يجوز أن يريد بها عين الحباله لأنّها تجعل كالطّوق و هذا أقرب لأنّ الخليل فسّر الكفّه على ذلك.

أقول: المراد منها ههنا أن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه حتّى تكون حصناء لهم كما بين فى نسخه نصر و سيتّضح فى المعنى أيضا. و قد غلط بعض الشراح حيث فسّر قوله عليه السّلام فاجعلوا الرّماح كفّه بقوله: ليكون الرماح حولكم ككفّه الميزان أى مجموعه.

«غرارا» الغرار بالكسر، أحد معانيه: النوم القليل، تقول العرب: ما نومه إلاغرار. و قال تأبّط شرّا كما فى ديوان الحماسه من اختيار أبى تمّام (حماسه ۱۶۵):

و قالوا لها لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل أن تلاقى مجمعا

قليل غرار النوم أكبر همّه دم الثار أو يلقى كميّا مسفّعا

«مضمضه»ههنا كنايه عن قلّه النوم، و الأصل فى المضمضه: تحريك الماء فى الفم و المضمضه فى النوم أن تنام خفيفا ثمّ تستيقظ ثمّ تنام خفيفا و هكذا تشبّها بمضمضه الماء فى الفم، و فى الصحاح: يقال: ما مضمضت عينى بنوم أى ما نمت، و تمضمض النعاس فى عينه، قال الراجز:

و صاحب نبّهته لينهضا إذا الكرى فى عينه تمضمضا

«حثيث» أى سرع، يقال: ولّى حثيثا أى مسرعا، و فى القرآن الكريم «يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً » (الأعراف - ۵۴) «التؤده» بضمّ التاء و فتح الهمزه و الدال: الرزانه و التأنّى و الرّفق مقابل العجله، و أصلها من وأد كالتّوآد على وزن التكرار. و فى الصحاح: إتّأد فى مشيه و توأدّ فى مشيه و هو افتعل و تفعّل من التّوءده و أصل التاء فى اتّأد واو يقال: اتّئد فى أمرك أى تثبّت و فى الحماسه ۷۴:

إنّى امرؤ مكرم نفسى و متّئد من أن اقاذعها حتّى اجازيها

ص:۷۱

الاعراب

مقدّمتی و زیاد مفعولان لقوله ولّیت فإذا أنتما خرجتما، الفاء فصیحه، و فی کلّ جانب متعلّق بکلّ واحد من التوجیه و النفض فإن دهمکم؛ الفاء تعلیلیه لقوله إلاّ علی تعبیه و ضمیر یرون یرجع إلی الرقباء و الفاء فی فإذا نزلتم فصیحه، فحفّوا جواب إذا الثالثه، و الفاء فی فنزلتم تفریع علی غشیکم فما قوم حفّوا؛ الفاء تعلیلیه لقوله: فحفّوا عسکر کم بالرماح إلخ. و قوله علیه السّلام: کیلا تصاب – إلی قوله: غرّه، یمکن أن یکون تعلیلا لقوله حفّوا کما یمکن أن یکون تعلیلا لقوله: و ما أقمتم و إن کان بالأوّل أوفق، حثیث السیر خبر إنّ، و قوله علیه السّلام و لا شیء إلاّ ما شاء اللّه جمله معترضه وقعت بین اسم إنّ و خبرها.

المعنی

کتابه هذا من محاسن کتبه علیه السّلام لفظا و معنی و یا لیت الشریف الرضیّ رضوان اللّه علیه أتی بصورته الکامله فی النهج من دون التقاط بعضه و رفض بعضه الاخر.

ثمّ إنّ الکتاب مشتمل علی قوانین کلیّه أصیله لا بدّ لمن تولّی إماره جیش أن یستعملها فی الحرب کی یظفر علی الخصم. و لا تختصّ تلک القوانین بعصر دون عصر بل تعمّ الأعصار و الدّهور؛ فلا مجال لأحد فی أن یقول: إنّ الکتاب یتضمّن علی قوانین الحرب فی تلک الأعصار السالفه دون هذه الأزمان غایه الأمر أنّ أدوات الحرب تغیّرت، و لو تأمّل فی الکتاب من تدرب فی فنون المحاربه یجد قائله بطلا محامیا و محاربا خرّیتا فی فنون الحرب، و أمیرا لم یکن له فی طول دهره إلاّ تعبیه العساکر و تهیئه سلاح الحرب و تعلیم فنون القتال، و اعمال الرویه فی کیفیه مقابله المقاتل فی المعارک؛ مع أنّه علیه السّلام کان فی جمیع الصفات الکمالیّه إماما و قدوه، فدونک بما تضمّن الکتاب:

قوله علیه السّلام: «و إن افترقتما فکلّ واحد منکما أمیر علی الطائفه الّتی ولیّناه أمرها» و قد دریت أنّه علیه السّلام کتب إلیهما هذا الکتاب بعد اعتزال شریح بن زیاد و تنحّی زیاد عنه، ثمّ إنّ الشرکه فی أمثال هذه الامور قلّما تتّفق؛ علی أنّ

الاجتماع على رايه واحده و أمير واحد أقرب إلى الظفر على الخصم من التساند فى الحرب و قد أجمعوا على أنّ الشركه ردّيه فى ثلاثه أشياء: فى الملك، و الحرب و الزّوجه.

قوله عليه السّلام:«فاعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم - إلخ» قد أتى عليه السّلام فى هذا الكتاب بأحد و عشرين دستورا ممّا لا بدّ أن يراعيها أمير الجيش طلبا للظفر على الخصم و هى ما يلى:

الاول: أنّ القوم لا بدّ لهم من مقدّمه.

الثانى: أنّ المقدّمه لا بدّ من أن يكونوا أكياسا حذّاقا بصراء لأنّهم عيون القوم فالمقدّمه من القوم بمنزله العين من الجسد و كما أنّ العين جاسوس للبدن تحفظه من المهالك و تراقبه عن المهاوى كذلك المقدّمه للقوم، ففى كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه الدينورىّ (ص ١١٧ ج ١ طبع مصر): ذكر عبد الملك بن صالح الهاشمى أنّ خالد بن برمك حين فصل مع قحطبه من خراسان، بينا هو على سطح بيت فى قريه قد نزلاها و هم يتغدّون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهه الصحارى حتّى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبه: أيّها الأمير ناد فى النّاس: يا خيل اللّه اركبى، فانّ العدوّ قد نهد إليك و حثّ، و غايه أصحابك أن يسرجوا و يلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام قحطبه مذعورا فلم ير شيئا يروعه و لم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأى؟ فقال خالد: أيّها الأمير لا تتشاغل بى و ناد فى النّاس، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت و فارقت مواضعها حتّى خالطت النّاس! إنّ وراءها لجمعا كثيفا، قال: فواللّه ما أسرجوا و لا ألجموا حتّى رأوا ساطع الغبار فسلموا، و لو لا ذلك لكان الجيش قد اصطلم.

الثالث: أنّ للمقدّمه لا بدّ من طلائع.

الرابع: أنّ الطلائع عيون المقدّمه فالكلام فى المقدّمه كالكلام فى الطلائع بل الطلائع يجب أن يكونوا أكيس من المقدّمه لأنّهم عيون العيون.

الخامس: أن يوجّهوا الطلائع فى كلّ جانب يظنّ فيه كمين مرّه بعد مرّه

كما يستفاد من قوله عليه السّلام فلا تسأما أى لا تملّا من كثره توجيه الطلائع.

السادس: أن يبعثوا النفيضه كرّه بعد كرّه كما يستفاد من قوله عليه السّلام فلا تسأما أيضا فى كلّ جانب يظنّ فيه عدوّ فى مكمن و اغترار لينظروا فى الشعاب و فى وراء الشجر و الخمر. و علّل هذين القسمين بقوله كيلا يغترّ كما عدوّ، أو يكون لهم كمين و هذان القسمان فى الحقيقه متفرّعان على ما قبلهما و لذا أتى بفاء الفصيحه بعد قوله فاعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلائعهم.

السابع: أن لا تسيّر الكتائب فى اللّيل لما فى اللّيل من خوف الوقوع إلى التهلكه فحصر السير فى النهار بقوله إلّا من لدن الصباح إلى المساء.

الثامن: أنّ سير الكتائب إذا كان فى اللّيل فلا بدّ من أن يكونوا على تعيه أى على تهيئه و تجهيز من قبل أن تسير الكتائب و علّل ذلك بقوله: فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه.

التاسع: إذا نزلوا بعدوّ أو نزل العدوّ بهم فليكن المعسكر فى قبل الأماكن العاليه أو أسافل الجبال، أو منعطفات الأنهار و علّل ذلك بقوله كيما يكون لكم ردءا و دونكم مردّا.

العاشر: أن تكون المقاتله من وجه واحد أو اثنين و ذلك لأنّ المقاتله إذ، كانت من وجوه شتّى تشتّتت القوى فيتطرّق الوهن و الضعف فى الجند فيستلزم ظفر الخصم عليهم. و الغرض من هذا الكلام أنّ الجيش ينبغى لهم أن يجعلوا معسكرهم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كى لا يحمل عليهم الخصم من كلّ جانب بل من جانب واحد أو من جانبين و الجوانب الاخر تكون مصونه بالجبال و الأنهار. و إن لم توجد الجبال و الأنهار فيحفر الخندق حول العسكر كما فعله الامام سيّد الشهداء أبو عبد اللّه الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى كربلاء.

الحادى عشر: لا بدّ للقوم من رقباء.

الثانى عشر: أن يجعل الرقباء فى رءوس الجبال و التلال و نحوهما من موضع

مرتفع بحيث يرون للقوم؛ و السرّ فى ذلك أنّهم إذا كانوا فى مواضع مرتفعه على مرئى قومهم يرون الخصم عن بعيد فيخبرون قومهم فلا ينزل الخصم عليهم بغته كما صرّح عليه السّلام بذلك لئلّا يأتيكم عدوّ من مكان مخافه أو أمن.

الثالث عشر: أن يحذروا من التفرّق لأنّ الاجتماع يوجب الهيبه و العظمه تجاه الخصم فيستلزم وهنه و انكساره. و فى القرآن الكريم: «وَ مَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ » (آخر الفتح). و فرّع على التحذير من التفرّق قوله: فاذا نزلتم و أتى بالفاء الفصيحه أى إذا كان التفرّق محذورا منه فانزلوا جميعا و ارحلوا جميعا.

الرابع عشر: أن يحفّ العسكر بالرماح و الترسه كى تصير الرماح و الترسه حصنا لهم و علّل ذلك بقوله فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنّهم فى حصون.

الخامس عشر: أنّ الرّماه يلون الترسه و الرّماح. و المراد أنّ كلّ من تدرب فى فنّ من فنون الحرب يلى أمره و لما أمرهم بأن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه أشار إلى أنّ الرماه يلون الترسه و الرماح لأنّ ذلك أربط للجاش و أتقن و آكد فى الحراسه.

السادس عشر: إذا أقام الجيش فى منزل و إن كانت الإقامه فى النهار فكذلك عليهم أن يحفّوا العسكر بالترسه و الرماح و يجعلوا شأن الترسه و الرماح على الرماه و أشار إلى هذا الدستور بقوله و ما أقمتم فكذلك فافعلوا، و إنّما قيدنا الإقامه بالنّهار لأنّه عليه السّلام بعد ما أمر بعمله فى اللّيل بقوله: و إذا غشيكم ليل - إلخ أتى بقوله: هذا و ما أقمتم - إلخ. ثمّ إنّه عليه السّلام بعد ذلك يقول: فما قوم حفّوا عسكرهم برماح و ترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنّهم فى حصون فأتى باللّيل و النهار على سبيل اللفّ و النشر المرتّبين فقوله: من ليل يشير إلى قوله: و إذا غشيكم ليل، و قوله عليه السّلام: أو نهار يشير إلى قوله: فما أقمتم فكذلك فافعلوا غايه الأمر أن يقال فما أقمتم يعمّ الجديدين. فلا ضير أيضا، ثمّ علّله بقوله كيلا تصاب لكم غفله و لا تلفى

لكم غرّه. و ذلك لأنّهم إذا اعتادوا أن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه مهما أقاموا لا تفوتهم الكفّه فى اللّيل و لذا قال عليه السّلام: كيلا تصاب بكم غفله و لا تلفى لكم غرّه، و ان جعل قوله عليه السّلام: كيلا تصاب دليلا لقوله فحفّوا عسكركم فالأمر أوضح.

السابع عشر: أن يحفظ الأمير قومهم بنفسه و لا يحمله على غيره لأنّه إذا جانب العسكر لا يراقبهم غيره من أفراد الجند كما ينبغى فربّما ينجرّ إلى فرار بعض أو استيلاء الخصم على غفله و غيرهما من المفاسد.

و فى نوادر الراوندىّ بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السّلام قال:

قال الحسن بن علىّ عليهما السّلام: كان علىّ عليه السّلام يباشر القتال بنفسه و لا يأخذ السلب (البحار الكمبانىّ ص ۱۰۰ ج ۲۱).

الثامن عشر: أن يجتنبوا من النوم الطويل بل من القليل أيضا إلّا غرارا أو مضمضه لئلّا يدهمهم الخصم و هم نيام.

التاسع عشر: أنّ عليهم التأنّى و الرفق فى الحرب و التحذّر من العجله.

ثمّ استثنى الحكم بالتأنّى بقوله إلّا أن تمكنكم فرصه بعد الاعذار و الحجّه.

العشرون: أن يقدّموا الإعذار و الحجّه و النصح قبل الحرب.

الواحد و العشرون: أنّ لا يقدّموا فى الحرب و لا يبتدءوا فيه و سيجىء الكلام فى هذين الوجهين فى المختارين ۱۴ و ۱۵ من هذا الباب إن شاء اللّه تعالى.

ثمّ إنّ فى الفصل السابع و الثلاثين من الباب الثالث من مقدّمه ابن خلدون مطالب مفيده فى الحروب و سياستها و ما يتعلّق بها و مذاهب الامم فيها و أقسامها، و قال فيه: و انظر وصيّه علىّ رضى اللّه عنه و تحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب و لم يكن أحد أبصر بها منه قال فى كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص - إلخ. فمن شاء فليطلبها (ص ۲۷۰ طبع مصر).

ص:۷۶

الترجمه

این کتاب یازدهم از باب مختار کتب و رسائل أمیر علیه السّلام است که در آن لشکری را که بسوی دشمنی گسیل داشت بدستورهایی وصیت کرده است.

أمیر علیه السّلام أین نامه را به شریح بن هانی و زیاد بن نضر نوشت گاهی که آن دو را بر لشکری امارت داد و در اثنای راه بمخالفت یکدیگر اقدام کردند و هر یک نامه ای بأمیر المؤمنین علیه السّلام نوشت و از مخالفت دیگری حضرتش را اعلام کرد. و زیاد نامه نوشت که شریح از طاعت من سر باز زد و برای من حقی روا نمی دارد و أمر أمیر را سبک شمرده و پیمانش را ترک گفت، و شریح نامه نوشت که زیاد تکبر نمود و بدخویی کرد و عجب و خودبینی و فخر او را به گفتار و کرداری که خداوند از آن خرسند نیست کشانید، و از أمیر علیه السّلام عزلش را درخواست کرد. چون نامۀ آن دو بان بزرگوار رسید در جوابشان مرقوم فرمود:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم از بنده خدا علیّ أمیر المؤمنین به زیاد بن نضر و شریح بن هانی؛ درود بر شما، من با شما حمد میکنم خدایی را که نیست جز او خدایی أمّا بعد همانا که تولیت مقدّمه لشکر را به زیاد برگزار کرده ام و او را أمیر بر آنان گردانیدم. و شریح بر طائفه ای از ایشان أمیر است. پس اگر کار شما به وفاق کشید زیاد بر مردم أمیر است، و اگر به خلاف انجامید هر یکی بر طائفه ای که شما را بر آنها والی گردانیدم أمیر خواهد بود.

بدانید که مقدّمه لشکر دید بانشانند و طلیعه دیدبان مقدّمه اند (مقدّمه گروهی هستند که پیشاپیش لشکرند و جاسوسشان، و طلیعه نفری چند که جاسوس مقدّمه اند) از این روی چون از شهر خود بدر رفتید از فرستادن طلیعه ها بگوشه و کنار و این سوی و آن سوی خودداری نکنید و از تفتیش و تجسّس در درّه ها و پشت درختها و کوهها و مانند آنها از هر سوی کوتاهی نکنید و از کثرت این کار ملال نگیرید که مبادا دشمن در کمین باشد و ناگهان شما را بفریبد و غفلت گیر کند.

و باید که سپاه از شبروی بر حذر باشند و فقط از بامداد تا شامگاه راه بپیمایند

ص:۷۷

مگر این که اگر بخواهند شبروی کنند از پیش آمادگی داشته و خود را مجهّز کرده باشند که اگر دشمن نابهنگام روی آورد شما نیز آماده و از پیش برای دفاع در تعبیه بوده و تهیّه دیده باشید.

پس هر گاه بر سر دشمن فرود آیید یا دشمن بر شما فرود آید باید لشکرگاه شما در پیش جاهای بلند یا دامنهٔ کوهها یا در خم جویها باشد تا شما را از شرّ دشمنان مددی و در پیش رویتان از آنان سدّ و مانعی بود، و باید که کارزارتان از یک روی یا دو روی باشد (یعنی جهات دیگر باید بکوه یا به نهر محفوظ باشد که دشمن از هر طرف دست نیابد و حمله نکند).

و دیده بانها و پاسبانهای لشکر را بر سر کوهها و بر بلندی پشته ها قرار دهید تا دشمن از رهگذر خوف یا أمن بر سر شما ناگهان فرود نیاید.

و باید که از پراکندگی بپرهیزید از این روی هر گاه فرود می آیید همگی یک بار فرود آیید، و اگر کوچ می کنید همگی یک بار کوچ کنید.

و هر گاه شب فرا رسد و فرود آمدید نیزه ها و سپرها را در گرداگرد لشکر دیوار لشکر کنید، و کار نیزه ها و سپرها را به تیراندازان واگذارید. و اگر روز هم در جایی فرود آمدید همین کار کنید تا مبادا که در غفلت باشید و ناگهان دشمن بر شما بتازد چه هیچ لشکری خواه در شب جایی فرود آیند و خواه در روز گرداگرد خود را به نیزه ها و سپرها نگرفتند مگر این که گویی در دیواری قرار گرفتند.

و باید خودتان لشکر را بپایید، و بپرهیزید از خواب تا بیداری شب بروز آورید مگر این که خواب اندکی مضمضه کنید. و باید بدینسان که گفته ام خوی کنید و پایدار باشید تا با دشمن روبروی شوید. و باید هر روز از شما خبر داشته باشم. و من بخواست خدا بسرعت از پی شما خواهم آمد و باید در جنگ تأنّی کنید و از شتاب دوری جویید مگر این که گاهی فرصت شما را بشتاب در جنگ پس از آنکه حجّت را بر خصم به پند و اندرز تمام کرده باشید دست دهد. و مبادا تا من نیامدم اقدام بجنگ کنید. مگر این که دشمن افتتاح و ابتدای به جنگ کند، یا این که دستور من بخواست خدا برسد. و السلام.

ص:۷۸

و من وصيه له عليه السّلام لمعقل بن قيس الرياحى حين أنفذه

اشاره

الى الشام فى ثلاثه آلاف مقدمه له

و كلامه هذا هو المختار الثانى عشر من باب كتبه و رسائله و عهوده و وصاياه عليه السّلام إتّق اللّه الّذى لا بدّ لك من لقائه، لا منتهى لك دونه. و لا تقاتلنّ إلاّ من قاتلك. و سر البردين. و غوّر بالنّاس. و رفّه فى السّير. و لا تسر أوّل اللّيل فإنّ اللّه جعله سكنا، و قدّره مقاما لا ظعنا، فأرح فيه بدنك، و روّح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السّحر، أو حين ينفجر الفجر فسر على بركه اللّه. فإذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطا، و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى يأتيك أمرى. و لا يحملنّكم شنانهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم.

ذكر سندها و الكلام فى تلفيقها

رواها نصر بن مزاحم المنقرىّ التميمىّ الكوفىّ الملقب بالعطّار من معاصرى محمّد بن علىّ بن الحسين عليهم السّلام باقر علوم الأوّلين و الاخرين فى كتاب صفين (ص ۷۸

ص:۷۹

من الطبع الناصری) عن عمر بن سعد، عن أبی مخنف، عن نمیر بن وعله، عن أبی الودّاک أنّ علیّا بعث من المداین معقل بن قیس فی ثلاثه آلاف و قال له:

خذ علی الموصل ثمّ نصیبین ثمّ القنی بالرقّه فإنّی موافیها و سکّن النّاس و آمنهم، و لا تقاتل إلاّ من قاتلک، و سر البردین، و غوّر بالناس، و أقم اللّیل، و رفّه فی السیر، و لا تسر أوّل اللّیل، فانّ اللّه جعله سکنا، أرح فیه بدنک و جندک و ظهرک فإذا کان السحر و حین ینبطح الفجر فسر.

فخرج - یعنی معقل بن قیس - حتّی أتی الحدیثه - و هی إذ ذاک منزل الناس إنّما بنی مدینه الموصل بعد ذلک محمّد بن مروان - فإذا هم بکبشین ینتطحان و مع معقل بن قیس رجل من خثعم یقال له شداد بن أبی ربیعه قتل بعد ذلک مع الحروریّه فأخذ یقول: إیه إیه فقال معقل: ما تقول؟ قال: فجاء رجلان نحو الکبشین فأخذ کلّ واحد منهما کبشا ثمّ انصرفا، فقال الخثعمیّ لمعقل: لا تغلبون و لا تغلبون.

قال له: من أین علمت ذلک؟ قال: أما أبصرت الکبشین أحدهما مشرق و الاخر مغرب التقیا فاقتتلا و انتطحا فلم یزل کلّ واحد منهما من صاحبه منتصفا حتّی أتی کلّ واحد منهما صاحبه فانطلق به، فقال له معقل: أو یکون خیرا ممّا تقول یا أخا خثعم؟ ثمّ مضوا حتّی أتوا علیّا بالرقه. انتهی کلام نصر.

أقول: وصیّته علیه السّلام لمعقل علی نسخه نصر لا تتجاوز عن قوله حین ینبطح الفجر فسر کما نقلناها عنه و ذیلها کان من وصیّته علیه السّلام لمالک الأشتر و قد رواها نصر فی صفین أیضا (ص ۸۱) و سیأتی تمام وصیّته لمالک فی شرح المختار الثالث عشر من هذا الباب أعنی المختار التالی لهذه الوصیّه و قدّمنا صوره وصیّته علیه السّلام لمالک المتضمّنه لما فی ذیل هذه الوصیّه لمعقل عن أبی جعفر الطبری فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب أیضا فراجع إلی ص ۲۲۱ من ج ۱ من تکمله المنهاج.

فبما روینا عن الطبریّ و ما یأتی عن نصر فی صفین المتحدین فی صوره تلک الوصیّه لمالک المتضمنّه لذیل هذه الوصیّه، علم أنّ هذه الوصیّه لمعقل ملفّقه

من وصيّتين صدرها من وصيّته عليه السّلام لمعقل و ذيلها لمالك. و الشريف الرضى قدّس سرّه مال إلى أنّها وصيّه واحده قالها لمعقل و قد علمت ما فيه. على أنّ إسقاط بعض عباراته عليه السّلام و تلفيق بعض آخر إلى خطبه أو كتاب غير عزيز فى النهج و قد دريت أنّه من عاده الرضىّ رحمه اللّه لأنّ ما كان يهمّه التقاط الفصيح من كلامه عليه السّلام اللهمّ إلاّ أن يقال انّه ظفر بروايه اخرى لا توافق ما فى تاريخ أبى جعفر الطبرىّ و ما فى صفين لنصر و عدّ فيها جميع هذه الوصيّه وصيّه واحده لمعقل و لم نظفر بها.

و الّذى يسهّل الخطب أن يقال إنّ الأمير عليه السّلام كتب مضمونا واحدا و دستورا فاردا إلى أكثر من واحد من امراء جيشه فإنّ ما يجب أن يراعيها هذا من قوانين الحرب يجب أن يراعيها ذاك أيضا غايه الأمر أنّ نصرا لم ينقل وصيّته عليه السّلام لمعقل كامله و ذلك لأنّ ظاهر كلام الشريف الرّضى رحمه اللّه يأبى عن أن يقال إنّ هذه الوصيّه ملفّقه من وصيّتين و هو رحمه اللّه أجلّ شأنا من أن يسند وصيّته عليه السّلام لمالك إلى أنّه وصيّته لمعقل، و المواضع الّتى اسقط بعض كلامه عليه السّلام و لفّق بعضه الاخر يغاير المقام فتأمّل.

اللغه

«دونه» قد مضى ذكر معانى دون فى شرح المختار السادس من كتبه عليه السّلام و رسائله، و ههنا بمعنى سوى أى ليس لك سواه منتهى.

«سر» أمر من السير كما أنّ قوله لا تسر نهى عنه و مشتقّ منه.

«البردان»: الغداه و العشىّ، قال الجوهرىّ فى الصحاح: البردان:

العصران، و كذلك الأبردان و هما الغداه و العشىّ، و يقال: ظلاّهما و قال - يعنى الشاعر -:

إذا الأرطى توسّد أبرديه خدود جوازئ بالرّمل عين

أقول: البيت للشمّاخ بن ضرار نقله الجاحظ فى البيان و التبيين أيضا (ص ٢٥١ ج ٢) و الجوازى بقر الوحش، و العين جمع العيناء، و العصران ثنّى على التغليب أى الصبح و العصر كقولك صلاه الظهرين و فسّرهما ثانيا بقوله: و هما الغداه و العشىّ.

قال ابن الأثير فی النهایه: فیه – یعنی فی الحدیث -: من صلّی البردین دخل الجنّه، البردان و الأبردان: الغداه و العشیّ و قیل: ظلّاهما، و منه حدیث ابن الزبیر: کان یسیر بنا الأبردین؛ و حدیثه الاخر مع فضاله بن أبی شریک: و سربها البردین.

أقول: و سیأتی روایه هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

سیروا البردین.

«غوّر» أمر من التغویر مأخوذ من الغائره أی الظهیره، و فی الصحاح:

التغویر: القیلوله، یقال: غوّروا أی انزلوا للقائله. قال أبو عبید: یقال للقائله:

الغائره. و فی النهایه الأثیریّه: و فی حدیث السائب لما ورد علی عمر بفتح نهاوند قال: ویحک ما وراءک؟ فواللّه ما بتّ هذه اللّیله إلّا تغویرا؛ یرید بقدر النومه القلیله الّتی تکون عند القائله. یقال غوّر القوم إذا قالوا.

«رفّه» أمر من الترفیه أی الإراحه و التخفیف و التّنفیس و التوسیع، أو من رفّه الراعی الإبل إذا أوردها متی شاء، و فی الصحاح: رفهت الإبل بالفتح ترفه رفها و رفوها إذا وردت الماء کلّ یوم متی شاءت و الاسم الرّفه بالکسر.

و أرفتها أنا. و رفّه ترفیها و رفاهیه علی فعالیه و رفهنیه و هو ملحق بالخماسی بالألف فی آخره و إنّما صارت یاء لکسره ما قبلها، و یقال بینی و بینک لیله رافهه و ثلاث لیال روافه إذا کان یسار فیهنّ سیرا لیّنا، و رفّه عن غریمک أی نفّس عنه، و الأوّل أوسع و أعم و باسلوب الکلام و سیاقه أدلّ و ألصق، و سیأتی تقریر کلّ واحد منهما فی المعنی.

«سکنا» السکن بالتحریک: ما سکنت إلیه.

«ظعنا» الظعن: الارتحال، یقال: ظعن ظعنا و ظعنا من باب منع أی سار و رحل. و فی القرآن الکریم: «وَ اللّهُ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ بُیُوتِکُمْ سَکَناً وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُیُوتاً تَسْتَخِفُّونَها یَوْمَ ظَعْنِکُمْ وَ یَوْمَ إِقامَتِکُمْ » (النحل – ٢٨).

«أرح» علی وزن أقم أمر من الأراحه. «روّح» أمر من الترویح. و الظهر

هنا بمعنى الركاب، لا بمعنى خلاف البطن. قال الجوهرىّ فى الصحاح: الظّهر:

الركاب. و بنو فلان مظهرون إذا كان لهم ظهر ينقلون عليه كما يقال منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب. انتهى كلامه.

و الركاب: الإبل الّتى يسار عليها؛ الواحده راحله و لا واحد لها من لفظها و الجمع الركب مثال الكتب. فيكون معنى الترويح من قولهم روّح فلان إبله ترويحا إذا ردّها إلى المراح. قال الجوهرىّ: أراح إبله أى ردّها إلى المراح و كذلك الترويح. و لا يكون ذلك إلّا بعد الزوال انتهى.

«ينبطح»يقال: انبطح الرجل إذا اسبطرّ على وجهه ممتدا على وجه الأرض و ههنا كنايه عن الانبساط و الإتّساع فينبطح أى ينبسط و يتّسع و منه البطحاء و الأبطح أى مسيل واسع فيه دقاق الحصى. و تبطّح السّيل أى اتّسع فى البطحاء.

«ينشب الحرب» ينشب مضارع من باب الإفعال. فى الصّحاح: نشب الشىء فى الشىء بالكسر - من باب علم - نشوبا أى علق. و أنشبته أنا فيه أى أعلقته فانتشب و أنشب الصائد: أعلق، و يقال: نشبت الحرب بينهم.

«يهاب» أجوف يائىّ تقول: هابه يهابه هيبا و هيبه و مهابه إذا خافه و حذره فهو هائب و هيوب، و رجل مهيب أى يها به الناس «البأس»: الحرب. «الشنان»:

البغض و العداوه.

الاعراب

فى بعض النسخ «بالسير» الباء بمعنى فى. و مذكور فى نسختنا العتيقه فى السير مكان بالسير «فانّ اللّه» الفاء للتعليل. و الّتى بعدها فصيحه للتفريع و النتيجه.

«فسر» الفاء جواب إذا كالّتى بعدها. «دنوّ» مفعول مطلق لقوله لا تدن. و كذلك تباعد لقوله و لا تباعد، و فى نسخه الطبرى كما اشرنا إليها آنفا مذكور: بعد من يهاب، و هو بضمّ الباء مفعول مطلق أيضا إلّا انه ليس من باب عامله أعنى لا تباعد على وزان قوله تعالى: «وَ اللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً ». «حتّى يأتيك أمرى» غايه

ص:٨٣

لكلا النهيين المقدّمين و متعلق بكلا الفعلين أعنى لا تدن، و لا تباعد «قبل» ظرف لقوله: و لا يحملنّكم.

المعنى

اشاره

قد أتى عليه السّـلام فى هذه الوصـيّه بامور يدلّ بعضها على كمال رأفته بالنّاس، و الاخر على نهايه بصارته فى البأس. و قد جمع عليه السّلام فيها بين الأضداد و ألّف بين الأشتات.

و إذا ضـمّت هـذه الوصيّه إلى الّتى قبلها و اللاتى بعـدها تزيد المجاهد بصـيره فى فنون الحرب، و مع ذلك تذكّره بتقوى اللّه و تحـذّره عن اتّبـاع الهوى و تنشـطه و تشـجعه فى الجهاد فى سبيل اللّه تعالى. و لو تأمّل فيها متأمّل و فكر فيها متفكّر علم أنّ عليها مسـحه من العلم الإلهى و فيها عبقه من الكلام النبوىّ. و أنّ قائلها كان على بيّنه من ربّه و بصيره فى الدّين و لم يكن فى قلبه زيغ عن سواء الطريق. و مـا كـان همّه إلاّـ إطفـاء نـار الفتنه و انقـاذ النـاس ممّا فيه الهلكه و إنفاذهم إلى ما فيه سـعاده جمّه. فانظر فى فقرات هذه الوصـيّه، افتتحها بتقوى اللّه و اختتمها بالكفّ عن القتال قبل الإعذار و الدّعاء، و وسّط فيها قوله: فسـر على بركه اللّه، و صـدّر فيهـا بالأـوامر، و أردفهـا بـالنواهى و لعمرى إنّ محاسـنها فوق أن يحوم حولهـا العباره و إنّما هى تـدرك و لا توصف و ستقف على بعضها فى أثناء الشرح فلنتعرّض لشرح فقراتها و جملها على قدر الوسع و الاستطاعه.

قوله عليه السّـلام:«اتق اللّه - إلى قوله: دونه» أمره بتقوى اللّه أوّلا لأنّها خير زاد و كان عليه السّلام كثيرا ما يوصى أصحابه بتقوى اللّه ففى الكافى بإسناده عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يوصى أصحابه و يقول:

أوصـيكم بتقوى اللّه فانهـا غبطه الطالب الراجى و ثقه الهارب اللاجى و استشـعروا التقوى شـعارا باطنا و اذكروا اللّه ذكرا خالصـا تحبوا به أفضل الحياه و تسلكوا به طريق النجاه - إلخ (ص ۶۲ ج ۱۴ من الوافى).

و فى الفقيه عن سـليم بن قيس الهلالى قال: شـهدت وصـيّه أمير المؤمنين عليه السّـلام حين أوصـى إلى ابنه الحسن - يعنى حين ضربه ابن ملجم - و أشهد على وصيّته الحسين

و محمّدا و جمیع ولده و رؤساء شیعته - إلی أن قال: قال علیه السّلام: ثمّ إنّی اوصیک یا حسن و جمیع ولدی و أهل بیتی و من بلغه کتابی من المؤمنین بتقوی اللّه ربّکم (ص ۷۹ ج ۲ من الوافی).

ثمّ وصف اللّه تعالی بما فیه تخویف و تشجیع و ذلک أنّه علیه السّلام لما أنفذ معقل بن قیس فی ثلاثه آلاف مقدّمه له إلی الشّام توجّه إلی معقل أمران: الأوّل إماره ثلاثه آلاف رجل، الثانی الجهاد فی سبیل اللّه. و الإماره سلطان قد توجب البغی و الطغیان إلاّ من عصمه اللّه عن اتّباع الشیطان؛ و الجهاد بذل النفس دونه تعالی و الجود بالنفس أقصی غایه الجود. فعلی الأوّل خوّفه بقوله: اللّه الّذی لا بدّ لک من لقائه و لا منتهی لک دونه؛ أی خف اللّه تعالی و اتّقه فانّک لو عصیته و ظلمت من دونک من الجیش و عدلت عن العدل فیهم فاعلم أنّما لا بدّ لک من لقاء اللّه تعالی و لیس منتهی لک غیره فاذا یجازیک و یعاقبک بما أسلفت من سوء أعمالک فکن علی حذر من طوع الهوی.

و علی الثانی شجّعه بذلک القول أیضا علی الجهاد أی لا تخف من الجهاد فإنّک لو تجود بنفسک فقتلت فی سبیل اللّه فاعلم أنّما تلقی اللّه تعالی و لیس لک سواه منتهی فإذا کان منتهی أمرک إلیه و لا بدّ لک من لقائه فهو تعالی یجزیک بما قدمت. قال عزّ من قائل: «وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْیاءٌ وَ لکِنْ لا تَشْعُرُونَ » (البقره - ۱۵۱) و قال تعالی: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ »... «یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِینَ » (آل عمران - ۱۶۷).

و قال تعالی: «فَلْیُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاهَ الدُّنْیا بِالْآخِرَهِ وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً » (النساء ۷۷).

قوله علیه السّلام:«و لا تقاتلنّ إلاّ من قاتلک» فی الکافی و فی حدیث عبد اللّه بن جندب عن أبیه أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام کان یأمر فی کلّ موطن لقینا فیه عدوّنا فیقول: لا تقاتلوا القوم حتّی یبدءوکم فإنّکم بحمد اللّه علی حجّه و ترککم

إيّاهم حتّى يبدءوكم حجّه لكم اخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا لهم مدبرا و لا تجيزوا على جريح و لا تكشفوا عوره و لا تمثّلوا بقتيل. انتهى.

و أقول: سيأتى تمام الكلام فى سيرته عليه السّلام فى الحروب فى شرح المختار الرابع عشر من هذا الباب.

ثمّ اعلم أنّ أولياء اللّه شأنهم أجلّ و قدرهم أعظم من أن يقاتلوا النّاس لغير رضا اللّه تعالى فإنّهم مأمورون أوّلا لإحياء النفوس و إناره العقول و الهدايه إلى جناب الربّ جلّ و علا إلاّ أنّ طائفه من النّاس لمّا استحوذ عليهم الشيطان طغوا و نهضوا إلى هدم بناء الدين، أو صاروا جراثيم مؤذيه راسخه فى اصول شجره الفضيله الّتى غرسها النبىّ بإذن اللّه تعالى فكان واجبا على النبىّ أو الولىّ أن يجتاحوا اصول الجراثيم لئلاّ تطرق المفاسد و الفواحش فى الاجتماع الإنسانىّ و لذا ترى أنّ الافتتاح فى كلّ غزوه إنّما كان من معاندى الأنبياء و الأولياء. و أمّا الأنبياء و الأولياء فكانوا يأمرون جيوشهم قبل الغزوات بدعاء الكفّار إلى ما فيه حياتهم الدائمه و سعادتهم الباقيه، و الاعذار إليهم، و إتمام الحجّه عليهم، و بأن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم لأنّ قتال غير المقاتل ظلم و هم مبرّؤون عنه.

و بما ذكرنا يعلم فضيله المجاهد فى سبيل اللّه و درجه سيف به ينتظم امور الناس و يؤمن الخائفون و يعبد اللّه المؤمنون، و سرّ بعض الايات القائله بأنّه لو لم يكن السيف لفسدت الأرض كقوله تعالى: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ » و قوله تعالى: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً » و كذا سرّ بعض الأخبار الّذى ينادى بأعلى صوته أنّ الناس لمّا أبوا أن يقبلوا أمر اللّه رسوله بالقتال: ففى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: خيول الغزاه فى الدّنيا خيولهم فى الجنّه و أن أرديه الغزاه لسيوفهم. و قال النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: أخبرنى جبرئيل بأمر قرّت به عينى و فرح به قلبى قال: يا محمّد من غزا من امتك فى سبيل اللّه فأصابه قطره من السماء أو صداع كتب اللّه له شهاده.

ص:۸۶

و فیه: عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: الخیر کلّه فی السیف و تحت ظلّ السیف، و لا یقیم الناس إلّا السیف، و السیوف مقالید الجنّه و النّار.

أقول: یعنی أنّ السیف الّذی یشهره المسلم مجاهدا فی سبیل اللّه فهو مقلاد الجنّه أی مفتاحها له، و أنّ الّذی یشهره الکافر مفتاح النّار له.

و فیه عن معمّر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: الخیر کلّه فی السیف و تحت السیف و فی ظلّ السیف.

و فیه عن عمر بن أبان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اللّه تعالی بعث رسوله بالإسلام إلی النّاس عشر سنین فأبوا أن یقبلوا حتّی أمره بالقتال فالخیر فی السیف و تحت السیف و الأمر یعود کما بدا.

أقول: و قوله علیه السّلام: و الأمر یعود کما بدا إشاره إلی دوله القائم علیه السّلام و الروایات فی ذلک کثیره جدّا تشیر إلی سرّ فارد و حقیقه واحده.

قوله علیه السّلام:«و سر البردین» أمره أن یسیر فی الغداه و العشیّ لأنّ السیر فی طرفی النّهار یکون أهون، و طیّ الطریق فیهما یکون أکثر، و التعب یکون أقلّ لبرد الهواء و طیبها فی هاتین الساعتین. و فی الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

سیروا البردین، قلت: إنّا نتخوّف الهوام، قال: إن أصابکم شیء فهو خیر لکم ثمّ إنّکم مضمونون.

قوله علیه السّلام:«و غوّر بالناس» أی أنزل بهم للقائله أی منتصف النهار و ذلک لأنّ السیر فی الغائره یستلزم شدّه الحرّ الموجبه للتعب و الکلال. و القائله هی وقت القیلوله و الاستراحه. قال تعالی: «وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ الظَّهِیرَهِ » (النور - ۵۸).

قوله علیه السّلام:«و رفّه بالسّیر» سیاق الکلام یدّل علی أنّه علیه السّلام أمره أن یرفّه جیشه فی السیر أی یوسّعهم فیه و یرفق بسیرهم و لا یوجفهم لکی لا یتعب الرکاب و الرکبان، و لا یتأخّر بعض الجیش عن بعض فلو لا التأنّی و الرّفق فی السیر

لانجرّ الأمر إلى التفرقه و الكلال و غيرهما من المضارّ فى الجند و الدواب فكأنّه عليه السّلام قال له: هوّن بالسير و لا تتعب نفسک و لا دابّتک بالوجيف.

و إن أخذناه من قولهم: رفّه الرّاعى الإبل متى شاء فمتعلّق رفّه يكون خاصّا أى رفّه الركاب بالسير. فيكون توصيه له فى أن يراعى حالها فى السير و لا يمنعها من الماء و الكلاء و يوسّع فى الانفاق عليها، و من وصيّه لقمان لابنه:

و إذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتک و ابدأ بعلفها فإنّها نفسک - إلخ.

رواها الكلينىّ فى الكافى و الصدوق فى الفقيه و أتى بها الفيض فى الوافى (ص ۶۶ ج ۸).

و فى الباب التاسع من أبواب أحكام الدواب من حجّ الوسائل عن السكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: للدّابّه على صاحبها ستّه حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، و لا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها، و يبدأ بعلفها إذا نزل، و لا يسمها، و لا يضربها فى وجهها فانها تسبّح، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به.

قوله عليه السّلام:«و لا تسر أوّل اللّيل - إلى قوله: ظعنا» نهى عن السير فى أوّل اللّيل نهى كراهه لا نهى تحريم و كلامه هذا ممّا يستدلّ به فى الفقه على كراهه السير أوّل اللّيل كما استدلّ به العاملى رحمه اللّه عليها فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل. ثمّ علّل النهى بقوله: فإنّ اللّه جعله سكنا أى موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم. و هذا إشاره إلى قوله تعالى: «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً » (الأنعام - ۹۷). ثمّ أكّده بقوله:و قدّره مقاما لا ظعنا.أطلق لفظ الظعن على اللّيل مجازا لأنّ اللّيل ليس بزمان الظعن لا أنّه ليس بظعن إطلاق اسم المظروف الّذى هو الظعن على الظرف الّذى هو الليل، بخلاف اطلاق المقام عليه لأنّ المقام بضمّ الميم اسم زمان من الإقامه فأطلق عليه حقيقه.

على أنّ أوّل اللّيل يكون حين تنشر الشياطين كما وردت به روايات عن أئمّتنا المعصومين عليهم السّلام: ففى الكافى بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ إبليس عليه لعائن اللّه إنّما يبثّ جنوده من حين تغيب الشمس و حين تطلع فأكثروا

ذکر اللّه تعالی فی هاتین الساعتین و تعوّذوا باللّه من شرّ إبلیس و جنوده و عوّذوا صغارکم هاتین الساعتین فانّهما ساعتا غفله.

و فی الفقیه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ إبلیس إنّما یبثّ جنود اللّیل من حین تغیب الشمس إلی مغیب الشفق و یبثّ جنود النهار من حین یطلع الفجر إلی مطلع الشمس. و ذکر أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و اله کان یقول: أکثروا ذکر اللّه تعالی فی هاتین الساعتین - إلی آخر الحدیث المروی عن الکافی و رواهما الفیض فی الوافی (ص ۲۳۲ ج ۵).

إن قلت: هل یدلّ الخبران علی کراهه السیر أوّل اللّیل؟ قلت: لا کلام فی کراهه السیر أوّل اللّیل و قد دلّت علیها أخبار اخر أیضا کما دلّت علی استحباب اختیار آخر اللّیل للسّیر ففی الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن السکونیّ، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: علیکم بالسفر باللّیل فإنّ الأرض تطوی باللّیل. و فیه عن حمّاد بن عیسی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال لقمان لابنه: یا بنیّ إیّاک و السیر فی أوّل اللّیل و سر فی آخره. و علی روایه الکلینیّ:

إیّاک و السیر فی أوّل اللّیل و علیک بالتعریس و الدّلجه و قد أتی بهما الطباطبائی قدّس سرّه فی أوّل الحجّ من العروه الوثقی و أفتی بهما کذلک، و سیأتی نقل روایات اخری دالّه علی کراهه السیر أوّل اللّیل و استحبابه فی آخره و فی البردین عن قریب.

و أمّا دلاله الخبرین علی ذلک فغیر معلومه لأنّهما یأمران بإکثار ذکر اللّه تعالی فی هاتین الساعتین و التعوّذ باللّه فیهما من شرّ إبلیس و جنوده فلا بأس أن یسیر السائر فیهما ذاکرا متعوّذا، اللّهمّ إلاّ أن یقال: إنّ دلاله تلک الأخبار علی تحذیر السیر فی أوّل اللّیل و کراهته فیه و علی أنّه ساعه غفله انّما تکون من حیث إنّه وقت تنشر الشیاطین فإذا کانت هذه الساعه فی الحضر ساعه غفله ففی السفر أولی لأنّ اضطراب البال فی السفر أکثر و إنّما کانت الساعه ساعه غفله لأنّها وقت اختتام الأعمال فالناس یعرضون ساعتئذ عما کانوا فیها من الأشغال و ینسلون فی

الإقبال إلى بيوتهم من كلّ جانب فيشتغلون بالاكتنان فترى الناس فيها أشتاتا فطائفه أسرعت إلى تغليق الدّكاكين، و اخرى إلى التأهّب للّيل، و اخرى كذا و كذا؛ و بعكسها فى الساعه الاخرى أعنى حين تطلع الشمس فالناس فى هاتين الساعتين فى امور دنياهم متوغّلون، و إلى كلّ جانب ينسلون فسمّيتا لما ذكرنا ساعتى غفله.

قوله عليه السّلام:«فأرح فيه بدنك» أى إذا كان اللّه تعالى قدّر اللّيل سكنا و مقاما فأرح فيه بدنك و ليرح الجيش أبدانهم.

قوله عليه السّلام:«و روّح ظهرك» بين الظهر و البدن إيهام التناسب نحو بيت السقط:

و حرف كنون تحت راء و لم يكن بدال يؤمّ الرسم غيّره النقط

ففى الجمع بين الحرف و الراء و الدّال و النقط إيهام أنّ المراد منها معانيها، و ليس كذلك؛ إلاّ أنّ النون فى البيت كان على معناه المتبادر من حروف المعجم و المراد من الحرف الناقه المهزوله، وراء اسم فاعل من رأيته، و دال اسم فاعل من دلأ الركائب إذا رفق بسوقها. و النقط ما تقاطر على الرسوم من المطر، شبّه الناقه فى الدّقه و الانحناء بنون و مدح حبيبته بأنّها تجلّ عن أن تركب من النوق ما هى فى الضمر و الانحناء كالنون يركبها الأعرابى لزياره الأطلال فيضرب ريتها إذ لا حراك بها من شدّه الهزال بل مراكب الحبيبه سمان ذوات أسنمه.

و كذلك فى المقام أنّ الجمع بين البدن و الظهر يوهم أنّ المراد من الظهر هو خلاف البطن و ليس كذلك بل المراد منه الركاب أى روّح ركابك فى اللّيل بمعنى ردّها إلى المراح. فأراد عليه السّلام بلفظ الظهر معناه البعيد كقول القاضى أبى الفضل بن عياض يصف ربيعا باردا:

أو الغزاله من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدى و الحمل

يعنى كأنّ الشمس من كبرها و طول مدتها صارت خرفه قليله العقل فنزلت فى برج الجدى فى أوان الحلول ببرج الحمل، إذ الجدى من البروج الشتويه، و الحمل

من الربيعيّه، و المراد من الغزاله معناها البعيد أى الشمس، و معناها القريب: الرّشأ و كذلك الكلام فى قوله عليه السّلام: ظهرك؛ إلاّ أنّ القاضى قد قرن بها ما يلايم المعنى القريب الّذى ليس بمراد كالجدى و الحمل؛ و هو عليه السّلام أتى بما يلايم كلا معنيى القريب و البعيد أعنى روّح و إن كان المراد ما يلايم البعيد كما دريت فى اللّغه، و ما يلايم القريب إنّما كان من قولهم روّح فلان الرجل إذا أراحه و لكنه ليس بمراد.

قوله عليه السّلام: فإذا وقفت – إلى قوله: بركه اللّه» يمكن أن يفسّر هذه الفقره على ثلاثه أوجه:

الأوّل أنّ الأمير عليه السّلام أمر معقل بن قيس بأن يكون وقت انبساط السحر أو انفجار الفجر يقظا و ذلك أنّه لما تولّى من قبله عليه السّلام اماره الجيش و صار قائدهم فلا بدّ له من أن يكون قبل ظعن القوم يقظان ليهيّأ أصحابه للسير و يستعدّهم للارتحال و يكون ناظر أعمالهم و قائما عليهم يراقبهم حتّى لا يفوته بعض ما يصلح لهم.

الثانى أن تكون صله وقف كلمه إلى المحذوفه فمعناه إذا وقفت اللّيل إلى حين ينبطح السحر فسر على بركه اللّه؛ فكأنّه عليه السّلام أمره بأن يريح بدنه و يروّح ظهره فى اللّيل و نهاه عن السير فيه إلى أن ينبطح السحر.

الثالث أن تكون صله الفعل كلمه على أى إذا وقفت على حين ينبطح السحر بمعنى إذا اطلعت على انبطاحه فسر على بركه اللّه لأنّ وقف مع على يفيد معنى الاطلاع يقال: وقفه على ذنبه إذا اطلعه عليه؛ فكأنّه عليه السّلام أمره أن لا ينام هو و لا عسكره على حدّ يفوتهم السحر نظير قوله عليه السّلام فى الوصيه السابقه: و لا تذوقوا النّوم إلاّ غرارا أو مضمضه، فكأنّ الوجه الأوّل أنسب بسياق الكلام من الأخيرين.

ثمّ اعلم أنّ السحر يكون قبيل الصبح و هو على قسمين: السحر الأعلى و هو ما قبل انصداع الفجر، و السحر الاخر و هو عند انصداعه و الظاهر من قوله عليه السّلام: ينبطح السحر أنّ المراد منه السحر الثانى فيئول معنى كلامه إلى أنّه عليه السّلام أمر ابن قيس بأن يسير إمّا فى السحر الثّانى أو حين انشقّ الفجر أى

الفجر الصادق، فعلى هذا كأنّما السحر خارج عن اللّيل حقيقه لأنّ اللّيل يتمّ حين انصداع الفجر و أمّا على نسخه نصر فى صفين أعنى: فإذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر؛ فالسحر خارج عن اللّيل حكما لأنّ الظاهر من قوله عليه السّلام: و لا تسر أوّل اللّيل فإنّ اللّه جعله ساكنا أنّ الدّليل أعنى قوله: فإنّ اللّه جعله ساكنا راجع إلى قوله أوّل اللّيل فالكراهه تختصّ بأوّل اللّيل فيستثنى آخر اللّيل عن حكم الكراهه فكلامه عليه السّلام هذا كغيره من روايات أخر مخصّص لقوله تعالى: «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً » الايه المتقدّمه، و الأخبار يأمر بعضها بالسير فى اللّيل مطلقاً و ينهى الاخر عن السير فيه كذلك فقد تقرّر فى اصول الفقه صحّه تخصيص الكتاب بالسنّه، و السنّه بالسنّه أيضا، فعليك بطائفه من أخبار وردت فى المقام رواها العاملى قدّس سرّه فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل.

بإسناده عن جميل بن درّاج و حمّاد بن عثمان جميعا، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

الأرض تطوى فى (عن - خ ل) آخر اللّيل.

و عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: سيروا البردين، قلت: إنّا نتخوّف الهوام، قال: إن أصابكم شىء فهو خير لكم ثمّ إنّكم مضمونون.

و عن السكونىّ، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: عليكم بالسفر باللّيل فإنّ الأرض تطوى باللّيل.

و عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: يقول النّاس: تطوى لنا الأرض باللّيل كيف تطوى؟ قال: هكذا ثمّ عطف ثوبه.

و عن يعقوب بن سالم رفعه إلى علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: إذا نزلتم فسطاطا أو خبأ فلا تخرجوا فإنّكم على غره.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: اتّقوا الخروج بعد نومه فان للّه دوارا بينها يفعلون ما يؤمرون.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: بعثنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على اليمن فقال لى و هو يوصينى ما حار من استخار و لا ندم من استشار، يا علىّ عليك بالدلجه فإنّ الأرض تطوى باللّيل ما لا تطوى بالنهار، يا علىّ اغد على اسم اللّه فإنّ اللّه تعالى بارك لامّتى فى بكورها.

و عن حمّاد بن عيسى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال لقمان لابنه: يا بنىّ إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرك – إلى أن قال: و إيّاك و السير فى أوّل اللّيل و سر فى آخره. قال: و رواه الكلينىّ – إلّا أنّه قال: و إيّاك و السير فى أوّل اللّيل و عليك بالتعريس و الدلجه من لدن نصف اللّيل إلى آخره.

أقول: قد ذكر طائفه من وصيّه لقمان لابنه و منها هذه النبذه الّتى رواها حماد عن الصادق عليه السّلام ابن قتيبه الدّينورى فى كتاب الحرب من عيون الاخبار ص ۱۳۵ ج ۱ طبع مصر ۱۳۸۳ ه.

بيان: قال الجوهرىّ فى الصحاح: أدلج القوم إذا ساروا من أوّل اللّيل؛ و الاسم الدّلج بالتحريك و الدّلجه و الدّلجه أيضا مثل برهه من الدهر و برهه فإن ساروا من آخر اللّيل فقدادّ لجوا بالتشديد (يعنى بتشديد الدال) و الاسم الدّلجه و الدّلجه.

انتهى كلامه. و التعريس: نزول المسافر آخر اللّيل للنوم و الاستراحه من قولهم عرّس القوم إذا نزلوا فى السفر فى آخر اللّيل للاستراحه كما فى مجمع البحرين و أقرب الموارد، و ربّما استعمل الإدلاج بالتخفيف لسير آخر اللّيل كقول الشاعر:

اصبر على السير و الإدلاج فى السحر. كما أنّ الإدّلاج بالتشديد قد يستعمل لسير اللّيل كلّه.

و أقول: فبما قدّمنا دريت وجه الجمع بين تلك الأخبار. ثمّ إنّ مقتضى الجمع أن تكون الدّلجه اسما من ادّلج القوم بتشديد الدال لأنّ قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله لعلىّ: يا علىّ عليك بالدّلجه فإنّ الأرض تطوى باللّيل، ما لا تطوى بالنهار و إن كان لم يفرّق بين أوّل اللّيل و آخره إلّا أنّ روايه الصادق عليه السّلام حكايه عن لقمان

و إيّاك و السير فى أوّل اللّيل و عليك بالتعريس و الـدّلجه من لـدن نصف اللّيل إلى آخره تبيّن بأنّ. المراد من الـدلجه فى قول الرسول عليه السّلام هو اسم من الادّلاج المشدّد أى السير فى آخر اللّيل.

و بما حقّقنا دريت أنّ ما ذهب إليه الطريحى فى مادّه دلـج من المجمع حيث قال: «فى الحـديث عليكم بالـدّلجه و هو سـير اللّيل يقال أدلج بالتخفيف إذا سار من أوّل اللّيل و بالتشديد إذا سار من آخره و الاسم منهما الدّلجه بالضمّ و الفتح، و منهم من يجعل الإدلاج للّيل كلّه و كأنّه المراد هنا لما فى آخر الحديث فإنّ الأرض تطوى و لم يفرّق بين أوّل اللّيل و آخره» ليس بصواب.

الكلام فى حدوث الفجر و تعاكس الصبح و الشفق و البحث

اشاره

عن مسائل شتى متنوعه

و اعلم أنّ الشـمس أعظم جرمـا من الأرض بكثير و هى على الحسـاب الّذى أورده غيـاث الـدّين جمشـيد الكاشـى فى رسـالته المفيده الأنيقه المترجمه بسلّم السماء ثلاثمائه و ستّ و عشرون مثلا للأرض.

و قـد بيّن اسـطرخس فى الشـكل الثّانى من كتـابه فى جرمى النّيرين أنّ الكره إذا أقبلت الضـوء من كره اخرى أعظم منهـا كـان المستضىّ منهـا أعظم من نصـفها فلمّا كانت الشـمس و الأرض كرّيتين و الشـمس أعظم منها بكثير فالأرض تستضـىء أكثر من نصـفها من الشـمس دائما. و تحدث بين المستضـىء و المظلم من الأرض دائره صـغيره إذا الجزء المضـىء من الأرض أعظم من النصف كما علمت فهى لا تنصّف كره الأرض و قد بيّن فى محلّه أنّ الدائره العظيمه هى الّتى تنصّف الكره الّتى فرضت عليها.

ثمّ اعلم أنّ مـا يقبـل الضوء يجب أن يكون كثيفا مانعا من نفوذ الضوء فيه فلو لم يكن مانعا كالهواء و الزجاج المشـفّين لم يقبلا الضوء فالأرض لكثافتها المانعه من نفوذ الضوء قابله له و كذا كره البخار المحيطه بها و أمّا ما فوق كره البخار

من الهواء لا يستضىء بضياء الشمس أصلا لكونها مشفّه فى الغايه و ينفذ النور فيها و لا ينعكس فاذا وقع ضوء الشمس على الأرض يستضىء وجهها المواجه لها بها و لمّا كانت الأرض كرّيه الشكل تقريبا و الشمس أعظم منها يكون ظلّها على شكل مخروط مستدير فانّ الكره المنيره لو كانت مساويه للمستنيره يكون الظلّ على شكل الأستوانه المستديره لا المخروط المستدير، ثمّ قاعده المخروط المستدير من ظلّ الأرض هى تلك الدائره الصغيره يحيط به هذه القاعده و سطح مستدير يرتفع منها و يستدقّ شيئا فشيئا إلى أن ينتهى فى أفلاك الزهره و يكون لا محاله قاعده مخروط الظلّ نحو جرم الشمس و سهمه فى مقابله جرمها أبدا ففى منتصف اللّيل يكون السّهم على دائره نصف النهار فوق الأرض إمّا قائما على سطح الافق الحسّى إن كانت الشمس على سمت القدم، أو مائلا- إلى جهه القطب الظاهر إن كانت عن سمت القدم فى جهه القطب الخفىّ، أو إلى جهه القطب الخفىّ إن كانت عن سمت القدم فى جهه القطب الظاهر؛ و لكن يتساوى بعده عن الشرق و الغرب فى جميع الصّور.

و لا يخفى على ذى دربه فى الفنّ أنّ هذا مخصوص بما إذا لم يتّصل الصبح بالشفق إذ حينئذ قبل أن يميل المخروط إلى جانب الغرب يصير الشعاع المحيط به مرئيًا كما سنزيدك فيه بيانا.

ثمّ إنّ كره البخار هواء متكاثف بسبب مخالطه الأجزاء الأرضيّه و المائيّه المتصاعدتين من كرتيهما بحراره الشمس أو غيرها على شكل كره محيطه بالأرض على مركزها و سطح مواز لسطحها و هى مختلفه القوام فما هو أقرب منهما إلى الأرض أكثف ممّا هو أبعد لأنّ تصاعد الألطف أكثر بالطبع من الأكثف و قد بيّن فى الأبعاد و الأجرام أنّ بعد سطحها الأعلى عن سطح الأرض اثنان و خمسون ميلا تقريبا.

و مخروط الظلّ يثقب كره البخار و لا- يحيط بها و ذلك لأنّ قاعده المخروط سطح دائره محيطها هو الفصل المشترك بين المضىء و المظلم من كره الأرض و تلك

الدائره صغيره أعنى أنّ القاعده أصغر من عظيمه مفروضه على كره الأرض كما دريت فتكون أصغر كثيرا من عظيمه كره البخار لأنّها محيطه بالأرض. فما وقع من كره البخار داخل هذا المخروط لا يستضىء بضياء الشمس و ما سواه من كره البخار مستنيره أبدا لكثافتها و احاطه الشمس بها لكنّها لا ترى فى اللّيل لبعدها عن البصر.

فإذا كانت الشمس تحت الأرض قريبه من الافق فما يرى من القطعه المستنيره من كره البخار فوق الافق إن كان فى الجانب الشرقى يسمّى صبحا، و إن كان فى الجانب الغربى يسمّى شفقا و هما متعاكسان أى متشابهان شكلا و متقابلان وضعا فإنّ أوّل الصّبح بياض مستدقّ مستطيل منتصب، ثمّ بياض عريض منبسط فى عرض الافق مستدير كنصف دائره يضىء به العالم، ثمّ حمره. و أوّل الشفق حمره، ثمّ بياض عريض منبسط مستدير، ثمّ بياض مستدقّ مستطيل منتصب.

و هما مختلفان لونا أيضا لاختلاف ما يستضىء من الجوّ بضياء الشمس بسبب اختلاف لون البخار فإنّه يكون فى أواخر اللّيل مائلا إلى الصّفاء و البياض لرطوبه المكتسبه من بروده اللّيل؛ و إلى الصفره فى أوائله لغلبه الحرّ الدخانى المكتسب من حراره النهار مع أنّ الكثيف كلّما كان أكثر صفاء و بياضا كان أضوء و الشعاع المنعكس عنه أقوى.

و اعلم أنّ النوع الأوّل من الفجر أعنى ذلك البياض المستدقّ المستطيل المنتصب يعرف بالصبح الأوّل. و الصبح الكاذب، و يلقّب بذنب السرحان. أمّا بالأوّل فلسبقه لأنّه أوّل ما يرى فوق الافق من نور الشمس.

و أمّا بالكاذب فلكون ما يقرب من الافق بعد مظلما أى لو كان يصدق أنّه نور الشمس لكان المنير ما يلى الشمس دون ما يبعد منها.

و قيل: سمّى بالكاذب لأنّه تعقّبه ظلمه تكذّبه فإنّه إذا طلع الصبح الثانى انعدم ضوء الصبح الأوّل.

ص:۹۶

و فيه أنّ ضوء الصبح الأوّل لا يعدم بطلوع الصبح الثانى بل يخفى عن البصر لضعفه و غلبه الضوء الشديد الطارى أعنى ضوء الصبح الثانى عليه كما هو حكم النور الضعيف فى قبال القوىّ منه و لذا يخفى ضياء الكواكب فى ضوء الشمس فلا يصحّ أن يقال إنّ ظلمه تعقّبه و تكذّبه أيضا لأنّه لا تعقّبه ظلمه بل يكون وقتئذ ما قرب من الافق مظلما و إنّما يعقّبه ضوء قوى عليه.

و أمّا بذنب السرحان فلدقّته و استطالته تشبيها له به إذا شاله و لاستطالته يسمّى بالفجر المستطيل أيضا.

قال المسعود بن السعد بن السّلمان:

و ليل كأنّ الشمس زلّت ممرّها و ليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليه و الظّلام كأنّه من الجوّ غربان على الأرض وقّع

فقلت لنفسى طال ليلى و ليس لى من الهمّ منجاه و فى الصّبر مفزع

أرى ذنب السّرحان فى الجوّ طالعا و هل ممكن قرن الغزاله تطلع؟

و مراده من الغزاله معناها البعيد أعنى الشمس، قال الحافظ:

شود غزالۀ خورشيد صيد لاغر من گر آهويى جو تو اندر كنار من باشى

و قال الخاقانى الشروانى فى قصيده مدح بها منوچهر شروانشاه (ص ٣٧٩ طبع طهران ١٣٣۶ ه ش):

صبحدم آب خضر نوش از لب جام گوهرى كز ظلمات بحر جست آينۀ سكندرى

شاهد طارم فلك رست ز ديو هفت سر ريخت بهر دريچه اى آغچه زرّ شش سرى

غاليه ساى آسمان سود بر آتشين صدف از پى مغز خاكيان لخلخه هاى عنبرى

يوسف روز جلوه كرد از دم گرگ و ميكند يوسف گرگ مست ما دعوى روز پيكرى

و النوع الثانى من الفجر أعنى ذلك البياض العريض المنبسط فى عرض الافق المستدير كنصف دائره يضىء به العالم يسمّى بالصّبح الثانى، و الصّبح الصادق، و الفجر المستطير، و الصّديع.

أمّا بالثانى فلكونه فى مقابل الأوّل؛ و أمّا بالصّادق لأنّ ضياءه أصدق من

الضیاء الأوّل، و لأنّه فی إزاء الکاذب؛ و أمّا بالمستطیر فمن قولهم استطار الفجر إذا انتشر و تبیّن، و سیأتی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: لا یغرنّکم الفجر المستطیل فکلوا و اشربوا حتّی یطلع الفجر المستطیع؛ و أمّا بالصّدیع لأنّه انصداع ظلمه عن نور و الصدع: الشقّ و الفرق و الفصل کما مضی تفصیله فی شرح المختار ۲۲۹ من باب الخطب (ص ۹ ج ۱۵). و قد وردت فی التعبیر عن الصّدیع روایه عن الصادق علیه السّلام رواها شیخ الطائفه الطوسی قدّس سرّه فی التهذیب بإسناده عن الحضرمی قال:

سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام فقلت: متی اصلّی رکعتی الفجر؟ قال: حین یعترض الفجر و هو الّذی تسمّیه العرب الصّدیع (ص ۵۳ ج ۵ من الوافی).

و لا یتعلّق بالنّوع الأوّل شیء من الأحکام الشرعیّه، و لا من العادات الرّسمیّه غالبا، بل یتعلّق بالنوع الثانی منه کما یدلّ علیه بعض الایات القرآنیّه و أخبار مستفیضه إن لم تکن متواتره وردت فی هذا المعنی و سیجیء نقل طائفه منها إن شاء اللّه تعالی.

و إنّما قیّدنا الحکم بقولنا غالبا لأنّ نبذه من عبادات نفلیّه تتعلّق بطلوع الفجر الأوّل: منها دخول وقت فضیله الوتر فإنّ أفضل أوقاتها ما بین الفجرین کما رواه شیخ الطائفه قدّس سرّه فی التهذیب (و فی الوافی ص ۵۳ ج ۵) بإسناده عن إسماعیل بن سعد الأشعری قال: سألت أبا الحسن الرّضا علیه السّلام عن ساعات الوتر فقال: أحبّها إلیّ الفجر الأوّل - الحدیث.

فإنّ قوله علیه السّلام: أحبّها إلیّ، یدلّ علی أنّ وقت فضیلته الفجر الأوّل.

و فی الکافی و التهذیب بإسنادهما عن ابن وهب قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن أفضل ساعات الوتر فقال: الفجر الأوّل (ص ۵۳ ج ۵ من الوافی).

و فی أوائل مفتاح الفلاح للشیخ الأجلّ العلّامه البهائی قدّس سرّه أنّه روی أنّ رجلا سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن الوتر أوّل اللّیل فلم یجبه فلمّا کان بین الصّبحین خرج أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی المسجد فنادی أین السائل عن الوتر؟ ثلاث مرّات، نعم ساعه الوتر هذه؛ ثمّ قام علیه السّلام فأوتر.

فإنّ المراد من قوله: بين الصّبحين هو بين الفجرين أى الكاذب و الصّادق كما لا يخفى.

و منها وقت نافلتى الصّبح ففى التهذيب بإسناده عن البزنطىّ قال: قلت لأبى الحسن عليه السّلام: ركعتى الفجر أصلّيهما قبل الفجر، و بعد الفجر؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السّلام: احش بهما صلاه اللّيل و صلّهما قبل الفجر. (ص ۵۳ ج ۵ من الوافى).

و فى الكافى و التهذيب بإسنادهما عن زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام:

الركعتان اللّتان قبل الغداه أين موضعهما؟ فقال: قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداه. (ص ۵۳ ج ۵ من الوافى).

و فى التهذيب بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن ركعتى الفجر قبل الفجر أو بعد الفجر؟ فقال: قبل الفجر إنّهما من صلاه اللّيل ثلاث عشره ركعه صلاه اللّيل - الحديث. (ص ۵۳ ج ۵ من الوافى).

و فيه بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: ركعتا الفجر من صلاه اللّيل هى؟ قال: نعم. (ص ۵۳ ج ۵ من الوافى).

و كذا غيرها من الرّوايات الوارده فى ذلك عن أصحاب العصمه عليهم السّلام. و انّما تدلّ على ما أشرنا إليه؟ لأنّ المراد من الفجر إذا اطلق هو الفجر الثانى، على أنّ قوله عليه السّلام: «فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداه» قرينه دالّه على ذلك.

و أنّ قوله عليه السّلام: احش بهما صلاه اللّيل، و إنّهما من صلاه اللّيل و غيرهما ترشدنا إلى أنّ وقت النافلتين بين الفجرين، و قد علمت أنّ الوتر الّذى هى من صلاه اللّيل كان أفضل أوقاتها بين الفجرين فنافلتا الصّبح وقتهما بعد صلاه الوتر و قبل الفجر الثانى أى بين الفجرين فيتمّ المطلوب.

نعم إن طلع الفجر الثانى و لم يكن قد صلّى صلاّهما إلى أن يحمّر الافق فإن احمرّ و لم يكن قد صلّى أخّرهما إلى بعد الفريضه، كما ورد بها روايات عنهم عليهم السّلام.

ص:۹۹

و بما قدّمنا علمت أن ما جنح إليه العلّامه البيرونى فى القانون المسعودىّ (۹۴۹ ج ۲) من أنّه لا يتعلّق بالفجر الأوّل شىء من الأحكام الشرعيّه و لا من العادات الرسميّه، ليس باطلاقه صحيحا.

فالأحكام الشرعيّه أكثرها متعلّقه بالثانى فالمروىّ عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: لا يغرنّكم الفجر المستطيل فكلوا و اشربوا حتّى يطلع الفجر المستطير، فأوّل النهار طلوع الفجر الثانى، و يدلّ عليه القرآن الكريم: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ » (البقره - ۱۸۶) فالخيط الأبيض بياض الفجر المعترض الممدود المستطيل أى الفجر الثانى لأنّه أوسع ضياء و يناسب قوله تعالى حتّى يتبيّن، و الخيط الأسود سواد اللّيل، قال أبو داود الأيادىّ فى الخيط الأبيض:

و لما أضاءت لنا غدوه و لاح من الصبح خيط أنارا

(۱) و قال آخر فى الخيط الأسود:

قد كاد يبدو و بدت تباشره و سدف الخيط البهيم ساتره

ففى الايه استعاره عجيبه و المراد حتّى يتبيّن بياض الصبح من سواد اللّيل و عبّرهما بالخيطين مجازا.

و الظاهر أنّ وجه تشبيههما بالخيط لدقّتهما كالخيط لأنّ بيضا الصبح فى أوّل طلوعه يكون مشرقا خافيا فيزداد انتشارا، و سواد اللّيل وقتئذ يكون منقضيا مولّيا فيزداد استتارا فهما جميعا ضعيفان دقيقان كالخيط.

و تحقيقه أنّ الفصل المشترك بين ما انفجر أى انشقّ من الضياء و بين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتّصلا عرضا فالّذى انتهى إليه الضياء الخيط الأبيض و الّذى ابتدأ منه الظلام الخيط الأسود.

۱- (۱) المصراع الاول قد يروى هكذا: و لما تبدت لنا سدفه، و قد يروى: و لما أضاءت لنا سدفه، و فى بعض النسخ ظلمه مكان غدوه، و السدفه: الضياء المخلوط بالظلام. منه.

و كلمه من بيانيّه أى الخيط الأبيض من الفجر؛ و استغنى به عن بيان الخيط الأسود لأنّه يعلم بالتّبع، و قد مال بعض إلى أنّها للتبعيض و قد علمت بما حقّقنا أنّه و هم.

و روى أنّ عدىّ بن حاتم قال: لما نزلت: و كلوا و اشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض الايه قلت للنبىّ صلّى اللّه عليه و اله إنّى وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبيّن لى فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله حتّى رؤيت نواجده ثمّ قال: يا ابن حاتم إنّما ذلك بياض النهار و سواد اللّيل، و قد نقله المفسرون بألفاظ مختلفه تؤل إلى ما نقلناه، فالايه تدلّ على أنّ أوّل النهار طلوع الفجر الثانى.

و فى الكافى بإسناده عن حمّاد، عن الحلبىّ قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فقال: بياض النهار من سواد اللّيل - إلخ. (ص ۳۴ ج ۷ من الوافى).

و اعلم أنّ البياض المستدقّ المستطيل المنتصب الموازى لذنب السرحان آخر الشفق قلّما أن يتنبّه له الناس و يدركوه و السرّ فى ذلك أنّ الهواء حينئذ يكون كدرا جدّا بسبب ما يكون الناس فيه من الأشغال و بغلبه الحرّ الدّخانى المكتسبه من حراره النهار؛ بخلاف الصّبح فانّ الهواء فيه يكون مائلا إلى الصفاء و البياض لرطوبه المكتسبه من بروده اللّيل و لعدم أشغال معتدّه تكدّره فبتلك العوائق الطاريه أنّ ذنب السرحان لا يرى فى الشفق، لا كما ذهب إليه العلاّمه أبو ريحان البيرونى فى القانون المسعودىّ (ص ۹۴۹ ج ۲ طبع حيدر آباد الدكن ۱۳۷۴ ه) و تبعه المحقق الشريف و الفاضل الفخرى و غيرهما حيث قال: و إنّما لا يتنبّه له النّاس له لأنّ وقته عند اختتام الأعمال و اشتغالهم بالاكتنان و أمّا وقت الصبح فالعاده فيه جاريه باستكمال الرّاحه و التهيّؤ للتصرّف فهم فيه منتظرون طليعه النهار ليأخذوا فى الانتشار فلذلك ظهر لهم هذا و خفى ذلك. انتهى كلامه.

كيف لم يكن هذا الدّليل عليلا و لو ينتظر أحد غروب الشفق لا يدرك

ذلک الخیط الشبیه بذنب السرحان غالبا کما یدرکه أوّل طلوع الصبح.

و جمله الأمر أنّ. هذا الحکم ریاضیّ لا یخصّص و لا یعتریه ریب و لا یشوبه عیب إلّا أنّ الطواری تمنعنا عن إدراکه.

فبما حققناه فی المقام دریت و هن ما ذهب إلیه المولی أحمد النراقی رحمه اللّه فی الخزائن حیث قال: إشکال ریاضیّ و هو أنّ الریاضیّین علّلوا الفجر الکاذب و نسبوه إلی الشمس وضوئها و لو کان کذلک ینبغی أن یکون فی المغرب أیضا کذلک یعنی إذا غاب الشمس یظهر بعد قلیل بیاض مستطیل شبیه بذنب السرحان و لیس کذلک انتهی کلامه. فراجع إلی (ص ۱۶۵ من کتاب الخزائن الّذی طبع فی طهران عاصمه ایران سنه ۱۳۸۰ ه) علی تصحیحنا و تعلیقنا علیه.

و إن شئنا ثنینا البیان علی تحریر أدقّ و برهنّاه ببرهان هندسیّ أتمّ فنقول:

إنّ ظلّ الأرض مخروط مستدیر و المخروط المستدیر کما عرّفه اقلیدس فی صدر المقاله الحادیه عشر من الاصول ما یحوزه مثلث قائم الزاویه أثبت أحد ضلعی الزاویه القائمه محورا لا یزول و أدیر المثلث إلی أن یعود إلی موضعه، و سهمه الضلع الثابت و قاعدته دائره و سهم المخروط مارّ بمرکز القاعده عمود علیها أبدا، و قد بیّن فی محلّه أنّ مرکز الشمس و الأرض أبدا علی سهم مخروط ظلّ الأرض فلیمرّ سطح بمرکزی الشمس و الأرض و سهم المخروط و هذا السطح قائم علی قاعده المخروط علی زوایا قوائم کما برهن فی الشکل الثامن عشر من المقاله الحادیه عشر من الاصول. ثمّ لیحدث من ذلک السطح مثلّث حادّ الزوایا قاعدته علی الافق و ضلعاه علی سطح مخروط الظلّ.

أمّا کون المثلّث حادّ الزوایا فنقول إنّ زاویتی قاعدته حادّتان لأنّ سهم المخروط قائم علی القاعده و مارّ بمرکزها و قطر قاعده المخروط قاعده المثلّث فمنتصف القطر موقع عمود السهم فینقسم المثلّث بمثلّثین یکون سهم المخروط ضلعهما المشترک، و نصف قطر قاعده المخروط قاعده کلّ واحد منهما و الزّاویتان

اللّتـان بين السـهم و نصـفى القطر قائمتـان لأـنّ السـهم عمود على القطر، فالزاويتان الاخريان أعنى زاويتى قاعـده المثلّث الأعظم حادّتان لأنّ المثلّث على البسيط المستوى تعـدل زواياه الثلاث قائمتين فإذا كانت إحـدى زواياه قائمه فلا بـدّ من أن تكون كلّ واحـده من زاويتيه الأـخريين أقـل من قـائمه أعنى حادّه، و المثلّثان متساويان زواياهما كلّ لنظيره متساويه كما برهن فى الرابع، و فى الثّانى و الثلاثين من أولى الاصول.

و إنّمـا قيّـدنا المثلّث على البسـيط المسـتوى لأنّه إذا كان على كره أمكن أن يبلغ جميع زواياه الثلاث إلى أعظم من قائمتين كما برهن فى الشكل الحادى عشر من أولى أكرمانا لاؤوس.

و إنّمـا كـانت زاويه رأسه حادّه لأنّها لو لم تكن حادّه لكانت إمّا قائمه أو منفرجه فكان وتره أعظم من كلّ من ضـلعى المخروط لأنّهما و ترا حادّتين و قد بيّن فى التاسع عشـر من أولى الاصول أنّ الزاويه العظمى من المثلّث يوترها الضلع الأطول و كان وترها قطر قاعـده المخروط الّـذى هو أصـغر من قطر الأرض و قد تبيّن فى الأبعاد و الأجرام أنّ رأس المخروط فى أفلاك الزهره و أنّ بعد مقعر فلك الزهره أعظم من قطر الأرض بكثير.

و انّمـا كان قطر قاعـده المخروط أصـغر من قطر الأرض لأنّ الأرض أصـغر من الشـمس بكثير فتقبل منها الضوء و قـد علمت أنّ الكره إذا قبلت الضوء من كره اخرى أعظم منها كان المستضىء منها أعظم من نصفها و لذا تحدث بين المستضىء و المظلم من الأرض دائره صغيره هى قاعده مخروط الظلّ فيكون قطره أصغر من قطر الأرض.

و أمّـا كون قاعـده المثلّث على الافق فلأنّ قطر قاعـده المخروط يكون دائما موازيا لافق موضع مّا قريبا من الحسّـى، و فى المقام خاصّه إذا كان نصف اللّيل كان قطر قاعده المخروط موازيا لافق الناظر قريبا من الافق الحسّى.

فإذا دريت ما قدّمنا لك فنقول: و ليفرض هذا المثلّث فى سطح ممتدّ فيما بين

المشرق و المغرب فوق الأرض إن كان المطلوب تميز الصبح، و بينهما تحتها إن كان المقصود تميز الشّفق، بحيث إن أحد الضلعين على القاعده يلى الشمس، و لا شكّ أنّ الأقرب من الضلع الّذى يلى الشمس إلى الناظر يكون موقع العمود الخارج من البصر الواقع على ذلك الضلع ثمّ الأقرب فالأقرب منه، لا موضع اتّصال الضلع بالافق؛ فإذن أوّل ما يرى نور الشمس يرى فوق الافق كخط مستقيم منطبق على الظلع المذكور، و يكون ما يقرب من الافق بعد مظلما، و لذلك يسمّى ذلك النور المرئىّ فى المشرق بالصبح الأوّل و الصبح الكاذب.

و إن شئت قلت إنّ أوّل ما يرى من الشعاع المحيط بالمخروط أعنى أقربه إلى موضع النّاظر هو موضع خطّ يخرج من بصره إليه فى سطح دائره سمتيّه أعنى دائره ارتفاع تمرّ بمركز الشمس حال كون ذلك الخطّ عمودا على الخطّ المماسّ للشمس و الأرض جميعا الّذى هو فى سطح الفصل المشترک بين الشعاع و الظلّ فيرى الضوء مرتفعا عن الافق مستطيلا و ما بينه و بين الافق مظلما و هو الصبح الكاذب؛ فتبصّر.

ثمّ إذا قربت الشمس من الافق الشرقىّ جدّا ينبسط النور فصار الافق منيرا يصير الصّبح صادقا ثمّ يزداد نوره لحظه فلحظه إلى أن تظهر الحمره. و قد علمت أنّ الشفق يكون بعكس الصبح.

و الحمره الّتى ترى فوق الافق فى الصبح و الشفق إنّما تتكوّن من اختلاط النور القوى و الظلمه، و ليكن ذلك فى ذكرک حين تسير بک قطار فى نفق السكّه الحديديّه، أو سيّاره فى نفق؛ سيّما إذا كنت مواجها للشمس و كان النّفق ذا طول فإذا ظهر مخرج النّفق من بعيد ترى حمره كحمره الصبح و الشفق قد تكوّنت من اختلاط شعاع الشمس من خارج النفق و الظلمه فى داخله.

و لنمثّل لك مثالا توضيحا للمراد فليفرض ا ب ح مثلّث المخروط و ا ح الضلع الّذى يلى الشمس و ب ح سطح الافق المرئى و د موضع الناظر و ه موقع عمود البصر و نخرج من موضع الناظر عمود د ه على ا ح و هذا العمود لا يمكن أن يقع على ح لأن زاويه د ح ه الداخله فى المثلّث حاده كما دريت. و زاويتاه قائمتان لأنّ د ه عمود فيلزم إذن تساوى الحاده و القائمه هف.

و كذلك لا يمكن أن يقع خارجا عن جانب ح. مثلا أن يقع على رلأنّه يلزم أن يجتمع فى مثلّث د ر ح قائمه و منفرجه و قد بين امتناع اجتماعهما فى مثلّث مستو. أمّا الزاويه القائمه فلأنّ در عمود بالفرض على ضلع ا ح.

و أمّا المنفرجه فلأنّ زاويه د ح ه كانت حادّه فد ح ر منفرجه لا محاله لأنّه برهن فى الثالث عشر من أولى الاصول إذا قام خط على خط كيف كان حدثت عن جنبتيه زاويتان إما قائمتان أو متساويتان معا لقائمتين فإذا كانت إحداهما حادّه بقيت الاخرى منفرجه.

و أمّا امتناع اجتماعهما فى مثلّث مستو فلأنّه إذا كان إحدى زواياه قائمه فلا بدّ من أن تعادل الاخريان قائمه فلو كانت أحدهما منفرجه تعادل زواياه الثلاث أكثر من قائمتين هف.

و بمثل هذا البيان نقول: إنّ هذا العمود لا يمكن أن يقع على ا أعنى رأس

المخروط و لا خارجا من جانبه فيقع موقع العمود فيما بين نقطى ا ح، ثمّ نقول:

إنّ - د ه وتر حادّه و د ح - وتر قائمه فالأوّل أقصر من الثانى بالتاسع عشر من أولى الاصول بل أقصر من كلّ خطّ يخرج من موضع الناظر إلى ا ح لكونه وتر قائمه فيكون نقطه ه موقع العمود أقرب النقاط إلى البصر فيكون خط د ه من بين الخطوط الخارجه من البصر إلى ضلع ا ح أقلّ مسافه منها فيرى أوّلا موقع العمود أعنى نقطه ه لقربه من البصر ثمّ بعض ما كان من الضلع المذكور فوق موقع العمود و تحته القريبين منه دون البعض الاخر لبعده عنه فلذلك يرى بعض الأجزاء المرئى من الضلع المذكور كخطّ مستقيم شبيه بذنب السرحان إذا شال ذنبه.

و أمّا ما يقرب من الافق فيكون بعد مظلما و لا يرى نور الشمس الّذى وراء الظل لبعده عن البصر لأنّ لكلّ مبصر غايه من البعد و القرب إذا جاوزهما لم يبصر كما حقّق فى محلّه و أشرنا إلى شرايط الرؤيه فى شرحنا على الكتاب الثامن فراجع.

على أنّ الهواء الّذى عند الافق يكون أكثف و أغلظ بخلاف الهواء الّذى ارتفع عنه و لا يخفى عليك أنّ للطافه الهواء و كثافته دخلا فى ظهور الضوء و عدمه.

فان قلت: ما قدمت إنّما يتمّ لو كان خط د ه العمود الواقع على ا ح شعاع البصر فتكون نقطه د بمنزله عين الناظر مرتفعه عن الافق على حدّ قامته، و الاشكال فيه أن صوره مثلّث د ح ه انّما تتحقّق لو كانت نقطه د على سطح الافق الحسّى لا مرتفعه عنه، و لو اعتبر كونها عليه فأين قامه الناظر؟ قلت: قامه الناظر فى أمثال هذه الامور كنقطه لا تخلّ بالمقصود فلا يضرّنا فى المقام اعتبار قامته و عدمه.

و أمّا ما وعدنا من زياده بيان فى اتّصال الصبح بالشفق فى بعض الافاق فنقول: قد علم بالتجربه أنّ انحطاط الشمس عند أوّل طلوع الصبح الكاذب و آخر الشفق ثمانيه عشر درجه ففى الافاق الّتى يكون عروضها ثمانى و أربعين درجه

و ثلاث و ثلاثين دقيقه شماليّه كانت أو جنوبيّه يتصل آخر الشفق و هو عند غايه انحطاط الشمس عن الافق بأوّل الصبح الكاذب إذا كانت الشمس فى المنقلب الصيفى أعنى أوّل السرطان فى الافاق الشماليّه و أوّل الجدى فى الافاق الجنوبيّه.

و ذلك لأنّ افقا كان عرضه ۳ ۳ ۴۸ يكون تمام عرضه ۷ ۲ ۴۱ فإذا نقص منه الميل الكلّى أعنى الميل المنقلب الصيفى و هو فى سنتنا هذه و هى سنه ۱۳۸۵ ه بلغ ۲۷ ۲۳ تقريبا بقى ۱۸ درجه؛ و تكون غايه انحطاط المنقلب الصيفى فى هذا الافق ۱۸ درجه لا محاله و لا يخفى عليك أنّ غايه انحطاطه حينئذ قوس من نصف النهار بين المنقلب عند كونه تحت الأرض و بين قطب أوّل السموت من الجانب الأقرب و لمّا كانت الشمس بلا عرض أعنى أنّها فى سطح دائره منطقه البروج دائما فإذا بلغت إلى هذا المنقلب تكون غايه انحطاطها عن ذلك الافق ۱۰۸ درجه فيكون آخر الشفق أى غايه انحطاطها مبدء الصبح الأوّل.

و هذا أوّل عرض يتفق فيه اتّصال الصبح بالشفق و فى الافاق الّتى جاوزت عروضها ذلك المقدار إلى أن بلغ عرضها مثل تمام الميل الأعظم أعنى ۳۳ ۶۶ يتناقص انحطاط الشمس عن الافق عند كونها فى المنقلب الصيفى عن ذلك المقدار أى يكون انحطاط أقلّ من ۱۸ درجه فلا محاله تكون عن جنبتى المنقلب نقطتان غايه انحطاطهما تكون ۱۸ درجه فما دامت الشمس فى القوس الّتى بين النقطتين يتّصل الشفق بالصبح و طلوع الصبح يكون قبل تمام غروب الشفق فيتداخل الصبح و الشفق فيكون زمان ما من ساعاتهما و يكثر هذا الزمان كلّما ازداد العرض لأنّ العرض كلّما كان الأكثر كانت تلك القوس الواقعه بين النقطتين أعظم.

و إذا بلغ العرض مثل تمام الميل الكلّى فما فوقها فلا يكون للشمس فى المنقلب الصيفى انحطاط أصلا لأنّ مدار المنقلب على الأوّل يكون أعظم المدارات الأبديّه الظهور و على الثانى يدور فوق الافق.

و بما حرّرنا دريت أنّ قول الفاضل البرجنديّ فى شرح التذكره فى المقام حيث فسّر نهايه المقدار فى كلام الخواجه: «و فيما جاوزت عروضها ذلك المقدار»

ص:۱۰۷

بقوله: إلی أن بلغ عرض تسعین، لیس بصواب. و الحقّ فیه التفصیل.

ثمّ إنّ فی المقام مباحث أنیقه و مطالب دقیقه حرّرناها فی رسالتنا المدوّنه فی الوقت و القبله فلیرجع الطالب إلیها. و لعلّنا نشیر إلی طائفه منها فی شرح کتابه علیه السّلام إلی امراء البلاد فی معنی الصلاه إنشاء اللّه تعالی و اللّه تعالی نحمد و نستزید.

تذییل

: قد ذکرنا أنّ قوله تعالی: «حَتّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ » یدلّ علی أنّ المراد من الفجر هو الثانی و قد رویت أخبار عدیده من أئمّتنا المعصومین علیهم السّلام فیه: ففی الکافی عن علیّ بن مهزیار قال: کتب أبو الحسن بن الحصین إلی أبی جعفر الثانی علیه السّلام معی جعلت فداک قد اختلف موالوک فی صلاه الفجر فمنهم من یصلّی إذا طلع الفجر الأوّل المستطیل فی السماء، و منهم من یصلّی إذا اعترض فی أسفل الافق و استبان؛ و لست أعرف أفضل الوقتین فاصلّی فیه فان رأیت أن تعلمنی أفضل الوقتین و تحدّه لی و کیف أصنع مع القمر و الفجر لا یتبیّن معه حتّی یحمرّ و یصبح؟ و کیف أصنع مع الغیم؟ و ما حدّ ذلک فی السفر و الحضر؟ فعلت إن شاء اللّه تعالی.

فکتب بخطّه و قراءته: الفجر یرحمک اللّه هو الخیط الأبیض المعترض لیس هو الأبیض صعداء؛ فلا تصلّ فی سفر و لا حضر حتّی تبیّنه فإنّ اللّه تعالی لم یجعل خلقه فی شبهه من هذا فقال: «و کلوا و اشربوا حتّی یتبیّن لکم الخیط الأبیض من الخیط الأسود من الفجر» و الخیط الأبیض هو المعترض الّذی یحرم به الأکل و الشرب فی الصوم و کذلک هو الّذی یوجب به الصلاه. أتی به الفیض فی الوافی فی ص ۵۱ ج ۵. و العاملی فی باب أنّ أوّل وقت الصبح طلوع الفجر الثانی المعترض فی الافق دون الفجر الأوّل المستطیل من صلاه الوسائل، و رواه فی التهذیب بأدنی تفاوت فی ألفاظه.

و فی التهذیب عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله یصلّی رکعتی الصبح و هی الفجر إذا اعترض الفجر و أضاء حسنا. و فی الفقیه: و روی أنّ وقت الغداه إذا اعترض الفجر فأضاء حسنا. رواه فی ذلک الباب من الوسائل أیضا.

و فى الكافى و التهذيب و الفقيه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: الصبح هو الّذى إذا رأيته (كان - نسخه الفقيه) معترضا كأنّه نباض سورى.

أقول: النباض بتقديم النون على الباء من نبض الماء إذا سال و ربما قرىء بالباء فالياء و المراد منه نهرى سورى على وزن بشرى موضع بالعراق و قد دلّ عليه ما فى التهذيب عن هشام بن الهذيل، عن أبى الحسن الماضى عليه السّلام قال: سألت عن وقت صلاه الفجر فقال: حين يعترض الفجر فتراه. مثل نهر سورى. رواه فى ذلك الباب من الوسائل أيضا.

و فى التهذيب عن أبى بصير المكفوف قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الصائم متى يحرم عليه الطعام، فقال: إذا كان الفجر كالقبطيّه البيضاء، الخبر.

أقول: القبطيّه بضم القاف: الثوب من ثياب مصر رقيقه بيضاء منسوب إلى القبط و هم أهل مصر هذا فى الثياب و أمّا فى النّاس فقبطىّ بالكسر كما فى النهايه الأثيريّه.

و فى الباب التالى من ذلك الباب المقدّم من الوسائل: عن زريق، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه كان يصلّى الغداه بغلس عند طلوع الفجر الصادق أوّل ما يبدو قبل أن يستعرض.

أقول: و الأخبار بهذا المضمون المرويّه عن أئمتنا عليهم السّلام كثيره رويت أكثرها فى الكتب الأربعه و كتابى الصلاه و الصوم من الوسائل و غيرها من الجوامع تدلّ على ما قدّمنا من أنّ قوله تعالى «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ » يدلّ على انّ المراد من الفجر الصّادق و أنّ الأحكام الشرعيّه و العادات الرسميّه إنّما تتعلّق به لا بالكاذب.

قوله عليه السّلام:«فإذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطا» امره عليه السّلام أن يقف عند لقاء العدوّ فى وسط الجيش و ذلك لأنّ أمير الجيش إذا كان حينئذ فى وسط الجيس يكون نسبته إلى كلّ جوانب على السواء فكان أقدر على ابلاغ أوامره و نواهيه إلى الجميع، و على الإحاطه بهم و التّسلّط عليهم.

ص:۱۰۹

على أنّ أمير الجيش بمنزله القطب فيهم فينبغى لهم أن يكونوا حوله على نسبه سواء، و يقوه بأنفسهم و ينتظروا أمره و لا يبعدوا عنه بعدا ربّما يوجب اختلال نظامهم.

و أنّه بمنزله القلب من جسد العسكر فيجب عليه و عليهم العنايه التامّه فى حفظه و حراسته و ذلك لأنّ موت واحد من أفراد الجيش لا يوجب اضمحلالهم بخلاف الأمير لأنّه من الأعضاء الرئيسه الّتى ينتفى الكلّ بانتفائه فهلاك رئيس القوم يوجب انهدامهم و انهزامهم فنعم ما قاله الشاعر:

لك العزّ إن مولاك عزّ فإن يهن فأنت لدى بحبوحه الهون كائن

فإذا كان فى وسط القوم فكأنّه فى حصن حصين يمنع الخصم عن الظفر عليه.

قوله عليه السّلام:«و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب - إلخ» بعد ما أمره عليه السّلام بما دريت أخذ أن ينهيه عن عدّه امور فمنها أن لا يدنو من القوم دنوّ من يريد أن يوقع الفتنه و يقيم الحرب و ذلك لما قدّمنا من أنّ أولياء اللّه ما أمروا بسفك الدماء و قتل النفوس إلّا بعد أن أبى النّاس إلّا نفورا و طغيانا فعند ذلك كان أمر ربّهم حتما مقضيّا فى اجتياحهم لئلّا يختلّ بهم انتظام الاجتماع البشرى و قد قيل: إنّ ما يزع السلطان أكثر ممّا يزع القرآن و ما يلتئم بالسنان لا ينتظم بالبرهان. و قد تقدّم فى ص ۳۹ ج ۲ من التكمله، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله الخير كلّه فى السيف و تحت ظلّ السيف و لا يقيم الناس إلّا السيف و السيوف مقاليد الجنّه و النار. رواه الكلينىّ فى الكافى و قد تقدّم و بيانه آنفا. و فى القرآن الكريم: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ » (البقره - ۲۵۴). «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً » (الحج - ۴۲) و الايتان مسوقتان إلى الجهاد فى سبيل اللّه بالسيف كما يدلّ عليه سياق الايات الّتى قبلهما فراجع.

ص:۱۱۰

ثمّ انظر فی سیره قائد الغرّ المحجّلین أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فی حروبه، لا یأذن القوم أن یواجهوا الخصم إلی حدّ یشعر باراده ایقاع الفتنه فتبصّر أنّ الحجج الإلهیّه و الّذین تولّوا امور الدّین بعدهم بإذنهم شأنهم أجلّ ممّا توهّمه الجاهلون و عزّوهم إلی کثیر ممّا لیس إلاّ فریه و اختلاق.

و منها أن یتباعد عنهم تباعد من یؤذن بخوفه من البأس أی الحرب لأنّ ذلک یشعر بالوهن و الضعف و الخوف من العدوّ فیوجب أن یطمع العدوّ فیه. ثمّ ضرب له فی هذین النهیین غایه فقال: حتّی یأتیک أمری.

و منها أن لا یحملنّ معقل بن قیس و أصحابه بغض القوم و عداوتهم إیّاهم علی أن یقاتلوهم قبل أن یعذروا إلیهم الدّعاء و یمنحوهم النصح و یتمّوا الحجّه علیهم و یدعوهم إلی الإمام الحق. و فی الکافی (الوافی ص ۱۶ ج ۹) عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: لمّا وجّهنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله إلی الیمن فقال: یا علیّ لا تقاتل أحدا حتّی تدعوه إلی الإسلام و أیم اللّه لئن یهدی اللّه علی یدیک رجلا خیر لک ممّا طلعت علیه الشمس و غربت و لک ولاؤه.

و یستحبّ أن یکون الدّعوه بما فی النصّ کما یأتی تفصیله فی شرح المختار الخامس عشر من هذا الباب إن شاء اللّه تعالی.

فلو کان القتال بمجرّد عداوه الخصم یخرج کونه طاعه بل قتال فی سبیل هوی النفس و تشفّیها فلا أقلّ من أن یکون مشوبا بغیر طاعه اللّه و قد قال تعالی و تقدّس:

«فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا یُشْرِکْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الکهف) و الجهاد عباده فلا بدّ فیه من خلوص النیّه. و تأبی نفسی إلاّ نقل جمله ما أجاد العارف الرّومی فی المثنوی من أبیات تناسب المقام جدّا:

از علی آموز اخلاص عمل شیر حق را دان منزّه از دغل

در غزا بر پهلوانی دست یافت زود شمشیری بر آورد و شتافت

او خدو انداخت بر روی علی افتخار هر نبیّ و هر ولیّ

او خدو انداخت بر رویی که ماه سجده آرد پیش او در سجده گاه

در زمان انداخت شمشیر آن علی کرد او أندر غزایش کاهلی

گشت حیران آن مبارز زین عمل از نمودن عفو و رحم بی محل

گفت بر من تیغ تیز افراشتی از چه افکندی مرا بگذاشتی

آن چه دیدی بهتر از پیکار من تا شدی تو سست در آشکار من

آن چه دیدی که چنین خشمت نشست تا چنین برقی نمود و باز جست

آن چه دیدی که مرا زان عکس دید در دل و جان شعله ای آمد پدید

آن چه دیدی بهتر از کون و مکان که به از جان بود و بخشیدیم جان

در شجاعت شیر ربّانیستی در مروّت خود ندانم کیستی

در مروّت ابر موسایی به تیه کامد از وی خوان و نان بی شبیه

ای علی که جمله عقل و دیده ای شمّه ای وا گو از آن چه دیده ای

تیغ علمت جان ما را چاک کرد آب علمت خاک ما را پاک کرد

باز گو دانم که این اسرار هوست ز ان که بی شمشیر کشتن کار اوست

باز گو ای باز عرش خوش شکار تا چه دیدی این زمان از کردگار

چشم تو ادراک غیب آموخته چشمهای حاضران بر دوخته

راز بگشا ای علیّ مرتضی ای پس از سوء القضا حسن القضا

یا تو واگو آنچه عقلت یافته است یا بگویم آنچه بر من تافته است

از تو بر من تافت چون داری نهان می فشانی نور چون مه بی زبان

لیک اگر در گفت آید قرص ماه شب روان را زودتر آرد براه

از غلط ایمن شوند و از ذهول بانگ مه غالب شود بر بانگ غول

ماه بی گفتن چو باشد رهنما چون بگوید شد ضیا اندر ضیا

چون تو بابی آن مدینه علم را چون شعاعی آفتاب حلم را

باز باش ای باب بر جویای باب تا رسند از تو قشور اندر لباب

باز باش ای باب رحمت تا ابد بارگاه ما له کفوا أحد

ص:۱۱۲

پس بگفت آن نو مسلمان ولیّ از سر مستیّ و لذّت با علیّ

که بفرما یا أمیر المؤمنین تا بجنبد جان بتن همچون جنین

باز گو ای باز پر افروخته با شه و با ساعدش آموخته

باز گو ای باز عنقا گیر شاه ای سپاه اشکن بخود نی با سپاه

امّت وحدی یکیّ و صد هزار باز گو ای بنده بازت را شکار

در محلّ قهر این رحمت ز چیست اژدها را دست دادن کار کیست

گفت من تیغ از پی حق می زنم بندهٔ حقّم نه مأمور تنم

شیر حقّم نیستم شیر هوا فعل من بر دین من باشد گوا

من چو تیغم و آن زننده آفتاب ما رمیت إذ رمیت در حراب

رخت خود را من زره برداشتم غیر حق را من عدم انگاشتم

گفت أمیر المؤمنین با آن جوان که بهنگام نبرد ای پهلوان

چون خدو انداختی بر روی من نفس جنبید و تبه شد خوی من

نیم بهر حق شد و نیمی هوا شرکت اندر کار حق نبود روا

گفت من تخم جفا می کاشتم من ترا نوعی دگر پنداشتم

تو ترازوی أحد خود بوده ای بل زبانه هر ترازو بوده ای

من غلام آن چراغ شمع خو که چراغت روشنی پذیرفت ازو

عرضه کن بر من شهادت را که من مر تو را دیدم سرافراز ز من

قرب پنجه کس ز خویش و قوم او عاشقانه سوی دین کردند رو

او بتیغ حلم چندین خلق را وا خرید از تیغ چندین حلق را

تیغ حلم از تیغ آهن تیز تر بل ز صد لشکر ظفر انگیزتر

الترجمه

این وصیّتی است که أمیر علیه السّلام بمعقل بن قیس ریاحی - هنگامی که وی را با لشکری سه هزار نفری مقدّمه خود کرده بوده، و بسوی شام گسیل داشت - فرمود:

بترس از خدائی که ناچار بازگشت بدو است، و سرانجامت تنها او است، جنگ مکن مگر با کسی که با تو سر جنگ دارد، و در دو طرف روز (صبح و عصر که هوا خنک است) راه میرو، و در نیم روز لشکر را فرود آر تا بیاسایند، و سبک و آسان راه میرو. و در أول شب سیر مکن که خدا آنرا برای آرمیدن قرار داده و برای اقامت تقدیر فرموده نه کوچ کردن، پس در آن تنت و ستورانت را آسایش ده تا به پهن شدن آثار سحر، و پیدایش سپیده صبح آگاه شدی، با درخواست برکت از خدای سیر میکن، و چون دشمن را دیدی در میان لشکر قرار گیر، و بدشمن چندان نزدیک مشو چون نزدیک شدن کسی که آهنگ در گرفتن آتش جنگ دارد، و چندان از آنان دور مشو چون دور شدن کسی که از جنگ هراس دارد، تا فرمان من در رسد، و مبادا که دشمنی آنان، شما را پیش از آنکه با آنان اتمام حجت کنید، و مر ایشان را براه حق بخوانید، و عذر خود را بدیشان تمام گردانید بجنگ وا دارد.

و من کتاب له علیه السّلام الی أمیرین من امراء جیشه

اشاره

و هو المختار الثالث عشر من باب کتبه و رسائله علیه السّلام و قد أمّرت علیکما و علی من فی حیّزکما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له و أطیعاه و اجعلاه درعا و مجنّا فإنّه ممّن لا یخاف وهنه

ص:۱۱۴

(وهيه - نسخه) و لا سقطته، و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، و لا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل.

مصدر الكتاب و سنده

نقل الكتاب مسندا أبو جعفر الطبرىّ المتوفّى (۳۱۰ ه) فى التاريخ بأدنى اختلاف و قد مضى نقله فى شرح الخطبه ۲۳۶ فراجع إلى ص ۲۲۱ من ج ۱ من تكمله المنهاج.

و رواه مسندا نصر بن مزاحم المنقرىّ فى كتاب صفين (ص ۸۱ من الطبع الناصرى)، و أتى به المجلسىّ فى المجلّد الثامن من البحار (ص ۴۷۸ من الطبع الكمبانى). و ما أتى به الرضىّ فى النهج فهو بعض هذا الكتاب و قد أسقط منه قريبا من سطر فدونك الكتاب بصورته الكامله على ما رواه نصر و إن كان يوافق ما نقله الطبرىّ تقريبا و قد نقل قبل.

قال نصر: و قال خالد بن قطن: فلمّا قطع علىّ عليه السّلام الفرات(۱) دعا زياد بن النضر و شريح بن هانى فسرحهما أمامه نحو معاويه على حالهما الّذى كانا عليه حين خرجا من الكوفه فى اثنى عشر ألفا و قد كانا حيث سرحهما من الكوفه أخذا على شاطىء الفرات من قبل البرّ ممّا يلى الكوفه حتّى بلغاعانات فبلغهم أخذ علىّ عليه السّلام على طريق الجزيره، و بلغهما أنّ معاويه أقبل فى جنود الشام من دمشق لاستقبال علىّ عليه السّلام فقال: لا و اللّه ما هذا لنا برأى أن نسير و بيننا و بين أمير المؤمنين هذا البحر، و ما لنا خير أن نلقى جموع أهل الشام بقلّه من عددنا منقطعين من العدد و المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات و حبسوا عندهم السفن فأقبلوا راجعين حتّى عبروا من هيت، ثمّ لحقوا عليّا بقريه دون قرقيسياء و قد أرادوا أهل عانات فتحصنوا منهم فلمّا لحقت المقدّمه عليّا قال: مقدّمتى تأتى ورائى.

۱- (۱) قد مضى تفصيله فى ج ۱۵ ص ۲۲۰ منه.

فتقدّم إليه زياد و شريح فأخبراه الّذى رأيا؛ فقال: قد أصبتما رشدكما، فلمّا عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاويه، فلما انتهوا إلى معاويه لقيهم أبو الأعور فى جند أهل الشام فدعوهم إلى الدخول فى طاعه أمير المؤمنين فأبوا؛ فبعثوا إلى علىّ أنا قد لقينا أبا الأعور السلمى بسور الروم فى جند من أهل الشام فدعوناهم و أصحابه إلى الدخول فى طاعتك فأبوا علينا فمرنا بأمرك. فارسل علىّ عليه السّلام إلى الأشتر فقال:

يا مال إنّ زيادا و شريحا أرسلا إلىّ يعلمانى أنّهما لقيا أبا الأعور السلمىّ فى جند من أهل الشام بسور الروم فنبأنى الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابك النجاء، فإذا أتيتهم فأنت عليهم و إيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدءوك حتّى تلقاهم و تسمع منهم و لا يجر منّكم شنانهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم مرّه بعد مرّه و اجعل على ميمنتك زيادا، و على ميسرتك شريحا، وقف بين أصحابك وسطا، و لا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أقدم إليك فانّى حثيث السير إليك إن شاء اللّه.

و كان الرسول الحارث بن جمهان الجعفىّ. و كتب إليهما: أمّا بعد فإنّى قد أمّرت عليكما مالكا فاسمعا له و أطيعا أمره فانّه ممّن لا يخاف رهقه و لاسقاطه و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و لا الإسراع إلى ما البطؤ عنه أمثل. و قد أمرته بمثل الّذى أمرتكما ألّا يبدأ القوم بقتال حتّى يلقاهم فيدعوهم و يعذر إليهم(۱).

اللغه

الحيّز: أصله من الواو. و قد يقال: الحيّز مخفّفا مثل هيّن و هين، و ليّن و لين. قال الجوهرىّ: الحيّز ما انضمّ إلى الدار من مرافقها و كلّ ناحيه حيّز، قال تعالى: «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ »، الايه (۱۷، انفال) أى صائرا إلى حيّز.

«درعا» الدرع بكسر الدّال و سكون الراء مصنوع من حديد يلبس فى

۱- (۱) كان الاصل من نسخه صفين: ألا تبدءوا القوم حتى تلقاهم فتدعوهم و تعذر اليهم.

الحروب للوقايه من الضـرب و الطعن، يقال بالفارسيه: زره. مؤنّثه و قد يذكر جمعه القليل أدرع و أدراع فاذا كثرت فهى الدروع. رجل دارع أى لا بس الدرع أى عليه درع كأنّه ذو درع مثل تامر، قال السموأل بن عاديا اليهودىّ:

و أسيافنا فى كلّ شرق و مغرب بها من قراع الدّارعين فلول

فى أبيـات له أتى بها الجاحظ فى البيان و التبيين (ص ۱۸۵ ج ۳ طبع مصـر) و درع المرأه قميصها و هو مذكّر و الجمع أدراع قاله الجوهرىّ.

«المجنّ» بالكسر: الترس و هو اسم آله من الجنّ و الجمع مجانّ بالفتح.

و كـذا المجنّه و الجنّه. و أصـل الجنّ ستر الشـىء عن الحاسّه و الترس يجنّ صاحبه و الجنّه: السترە يقال: اسـتجنّ بجنّه أى اسـتتر بستره. قـال عزّ من قائـل: اتّخـذوا أيمـانهم جنّه، و فى الكـافى عن الصّـادق عليه السّـلام: الصوم جنّه، و فى التهـذيب و الفقيه عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله: الصوم جنّه من النّار، و الولد ما دام فى بطن امّه جنين جمعه أجنّه، قال تعالى: «وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ »، و الجنان بالفتـح القلب لكونه مسـتورا عن الحاسه و كـذا سـمّى الجنّ جنّا لاسـتتارهم و اختفائهم عن الأبصار و على هذا القياس ما اشتقّ من الجنّ فانّه لا يخلو فيه معنى الاستتار.

«الوهن»: الضعف و «السقطه»: الغلطه و الخطاء، و فى نسختى الطبرىّ و نصر:

فإنّه ممّن لا يخاف رهقه و لاسـقاطه، «الرهق» محرّكه: السـفه، و النوك و الخفّه و ركوب الشـرّ و الظلم و غشـيان المحارم، و فى نهايه الأثيريّه: و فى حـديث علىّ عليه السّـلام انّه وعظ رجلا فى صـحبه رجل رهق، أى فيه خفّه و حدّه، يقال: رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشـرّ و يغشاه، و الرهق السفه، و غشيان المحارم و منه حديث أبى وائل انّه صلّى على امرأه كانت ترهق أى تتّهم بشـرّ، و منه الحديث سـلك رجلان مفازه أحدهما عابد و الاخر به رهق، انتهى. و فى القرآن الكريم: «فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً » (الجن - ۱۴). و روى: و لا وهيه، و هو قريب من الوهن معنى.

«السقاط» ككتاب قال الجوهرىّ فى الصحاح: السقطه العثره و الزلّه

و كذلك السقاط. قال سويد بن أبى كاهل:

كيف يرجون سقاطى بعد ما جلّل الرأس، مشيب و صلع

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه ۷۶۹: يقال لمن لم يأت مأتى الكرام: هو يساقط. قال الشاعر: كيف يرجون. البيت.

«أحزم» الحزم: ضبط الرجل أمره و أخذه بالثقه و الحذر من فواته من قولهم حزمت الشىء أى شددته، و هذا الرأى أحزم من هذا أى أدخل فى باب الحزم و الاحتياط.

«أمثل» قال ابن الأثير فى النهايه: و فيه - يعنى فى الحديث - أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل أى الأشرف و الأعلى فالأعلى فى الرتبه و المنزله.

يقال هذا أمثل من هذا أى أفضل و أدنى إلى الخير، و أماثل النّاس خيارهم، و منه حديث التراويح قال عمر: لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل أى أولى و أصوب.

الاعراب

من فى حيّز كما: معطوف على الضمير المجرور المقدّم و لذا أعاد الجارّ لأنّ الضمير المتّصل بالجارّ لشدّه اتّصاله به صار كالجزء له و لا يجوز العطف على جزء الكلمه، مالك منصوب بأمرت و مفعول له، و الأشتر صفه له، و الفاء الاولى للتسبيب لأنّ المعطوف بها متسبّب عن المعطوف عليه، و لك أن تجعلها فصيحه و الثانيه للتعليل، و كلمتا من موصولتان اسميّتان و لا يخاف فعل مجهول و ضمير و هنه و سقطته راجعان إليه و افردا مراعاه للّفظ نحو قوله تعالى: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ » (الأنعام - ۲۶) و يسمى هذا الضمير فى النحو بالعائد.

و لا بطؤه عطف على وهنه أى لا يخاف بطؤه، و عمّا صله للبطوء و ما موصوله و ضمير إليه عائدها باعتبار اللّفظ و أحزم خبر للإسراع و كذا القياس فى الجمله التاليه لها.

ص:۱۱۸

المعنى

قد علمت بما قدّمنا ههنا عن نصر و فى ص ۲۲۱ ج ۱ من التكمله عن الطبرى أنّ الأميرين هما زياد بن نضر و شريح بن هانى و قد مضى نقل كتابهما إلى الأمير عليه السّلام و كتابه عليه السّلام إليهما فى شرح الكتاب الحادى عشر و سيأتى أيضا وصيّه له عليه السّلام وصىّ بها شريح بن هانى لما جعله على مقدّمته إلى الشام و هو الكتاب السادس و الخمسون أوله: اتّق اللّه فى كلّ صباح و مساء - إلخ.

قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب: شريح بن هانى بن يزيد بن الحارث الحارثى بن كعب، جاهلى إسلامى، يكنّى أبا المقدام و أبوه هانىء بن يزيد، له صحبه قد ذكرناه فى بابه. و شريح هذا من أجلّه أصحاب علىّ رضى اللّه عنه.

و قال فى باب هانى فى ترجمه أبيه: هانى بن يزيد بن نهيك، و يقال هانىء ابن كعب المذحجى، و يقال: الحارثى، و يقال: الضبّى، و هو هانىء بن يزيد بن نهيك ابن دريد بن سفيان بن الضباب، و هو سلمه بن الحارث بن ربيعه بن الحارث بن كعب الضبابى المذحجى الحارثى. و هو والد شريح بن هانىء، كان يكنّى فى الجاهليه أبا الحكم لأنّه كان يحكم بينهم فكنّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بأبى شريح، إذ وفد عليه، و هو مشهور بكنيته، شهد المشاهد كلّها، روى عنه ابنه شريح بن هانىء حديثه عن ابن ابنه المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه، عن جدّه، و كان ابنه شريح من أجلّه التابعين و من كبار أصحاب علىّ رضى اللّه عنه و ممّن شهد معه مشاهده كلّها. انتهى.

قوله عليه السّلام:«و قد أمّرت عليكما و على من فى حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر» أى جعلت مالكا أميرا عليكما و على من كان فى كنفكما و تحت أمارتكما و فى ناحيتكما و قد دريت بما قدّمنا أنّ الأمير عليه السّلام سرّح زيادا و شريحا نحو معاويه فى اثنى عشر ألفا.

قوله عليه السّلام:«فاسمعا له و أطيعاه» تفريع على تأميره مالكا عليهما و على من فى حيّزهما فأمرهما أن يسمعا له و يطيعاه أى أن لا يخالفاه ما أمرهما فإنّ مخالفه

الأمير فيما أمر توجب التفرق الموجب للهزيمه و قلّما غلب قوم اجتمعت كلمتهم.

و قد استشار قوم أكثم بن صيفىّ فى حرب قوم أرادوهم و سألوه أن يوصيهم فقال:

أقلّوا الخلاف على امرائكم، و اعلموا أنّ كثره الصياح من الفشل و المرء يعجز لا محاله، تثبّتوا فانّ أحزم الفريقين الرّكين، و ربّت عجله نعقب ريثا، و اتّزروا للحرب، و ادّرعوا اللّيل فانّه أخفى للويل، و لا جماعه لمن اختلف عليه نقله ابن قتيبه الدينورىّ فى كتاب الحرب من عيون الأخبار.

ثمّ إنّ النسخ المطبوعه من النهج و بعض النسخ الخطيّه أيضا تخالف ما اخترنا من قوله عليه السّلام فى كلمه «أطيعاه» فانّها موافقه فى عدم الضمير المنصوب فيها و ما أتينا به هو ما اختاره السيّد الرضىّ رحمه اللّه أعنى انّها من نسخه قوبلت بنسخته رضوان اللّه عليه.

قوله عليه السّلام:«و اجعلاه درعا و مجنّا» عطف على قوله عليه السّلام اسمعا له، أمرهما بعد الأمر بالسمع و الإطاعه بأن، لا يفارقاه قطّ فانّه لحسن تدبيره و طول باعه فى فنون الحرب درع و مجنّ أى واق و حافظ عن الخصم فحذّرهما بأبلغ وجه و أحسن طور عن التأبىّ لأمره و المفارقه عنه حتّى أنّهما لو اقتحما فى الحرب بدونه كأنّهما دخلاها بلا درع و لا مجنّ.

و من كلامه عليه السّلام هذا يعلم جلاله قدر الأشتر و عظم أمره كيف لا و قد جعله لذلك الجيش الكثيف درعا و مجنّا و لا يليق بهذا الوصف عن مثل أمير المؤمنين عليه السّلام إلاّ من كان بطلا محاميا و مجاهدا شديد البأس و رابط الجأش. و قال الجاحظ فى البيان و التبيين (ص ٢٥٧ ج ٣ طبع القاهره): يعقوب بن داود قال: ذمّ رجل الأشتر، فقال له رجل من النخع: اسكت فانّ حياته هزمت أهل الشام، و موته هزم أهل العراق.

قوله عليه السّلام:«فانّه ممّن لا يخاف - إلخ» الظاهر أنّ هذا التعليل يتعلّق بقوله عليه السّلام أمّرت عليكما أى أنّما أمّرت مالكا عليكما و على من فى حيّزكما لأنّه ممّن لا يخاف وهنه - إلخ. فدلّ كلامه عليه السّلام على أنّ هذا الأمر لا يصلح

إلّا لمن اجتمعت فيه تلك الأوصاف.

و يمكن أن يتعلّق بقوله عليه السّلام فاسمعا له و تاليه و كأنّ الأوّل أولى و أجدر يعنى أنّ مالكا ممّن لا يخاف أحد ضعفه و عثرته فى المعارك لثبات قدمه فى المهالك ثمّ وصفه بأنّه حازم فى الامور و بصير فيها بحيث لا يبطىء فيما الاسراع إليه أقرب إلى الحزم، و كذلك لا يسرع فيما الإبطاء عنه أولى و أنسب بل يبطىء عن ما ينبغى الإبطاء عنه، و يسرع إلى ما يليق الاسراع إليه.

ثمّ إنّ وصفه عليه السّلام مالكا بها يدلّ على تثبّته عند الهزائز، و شجاعته قبال الأبطال و كثره حذاقته فى الامور حيث عرّفه أوّلا بأنّه ممّن لا يخاف وهنه و لا سقطته و ثانيا بأنّه يبطىء فى محلّه و يسرع كذلك و لا ريب أنّه إذا كان قوم أميرهم جبانا فمحال أن يرتقوا إلى المدارج العاليه و ينالوا المراتب الساميه فإنّ الجبن بوجب الوهن الموجب للسقطه فى الامور كلّها فأمير الجيش إذا أدركه الجبن أدركته الهزيمه بلا تراخ. و الخطيب إذا أدركه الجبن كلّ عن التكلّم بلا كلام بل ربّما لم يقدر على التفوّه أو إن تفوّه فكثيرا مّا يهجر و كذا الحكم فى غير الخطيب أيضا و قد مضى طائفه من كلامنا فى ذلك فى شرح المختار ۲۳۱ من باب الخطب ص ۳۴ ج ۱ من التكمله.

قال ابن قتيبه الدينورى فى كتاب الحرب من عيون الأخبار فى أخبار الجبناء (ص ۱۶۵ ج ۱ طبع مصر): كان خالد بن عبد اللّه من الجبناء خرج عليه المغيره ابن سعيد صاحب المغيره [من الرافضه] و هو من بجيله فقال من الدّهش: أطعمونى ماء فذكّره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به و استطعم الماء لمّا جدّ فى الهرب.

و قال (ص ۱۶۴ منه): أبو منذر قال: حدّثنا زيد بن وهب، قال: قال لى علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه: عجبا لابن النّابغه! يزعم أنّى تلعابه أعافس و امارس! أما و شرّ القول أكذبه، إنّه يسأل فيلحف و يسأل فيبخل فإذا كان عند

البأس فانّه امرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همّه أن يبرقط و يمنح الناس استه. قبحه اللّه و ترحه.

أقول: و قد أتى الرضىّ رحمه اللّه فى النهج بكلامه عليه السّلام هذا لابن النابغه إلاّ أنّ بين النسختين تفاوتا فى الجمله كمّا و كيفا، و الرضىّ توفّى ۴۰۶ ه و ابن قتيبه ۲۷۶ ه.

قال: و قال عبد الملک بن مروان فى اميه بن عبد اللّه بن خالد:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده و ليت حديد الناب عند الثرائد

قال: قال ابن المقنع: الجبن مقتله، و الحرص محرمه فانظر فيما رأيت و سمعت: من قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا؟ و انظر من يطلب إليک بالإجمال و التکرّم أحق أن تسخو نفسک له بالعطيه أم من يطلب اليک بالشره و الحرص؟ قال: المدائنى قال: رأى عمرو بن العاص معاويه يوما يضحک فقال له: ممّ تضحک يا أمير المؤمنين أضحک اللّه سنّک؟ قال: أضحک من حضور ذهنک عند إبدائک سوءتک يوم ابن أبى طالب أما و اللّه لقد وافقته منّانا كريما، و لو شاء أن يقتلک لقتلک. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما و اللّه إنى لعن يمينک حين دعاک إلى البراز فاحولّت عيناک و ربا سحرک و بدامنک ما أكره ذكره لک فمن نفسک فاضحک أودع.

أقول: و قد مضى كلامنا على التفصيل فى دعوه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام معاويه إلى البراز و الحيله الشنيعه التى احتال بها ابن النابغه فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۱۶ الى ۳۱۹ ج ۱).

قال الشاعر:

يفرّ الجبان عن أبيه و امّه و يحمى شجاع القوم من لا يناسبه

و الأخبار فى الجبناء كثيره جدا لا يخلو اكثرها عن لطافه و انما أتينا بشرذمه منها روما للتنوّع فى الكلام الموجب لرفع الكلال.

قوله عليه السّلام: «و قد أمرته بمثل الذى أمرتكما ألاّ يبدأ القوم إلخ -».

ص:۱۲۲

قد دريت من الكتاب الذى أرسله عليه السّلام إلى الأشتر على ما رواه نصر و أبو جعفر أنه عليه السّلام قال له: إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك – إلخ. فيكون كلامه عليه السّلام بمثل الّذى أمرتكما بمعنى مثل الّذى آمر كما الان. و سيأتى إن شاء اللّه تعالى تفصيل الكلام فى نهيه عليه السّلام امراء جيشه عن أن يبدءوا القوم بقتال فى شرح الكتاب التالى لهذا الكتاب اعنى الكتاب الرابع عشر، و ترجمه مالك الأشتر رضوان اللّه عليه فى شرح الكتاب ۳۸ أوله من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا للّه – إلخ.

ثمّ ينبغى أن يتأمّل الأديب الحاذق فى الكتاب كيف نسجه الأمير عليه السّلام على اسلوب بلغ من البلاغه ما يعدّ فى السحر سيّما ذيله: و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل.

الترجمه

يكى از كتابهاى أمير عليه السّلام است كه بدو اميرى از اميران سپاهش نوشته است:

همانا كه بر شما و بر هر كه در كنف شما و در تحت امارت شما است مالك بن حارث اشتر را امير گردانيدم پس بشنويد امر او را و فرمان بريد. و وى را زره و سپر خود بگردانيد، چه او كسى است كه بيم سستى و لغزش در او نمى رود.

و خوف درنگى در كارى كه سرعت بدان باحتياط نزديكتر، و سرعت بكارى كه تأنّى در آن بهتر است در بارهٔ او راه ندارد.

ص:۱۲۳

و من وصيته عليه السّلام لعسكره بصفين

اشاره

و كلامه هذا هو المختار الرابع عشر من باب كتبه و رسائله عليه السّلام لا تقاتلوهم حتّى يبدءوكم فإنّكم بحمد اللّه على حجّه، و ترككم إيّاهم حتّى يبدءوكم حجّه أخرى لكم عليهم. فإذا كانت الهزيمه بإذن اللّه فلا- تقتلوا مدبرا؛ و لا تصيبوا معورا؛ و لا تجهزوا على جريح؛ و لا تهيجوا النّساء بأذى و إن شتمن أعراضكم، و سببن أمرائكم فإنّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول. إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و إنّهنّ لمشركات. و إن كان الرّجل ليتناول المرأه فى الجاهليّه بالفهر أو الهراوه فيعيّر بها و عقبه من بعده.

بيان مصادر الوصيه و اسنادها بطرق كثيره من الفريقين و نقل نسخها

قد رواها الفريقان فى الجوامع الروائيه بأسناد عديده و صور كثيره متفاوته و فى بعضها زياده لم يذكرها الرضيّ رحمه اللّه.

فقد رواها نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى المتوفّى سنه ۲۱۲ ه فى كتاب صفين (ص ۱۰۶ من الطبع الناصرى) حيث قال: نصر عمر بن سعد و حدّثنى رجل عن عبد اللّه بن جندب، عن أبيه أنّ عليّا عليه السّلام كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدءوكم فانّكم بحمد اللّه على حجّه و ترككم إيّاهم

حتّى يبدءوكم حجّه اخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح، و لا تكشفوا عوره، و لا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، و لا تدخلوا دارا إلّا بإذنى، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلّا ما وجدتم فى عسكرهم، و لا تهيجوا امرأه إلّا باذنى، و إن شتمن أعراضكم و تناولن امراءكم و صلحاءكم فانّهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول و لقد كنّا و إنّا لنؤمر بالكفّ عنّهنّ و انّهنّ لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأه فى الجاهليّه بالهراوه و الحديد فيعيّر بها عقبه من بعده.

و فى الجامع الكافى لثقه الاسلام الكلينىّ قدّس سرّه المتوفّى سنه ۳۲۹ ه كتاب الجهاد (ص ۳۳۸ طبع ۱۳۱۵ ه): و فى حديث عبد اللّه بن جندب، عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يأمر فى كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدءوكم فانّكم بحمد اللّه على حجّه، و ترككم إيّاهم حتّى يبدءوكم حجّه لكم اخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا، و لا تجيزوا على جريح و لا تكشفوا عوره و لا تمثلوا بقتيل. (الوافى ص ۱۹ ج ۹).

و فى مروج الذهب للمسعودىّ المتوفى ۳۴۶ ه (ص ۹ ج ۲ طبع مصر ۱۳۴۶ ه) قام علىّ عليه السّلام (يعنى فى حرب الجمل) فقال: أيّها النّاس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، و لا تقتلوا أسيرا، و لا تتبعوا موليا، و لا تطلبوا مدبرا، و لا تكشفوا عوره، و لا تمثلوا بقتيل، و لا تهتكوا سترا، و لا تقربوا من أموالهم إلّا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمه و ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب اللّه.

و قد روى أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبرىّ المتوفّى ۳۱۰ ه فى تاريخه (ص ۶ ج ۴ طبع مصر) بإسناده عن عبد الرّحمن بن جندب الأزدىّ، عن أبيه أنّ عليّا عليه السّلام كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول: لا تقاتلوا القوم - إلى آخر ما نقلنا عن نصر - فإنّ الروايتين متّحدتان تقريبا، على أنّ روايه الطبرى قد نقلناها فى شرح المختار ۲۳۶ (ص ۲۲۲ ج ۱۵) و فى البحار نقلا عن الكافى: و فى

حدیث عبد الرّحمن بن جندب، عن أبیه أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام کان یأمر - إلخ (ص ۶۲۴ ج ۸ من الطبع الکمبانی).

و أقول: یشبه أن یکون عبد اللّه بن جندب حرّف فی تاریخ الطبریّ بعبد الرّحمن بن جندب، لأنّ نصرا و الکلینیّ رویا هذه الروایه عن عبد اللّه بن جندب، عن أبیه بلا اختلاف و رواها الطبریّ عن ابن جندب، عن أبیه أیضا و صوره الروایه فی الجمیع واحده و لو لا عبد الرّحمن مکان عبد اللّه فی التاریخ لکانت صوره السند أیضا واحده.

و فی الجامع الکافی ایضا (ص ۳۳۸ من کتاب الجهاد طبع ۱۳۱۵ ه): و فی حدیث مالک بن أعین قال: حرّض أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه الناس بصفّین فقال:

إنّ اللّه عزّ و جلّ قد دلّکم علی تجاره تنجیکم من عذاب ألیم و تشفی بکم علی الخیر:

الایمان باللّه، و الجهاد فی سبیل اللّه؛ و جعل ثوابه مغفره للذّنب، و مساکن طیّبه فی جنّات عدن. و قال جلّ و عزّ: «إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ » (الصف - ۵) فسوّوا صفوفکم کالبنیان المرصوص فقدّموا الدّارع، و أخّروا الحاسر، و عضّوا علی النواجد فانه أنبأ للسیوف عن الهام. و التووا أطراف الرماح فانّه أمور للأسنّه. و غضّوا الأبصار فانه أربط للجاش و أسکن للقلوب. و أمیتوا الأصوات فانه أطرد للفشل و أولی بالوقار. و لا تمیلوا برایاتکم و لا تزیلوها و لا تجعلوها إلّا مع شجعانکم فانّ المانع للذّمار و الصابر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ. و لا تمثلوا بقتیل. و إذا وصلتم إلی رحال القوم فلا تهتکوا سترا. و لا تدخلوا دارا. و لا تأخذوا شیئا من أموالهم إلّا ما وجدتم فی عسکرهم.

و لا تهیجوا امرأه بأذیً و إن شتمن أعراضکم و سببن أمراءکم و صلحاءکم فانّهنّ ضعاف القوی و الأنفس و العقول و قد کنّا نؤمر بالکفّ عنهنّ و هنّ مشرکات و ان کان الرجل لیتناول المرأه فیعیّربها و عقبه من بعده. و اعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذین یحفّون برایاتهم و یکتنفونها و یصیرون حفافیها و وراءها و أمامها و لا یضیعونها.

لا یتأخّرون عنها فیسلّموها. و لا یتقدّمون علیها فیفردوها. رحم اللّه امرأ واسی

أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك الآئمه و يأتى بدناءه و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل اثنين و هذا ممسك يده قد خلّى قرنه على أخيه هاربا منه ينظر إليه و هذا فمن يفعله يمقته اللّه فلا تعرّضوا لمقت اللّه عزّ و جلّ فانما ممرّكم إلى اللّه و قد قال اللّه عزّ و جلّ: «لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً » (الأحزاب - ١٧) و أيم اللّه لئن فررتم من سيوف العاجله لا تسلمون من سيوف الاجله فاستعينوا بالصبر و الصدق فانما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا فى اللّه حقّ جهاده و لا قوّه إلاّ باللّه (الوافى ص ١٩ ج ٩).

أقول: قد أتى الرضىّ رحمه اللّه ببعض هذا الحديث المنقول من الكافى فى المختار ١٢٢ من باب الخطب أوّله: فقدّموا الدارع و أخّروا الحاسر - إلخ. و سيأتى نقل روايات اخرى فى ذلك فى المختار ١۶ من هذا الباب إنشاء اللّه تعالى.

ثمّ على روايتى الكافى كانت الوصيّه ملفّقه منهما صدرها من حديث عبد اللّه بن جندب و ذيلها من حديث مالك بن أعين.

اللغه

«يبدءوكم» مهموز اللاّم من البدأ يقال: بدأ الشى و به يبدأ بدءا من باب منع أى افتتحه و قدّمه و البدأ و البدىء: الأوّل. و منه قولهم افعله بادىء بدء على وزن فعل، و بادىء بدىء على وزن فعيل أى أوّل شىء.

«الحجّه» بالضمّ: الدّليل و البرهان. و الجمع حجج و حجاج. قال تعالى: «قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّهُ الْبالِغَهُ » (الأنعام - ١۴٩) تقول: حاجّه فحجّه أى غلبه بالحجّه. و احتجّ على خصمه أى ادّعى و أتى بالحجّه. و احتجّ بالشىء جعله حجّه و عذرا له. و قال الراغب فى المفردات: الحجه الدلاله المبيّنه للحجّه أى المقصد المستقيم، و الّذى يقتضى صحّه أحد النقيضين.

«الهزيمه» هزم العدوّ هزما من باب ضرب أى كسرهم و فلّهم. و هزمت

ص:١٢٧

الجيش هزما و هزيمه فانهزموا أى وقعت عليهم الهزيمه. قال الراغب فى المفردات:

اصل الهزم غمز الشىء اليابس حتى ينحطم كهزم الشّنّ، و هزم القثّاء و البطيخ و منه الهزيمه لأنه كما يعبّر عنه بذلك يعبّر عنه بالحطم و الكسر، قال تعالى: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ » - «جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ » و أصابته هازمه الدهر أى كاسره كفاقره. و هزم الرعد تكسّر صوته.

«معور» من العوره. قال الجوهرىّ فى الصحاح: العوره كلّ خلل يتخوّف منه فى ثغر أو حرب، و عورات الجبال شقوقها. و هذا مكان معور أى يخاف فيه القطع.

و قال ابن الأثير فى النهايه: كلّ عيب و خلل فى شىء فهو عوره و منه حديث علىّ عليه السّلام و لا تجهزوا على جريح و لا تصيبوا معورا. اعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضّرب فيه. انتهى.

و قد أعور لك الصيد و أعورك: أمكنك: قال تأبّط شرا (الحماسه ٧٧).

أقول للحيان و قد صفرت لهم و طابى و يومى ضيّق الحجر معور

و قال المرزوقىّ فى شرحه: و معور من أعور لك الشىء اذا بدت لك عورته و هى موضع المخافه. قال اللّه تعالى فى الحكايه عن المنافقين لما قعدوا عن نصره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: إنّ بيوتنا عوره، أى واهيه يجب سترها و تحصينها بالرجال و كما قيل: يوم معور قيل: مكان معور أى مخوف. و يقال: عور المكان إذا صار كذلك. و قال بعضهم: كلّ ما طلبته فأمكنك فقد أعورك و أعور لك.

العوره: سوأه الإنسان، و ذلك كنايه و أصلها من العار و ذلك لما يلحق فى ظهوره من العار أى المذمّه و لذلك سمّى النساء عوره و من ذلك العوراء للكلمه القبيحه. قاله الراغب فى المفردات فى غريب القرآن.

«و لا تجهزوا على جريح» الجريح فعيل بمعنى المفعول أى المجروح و هو المصاب بجرح، جمعه جرحى كقتيل و قتلى. يستوى فيه المذكّر و المؤنث يقال:

رجل جريح و امرأه جريح.

ص:١٢٨

أجهز على الجريح اجهازا أى شدّ عليه و أسرع و أتمّ قتله.

و فى الصحاح أجهزت على الجريح إذا أسرعت قتله و قد تمّمت عليه، و لا تقل أجزت على الجريح. انتهى.

أقول: و تردّه روايه الجامع الكافى المتقدّمه «و لا تجيزوا على جريح».

و روايته الاخرى باسناده، عن عبد اللّه بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تتبعوا مولّيا و لا تجهزوا على جريح و من أغلق بابه فهو آمن، فلما كان يوم صفين قتل المقبل و المدبر و أجاز على الجريح الحديث. و روايته الاخرى عن الصادق عليه السّلام: و جريحهم يجاز عليه (ص ١٨ ج ٩ من الوافى) و الاجازه على الجريح كالاجهاز عليه معنى.

قال ابن الأثير فى النهايه: و فيه - يعنى فى الحديث - هل تنتظرون إلّا مرضا مفسدا أو موتا مجهزا أى سريعا يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله و منه حديث علىّ عليه السّلام لا يجهز على جريحهم أى من صرع منهم و كفى قتاله لا يقتل لأنّهم مسلمون و القصد من قتالهم دفع شرّهم فاذا لم يمكن ذلك إلّا بقتلهم قتلوا و منه حديث ابن مسعود انه أتى على أبى جهل و هو صريع فأجهز عليه. انتهى.

ثمّ إنّ ما عليه أهل اللغه و ما ذهب اليه فقهاء الفريقين فى الكتب الفقهيه و شرّاح الأحاديث أنّ كلمه تجهزوا و يجهز و امثالهما فى المقام مشتقه من الإجهاز إلا أن كلمه تجهزوا مشكوله فى نسخه مخطوطه من النهج قوبلت بنسخه السيد الرضىّ رضى اللّه عنه بفتح الجيم و كسر الهاء المشدّده أعنى أنها مأخوذه من التجهيز و لكنّ الوجه الأوّل أنسب و أصوب و لذا اخترناه فى المتن:

«لا تهيجوا» فى بعض النسخ مشكوله بضم التاء و فتح الهاء و كسر الياء المشدّده من التّهييج، و فى بعضها بضمّ التاء و كسر الهاء من الإهاجه، و نسخه الرضىّ رضوان اللّه عليه مشكوله بفتح التاء و كسر الهاء يقال: هاج الشىء يهيج هيجا و هياجه و هياجا و هيجانا أى ثار و انبعث، و هاج الشىء و بالشىء أثاره و بعثه يتعدّى و لا يتعدّى. و كذا يقال: هيّج الشىء تهييجا إذا أثاره و بعثه إلّا أنّ كثره

المبانى تدلّ على كثره المعانى فلا- بدّ فى التهييج من زياده الهيجان و مبالغته و تكثيره و الظاهر أنّه لا حاجه فى المقام إلى المبالغه و التكثير. و أمّا القراءه الثانيه فما وجدت لها معنى يناسب المقام و أظنّها مصحّفه فقراءه الرضىّ متعيّنه.

«أعراضكم» الأعراض جمع العرض بكسر العين المهمله و سكون الراء أحد معانيه النفس يقال: أكرمت عنه عرضى أى صنت عنه نفسى.

قال عتبه بن بجير الحارثى (باب الاضياف من الحماسه، الحماسه ۶۷۴):

فقام أبو ضيف كريم كأنّه و قد جدّ من فرط الفكاهه مازح

إلى جذم مال قد نهكنا سوامه و أعراضنا فيه بواق صحائح

قال المرزوقىّ فى الشرح: يعنى بأبى الضيف نفسه، و جعله كالمازح المفاكه لما أظهره من التطلق و البشاشه و اظهار السرور بما يأتى من توفير الضيافه و الاحتفال فيه و ايناس الضيف و البسط منه محتفّا بالضيافه، و يريد بالقيام غير الّذى هو ضدّ القعود و إنّما يريد به الاشتغال له بما يؤنّسه و يرحّب منزله و يطيّب قلبه، على ذلك قوله تعالى: «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ »، لأنّه لم يرد القيام المضادّ للعقود بل أراد التهيّوء و التشمّر له، و الجذم: الأصل، و معنى نهكنا سوامه أثرنا فى السائمه من المال بما عوّدناها من النحر و التفريق و يقال: نهكه المرض إذا أضرّ به، و قوله:

و أعراضنا فيه بواق صحائح أى نفوسنا باقيه على حدّها من الظّلف و الصّيانه، لم تشنها الأفعال الذميمه، و لا كسرتها التكاليف المبخّله فهى سليمه لا آفه بها و لا عار يكتنفها، و إن كانت أموالنا مشفوهه مفرّقه، انتهى ملخّصا.

و فى الصحاح: يقال فلان نقىّ العرض أى برىء من أن يشتم أو يعاب، و قد قيل: عرض الرجل حسبه، انتهى.

أقول: كثيرا مّا يستعمل العرض فى الحسب و منه قول بشامه بن الغدير:

دافعت عن أعراضها فمنعتها و لدىّ فى أمثالها أمثالها

ذوو العرض من القوم أى أشرافهم، و فلان عرب العرض أى لئيم الأسلاف و العرض ما يفتخر الانسان به من حسب أو شرف و ما يصونه الانسان من نفسه أو سلفه

ص:۱۳۰

أو من يلزمه أمره أو موضع المدح و الذّم منه.

«الفهر» بالكسر الحجر ملء الكفّ يذكّر و يؤنّث و الجمع أفهار و قيل هو الحجر مطلقا، و فى الحديث: لمّا نزلت تبّت يدا أبى لهب، جاءت امرأته و فى يدها فهر، نقله ابن الأثير فى النهايه، قال مزرّد بن ضرار (البيان و التبيين ج ۳ ص ۷۷):

فجاء على بكر ثفال يكدّه عصاه استه و جء العجايه بالفهر

البكر الفتى من الابل، و الثفال: البطىء، الوجء: الضرب، العجايه:

العصب يضرب حتّى يلين، أى جاء على بكر ثقيل فى مشيه و لم يكن له عصا يضربه بها حتّى يسير بل يحرّك و يضرب استه عليه بشدّه نحو ضرب العجايه بالفهر.

«الهراوه» بالكسر: العصاء الضخمه جمعها الهراوى بالفتح كالمطايا: تقول:

هروته و تهريّته إذا ضربته بها، قال فضاله بن شريك الأسدى (ص ۱۵ ج ۳ من البيان و التبيين):

دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعه قلبى لها غير آلف

فناولنى خشناء لمّا لمستها بكفّى ليست من أكفّ الخلائف

من الشّثنات الكزم أنكرت مسّها و ليست من البيض الرّقاق اللّطائف

معاوده حمل الهراوى لقومها فرورا إذا ما كان يوم التّسايف

و فى هامشه: و كان من خبر الشعر أنّ عبد اللّه بن الزبير كان قد ولّى عبد اللّه ابن مطيع الكوفه فكان ينشر الدّعوه و يتقبّل البيعه لابن الزبير، حتّى إذا نهض المختار بن أبى عبيد و دعا لنفسه، طرد عن الكوفه فيمن طرد عبد اللّه بن مطيع فقال فضاله الشعر، و قد رواه أبو الفرج فى الأغانى (۱۶۴:۱۰) بروايه أبسط.

و اعلم أنّ جمع الهراوه و الاداوه و أمثالهما كان قياسه هراوى و اداوى على وزن فعائل نحو رساله و رسائل لكنّهم تجنّبوه و فعلوا به ما فعلوا بالمطايا و الخطايا و جعلوا فعائل فعالى و أبدلوا هنا الواو لتدلّ على انّه قد كانت فى الواحده و او ظاهره قالوا أداوى و هراوى فهذه الواو بدل من الألف الزائده فى أداوه و هراوه و الألف

الّذى فى آخر الأداوى و الهراوى بدل من الواو الّتى فى أداوه و هراوه و الزموا الواو هاهنا كما الزموا الياء فى المطاياء قاله الجوهرىّ فى أدو من الصحاح.

«عقبه» عقب الرجل ولده و ولد ولده و فيها لغتان عقب و عقب بالتسكين و هى مؤنثه عن الأخفش كما فى صحاح الجوهرىّ جمعها أعقاب.

الاعراب

الفاء فى فانّكم لتعليل النهى عن القتال بدوا، على حجه خبر لانّ بحمد اللّه معترضه، حجه خبر للترك و اخرى صفه للحجه، لكم و عليكم متعلّقان بها، الفاء فى فلاـ تقتلوا جواب إذا، بأذى متعلّق بلا تهيجوا، الواو فى و إن شتمن للوصل و سببن عطف على شتمن، و الفاء فى فانّهنّ لتعليل النهى عن هيجانهنّ بأذى إن فى إن كنّا مخفّفه عن المثقّله و فيه ضمير الشأن و تلزم اللّام خبرها فرقا بينها و بين إن النافيه، الواو فى و انهن للحال، الواو فى و إن كان عطف على إن كنّا، و إن هذه مخفّفه من المثقّله أيضا و قيل للشرط و هو وهم، و اللاّم فى خبرها كالأولى و يعيّر فعل مجهول ضميره يرجع إلى الرجل، و عقبه مرفوعه بيعيّر بالعطف أعنى أنّها معطوفه على الضمير المستكن المرفوع فى فيعيّر.

و لما كان الضمير المرفوع المتّصل بارزا كان أو مستترا ينزل من عامله منزله الجزء فالعطف عليه لا يحسن فى فصيح الكلام إلاّ بعد توكيده بتوكيد لفظى مرادف له بأن يكون بضمير منفصل نحو قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ » (الأنبياء ۵۴) و «اُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ » (البقره - ۳۵) أو بتوكيد معنوى كقول الشاعر:

دعوتم أجمعون و من يليكم برؤيتنا و كنّا الظافرينا

أو بعد فاصل أىّ فاصل كان بين المعطوف عليه و المعطوف نحو قوله تعالى.

«جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ » (الرعد ۲۳) و كقول الأمير عليه السّلام.

فيعيّر بها و عقبه من بعده. أو بعد فصل بلاـ النافيه بين حرف العطف و المعطوف نحو قوله تعالى: «لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا » (الأنعام ۱۴۸).

المعنى

قد علم بما قدّمنا من مصادر هذه الوصيّه أنّ روايه نصر و الطبرى هى أقرب الروايات إليها متنا من غيرها لكن روايتهما لم تخصّها بصفين بل رويا عن جندب انّه قال: انّ عليّا عليه السّلام كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول تلك الوصيّه و قد نصّ الرضىّ بأنّه عليه السّلام وصّى بها عسكره بصفين، نعم انّ للكلينىّ قدّس سرّه فيها روايتين ذكر فى إحداهما انّه عليه السّلام قالها بصفّين كما دريت إلاّ أنّ روايته هذه تشمل على ذيل هذه الوصيّه من قوله عليه السّلام: و لا تهيجوا امرأه بأذى – إلى آخرها.

و الّذى يسهّل الخطب أنّ كلام الرضىّ لا يدلّ على الحصر و التخصيص و قد اتّفق الرواه و تظافرت الروايات فى أنّه عليه السّلام كان يأمرهم فى كلّ موطن لقيهم العدوّ بها.

و العدوّ الخارج على الإمام المعصوم عليه السّلام إن كان من المسلمين يعرف فى كتاب الجهاد من الكتب الفقهيّه بالباغى، و من هذه الوصيّه و ممّا نتلوها عليك إن شاء اللّه تعالى يعلم طائفه من أحكام القتال مع البغاه.

و من البغاه الخارجين على أمير المؤمنين عليه السّلام أصحاب الجمل حاربوه فى البصره و أتباع معاويه حاربوه فى صفين، و الخوارج حاربوه فى نهروان.

و عن علىّ عليه السّلام انّه قال: امرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين ففعلت ما امرت.

و قد مرّ قوله فى أواخر الخطبه القاصعه: و قد أمرنى اللّه بقتال أهل البغى و النكث و الفساد فى الأرض فأمّا الناكثون فقد قاتلت، و أمّا القاسطون فقد جاهدت و أمّا المارقه فقد دوّخت – إلخ.

و كذا قوله عليه السّلام فى الخطبه الشقشقيّه: فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفه، و مرقت اخرى، و فسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام اللّه سبحانه حيث يقول:

«تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ »

ص:۱۳۳

«لِلْمُتَّقِينَ » (القصص - ۸۳) بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها و لكنّهم حليت الدّنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها - إلخ.

و فى المجلس الخامس عشر من أمالى الطوسىّ قدّس سرّه فى حديث طويل أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال لامّ سلمه: يا امّ سلمه! اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب سيّد المسلمين و إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجّلين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، قلت: يا رسول اللّه من الناكثون؟ قال صلّى اللّه عليه و اله: الّذين يبايعون بالمدينه و ينكثون بالبصره. قلت: و من القاسطون؟ قال صلّى اللّه عليه و اله: معاويه و أصحابه من أهل الشام. قلت: و من المارقون؟ قال صلّى اللّه عليه و اله: أصحاب نهروان. الحديث.

فالناكثون أصحاب الجمل لأنّهم نكثوا بيعتهم، و القاسطون أهل الشام أتباع معاويه لأنّهم جاروا فى حكمهم و بغوا عليه، و المارقون الخوارج لأنّهم مرقوا من الدّين كما يمرق السهم من الرميه.

و قد روى نصر بن مزاحم فى صفين (ص ۱۷۶ من الطبع الناصرى) فى حديث طويل دار بين أبى اليقظان عمّار بن ياسر رحمهما اللّه تعالى و بين عمرو بن عاص فى وقعه صفين أنّ أبا اليقظان قال له: و ساخبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أن اقاتل الناكثين و قد فعلت، و أمرنى أن اقاتل القاسطين فأنتم هم، و أمّا المارقين فما أدرى أدركهم أم لا- أيّها الأبتر أ لست تعلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال لعلىّ: من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللّهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه - إلخ.

و قال الشارح المعتزلى فى شرح النهج: روى إبراهيم بن ديزيل الهمدانىّ فى كتاب صفين عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبى غنيّه(۱) عن أبيه، عن إسماعيل بن رجا، عن أبيه، و محمّد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجا، عن أبى سعيد الخدرى رحمه اللّه قال: كنّا مع

۱- (۱) قد حرفت كلمه غنيه فى النسخ، و الصواب أنها بفتح الغين المعجمه و كسر النون و تشديد التحتانيه كما فى تقريب التهذيب لابن حجر. منه.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فانقطع شسع نعله فألقاها إلى علىّ عليه السّلام يصلحها، ثمّ قال:

إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول اللّه؟ قال: لا، فقال عمر بن الخطّاب: أنا هو يا رسول اللّه؟ قال: لا و لكنّه ذاكم خاصف النعل و يد علىّ عليه السّلام يصلحها، قال أبو سعيد: فأتيت عليّا عليه السّلام فبشّرته بذلك فلم يحفل به كأنّه شيء قد كان علمه من قبل. نقله عنه المجلسى رحمه اللّه فى ثامن البحار ص ۴۵۷.

أقول: الخبر المروىّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بأنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام يقاتل بعده الناكثين و القاسطين و المارقين ممّا اتّفقت عليه الامّه و قد روى فى جوامع الفريقين بوجوه عديده و طرق كثيره و قد أفرد فى فتن البحار بابا لذلك (ص ۴۵۴ ج ۸) فهذا الخبر الدالّ على الاخبار الصريح بالغيب من معجزاته و دلائل نبوّته و هذا ممّا لا تخالجه شكوك و لا تمازجه ظنون.

و انّما يعرف الخارج على الإمام العادل بالباغى لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله عمّار ابن ياسر رحمهما اللّه: انّما تقتلك الفئه الباغيه، و هذا الخبر ممّا اتفقت الامّه على نقله و قد مضى الكلام فيه من أنّ هذا الحديث لا تناله يد الانكار، و قد رواه البخارى و المسلم فى صحيحهما و قال الحافظ السيوطى انّه من الأخبار المتواتره و نقله أكثر من عشره من الصحابى. فراجع إلى شرح المختار ۲۳۶ من الخطب فى ترجمه عمّار (ج ۱۵ ص ۲۷۳-۲۹۹).

و لقوله تعالى: «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » (الحجرات - ۱۰).

إن قلت: فالايه تدلّ على أنّ الخارجين على الإمام العادل مؤمنون و أنتم قد ذهبتم فى المباحث السالفه إلى أنّهم كافرون و ادّعيتم على أنّه مذهب الجلّ من الإماميّه فكيف التوفيق و ما جوابك عن الايه؟

قلت: أوّلا ـ الا ـ يه لا تـدلّ على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهما هـذا الاسم و لا يمتنع أن يفسق إحـدى الطائفتين أو تفسـقا جميعا - كما فى تفسـير المجمع - إلاّ أنّ الأدلّه القطعيّه لما كانت ناطقه بعصمه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و انه حجّه اللّه على خلقه و خليفه رسوله و أنّ الفسق لا ـ يتطرّق عليه أبـدا علمنـا أنّه عليه السّ ـ لام كـان باقيـا على الإيمان و ما كان باغيا على أحد بل الباغى غيره.

و ثانيا أنّه تعالى انّما سـمّى البغاه مؤمنين فى الظاهر كما قال: «وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ » (الأنفال - ٧) و هذه صفه المنافقين بلا خلاف فالايه لا تدلّ على أنّ البغاه على الإيمان واقعا.

و ثالثا أنّ خبر الأسـياف أعنى خبر حفص بن غياث المروى فى الكافى و التهذيب و تفسير علىّ بن إبراهيم عن أبى عبد اللّه عليه السّ ـ لام دالّ على أنّ الخارج على الامام العادل باغ بالمعنى الّذى ذهبنا إليه و قد أشـهد الإمام عليه السّلام الايه على ذلك المعنى و لا ـ بـأس بنقـل الخبر و إن كان طويلا لاشـتماله على فوائـد كثيره من أحكام الجهاد و وجوهه و غيرها، روى الكلينىّ فى كتاب الجهاد من الكافى بإسـناده عن المنقرى، عن حفص بن غياث، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سأل رجل أبى صلوات اللّه عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السّ ـ لام و كان السائل من محبّينا فقال له أبو جعفر عليه السّ ـ لام: بعث اللّه محمّ ـ دا صـلّى اللّه عليه و اله بخمسه أسـياف: ثلا ـ ثه منهـا شـاهره فلا ـ تغمـد حتّى تضع الحرب أوزارهـا و لن تضع الحرب أوزارها حتّى تطلع الشـمس من مغربهـا فـإذا طلعت الشـمس من مغربهـا امن النّـاس كلّهم فى ذلـك اليوم فيومئـذ «لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً »، و سيف منها مكفوف، و سيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا و حكمه إلينا.

و أمّا السيوف الثلاثه الشاهره فسيف على مشركى العرب قال اللّه عزّ و جلّ:

«فَاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَ خُـذُوهُمْ وَ احْصُـرُوهُمْ وَ اقْعُـدُوا لَهُمْ كُـلَّ مَرْصَـدٍ » «فَإِنْ تابُوا » - يعنى آمنوا - «وَ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّكاهَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ » فهؤلاء

لا يقبل منهم إلّا القتل أو الـدخول فى الإسـلام و أموالهم و ذراريهم سبى على ما سنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله فانّه سبى و عفى و قبل الفداء.

و السيف الثانى على أهل الـذّمّه قال اللّه تعالى: «وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْـناً » نزلت هـذه الايه فى أهل الذمّه ثمّ نسـخها قوله عزّ و جلّ «قـاتِلُوا الَّذِينَ لاـ يُؤْمِنُونَ بِـاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَـدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَهَ عَنْ يَـدٍ وَ هُمْ صـاغِرُونَ » فمن كـان منهم فى دار الإسـلام فلن يقبـل منهم إلاّـ الجزيه أو القتـل و مالهم فىء و ذراريهم سبى و إذا قبلوا الجزيه على أنفسـهم حرم علينا سبيهم، و حرمت أموالهم، و حلّت لنا مناكحتهم، و من كان منهم فى دار الحرب حلّ لنا سبيهم و أموالهم، و لم تحل لنا مناكحتهم و لم يقبل منهم إلّا الدّخول فى دار الإسلام أو الجزيه أو القتل.

و السيف الثالث سيف على مشركى العجم يعنى التّرك و الديلم و الخزر قال اللّه عزّ و جلّ فى أوّل السوره الّتى يذكر فيها الّذين كفروا فقصّ قصّتهم ثمّ قال:

«فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها » فأمّا قوله: فامّا منّا بعد يعنى بعـد السبى منهم، و امّا فـداء يعنى المفاداه بينهم و بين أهل الإسـلام فهؤلاء لن يقبل منهم إلّا القتل أو الـدخول فى الإسـلام و لا تحلّ لنا مناكحتهم ما داموا فى دار الحرب.

و أمّا السيف المكفوف فسيف على أهل البغى و التأويل قال اللّه عزّ و جلّ: «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْـداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ » فلمّا نزلت هـذه الايه قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله: إنّ منكم من يقاتـل بعـدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسـئل النبىّ صـلّى اللّه عليه و اله من هو؟ فقال: هو خاصف النعل يعنى أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه، و قال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذا الرايه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله ثلاثا و هذه الرابعه و اللّه لو ضـربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّهم على الباطل، و كانت السيره فيهم من أمير المؤمنين عليه السّلام ما كان من رسول اللّه صلى اللّه عليه و اله فى أهل مكّه يوم

فتح مكّه فانّه لم يسب لهم ذريّه و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن؛ و كذلك قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه يوم البصره نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرّيه، و لا تجهزوا على جريح، و لا تتبعوا مدبرا، و من أغلق بابه و ألقى سلاحه فهو آمن.

و أمّا السيف المغمود فالسيف الّذى يقوم به القصاص قال اللّه عزّ و جلّ: «اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ » فسلّه إلى أولياء المقتول و حكمه إلينا فهذه السيوف الّتى بعث اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و اله فمن جحدها أو جحد واحدا منها أو شيئا من سيرها و أحكامها فقد كفر بما أنزل اللّه على محمّد صلّى اللّه عليه و اله. انتهى الخبر الشريف و سيأتى بياننا فيه إن شاء اللّه تعالى.

و رابعا بعد الاغماض عن الاستشهاد بالايه على هذا المعنى، و التمسك بهذا الخبر فى بيانها علمنا أيضا أنّ من حارب الإمام العادل كافر بالأدلّه الّتى اشرنا إلى طائفه منها فى المجلّد الأوّل من هذه التكمله (ص ٣٦٧-٣٧٩) و فى المجلّد الثالث منها (ص ٧۶) فراجع. و سيأتى طائفه من الروايات الاخرى المنقوله عن أئمّه الدّين الدالّه على ذلك فى شرح المختار ١۶ من هذا الباب إن شاء اللّه تعالى.

و نزيدك بصيره بنقل ما أفاده علم الهدى فى الانتصار (ص ١٢٧ طبع طهران ١٣١۵) قال قدّس سرّه: و ممّا انفردت به الإماميه القول بأنّ من حارب الإمام العادل و بغى عليه و خرج عن التزام طاعته يجرى مجرى محارب النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و خالف طاعته فى الحكم عليه بالكفر و إن اختلف أحكامهما من وجه آخر فى المدافعه (المدافنه - خ) و الموارثه و كيفيّه الغنيمه من أموالهم و خالف باقى الفقهاء فى ذلك و ذهب المحصّلون منهم و المحقّقون إلى أن محاربى الإمام العادل فسّاق تجب البراءه منهم و قطع الولايه لهم من غير انتهاء إلى التكفير. و ذهب قوم من حشو أصحاب الحديث إلى أنّ الباغى مجتهد و خطاءه يجرى مجرى الخطاء فى سائر مسائل الاجتهاد.

و الّذى يدلّ على صحّه ما ذهبنا إليه إجماع الطائفه.

و أيضا فإنّ الإمام عندنا يجب معرفته و تلزم طاعته كوجوب (لوجوب - خ)

المعرفه بـالنبيّ صـلّى اللّه عليه و اله، و لزوم طـاعته كـالمعرفه بـاللّه تعـالى و كما أنّ جحـد تلك المعارف و التشـكيك فيها كفر كذلك هذه المعرفه.

و أيضا فقد دلّ الدّليل على وجوب عصـمه الإمام من كلّ القبائح و كلّ من ذهب إلى وجوب عصمته ذهب إلى كفر الباغى عليه و الخالف لطاعته، و التفرقه بين الأمرين خلاف إجماع الامّه.

فـإن قيـل: لو كان ما ذكرتم بالغا إلى حـدّ الكفر لوجب أن يكون مرتـدّا أو أن تكون أحكامه أحكام المرتـدّين و أجمعت الامّه على أنّ أحكام الباغى تخالف أحكام المرتدّ و كيف يكون مرتدّا و هو يشـهد الشهادتين، و يقوم بالعبادات؟ قلنا: ليس يمتنع أن يكون الباغى له حكم المرتدّ فى الإنسلاخ عن الإيمان و استحقاق العقاب (العذاب - خ) العظيم و إن كانت الأحكام الشرعيه فى مدافنه و موارثه و غير ذلك تخالف أحكام المرتدّ، كما كان الكافر الذّمى مشاركا للحربى فى الكفر و الخروج عن الإيمان و إن اختلفت أحكامهما الشرعيّه.

فأمّا إظهار الشهادتين فليس بدالّ على كمال الإيمانّ ألا ترى أنّ من أظهرهما و جحد وجوب الفرائض و العبادات لا يكون مؤمنا بل كافرا و كذلك إقامه بعض العبادات من صـلاه و غيرها، و من جحد أكثر العبادات و أوجبها من طاعه إمام زمانه و نصرته لم ينفعه أن يقوم بعباده اخرى و غيرها.

و أمّا ما تذهب إليه قوم من غفله الحشويه من عذر الباغى و إلحاقه بأهل الاجتهاد فمن الأقوال البعيده من الصواب، و من المعلوم ضروره أنّ الامّه اطبقت فى الصـدر الأوّل على ذمّ البغـاه على أمير المؤمنين عليه السّلام و محـاربته و البراءه منهم و لم يقم لهم أحد فى ذلك عذرا و هذا المعنى قد شرحناه فى كتبنا و فرغناه و بلغنا فيه النهايه و هذه الجمله ههنا كافيه.

فان اعترض المخالف على ما ذكرناه بالخبر الّذى يرويه معمّر بن سليمان عن عبـد الرّحمن بن الحكم الغفارى، عن عديسه بنت أهبان بن صيفى قالت: جاء علىّ عليه السّلام إلى أبى فقال: ألا تخرج معنا؟ قال: ابن عمّك و خليلك أمرنى إذا

اختلف الناس أن أتّخذ شيئا من خشب.

أو بالخبر الّذى يروى عن أبى ذرّ رحمه اللّه عليه أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله:

كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت و قد غرقت بالدّم؟ قال: قلت: ما اختار اللّه لى و رسوله، قال: تلحق، أو قال: عليك بمن أنت منه، قال: قلت: أفلا آخذ بسيفى و أضعه على عاتقى؟ قال: شاركت القوم إذا، قلت فما تأمرنى يا رسول اللّه؟ قال:

ألزم بيتك، قلت: فإن دخل على بيتى؟ قال: فإن خفت أن يبهرك شعاع السيف فألق رداءك على وجهك يبوء بإثمه و إثمك.

قلنا: هذان الخبران و أمثالهما لا يرجع بهما عن المعلوم و المقطوع بالأدلّه عليه بلا دليل و هى معارضه بما هو أظهر منها و أقوى و أولى من وجوب قتال الفئه الباغيه و نصره الحقّ و معونه الإمام العادل و لو لم يرو فى ذلك إلّا ما رواه الخاص و العام و الولىّ و العدوّ من قوله عليه السّلام: حربك يا علىّ حربى و سلمك يا علىّ سلمى، و قد علمنا أنّه عليه السّلام لم يرد أنّ نفس هذه الحرب تلك بل أراد تساوى تلك الأحكام فيجب أن يكون أحكام محاربيه هى أحكام محاربى النبىّ صلّى اللّه عليه و اله إلّا ما خصّصه الدّليل.

و ما روى أيضا من قوله: اللّهمّ انصر من نصره و اخذل من خذله.

و لأنّه عليه السّلام لما استنصره فى قتال أهل الجمل و صفين و نهروان أجابته الامّه بأسرها و وجوه الصحابه و أعيان التابعين و سارعوا إلى نصرته و معونته (معاونته - خ) و لم يحتجّ أحد عليه بشىء ممّا تضمّه هذان الخبران الخبيثان الضعيفان.

على أنّ الخبر الأوّل قد روى على خلاف هذا الوجه لأنّ أهدم بن الحارث (كذا) قال: قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يا أهبان (كذا) أما أنّك إن بقيت بعدى سترى فى أصحابى اختلافا فان بقيت إلى ذلك اليوم فاجعل سيفك يا أهبان من عراجين، و قد يجوز أن يريد عليه السّلام بالاختلاف الّذى يرجع إلى القول و المذاهب دون المقاتله و المحاربه.

ص:۱۴۰

على أنّ هذا الخبر ما يمنع من قتال أهل الردّه عند بغيهم و مجاهرتهم فهو أيضا غير مانع من قتال كلّ باغ و خارج عن طاعه الامام.

فأمّا الخبر الثّانى فممّا يضعفه أن أبا ذرّ رحمه اللّه عليه لم يبلغ إلى وقعه أحجار الزيت لأنّ ذلك انّما كان محمّد بن عبد اللّه بن الحسن فى أوّل أيّام (يوم - خ) المنصوب و أبو ذرّ مات فى أيّام عثمان فكيف يقول له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: كيف بك فى وقت لا يبقى إليه.

على أنّ أبا ذرّ رضى اللّه عنه كان معروفا بانكار المنكر بلسانه و بلوغه فيه أبعد الغايات و المجاهدات فى إنكاره و كيف يسمع من الرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله ما يقتضى خلاف ذلك. انتهى كلامه قدّس سرّه.

ثمّ اعلم أنّ القوم ذهبوا إلى أنّ فى الايه خمس فوائد: إحداها أنّ البغاه على الإيمان لأنّ اللّه سمّاهم مؤمنين.

الثانيه وجوب قتالهم فقال: فقاتلوا الّتى تبغى.

الثالثه القتال إلى غايه و هو أنّ يفيئوا إلى أمر اللّه بتوبه أو غيرها.

الرابعه أنّ الصلح إذا وقع بينهم فلا تبعه على أهل البغى فى دم و لا مال لأنّه ذكر الصلح أخيرا كما ذكره أوّلا و لم يذكر تبعه فلو كانت واجبه ذكرها.

الخامسه أنّ فيها دلاله على أنّ من كان عليه حقّ فمنعه بعد المطالبه به حلّ قتاله فانّ اللّه لما أوجب قتال هؤلاء لمنع حقّ كان كلّ من منع حقّا بمثابتهم و على كلّ أحد قتالهم.

أقول: أمّا الاولى فقد دريت ما فيها، و علمت أنّ تسميتهم البغاه ليس بالمعنى الّذى مال إليه بعضهم من انّه ليس بذمّ و لا نقصان و هم أهل الاجتهاد اجتهدوا فأخطئوا بمنزله طائفه خالفوا من الفقهاء أو بالمعنى الاخر الّذى مال إليها بعض آخر منهم من أنهم فسّاق تجب البراءه منهم و قطع الولايه لهم من غير انتهاء إلى الكفر، بل الّذى بالمعنى ذهبنا إليه من أنّ تسميتهم بذلك ذمّ و كفر، و قد استدلّ عليه أيضا بقوله تعالى: «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ »

«لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ » (التوبه آيه ١٢).

و بقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ » (المائده ٦٠).

و قد مضى وجه الاستدلال بهما فى شرح المختار ٢٣٦ من الخطب (ص ٣٧٧ ج ١ من التكمله).

و قد روى الفريقان أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و اله قال يوم خيبر: لأعطينّ الرايه غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله كرّارا غير فرّار، فتبصّر.

و بقوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ » (التوبه ٧٤).

و ذلك لأنّ المنافق من ظاهره الإسلام و كذلك الباغى لإظهاره الاسلام و خروجه عنه ببغيه على إمامه فهو حقيق باسم النفاق، و لذلك قال النبىّ صلّى اللّه عليه و اله لعلىّ عليه السّلام لا يحبّك إلاّ مؤمن تقىّ و لا يغضك إلاّ منافق شقىّ رواه النسائى فى صحيحه و رويناه أيضا نحن فى أخبارنا، و من يحاربه لا يحبّه قطعا فيكون منافقا و هو المطلوب، و لا يلزم من عدم جهاد النبىّ صلّى اللّه عليه و اله للمنافقين عدم ذلك بعده.

و أمّا الثانيه فصحيح، و قد يستدلّ أيضا على قتال البغاه بقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء ٦٣) بعموم وجوب طاعه اولى الأمر.

و أمّا الثالثه فكالثانيه.

و أمّا الرابعه فليست بصحيحه عندنا الإماميّه فانّ الباغى إذا أتلف مالا أو نفسا ضمنه نعم إن كان المتلف من أهل العدل فلا ضمان عليه لأنّ اللّه تعالى أوجب على أهل العدل قتالهم فكيف يوجب عليه القتال و يوجب عليه الضمان إذا أتلف مالا لهم أو قتل نفسا منهم، كما إذا أتلف الحربىّ مالا أو نفسا من أموال المسلمين

و نفوسهم ثمّ أسلم فانّه لا يضمن و لا يقاد لقوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ » (الأنفال ۴۰) و لخبر الجبّ.

و تفصيل هذه الأحكام موكول على الفقه و البحث عنها يوجب التطويل و الخروج عن موضوع الكتاب، على أنّ الجهاد مشروط بحضور الإمام العادل و أمره و هو أعلم بأحكام اللّه من غيره.

و أمّا الخامسه فكاالرّابعه لأنّ العلّه الّتى ذكروها لجواز القتال مستنبطه ليست بحجّه، و لأنّ الحقوق متفاوته فلا يوجب قتال البغاه لمنع حقّ خاص، قتال كلّ من منع حقّا من الحقوق.

على أنّ الايه كما أفاد شيخ الطائفه قدّس سرّه فى المبسوط خطاب للامّه دون آحاد الامّه و ليس من حيث قال: فقاتلوا الّتى تبغى فأتى بلفظ الجمع ينبغى أن يتناول الجميع لأنّ ذلك يجرى مجرى قوله: «و السارق و السارقه فاقطعوا أيديهما» و لا خلاف أنّ هذا خطاب للامّه و نحن و إن وجبت علينا طاعه الإمام فى قتال هؤلاء فإنّ قتالنا تبع لقتال الإمام و ليس لنا الانفراد بقتالهم.

و أمّا ما وعدنا من بيان خبر الأسياف فنقول: قوله عليه السّلام: شاهره أى مجرّده من الغمد. قوله: حتّى تضع الحرب أوزارها أى حتّى تنقضى لأنّ أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ، و سمّى السلاح وزرا لأنّه ثقل على لابسه، أو لأنّ أصل الوزر ما يحمله الانسان فسميّ السلاح أوزارا لأنّه يحمل قال الأعشى:

و أعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا و خيلا ذكورا

و من نسج داود يحدوبها على أثر الحىّ عيرا فعيرا

قوله عليه السّلام: حتّى تطلع الشمس من مغربها، قد جاءت روايات فى علامات ظهور الإمام القائم عليه السّلام نقلها المحقّق الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص ۱۰۶-۱۱۴ من ج ۲) و المحدّث الجليل المجلسى فى البحار (ج ۱۳ ص ۱۵۰-۱۷۲ من الطبع الكمبانى) و أتى بطائفه منها الشيخ الأجل المفيد فى الارشاد (ص ۳۳۶ طبع طهران

ص:۱۴۳

۱۳۷۷ ه) منها طلوع الشمس من المغرب.

و كذلك قد جاءت روايات اخرى فى أشراط الساعه و قيام القيامه منها طلوع الشمس من المغرب، ففى الخرائج و الجرائح للراوندىّ (ص ۱۹۵ طبع ایران ۱۳۰۱ ه):

قال النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: عشر علامات قبل الساعه لا بدّ منها: السفيانى، و الدّجال، و الدخان، و خروج القائم، و طلوع الشمس من مغربها، و نزول عيسى بن مريم. الحديث و فى أوّل كتاب الجهاد من المبسوط لشيخ الطائفه قدّس سرّه أنّه روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله أنّه قال: لا تنقطع الهجره حتّى تنقطع التّوبه و لا تنقطع التّوبه حتّى تطلع الشمس من مغربها.

فإن كانت كلمه امن فى قوله عليه السّلام فإذا طلعت الشمس من مغربها امن الناس فعلا ثانيا مجرّدا فالمراد أنّ الحرب لن تضع أوزارها حتّى أن يظهر الإمام القائم عليه السّلام لأنّ اللّه يملا به الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا و ظلما، روى علىّ ابن عقبه، عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السّلام حكم بالعدل و ارتفع فى أيّامه الجور و أمنت به السبل و أخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ حق إلى أهله و لم يبق أهل دين حتّى يظهروا الاسلام و يعترفوا بالإيمان - إلخ (الإرشاد ص ۳۴۳).

لكنّ الصواب أنّ الكلمه فعل ماض من الإيمان بقرينه قوله: فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها - إلخ. و هذا اشاره إلى قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً » (الأنعام - ۱۶۰).

و انّما لم ينفعها إيمانها حينئذ لأنّ باب التوبه ينسدّ بظهور آيات القيامه، و أنّ التكليف يزول عند ظهورها، و قال عزّ من قائل: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ » (السجده - ۳۰)، و قال تعالى: «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا » (آخر الغافر).

ثمّ إنّه عليه السّلام جعل السيوف الشاهره مقابله جهاد أهل البغى و معلوم أنّ جهاد

ص:۱۴۴

أهل البغى إنّما يكون بإذن الإمام عليه السّلام فهو جار إذا كان الإمام حاضرا باسط اليد، و أمّا جهاد غيرهم من المشركين فالظاهر من قوله عليه السّلام ثلاثه منها شاهره دالّ على جواز قتالهم فى زمان الغيبه أيضا و فى الحديث كما فى مجمع البيان فى تفسير سوره محمّد صلّى اللّه عليه و اله عن النبىّ: و الجهاد ماض مذ بعثنى اللّه إلى أن يقاتل آخر امّتى الدّجال، لكنّ جهادهم لمّا كان مشروطا بوجود الإمام أو من نصبه كما حقّق فى محلّه فالمراد أنّها شاهره إلى قيام الساعه إذا خيف على بيضه الإسلام إلّا أنّه لا يكون جهادا بل كان دفاعا و قد تجب المحاربه على وجه الدّفع من دون حضور الإمام أو من نصبه إذا خيف كذلك.

قوله عليه السّلام على أهل الذّمه، أهل الذّمه هم اليهود و النصارى و المجوس و إنّما يجب جهادهم إذا أخلّوا بشرائط الذّمه.

قوله عليه السّلام: و إذا قبلوا الجزيه على أنفسهم حرم علينا سبيهم، و حرمت أموالهم، و حلّت لنا مناكحتهم. و اعلم أنّه لا خلاف فى عدم جواز نكاح غير الكتابيه للمسلم و أمّا فى جواز الكتابيّه فقد اختلفت الأقوال فيه و أتى بها العلاّمه قدّس سرّه فى المختلف قال: قال المفيد رحمه اللّه: نكاح الكافره محرّم سواء اليهود و النصارى و المجوس و اطلق النكاح مع أنّه قسّمه أوّلا إلى نكاح المتعه و الدائم و ملك اليمين و مقتضى هذا تحريم الجمع.

و قال الصدوق فى المقنع: و لا يتزوّج اليهوديّه و النصرانيّه على حرّه متعه و غير متعه. و روى هذا اللّفظ فى كتاب من لا يحضره الفقيه عن أبى بصير، عن الصادق عليه السّلام، ثمّ روى عن الحسن التفليسى، عن الرّضا عليه السّلام أنّه سأله يتمتّع الرّجل من اليهوديّه و النصرانيّه؟ قال: يتمتّع.

و سوّغ الشيخ فى النهايه التمتّع باليهوديّه و النصرانيّه دون من عداهما من ضروب الكفّار و مقتضاه تحريم المجوسيّه.

و قال سلّار: يجوز نكاح الكتابيّات متعه.

و قال ابن إدريس: لا بأس أن يعقد على اليهوديّه و النصرانيّه هذا النكاح فى حال الإختيار فأمّا من عدا هذين الجنسين من سائر أصناف الكفّار سواء كانت

مجوسيّه أو غيرها، كافره أصل أو مرتدّه، أو كافره ملّه فلا يجوز العقد عليها و لا وطيها حتّى تتوب من كفرها.

و قال شيخنا أبو جعفر فى نهايته: يكره التمتّع بالمجوسيّه و ليس ذلك بمحظور و هذا خبر أورده إيرادا لا ـ اعتقادا لأنّ اجماع أصحابنا بخلافه.

و شيخنا المفيد فى مقنعته يقول: لا يجوز العقد على المجوسيّه و قوله تعالى:

«وَ لا ـ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ » و قوله تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ » و هذا عام و خصّصنا اليهوديّه و النصرانيّه بدليل الإجماع و بقى الباقى على عمومه.

انتهى ما أردنا من نقل كلامه من المختلف.

أقول: الأصل فى المسأله قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا ـ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفّارِ لا ـ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا ـ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَ لا ـ جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَ سْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (الممتحنه – ١١).

و قوله تعالى: «وَ لا ـ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَهٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لا ـ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّهِ وَ الْمَغْفِرَهِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (البقره ٢٢١ و ٢٢٢).

و قوله تعالى: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ » (النساء – ٣١) و كذلك قوله تعالى:

«لا يَسْتَوِى أَصْحابُ النّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ » (الحشر – ٢١) و نحوها من آيات اخرى.

فالايه الاولى دلّت أوّلا ـ على عدم جواز رجوع الزّوجه إذا أسلمت إلى زوجها الكافر، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يمتحن من جاءه من المؤمنات مهاجرات من دار الكفر

إلی دار الإسلام ثمّ يحبسها و يعطی أزواجهنّ مهورهنّ.

و ثانيا علی أنّ المؤمنات لسن بحلّ للكفّار و أنّ الكفّار لا يحلّون لهنّ فهی دالّه علی منع النكاح مطلقا سواء كانا يهوديين أو نصرانيّين أو مجوسيين أو غيرها من أقسام الكفّار، و سواء كان النكاح دائما أو مؤجلا أو ملك يمين.

و ثالثا علی تحريم نكاح المسلم الكوافر بقوله «و لا تمسكوا بعصم الكوافر» و عمومها شامل علی جميع أقسام الكفر و علی جميع أقسام النكاح.

و فی مجمع البيان: قال الزهریّ: و لما نزلت هذه الآيه و فيها قوله: «و لا تمسكوا بعصم الكوافر» طلّق عمر بن الخطّاب امرأتين كانتا له بمكّه مشركتين قرينه بنت أبی اميّه بن المغيره فتزوّجها بعده معاويه بن أبی سفيان و هما علی شركهما بمكّه، و الاخری ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعيّه امّ عبد اللّه بن عمر فتزوّجها أبو جهم بن حذافه بن غانم رجل من قومه و هما علی شركهما.

و كانت عند طلحه بن عبيد اللّه أروی بنت ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب ففرّق بينهما الاسلام حين نهی القرآن عن التمسّك بعصم الكوافر و كان طلحه قد هاجر و هی بمكه عند قومها كافره، ثمّ تزوّجها فی الاسلام بعد طلحه خالد بن سعيد بن العاص ابن اميّه و كانت ممّن فرّت إلی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله من نساء الكفّار فحبسها و زوّجها خالدا.

و أميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحه ففرّت منه و هو يومئذ كافر إلی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله فزوّجها رسول اللّه سهل بن حنيف فولدت عبد اللّه بن سهل.

قال الشعبیّ و كانت زينب بنت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله امرأه أبی العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبیّ فی المدينه و أقام أبو العاص مشركا بمكّه ثمّ أتی المدينه فأمنته زينب ثمّ أسلم فردّها عليه رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله.

و قال الجبائیّ: لم يدخل فی شرط صلح الحديبيّه إلاّ ردّ الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر و إنّ امّ كلثوم بنت عقبه بن أبی معيط جاءت مسلمه مهاجره من مكّه فجاء أخواها إلی المدينه فسألا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله ردّها عليهما فقال رسول اللّه

انّ الشرط بيننا فى الرجال لا فى النساء فلم يردّها عليهما. قال الجبائى: و إنّما لم يجر هذا الشرط فى النساء لأنّ المرأه إذا أسلمت لم تحلّ لزوجها الكافر فكيف تردّ عليه و قد وقعت الفرقه بينهما.

و الايه الثانيه دالّه صريحه أيضا على عدم جواز نكاح المشركات أى الكافرات و كذا على عدم جواز نكاح المشركين أى الكافرين و اليهود و النصارى من المشركين قال عزّ من قائل: «وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ » (التوبه - ٣٢) فسمّاهم مشركين نعم انّ الظاهر من قوله: «خير من مشركه» و كذا «خير من مشرك» يومئ إلى جواز نكاح المشركه للمسلم و نكاح المشرك للمسلمه فتأمّل.

ثمّ انّه تعالى علق النهى على الغايه الّتى هى الإيمان و التعليق يدلّ على اشتراط الايمان فى النكاح، ثمّ أكّد ذلك بقوله اولئك يدعون إلى النّار لأنّ الغالب أنّ الزوج يدعو زوجته إلى النّار بل ربّما يدعو أحدهما صاحبه إلى النّار و يأخذ أحد الزوجين من دين الاخر.

قال فى المجمع: و هى - يعنى هذه الايه - عامّه عندنا فى تحريم مناكحه جميع الكفّار من أهل الكتاب و غيرهم و ليست بمنسوخه و لا مخصوصه.

و الايه الثالثه دلّت على المطلوب أيضا حيث وصف الفتيات بالمؤمنات أى لا يجوز نكاح الفتيات الكافرات إن لم يستطع الناكح طولا. كما أنّها دالّه على تحريم نكاح الكافره الحرّه عليه إن لم يستطع طولا حيث لم يجوّز مع عدم الاستطاعه بالمحصنات أى المؤمنات الحرائر نكاح الحرّه من الكافرات.

و الرابعه تدلّ بظاهرها على نفى التساوى فى جميع الأحكام الّتى من جملتها المناكحه.

إن قلت: قد دلّت آیه اخری علی جواز نکاح الکتابیات و هی قوله تعالی:

«اَلْیَوْمَ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّیِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ حِلٌّ لَکُمْ وَ طَعامُکُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ إِذا آتَیْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسافِحِینَ وَ لا مُتَّخِذِی أَخْدانٍ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِالْإِیمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِینَ » (المائده – ۸) فکیف التوفیق؟ قلت: قد نهت الایات المتقدّمه عن نکاح الکوافر کما دریت و قد یجوز حمل هذه الایه علی من أسلم منهنّ و من الجائز أن فرّق الشرع قبل ورود الایه بین المؤمنه الّتی لم تکن قطّ کافره، و بین من کانت کافره ثمّ آمنت ففی بیان ذلک و الجمع بین الأمرین فی الإباحه فائده، کما فی الانتصار، و قد حکی الطبرسیّ فی مجمع البیان عن أبی القاسم البلخی أنّ قوما کانوا یتحرّجون من العقد علی من أسلمت عن کفر فبیّن سبحانه أنّه لا حرج فی ذلک فلهذا أفردهنّ بالذکر.

و ان قیل: إنّ ظاهر الایه و سیاقها فی مقام الامتنان و التسهیل فتأبی عن ذلک الحمل.

قلنا: إنّ النکاح علی ثلاثه أقسام: نکاح المتعه، و الدائم، و ملک الیمین و قد نطق القرآن الکریم بنکاح المتعه فی قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَهً » (النساء – ۲۵) و هو المنقول عن غیر واحد من الصحابه و التابعین و جماعه معروفه الأقوال منهم أمیر المؤمنین علیه السّلام و عبد اللّه بن عبّاس و عبد اللّه بن مسعود و مجاهد و عطا و انّهم یقرءون «فما استمتعتم به منهنّ إلی أجل مسمّی فاتوهنّ اجورهنّ» و قد روی عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری و سلمه بن الأکوع و أبی سعید الخدری و المغیره بن شعبه و سعید بن جبیر و ابن جریح انّهم کانوا یفتون بها و قد أجاز الأئمّه من أهل البیت علیهم السّلام نکاح الکتابیات متعه لا دائما و أهل البیت أدری بما فیه فالایه باقیه علی الامتنان و التسهیل غایه الأمر أنّها تبیّن حکم نکاح واحد من بین الثلاثه و لا ضیر فیه فانّ نکاح المتعه نکاح، و علی هذا المعنی یحمل ما روی أنّ عمّارا نکح نصرانیّه، و نکح طلحه نصرانیّه، و نکح حذیفه یهودیّه.

ص:۱۴۹

على انّه قد ورد روايات على انّها منسوخه بقوله تعالى: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ » و قوله تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ » ففى الكافى بإسناده عن ابن رئاب، عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه سبحانه: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »؟ قال: هذه منسوخه بقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ ».

و فيه بإسناده عن ابن فضّال. عن الحسن بن الجهم قال: قال لى أبو الحسن الرّضا عليه السّلام: يا با محمّد! ما تقول فى رجل يتزوّج نصرانيه على مسلمه؟ قلت: جعلت فداك و ما قولى بين يديك؟ قال: لتقولنّ فانّ ذلك تعلم به قولى، قلت: لا يجوز ترويج نصرانيّه على مسلمه و لا على غير مسلمه، قال: و لم؟ قلت: لقول اللّه عزّ و جلّ: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ »، قال: فما تقول: فى هذه الايه:

«وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »؟ قلت:

فقوله: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ » نسخت هذه الايه فتبسّم ثمّ سكت.

نعم إنّ فى نسخ الايه بالايتين كلاما و هو أنّ الفريقين رووا عدّه روايات فى أنّ المائده آخر سوره نزلت و آيه تحليل نكاح الكتابيات منها و تقديم الناسخ على المنسوخ نزولا ليس بصحيح، ففى الإتقان للسيوطى: أخرج الترمذى و الحاكم عن عائشه قالت: آخر سوره نزلت المائده فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه - الحديث.

و فى مجمع البيان: روى العياشىّ بإسناده، عن عيسى بن عبد اللّه، عن أبيه عن جدّه، عن علىّ عليه السّلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا و إنّما يؤخذ من أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بأخذه و كان من آخر ما نزل عليه سوره المائده نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء - إلخ.

لكن غير واحده من الروايات ناطقه بأنّ آخر السوره نزولا ليس المائده ففى الاتقان: أخرج مسلم عن ابن عبّاس قال: آخر سوره نزلت إذا جاء نصر اللّه و الفتح، و أخرج الترمذى و الحاكم عن عبد اللّه بن عمر قال: آخر سوره نزلت

سوره المائده و الفتح – يعنى إذا جاء نصر اللّه، و فى حديث عثمان المشهور براءه من آخر القرآن نزولا، و فى مجمع البيان للطبرسىّ فى تفسير سوره هل أتى أنّ التّوبه آخر سوره نزولا و نزلت المائده قبلها.

أقول: سلمنا أنّ المائده ليست آخر السوره نزولا ـ أمّا أنّ نزولها كان بعد البقره فلا كلام فيه بل فى المجمع فى تفسير السوره المذكوره أنّ البقره أوّل سوره نزلت بالمدينه فالإشكال فى تقديم الناسخ على المنسوخ باق بحاله، اللّهم إلّا أن يقال يجوز أن يكون نزول الايتين الناسختين فى البقره بعد نزول الايه المنسوخه فى المائده إلّا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله جعلها بأمر اللّه تعالى فى ذلك الموضع من سوره المائده كما أنّ آيه: «وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ » آخر آيه نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فجعلها رأس الثمانين و المائتين من البقره بأمر الأمين جبرائيل عليه السّلام كما فى المجمع و الكشاف و أنوار التنزيل و غيرها. فتأمّل.

و بالجمله لو لم نقل بنسخ الايه لكانت بيانا لنكاح المتعه و تجويزه كما دريت.

و لقائل أن يقول: إنّ قوله تعالى فى البقره: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ » – الايه غير الكتابيّه من عبده الأوثان و غيرهم من الّذين ليس لهم كتاب بدليل الافتراق بينهما فى قوله تعالى: «ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ » – الايه (البقره ١٠٠) و قوله تعالى: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَهُ » (البيّنه – ٢).

قلت: قد دلّت الايه المتقدّمه من التوبه على أنّ اليهود و النصارى من المشركين و افتراقهما فى آيه لعنايه خاصّه لا يدلّ على عدم كون أهل الكتاب مشركين.

و بالجمله القول بجواز نكاح الكتابيّه للمسلم بالدوام مشكل جدّا و أمّا نكاحها متعه أعنى مؤجّلا، أو ملك يمين فلا بأس به.

ص:١٥١

و روایات الباب طائفه منها صریحه فی أنّ نكاح الكافره سواء كانت عابده وثن أو مجوسیّه أو یهودیّه أو نصرانیّه محرّم منها روایه ابن الجهم المتقدّمه المنقوله عن الكافی.

و فیه أیضا بإسناده عن ابن رئاب، عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لا ینبغی نكاح أهل الكتاب، قلت: جعلت فداك و أین تحریمه؟ قال: قوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ ».

و فیه بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لا ینبغی للمسلم أن یتزوّج یهودیّه و لا نصرانیّه و هو یجد مسلمه حرّه أو أمه.

و اخری منها تجوز النكاح لكنّها یحتمل وجوها من التأویل كما اشار إلیها شیخ الطائفه فی التهذیب منها أن تكون هذه الأخبار خرجت مخرج التقیّه لأنّ كلّ من خالفنا یذهب إلی إباحه ذلك فیجوز أن تكون هذه الأخبار وردت وفقا لهم.

و منها أن تكون هذه الأخبار تناولت إباحه من لا تكون مستبصره معتقده للكفر متدیّنه به بل تكون مستضعفه فانّ نكاح من یجری هذا المجری جائز.

و منها أن یكون ذلك إباحه فی حال الضروره و عند عدم المسلمه و یجری ذلك المجری إباحه المیته و الدم عند الخوف علی النفس.

و منها أن تكون هذه إباحه فی العقد علیهنّ عقد المتعه و إن شئت تفصیلها فعلیك بالتهذیب.

ثمّ إنّ فی خبر الأسیاف تفصیلا آخر فی المقام و هو أنّ أهل الذّمه إذا قبلوا الجزیه حلّت للمسلم مناكحتهم و أمّا إذا كانوا فی دار الحرب فلا.

و مثله مرویّ عن النبیّ صلّی اللّه علیه و اله أیضا ففی تفسیر القمّی انّه صلّی اللّه علیه و اله قال: و إنّما یحلّ نكاح أهل الكتاب الّذین یؤدّون الجزیه و غیرهم لم تحلّ مناكحتهم.

أقول: الخبران یدلّان علی جواز نكاحهم مع انعقاد الذمّه و إنّما لم یجز بدونه لأنّهم حینئذ محاربون فیشملهم الأحكام الوارده علی المحاربین.

ص:۱۵۲

قوله علیه السّلام: فلن یقبل منهم إلاّ الجزیه أو القتل - إلخ.

أقول: أهل الکتاب أی الیهود و النصاری یجوز إقرارهم علی دینهم ببذل الجزیه و کذا حکم من لهم شبهه کتاب أی المجوس فیقرون علی دینهم ببذل الجزیه و متی امتنع أهل الکتاب من بذل الجزیه قوتلوا و سبیت ذراریهم و نساءهم و أموالهم تکون فیئا و أمّا من لا کتاب له و لا شبهه کتاب من عباد الأصنام و الأوثان و الکواکب و غیرهم فلا یقرّون علی دینهم ببذل الجزیه.

قوله علیه السّلام: و السیف الثالث سیف علی مشرکی العجم - إلخ.

أقول: لما ذکر الإمام علیه السّلام فی هذا الخبر أحکام أهل الذّمه علی حده علم انّ المراد من مشرکی العرب و العجم سوی أهل الکتاب منهما و هذا واضح و إنّما الکلام فی ذکر کلّ من مشرکی العرب و العجم منفردا و ذلک لأنّ أحکام المشرکین الّذین لیس لهم کتاب واحده و لا تختلف أحکامها باختلاف البلاد و الأقالیم و الألسنه و لم نجد فی الکتب الفقهیّه من تعرّض بالتفصیل و التفریق بین مشرکی العرب و العجم و ما نعلم سبب انفراد مشرکی العجم بالذکر إلاّ أنّ العلاّمه المجلسی قدّس سرّه قال فی مرآه العقول: و إنّما أفرده علیه السّلام (یعنی السیف الثالث) بالذکر لعلمه بأنّ قوله تعالی: «فَضَرْبَ الرِّقابِ » نزل فیه و المخاطب بالقتال فیه امّه النبیّ صلّی اللّه علیه و اله لأنّه لم یقاتلهم و إنّما قاتلهم اللّه. انتهی فتأمّل.

قوله علیه السّلام: فسیف علی أهل البغی و التأویل - و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: إنّ منکم من یقاتل بعدی علی التأویل کما قاتلت علی التنزیل.

أقول: فی حدیث علیّ علیه السّلام ما من آیه إلاّ و علّمنی تأویلها أی معناها الخفیّ الّذی هو غیر المعنی الظاهری لما تقرّر من أنّ لکلّ آیه ظهرا و بطنا و المراد أنّه صلّی اللّه علیه و اله اطلعه علی تلک الخفیّات المصونه و الأسرار المکنونه. قاله الطریحی فی مجمع البحرین.

و قال المجلسیّ رحمه اللّه فی مرآه العقول: لعلّ کون قتال التأویل لکون الایه غیر نصّ فی خصوص طائفه إذ الباغی یدّعی أنّه علی الحقّ و خصمه باغ.

ص:۱۵۳

أو المراد به أن آيات قتال المشركين و الكافرين يشملهم فى تأويل القرآن. انتهى و أقول: هذا البيان يناسب قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله انّ منكم من يقاتل بعدى على التأويل. و أمّا الظاهر من كلام أبى جعفر عليه السّلام فسيف على أهل البغى و التأويل فإنّما المراد أنّ الخارجين على الإمام العادل هم أهل البغى و التأويل و يؤيد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى كتابه الاتى (كتاب ۵۵) إلى معاويه خطابا إليه:

فعدوت على طلب الدّنيا بتأويل القرآن فطلبتنى بما لم تجن يدى و لا لسانى إلخ.

حيث طلب معاويه القصاص لعثمان و أوّل قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى » الايه و نحوه من آيات اخرى بما أراد حتّى ألّب الناس على أمير المؤمنين عليه السّلام و سيأتى كلامنا فى تحقيق التأويل فى تفسير كتابه عليه السّلام إلى ابنه المجتبى عليه السّلام عند قوله: و أن أبتدئك بتعليم كتاب اللّه و تأويله إلخ.

قوله عليه السّلام: و قال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الرايه إلخ.

أقول: الرايه إشاره إلى رايه معاويه فى بدر واحد و حنين. و هذه الرابعه يعنى وقعه صفين و قد مرّ كلامنا فى تفسير قوله هذا و قوله: و اللّه لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر فى شرح المختار ۲۳۶ (ج ۱۵ ص ۲۸۵-۲۸۹).

فقد آن أن نشرح جمل الوصيّه فنقول قوله:«لا تقاتلوهم حتّى يبدءوكم» نهى أصحابه عن الابتداء بالحرب و قد دريت من حديث عبد اللّه بن جندب المنقول من الكافى أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام كان يأمر أصحابه فى كلّ موطن لقيهم عدوّهم بقوله: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدءوكم: إلخ. و إنّما نهاهم عن الابتداء بها لأنّه دعوه إلى المبارزه و الداعى إليها باغ و قد قال عليه السّلام لابنه الامام المجتبى عليه السّلام كما يأتى فى باب المختار من حكمه عليه السّلام (الحكمه ۲۳۳): لا تدعونّ إلى مبارزه و إن دعيت بها فأجب فإن الدّاعى باغ و الباغى مصروع. انتهى و فى كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه (ص ۱۲۸ ج ۱ طبع مصر): العتبى عن أبيه قال:

قال عليّ بن أبى طالب عليه السّلام لابنه الحسن: يا بنيّ لا تدعون أحدا إلى البراز و لا يدعونّك أحد إليه إلّا أجبته فانّه بغى.

و قال عزّ من قائل: «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكَمْ عَلى أَنْفُسِكَمْ » (يونس ۲۴) و من الأمثال القديمه قولهم: لا ظفر مع بغى. أتى به ابن القتيبه فى كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ۱۱۱ ج ۱).

و فى باب حكم طلب المبارزه من كتاب الجهاد من الوسائل باسناده عن ابن القدّاح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: دعى رجل بعض بنى هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: ما منعك أن تبارزه؟ فقال: كان فارس العرب و خشيت أن يغلبنى؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: فانّه بغى عليك و لو بارزته لغلبته و لو بغى جبل على جبل لهدم الباغى.

و فى هذا الباب من الوسائل أيضا: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إنّ الحسين (الحسن خ ل) بن علىّ دعى رجلا إلى المبارزه فعلم به أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

لئن عدت إلى مثل هذا لاعاقبنّك؛ و لئن دعاك أحد إلى مثلها فلم تجبه لا عاقبنّك أما علمت أنّه بغى.

و قد مضى فى شرح المختار ۲۳۶ أنّ معاويه لمّا كف أمير المؤمنين و عسكره فى صفين عن الماء ثمّ أخذ أصحاب الأمير عليه السّلام الماء عنهم و صار الماء فى أيديهم قال بعضهم: لا نسقى معاويه و أتباعه الماء أرسل أمير المؤمنين عليه السّلام إليهم أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى عسكركم و خلّوا عن معاويه و عسكره فانّ اللّه عزّ و جلّ قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيهم (ص ۲۲۷ ج ۱۵).

قوله عليه السّلام:«فانكم بحمد اللّه على حجّه» علّل النّهى عن القتال بدوا بأن أتباعه عليه السّلام على حجّه و بيّنه و يقين من ربّهم و أنّهم على الطريق الواضح من حيث إنّهم شايعوا الإمام الحقّ فهم على الصراط السوّى و الجادّه الوسطى. و أهل الحقّ لا يقاتلون أحدا بغير حقّ و حجج اللّه لم يؤمروا بالقتل و القتال بل امروا باحياء النفوس و تزكيتها من الأرجاس و الأدناس و تعليمهم الكتاب و الحكمه فإنّى لهم أن يبدأوا بالقتال و قد قالوا: إنّ البادى بالحرب باغ.

و إنّما قال: بحمد اللّه، لأنّ الكون على حجّه من أعظم نعم اللّه تعالى

لا تعادله نعمه فيجب على المنعم عليه حمد المنعم.

قوله عليه السّلام:«و ترككم إياهم حتّى يبدءوكم حجّه اخرى لكم عليهم» قد علمت أنّ البادى بالحرب باغ و الإمام الحقّ مطلقا على حجه فانّه ينظر بنور اللّه فاذا بدأوا بالحرب فقد تحقّق بغيهم عليه فيجب عليه قتالهم لقوله تعالى: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ ».

ثمّ إنّ البادى بالحرب معتد فيجب على الإمام الاعتداء عليه لقوله تعالى:

«فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ » (البقره - ١٩١).

و إنّ محارب الإمام العادل محارب اللّه و رسوله فقد دريت من المباحث السالفه أنّ الفريقين نقلا عنه صلّى اللّه عليه و اله انه قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: حربك يا علىّ حربى.

على أنّ الباغى عليه من الّذين يسعون فى الأرض فسادا فقد قال اللّه تعالى:

«إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِيمٌ » (المائده ٣٨).

و بالجمله أنّ وجود الإمام عليه السّلام حجّه عليهم فيجب عليهم اتّباع أمره و اقتفاء أثره و التأسى به فاذا طغوا و أعرضوا عن أمره و حاربوه و جازاهم على فعالهم و طغيانهم تمّت الحجه عليهم و انقطع عذرهم وفاء لحقّ الاعتداء فهم محاربون و الإمام عليه السّلام و عسكره حينئذ مدافعون فهذه حجّه اخرى لهم عليهم.

ثمّ ينبغى للقارئ الكريم الطالب نهج القويم أن يتأمّل فى سيره سفراء اللّه فى أهل البغى حقّ التأمّل و التدبّر حتّى يرى بعين العدل و الإنصاف أنّهم لم يكونوا فى سدد قتال النّاس و قتلهم بل شأنهم فى القتال و القتل شأن من يجتّ نبات السوء من مزرعه، أو كمن يقلع و يطرد أشواكا واقعه على طريق مانعه عن العبور عنها، أو كمثل الّذى يقتل جراثيم مؤذيه تؤذى شجره مثمره فى حديقته. لأنّ اللّه تعالى بعثهم رحمه للناس كافّه يدعوهم إلى ما يحييهم حياه طيّبه، و يسلكهم إلى الفوز و النجاح و السعاده

الأبـديّه إلاّـ أنّ طـائفه من أراذل الناس و أوباشـهم و أشـرارهم لمّا ران على قلوبهم ما كانوا يكسـبون و اتّخـذوا دين اللّه و عباده سخريّا و أرادوا أن يطفؤا نور اللّه بألسـنتهم و أسـنّتهم و سـيوفهم و رماحهم، و كانوا يضلّون الناس و يغوونهم حقّ عليهم العذاب بأيـدى أهل الحقّ دفاعا عن حوزه الإسـلام الساميه، قال تعالى: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ » (البقره ٢٥٣) و قال عزّ من قائل: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً » (الحج ٤٢).

و قد روى ثقه الإسـلام الكلينى قدّس سـرّه فى الباب الثامن من كتاب الجهاد من الكافى بإسـناده عن السكونىّ، عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: قال أمير المؤمنين صـلوات اللّه عليه: بعثنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله إلى اليمن و قال لى: يا علىّ لا تقاتلنّ أحدا حتّى تدعوه و أيم اللّه لأن يهدى اللّه على يديك رجلا خير لك ممّا طلعت عليه الشمس و غربت و لك ولاؤه يا علىّ.

و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب (ص ٥٧ ج ١٧) انّه عليه السّلام بينا يوصى أصحابه فى الجمل بقوله: لا تبدأوا القوم بالقتال و لا تقتلوا مدبرا – إلخ، إذ ظلّهم نبل القوم الناكثين فقتل رجل من أصـحابه فلما رآه قتيلا قال: اللّهمّ اشهد، ثمّ رمى رجل عبد اللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقتله فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال علىّ عليه السّلام: اللّهمّ اشهد، و تواتر على عمّار بن ياسر الرّمى فقال:

ما ذا تنتظر يا أمير المؤمنين و ليس لك عند القوم إلاّ الحرب إلخ.

و فى الكافى (الباب الثامن من كتاب الجهاد) باسـناده عن مسـعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و اله كان إذا بعث أميرا له على سـريّه أمره بتقوى اللّه عزّ و جلّ فى خاصّه نفسه ثمّ فى أصـحابه عامّه ثمّ يقول: اغز (اغزوا – ظ) بسم اللّه و فى سبيل اللّه، قاتلوا من كفر باللّه، و لا تغـدروا، و لا تغلّوا، و لا تمثّلوا، و لا تقتلوا وليـدا و لا متبتّلا فى شاهق، و لا تحرقوا النخل، و لا تغرقوه بالماء، و لا تقطعوا شجره مثمره، و لا تحرقوا زرعا لأنّكم لا تدرون لعلّكم

تحتاجون إليه، و لا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلّا ما لا بدّ لكم من أكله و إذا لقيتم عدوّا للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فان هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم و كفّوا عنهم، و ادعوهم إلى الإسلام فان دخلوا فيه فاقبلوه منهم و كفّوا عنهم و ادعوهم إلى الهجره بعد الإسلام فان فعلوا فاقبلوا منهم، و كفّوا عنهم، و إن أبوا أن يهاجروا و اختاروا أديانهم و أبوا أن يدخلوا إلى دار الهجره كانوا بمنزله أعراب المؤمنين يجرى عليهم ما يجرى على أعراب المؤمنين، و لا ـ يجرى لهم فى الفىء و لا ـ فى القسمه شيء إلّا أن يهاجروا فى سبيل اللّه. فان أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزيه عن يدوهم صاغرون، فان أعطوا الجزيه فاقبل منهم و كفّ عنهم و إن أبوا فاستعن اللّه عزّ و جلّ عليهم و جاهدهم فى اللّه حقّ جهاده. و إذا حاصرت أهل الحصن فارادوك على أن ينزلوا على حكم اللّه عزّ و جلّ فلا ـ تنزل لهم و لكن أنزلهم على حكمهم، ثمّ اقض فيهم بعد ما شئتم فانّكم إن تركتموهم على حكم اللّه لم تدروا تصيبوا حكم اللّه بهم أم لا. و إذا حاصرتم أهل حصن فإن أذنوك على أن تنزلهم على ذمّه اللّه و ذمّه رسوله فلا تنزلهم و لكن أنزلهم على ذممكم و ذمم آبائكم و إخوانكم فانّكم إن تخفروا ذممكم و ذمم آبائكم و إخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامه من أن تخفروا ذمّه اللّه و ذمّه رسوله.

فهذا هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يوصى سراياه و عساكره بتقوى اللّه، و دعوه الكفّار إلى الإسلام فأين هو صلّى اللّه عليه و اله من أن يخوض فى دماء الناس و قد طهّره اللّه من الرجس تطهيرا، و قال له عزّ من قائل: «و لو كنت فظّا غليظ القلب لا نفضّوا من حولك».

و هو صلّى اللّه عليه و اله قد تأدّب باداب اللّه و فى الجامع الصغير نقلا عن ابن عدى فى الكامل عن ابن مسعود انّه صلّى اللّه عليه و اله قال: أدّبنى ربّى فأحسن تأديبى. و من أدبه صلّى اللّه عليه و اله أنّه بعد ما لقى فى دعوته من قومه ما لقى قال: اللّهمّ اهد قومى فانّهم لا يعلمون، و على روايه اخرى: اللّهمّ اغفر قومى فانّهم لا يعلمون.

و فى كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه (ص ۱۲۳ ج ۱) أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فى بعض أيامه الّتى لقى فيها العدوّ انتظر حتّى مالت الشمس ثمّ قام

فى النّاس فقال: لا تتمنّوا لقاء العدوّ، و اسألوا اللّه العافيه - إلخ.

و قال ابن هشام فى السيره: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله لما أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا ثمّ قال: اللّهم ربّ السماوات و ما أظللن - إلى قوله: فإنا نسألك خير هذه القريه و خير أهلها و خير ما فيها - إلخ، و قد نقلناه فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرسائل (ص ۵۰ ج ۱۷).

فإيّاك أن تظنّ أنّ مثل حجج اللّه تعالى كمثل سلاطين الجور، و الّذين يريقون الدماء نيلا إلى أغراض دنيويّه و هواجس نفسانيّه.

و هذا هو أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام يعظّ عسكره أن يدعوا اللّه أن يحقن دماءهم و دماء العدوّ، و يصلح ذات بينهما، و يهدى الأعداء من ضلالتهم.

و كان عليه السّلام ينهى جنوده عن أن يسبّوا و يشتموا الأعداء فأين هو عليه السّلام و الخوض فى الدّماء، فقد روى نصر بن مزاحم المنقرى فى صفين (ص ۵۵ من الطبع الناصرى) عن عمر بن سعد، عن عبد الرّحمن، عن الحارث بن حصيره، عن عبد اللّه ابن شريك قال: خرج حجر بن عدىّ و عمرو بن الحمق يظهران البراءه و اللّعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علىّ عليه السّلام أن كفّا عمّا يبلغنى عنكما. فأتياه، فقالا:

يا أمير المؤمنين! أ لسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال:

كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، شتّامين، تشتمون، و تتبرّؤون. و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا، و من عملهم كذا و كذا كان أصوب فى القول، و أبلغ فى العذر، و قلتم مكان لعنكم إيّاهم و براءتكم منهم: اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله، و يرعوى عن الغىّ و العدوان من لهج به، كان هذا أحبّ إلىّ، و خيرا لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك و نتأدّب بأدبك.

و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرسائل انّه عليه السّلام لمّا سار مع عسكره من المدينه إلى البصره لقتال جند المرأه و أتباع البهيمه بلغ الموضع المعروف بالزاويه فنزلوا و صلّى عليه السّلام أربع ركعات و عفّر خدّيه على التربه و قد

خالط ذلک دموعه ثمّ رفع یدیه یدعو: اللّهمّ رب السماوات و ما أظلّت - إلی قوله:

اللّهمّ احقن دماء المسلمین. (ص ۵۰ ج ۱۷).

و هذا هو الإمام الحسن بن علیّ علیهما السّلام لم یرض أن یهرق فی أمره محجمه دم کما علمنا من وصیته علیه السّلام یوم حضرته الوفاه و قد تظافرت بنقلها الروایات.

و هذا هو الإمام الحسین بن علیّ علیهما السّلام، لمّا رام مسلم بن عوسجه أن یرمی شمر بن ذی الجوشن حین سبّ الحسین علیه السّلام بسهم منعه عن ذلک فقال له: لا ترمه فإنّی أکره أن أبدأهم رواه المفید فی الإرشاد (ص ۲۱۷ طبع طهران ۱۳۷۷ ه).

و کذا روی فی (ص ۲۱۰) من الإرشاد: إنّ الحرّ بن یزید الرّیاحی لمّا أخذهم بالنزول فی مکان علی غیر ماء و لا قریه - ساق الکلام إلی أن قال: فقال زهیر بن القین إنّی و اللّه ما أراه یکون بعد الّذی ترون إلاّ أشدّ ممّا ترون یا ابن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله إنّ قتال هؤلاء القوم الساعه أهون علینا من قتال من یأتینا من بعدهم فلعمری لیأتینا بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسین علیه السّلام: ما کنت لأبدأهم بالقتال ثمّ نزل.

نعم إنّ الخوض فی دماء النّاس إنّما هو من شأن عبید الدّنیا و أسره الهوی الّذین اتّخذوا دین اللّه دغلا، و عباد اللّه خولا، و مال اللّه دولا، أتباع الشقیّ الجبار الّذی یعالن الناس قائلا: و اللّه إنّی ما قاتلتکم لتصلّوا و لا لتزکّوا و لا لتصوموا و لا لتحجّوا، و إنّما قاتلتکم لأتأمّر علیکم، و قد أعطانی اللّه ذلک و أنتم کارهون.

و قد قدّمنا نبذه من الکلام فی ذلک فی شرحنا علی المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۲۷ و ۲۵۲ و ۳۰۰ ج ۱۵) فراجع.

قوله علیه السّلام:«فإذا کانت الهزیمه باذن اللّه» الهزیمه و إن کانت بحسب الظاهر علی أیدیهم و لکنّها لیست متحقّقه إلاّ باذن اللّه تعالی و أمره و لمّا کان ولی اللّه الأعظم علیه السّلام موحّدا فانیا فی اللّه لا یری من نفسه أثرا فی البین، و لا یری فی دار الوجود مؤثّرا إلاّ اللّه، لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه، و لا یری شیئا إلاّ من عنده تعالی

قال عزّ من قائل فی قصّه طالوت و ما جری بینه و بین جالوت: «قالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ کَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِیلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً کَثِیرَهً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِینَ وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ » (البقره – ۲۵۲).

و قال تعالی: «وَ الْبَلَدُ الطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ » (الأعراف – ۵۸).

و قال تعالی مخاطبا لعیسی علیه السّلام: «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی » (المائده – ۱۱۲).

و قال حکایه عن عیسی علیه السّلام: «أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللّهِ » (آل عمران – ۴۵).

و قال عزّ من قائل مخاطبا لرسوله الخاتم: «أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ » (إبراهیم – ۲).

و قال تعالی: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لکِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللّهَ رَمی » (الأنفال – ۱۹).

و الانسان له وجهه إلهیّه بها فاعلیّته و وجهه نفسیّه بها ینسب الأفعال إلی نفسه، و المؤمن الموحّد السالک إلی اللّه قد یرتقی بالریاضات و المجاهدات إلی مرتبه لا یری لنفسه فیها أثرا، و لا یری مؤثرا إلاّ اللّه، و ما یشاهد من دونه تعالی علی ظاهر الأمر «کَسَرابٍ بِقِیعَهٍ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّی إِذا جاءَهُ لَمْ یَجِدْهُ شَیْئاً وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ » (النور – ۴۰). «قُلْ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ حَدِیثاً » (النساء – ۸۲).

از سبب سازیش من سودائیم و ز سبب سوزیش سوفسطائیم

در سبب سازیش سر گردان شدم در سبب سوزیش هم حیران شدم

این سببها بر نظرها پرده هاست که نه هر دیدار صنعش را سزا است

ص:۱۶۱

دیده ای باید سبب سوراخ کن تا حجب را بر کند از بیخ و بن

تا مسبّب بیند اندر لا مکان هرزه بیند جهد و أسباب دکان

هر چه خواهد آن مسبّب آورد قدرت مطلق سببها بر درد

قوله علیه السّلام:«فلا تقتلوا مدبرا» نهی علیه السّلام أصحابه عن امور:

نهاهم عن أن یقتلوا المدبر عن القتال کما نهاهم عن أن یتبعوا مولیا، و أن یطلبوا مدبرا علی ما رواه الکلینیّ فی الجامع الکافی، و المسعودیّ فی مروج الذهب کما مرّ ذکرهما آنفا فی بیان المصادر، و ما یستفاد من ظواهر الأخبار و فتاوی العلماء فی المقام أنّ هذه الجمل الثلاث تشیر إلی معنی فارد و تفید حکما واحدا و لذا یوجد واحده منها فی نسخه دون الاخرین إلاّ أنّ المسعودیّ جمع بین نسختی و لا تتبعوا مولیا، و لا تطلبوا مدبرا.

و ما وجدنا فی الجوامع الروایه من الکافی و التهذیب و الوسائل و البحار و الوافی مع طول الفحص و کثره الطّلب روایه جامعه لها أو لاثنتین منها.

اللّهمّ إلاّ أن یفسّر قوله مولیا بمن عاد من البغی إلی طاعه الامام و ترک المباینه فانّه یحرم قتله قتاله حینئذ فلا تکرار فی نسخه المسعودیّ علی هذا الوجه و لکنّه کما تری.

قوله علیه السّلام:«و لا تصیبوا معورا»قد تفرّد الرّضیّ رضوان اللّه علیه بنقله و ما وجدناه مع کثره التحرّی فی نسخه اخری عن غیره، إلاّ أنّ ابن الأثیر أتی به فی النهایه کما مرّ آنفا فی اللّغه إن لم یکن النهج مأخذه. و لم یتعرّض الفقهاء علی هذا الحکم فی أحکام أهل البغی الخارجین علی الإمام.

و یمکن أن یفسّر علی وجوه: أحدها أنّه علیه السّلام نهی أصحابه عن أن یقتلوا أو یجرحوا من أمکنتهم الفرصه فی قتله و جرحه بعد هزیمه العدوّ و انکسارهم کما نصّ علیه بقولهفإذا کانت الهزیمه باذن اللّه-إلخ و قد بیّن فی اللّغه أنّه یقال أعور لک الصید و أعورک إذا أمکنک و الإصابه کنایه عن القتل أو الجرح و کأنّ المعنی الثانی أعنی الجرح أنسب باسلوب الکلام.

ص:۱۶۲

ثانیها أنّه علیه السّلام نهاهم أن یقتلوا بعد انهزام العدوّ فارسا منهم اصیب قبل الانهزام بجراحه من قولهم أعور الفارس إذا بدا فیه موضع خلل للضرب فیه و هذا الوجه یقرب من قوله و لا تجهزوا علی جریح معنیّ بخلاف الأوّل ففیه تکرار.

أمّا لو فسّرت الاصابه بالطّعن و الجرح فلا تکرار فیه لأنّ معنی العباره حینئذ أنّه نهاهم عن أن یطعنوا و یجرحوا بعد انهزام العدوّ من کان منهم جریحا أی لا تصیبوا جریحا بجراحه اخری کما فسّره خواند میر بهذا الوجه فی روضه الصفا.

ثالثها أنّه نهاهم عن أن یقتلوا أو یجرحوا بعده العدوّ الّذی صار مضطرّا حتّی أفضاه الاضطرار إلی أن یکشف عورته و یبدی سوءته وقایه لنفسه کما فعله عمرو بن العاص فی صفین حین اعترضه أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام و قد أعرض عن قتله و تقدّمت الحکایه فی شرح المختار ۲۳۶ (ص ۳۱۸ ج ۱۵).

رابعها أن یکون المراد بالمعور المریب أی الّذی یشک فیه هل هو محارب أم لا أی لا تقتلوا إلّا من علمتم أنّه محارب لکم.

لطیفه: فی کتاب الحرب من عیون الأخبار لابن قتیبه (ص ۱۶۹ ج ۱ طبع مصر) قال المدائنی: رأی عمرو بن العاص معاویه یوما یضحک فقال له: ممّ تضحک یا أمیر المؤمنین أضحک اللّه سنّک؟ قال: أضحک من حضور ذهنک عند إبدائک سوءتک یوم ابن أبی طالب، أمّا و اللّه لقد وافقته منّانا کریما و لو شاء أن یقتلک لقتلک.

قال عمرو: یا أمیر المؤمنین أما و اللّه إنّی لعن یمینک حین دعاک إلی البراز فاحولّت عیناک و رباک سحرک و بدا منک ما أکره ذکره لک فمن نفسک فاضحک أو دع.

قوله علیه السّلام:«و لا تجهزوا علی جریح» نهی علیه السّلام جنوده أن یشدّوا بعد انهزام العدوّ علی صریعهم و یسرعون إلی قتله أی نهاهم عن قتل المجروح.

ص:۱۶۳

و إنّما نهاهم عليه السّلام عن أن يقتلوا مدبرا، أو يصيبوا معورا، أو يجهزوا على الجرحى بعد أن هزموهم لأنّهم على ظاهر الأمر مسلمون، و كان القصد من قتالهم دفع شرّهم و تفريق كلمتهم فإذا ولّوا منهزمين فقد حصل القصد.

و اعلم أنّ أهل البغى لا يقتل مدبرهم، و لا يصاب معورهم، و لا يجهز على جريحهم إذا لم يكن لهم فئه يرجعون إليها فإذا كان لهم فئه يرجعون و يلتجؤن إليها جاز اتباع مدبرهم و الإجهاز على جريحهم و اصابه معورهم لأنّهم ربّما عادوا إلى الفئه و اجتمعوا و رجعوا إلى قتال الإمام العادل و هو مذهبنا الإماميه و خالفنا فيه بعض العامّه.

دليلنا قوله تعالى: «فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ » الايه و هؤلاء الّذين لهم فئه يرجعون إليها ما فاؤوا إلى أمر اللّه و لذا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام نادى يوم الجمل أن لا يتبع مدبرهم و لا يقتل، و لا يجهز على جريحهم لأنّ أهل الجمل قتل إمامهم و لم تكن لهم فئه يرجعون إليها و انّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين و لا مخالفين و لا منابذين، و قتل أهل صفّين مقبلين و مدبرين و أجاز على جريحهم لأنّ إمامهم كان من المنظرين و كان لهم فئه يرجعون إليها و يلجئون إليها و أخبار الإماميّه بذلك عن أئمّتهم وردت متظافره:

ففى الباب العاشر من كتاب الجهاد من الجامع الكافى بإسناده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغيه و الاخرى عادله فهزمت العادله الباغيه؟ فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبرا، و لا يقتلوا أسيرا، و لا يجهزوا على جريح، و هذا إذا لم يبق من أهل البغى أحد و لم يكن لهم فئه يرجعون إليها فإذا كان لهم فئه يرجعون إليها فإنّ أسيرهم يقتل، و مدبرهم يتبع، و جريحهم يجهز.

و فى ذلك الباب منه: بإسناده عن عقبه بن بشير، عن عبد اللّه بن شريك، عن أبيه قال: لمّا هزم النّاس يوم الجمل قال أمير المؤمنين: لا تتّبعوا مولّيا و لا تجيزوا (لا تجهزوا - خ ل) على جريح و من أغلق بابه فهو آمن؛ فلمّا كان يوم صفّين قتل المقبل و المدبر و أجاز على جريح. فقال أبان بن تغلب لعبد بن شريك:

هذه سيرتان مختلفتان، فقال: إنّ أهل الجمل قتل طلحه و الزبير، و إنّ معاويه كان قائما بعينه و كان قائدهم.

رواه المجلسىّ فى المجلّد الحادى و العشرين من البحار (ص ٩٨ من الطبع الكمبانى) بسند آخر عن عقبه بن شريك نقلا عن رجال الكشيّ.

و روى علىّ بن شعبه فى تحف العقول عن الإمام العاشر أبى الحسن الثّالث علىّ بن محمّد عليهما السّلام فى باب أجوبته عليه السّلام ليحيى بن أكثم عن مسائله (ص ١١۶ من الطبع الحجرى ١٣٠٣ ه): أنّ يحيى بن أكثم قال له عليه السّلام: أخبرنى عن علىّ لم قتل أهل صفين و أمر بذلك مقبلين و مدبرين و أجاز على الجرحى، و كان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولّيا، و لا يجز على جريح؛ و لم يأمر بذلك و قال: من دخل داره فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك فإن كان الحكم الأوّل صوابا فالثانى خطاء؟ قال عليه السّلام: و أمّا قولك: إنّ عليّا قتل أهل صفين مقبلين و مدبرين و أجاز على جريحهم، و إنّه يوم الجمل لم يتّبع مولّيا، و لم يجز على جريح، و من ألقى سلاحه آمنه، و من دخل داره آمنه فانّ أهل الجمل قتل إمامهم، و لم تكن لهم فئه يرجعون إليها و إنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين و لا مخالفين و لا منابذين رضوا بالكفّ عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم و الكفّ عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعوانا. و أهل صفين كانوا يرجعون إلى فئه مستعدّه و إمام يجمع لهم السلاح الدروع و الرّماح و السيّوف، و يسنى لهم العطاء، و يهنىء لهم الأنزال، و يعود مريضهم، و يجبر كسيرهم، و يداوى جريحهم، و يحمل راجلهم، و يكسو حاسرهم، و يردّهم فيرجعون إلى محاربتهم و قتالهم فلم يساوبين الفريقين فى الحكم لما عرف من الحكم فى قتال أهل التوحيد لكنّه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك.

قوله عليه السّلام:«و لا تهيجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن امراءكم فانّهن ضعيفات القوى و الأنفس و العقول» فى نسخه الكافى و ان شتمن أعراضكم

ص:١۶۵

و سببن امراءكم و صلحاءكم، و فى نسخه الطبرى: و لا تهيجوا امرأه بأذى و إن شتمن أعراضكم و تناولن امراءكم و صلحاءكم، و فى روايتى الكافى و صفين لنصر فانّهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و فى روايه الطبرىّ: فانهنّ ضعاف القوى و الأنفس و لم يأت بالعقول. نهى عليه السّلام عسكره أن يثيروا غضب نساء البغاه و شرورها و يحرّكوهنّ و يؤذوهنّ مطلقا حتّى إنّهن إن شتمن أعراضهم و سببن امراءهم وجب عليهم الامساك عن ردّ السبّ إليهنّ و الكفّ عنهنّ و عدم الاعتناء بشتمهنّ و سبّهنّ.

و علّل النهى بقوله فانّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول يعنى لا يجوز إثاره من بلغن فى الضعف هذه الغايه.

قال الشارح البحرانى: قوله: لا تهيجوا النساء المراد بذلك أن لا تثيروا شرورهنّ بأذى و إن بلغن الغايه المذكوره من شتم الأعراض و سبّ الأمراء و علّل أولويه الكفّ عنهم «كذا و الصواب الكف عنهنّ» بكونهنّ ضعيفات القوى أى ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال و حربهم و سلاح الضعيف و العاجز لسانه، و بكونهنّ ضعيفات الأنفس أى لا صبر لنفوسهنّ على البلاء فيجتهدن فى دفعه بما أمكن من سبّ و غيره، و بكونهنّ ضعيفات العقول أى لا قوّه لعقولهنّ أن ترى عدم الفائده فى السبّ و الشتم و أنّه من رذائل الأخلاق و أنّه يستلزم زياده الشرور و إثاره الطباع الّتى يراد تسكينها و كفّها. انتهى.

أقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتى فى كلامه هذا بحكمين: الأوّل أن لا يهيج قومه نساء أهل البغى ابتداء، و الثانى أن يكفّوا عنهنّ إذا شتمنهم لمكان كلمه إن الوصليه فى قوله: و إن شتمن أعراضكم و سببن امراءكم و اسلوب الكلام يدلّ على أنّ قوله فانّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول دليل للنّهى أعنى انّه متعلّق بقوله و لا تهيجوا و ما أتى به الشارح المذكور فانّما هو بيان لسبب شتمهنّ و سبّهنّ و فحوى الكلام يأبى عن ذلك.

قوله عليه السّلام:«ان كنّا لنؤمر بالكفّ عنّهنّ و انّهنّ لمشركات» و فى نسخه الطبرى: و لقد كنّا و إنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ - إلخ يعنى أنّا كنّا فى عصر

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله مأمورين بالكفّ عنهنّ و الحال انهنّ كنّ مشركات فالكفّ عنهنّ و عدم التعرّض بهنّ و الحال انّهنّ مسلمات على ظاهر الأمر أولى.

فانظر أنّ الشارع كيف أدّب الرجال فى رعايه حقوق النساء و عدم التعرّض بهنّ و لو كنّ مشركات و لعمرى ما فرّط الشريعه المحمّديّه بيان حقّ اجتماعى أو نوعى غايه الأمر أنّ النّاس لتوغّلهم فى الشهوات النفسانيّه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتّى عموا و صموا و أعرضوا عن الصراط السّوى و اتّبعوا الشيطان المردى المغوى و اقتفوا آثار الّذين سلكوا طريقه عمياء و تعوّدوا قبول كلّ ما سمعوا من أفواه أشباه الرجال و عبيد الدّنيا من غير بصيره و فكره و دليل و نعم ما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا: من تعوّد أن يصدق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطره الإنسانيه.

و قد رأينا فى عصرنا طائفه من منتحلى الإسلام، المتعصّبين غايه التعصّب، الجاهلين عن أحكام الشريعه الإسلاميّه حقيقه قد تعرّضوا للنساء الكاشفات الرءوس و الوجوه و كانوا يحثون الأسيد عليهنّ و يتركونهنّ فى الشوارع و الأسواق عراه حتّى بلغ عملهم المنكر العلماء و منعوهم عنه.

و هؤلاء الجهّال ما تفقهوا فى الدّين لكى يعلموا أنّ الشريعه الإسلاميّه لم يجوّز التعرّض على أعراض النّاس و إن كنّ مشركات بل حرّم عليهم أن يقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و تلك الرويّه النكراء و الطويّه العوراء منها.

لست أقول إنّ فعلهنّ هذا صواب و سيرتهنّ السيّئه المشوهه القبيحه حسنه بل أقول إنّ المنكر لا يدفع بالمنكر و للإسلام فى كلّ موضوع منطق صواب و حجّه بيضاء و لا حاجه فى دفع الفواحش و قمع المنكرات إلى فعل عار عن حليه العقل، بعيد عن الحقّ، يستبشعه العقل السليم و يشمئزّ منه الطّباع.

قوله عليه السّلام:«و إن كان الرجل - إلخ» و فى نسخه الطبرى: و إن كان الرجل ليتناول المرأه فى الجاهليه بالهراوه أو الحديد بعد الأمر بالكفّ عنهنّ عقّبه بقوله هذا تأكيدا للأمر و تشديدا للكفّ، و تنبيها لهم على أنّ هذا العمل يورث أثرين

قبيحين: أحدهما فى حياه مرتكبه حيث يعيّر و يلام به، و الاخر بعد حياته حيث يعيّر عقبه به فمن عرف قدره و أحبّ نفسه و أهله و عقبه لا يعمل ما يوجب شينه و لومه و تعبير عقبه من بعده و بالجمله جعل حال الرجل الّذى كان يضرب المرأه فى الجاهليّه بالحجر و العصا يورث له و لعقبه تعيير النّاس و ملامتهم عبره لهم فنفّرهم عن ذلك العمل أشدّ تنفير.

على انّه عليه السّلام نبّههم بهذا الكلام ضمنا على أنّ المرأه إذا ارتكب فى الجاهليه هذا العمل يؤل أمره إلى كذا و اجتنابكم عنه و أنتم المسلمون كان أولى، يعنى أنّ شناعه هذا الأمر بيّنه غايه الوضوح حتّى أنّ الناس فى الجاهليّه كانوا يلومون فاعله فكيف أنتم لا تكفّون عن أذاهنّ و قد رزقتم الانتحال إلى الشريعه السلميه المحمّديّه.

ثمّ انّ فى حقوق المرأه فى الإسلام و وظائفها الإجتماعيّه و الانفراديّه و سائر آدابها الّتى بيّنها الشارع تعالى مبحثا نأتى به إن شاء اللّه تعالى فى شرح وصيته عليه السّلام الاتيه لابنه المجتبى عند قوله: إيّاك و مشاوره النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن - إلخ.

الترجمه

يكى از وصيّتهاى علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام است كه بسپاه خود در سرزمين صفين پيش از برخوردن به لشكر دشمن (معاويه و پيروانش) و در گرفتن جنگ بيان فرمود:

با ايشان كارزار نكنيد تا آنان آغاز بجنگ كنند زيرا بحمد اللّه شما بر حقّيد و حجّت با شما است، و واگذاشتن شما ايشان را تا آغاز جنگ از آنها بشود حجّتى ديگر مر شما را بر ايشان خواهد بود، و چون بخواست خدا بر آنان پيروز شديد و شكستشان داديد آنكه را پشت كرده و رو بفرار گذاشته مكشيد، و آنكه را از در اضطرار بكشف عورت خود پناهنده شد (يا بر آنكه بعد از شكست دست يافته ايد - يا آن كسى كه معلوم نيست كه دوست است يا دشمن - يا بر آنكه جراحت

ص:۱۶۸

دیده و زخمی شده) مکشید و زخم مرسانید، و زخم خورده ای که در میان کشتگان می بینید بر کشتن او مشتابید و وی را نکشید، و زنان را اگر چه عرض شما و بزرگان و پارسایان شما را دشنام دهند و یاوه گویند بر مینگیزانید و أذیت و آزارشان نکنید و بدشنامشان اعتناء نکنید چه نیرو و جان و خردشان ضعیفست، همانا که ما در زمان پیمبر از پیمبر أمر داشتیم که از آنها با این که مشرک بودند خودداری کنیم و دست بداریم (اکنون که بظاهر مسلمانند) و اگر در زمان جاهلیت مردی زنی را بسنگ و چوبدستی می زد وی را سرزنش می کردند و پس از مرگش فرزندانش را نکوهش می کردند، (زمان جاهلیت که چنین بود پس مسلمان باید حتما از این کار ناروا دست بردارد).

و کان یقول علیه السّلام اذا لقی العدو محاربا

اشاره

هذا هو المختار الخامس عشر من باب المختار من کتبه علیه السّلام أللّهمّ إلیک أفضت القلوب، و مدّت الأعناق، و شخصت الأبصار و نقلت الأقدام، و أنضیت الأبدان. أللّهمّ قد صرّح مکنون (مکتوم - معا) الشّنان، و جاشت مراجل الأضغان. أللّهمّ إنّا نشکوا إلیک غیبه نبیّنا، و کثره عدوّنا، و تشتّت أهوائنا. ربّنا افتح بیننا و بین قومنا بالحقّ و أنت خیر الفاتحین.

ص:۱۶۹

نقله بصور اخرى ممن كانوا قبل الرضى.

رواه نصر بن مزاحم المنقرى فى صفين بإسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر ابن نمير الأنصارى (ص ۲۵۶ من الطبع الناصرى) و فى نقله زياده لم يأت بها الرضىّ فى النهج و قد نقلنا نسخه نصر كامله فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۲۶ ج ۱۵) فلا حاجه إلى نقلها ثانيه.

و رواه الشيخ الأجلّ المفيد عن الواقدى فى الجمل (ص ۱۶۵ من طبع النجف) و قد نقلنا نسخته فى شرح المختار الثّانى من باب المختار من كتبه و رسائله (ص ۵۵ ج ۱۷).

و رواه نصر بن مزاحم على وجوه اخرى تقرب ممّا سبق ذكره فى كتاب صفين أيضا بطرق عديده (ص ۱۱۸ و ۱۱۹ من الطبع الناصرى) و هى كمايلى:

نصر، قيس بن الربيع، عن عبد الواحد بن حسان العجلىّ، عمّن حدّثه، عن علىّ عليه السّلام أنّه سمع يقول يوم صفين: اللّهمّ إليك رفعت الأبصار، و بسطت الأيدى، و دعت الألسن، و أفضت القلوب، و تحوكم إليك فى الأعمال، فاحكم بيننا و بينهم بالحقّ و أنت خير الفاتحين، اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبه نبيّنا، و قلّه عددنا، و كثره عدوّنا و تشتّت أهوائنا، و شدّه الزّمان، و ظهور الفتن، أعنّا عليهم بفتح تعجّله، و نصر تعزّ به سلطان الحقّ و تظهره.

نصر، عمرو بن شمر، عن عمران، عن سويد قال: كان علىّ عليه السّلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابّته و قال: الحمد للّه ربّ العالمين على نعمه علينا و فضله العظيم، سبحان الّذى سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنّا إلى ربّنا منقلبون. ثمّ يوجّه دابّته إلى القبله ثمّ يرفع يديه إلى السماء ثمّ يقول: اللّهمّ إليك نقلت الأقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدى، و شخصت الأبصار، نشكو إليك غيبه نبيّنا، و كثره عدوّنا، و تشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ، و أنت

خیر الفاتحین، سیروا علی برکه اللّه، ثمّ یورد و اللّه من اتّبعه حیاض الموت.

نصر، عمرو بن شمر، عن جابر، عن تمیم قال: کان علیّ إذا سار إلی القتال ذکر اسم اللّه حین یرکب ثمّ یقول: الحمد للّه علی نعمه علینا و فضله العظیم سبحان الّذی سخّر لنا هذا و ما کنّا له مقرنین و إنّا إلی ربّنا لمنقلبون، ثمّ یستقبل القبله و یرفع یدیه إلی اللّه ثمّ یقول: اللّهمّ إلیک نقلت الأقدام، و اتعبت الأبدان، و أفضت القلوب، و رفعت الأیدی، و شخصت الأبصار، ربّنا افتح بیننا و بین قومنا بالحقّ و أنت خیر الفاتحین، سیروا علی برکه اللّه، ثمّ یقول: اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر یا اللّه یا أحد یا صمد یا ربّ محمّد بسم اللّه الرّحمن الرحیم لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم إیّاک نعبد و إیّاک نستعین اللّهم کفّ عنّا بأس الظالمین فکان هذا شعاره بصفّین رضی اللّه عنه.

أقول: ما نقلنا عن کتاب صفّین لنصر منقول فی البحار أیضا (ص ۱۰۱ ج ۲۱، و ص ۶۲۸ ج ۸ من الطبع الکمبانی).

و قال السیّد علیّ بن طاوس قدّس سرّه فی مهج الدعوات (ص ۱۳۸ طبع ایران ۱۳۲۹ ه) نقلا عن کتاب صفین لعبد العزیز الجلودی الأزدی البصری المتوفّی سنه ۳۳۲ ه: کان علیّ علیه السّلام إذا سار إلی القتال ذکر اسم اللّه حین یرکب و لما قعد علی دابّته قال: سبحان الّذی سخّر لنا هذا و ما کنّا له مقرنین و إنّا إلی ربّنا لمنقلبون الحمد للّه علی نعمه علینا و فضله العظیم عندنا، ثمّ استقبل القبله و رفع یدیه و قال:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم اللّهمّ إیّاک نعبد و إیّاک نستعین یا اللّه یا رحمن یا رحیم یا أحد یا صمد یا إله محمّد إلیک نقلت الأقدام و أفضت القلوب، و شخصت الأبصار، و مدّت الأعناق، و طلبت الحوائج، و رفعت الأیدی، اللّهمّ افتح بیننا و بین قومنا بالحقّ و أنت خیر الفاتحین، ثمّ قال:

لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر، ثلاثا.

ص:۱۷۱

اللغه

«أفضت» بسكون الفاء من الإفضاء، أفضى فلان إلى فلان: وصل إليه، و حقيقته أنّه صار فى فضائه أى فى ساحته، و فى القرآن الكريم: «وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً » (النساء - ۲۶). قال الشيخ الجليل أبو علىّ فى تفسير المجمع: الإفضاء إلى الشيء الوصول إليه بالملامسه و أصله من الفضاء و هو السعه.

و قال المرزوقىّ فى شرح الحماسه ۲۴۹ لعديل بن الفرخ العجلىّ:

فاوصيكما يا ابنى نزار فتابعا وصيّه مفضى النّصح و الصّدق و الودّ

قوله: - مفضى النصح - أى و اصل نصحه إليكم، و صائر فى فضاء و سعه و المعنى انكشافه و خلوصه، و فى القرآن: «وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ ».

أفضى إلى فلان سرّه، أو بسرّه: أعلمه به.

و قال فى منتهى الأرب: الإفضاء راز را با كسى در ميان آوردن.

و كلمه أفضت فى نسخه خطيه من النهج، و كذا فى بعض روايات كتاب صفّين لنصر مشكوله بفتح الفاء و هى و هم و الصواب ما بيّناه.

«شخصت الأبصار» أى ارتفعت أجفانها ناظره إلى عفوك و رحمتك و فى روايه من كتاب نصر: اللّهمّ إليك رفعت الأبصار و فى روايه اخرى: و رفعت الأيدى و شخصت الأبصار، كما تقدّمت، و قد مرّ البحث عن معنى كلمه شخص فى شرح المختار الثالث من باب الكتب و الرسائل (ص ۱۱۱ ج ۱۷).

«و نقلت الأقدام» بالنّون، و فى روايه من كتاب صفين (ص ۲۵۶ من الطبع الناصرى و قد ذكرناها فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب ص ۳۲۶ ج ۱۵) ثقلت بالثاء المثلّثه و لكنها محرّفه لأنّها لا تناسب اسلوب العباره فى المقام على أنّها لا تفيد معنى صحيحا، إلّا أن يتكلف فى تأويلها غايه التكلّف.

«انضيت الأبدان» أى هزلت، ناقص واوى، قال عارق الطّائى الحماسه (۶۱۵):

من مبلغ عمرو بن هند رساله إذا استحقبتها العيس تنضى من البعد

أى إذا حملتها الابال العيس تهزل لبعد المسافه.

و قال ابن الأثير فى النهايه: فى الحديث أنّ المؤمن لينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره أى يهزله و يجعله نضوا، و النضوا الدابّه الّتى أهزلتها الأسفار و أذهبت لحمها. و منه حديث علىّ عليه السّلام كلمات لور كبتم فيهنّ المطىّ لأنضيتموهنّ، و حديث ابن عبد العزيز انضيتم الظهر أى هزلتموه.

«قد صرّح مكنون الشنان» قوله عليه السّلام: اللّهمّ قد صرّح - إلى قوله:

مراجل الأضغان، ليس بمذكور فى النسخ الأربع الّتى رواها نصر فى صفين، و كذا فى النسخه الّتى رواها المفيد فى الجمل عن الواقدى.

ثمّ إنّ كلمه صرّح فى بعض النسخ مشكوله بضمّ الصّاد و كسر الرّاء المشدّده و فى بعضها بفتح الصاد و ضمّ الراء المخفّفه، و فى نسخه مخطوطه عندنا قوبلت بنسخه الرضى بفتح الصاد و فتح الرّاء المشدّده و هذا هو الحق، يقال: صرّح الحقّ عن محضه أى كشف عن خالصه، مثل فى ظهور الأمر غبّ استتاره، و فى صحاح الجوهرىّ: و فى المثل صرّح الحقّ عن محضه أى انكشف.

و فى أساس البلاغه للزّمخشرى: صرّحت الخمره: ذهب عنها الزّبد و صرّح النّهار ذهب سحابه و أضاءت شمسه، قال الطّرمّاح فى صفه ذئب.

إذا امتلّ يعدو قلت ظلّ طخاءه ذرى الريح فى أعقاب يوم مصرّح

و فى الحماسه: قال شهل بن شيبان الزّمانى (الحماسه ٢):

فلمّا صرّح الشرّ فأمسى و هو عريان

و لم يبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا

و قال المرزوقىّ فى الشرح: يقال: صرّح الشىء إذا كشف عنه و أظهره، و صرّح هو إذا انكشف، و مثله بيّن الشىء و بيّن هو أى تبيّن، و فى المثل «قد بيّن الصّبح لذى عينين» و فعّل بمعنى تفعّل واسع، يقال وجّه بمعنى توجّه، و قدّم بمعنى تقدّم، و نبّه بمعنى تنبّه، و نكّب بمعنى تنكّب. انتهى

ص:١٧٣

ما أوردنا من نقل كلامه.

و قرئ في النسخه الّتى عورضت على نسخه الرضىّ مكنون و مكتوم معا، و معنى أحدهما قريب من الاخر أى المخفى و المستور و المغطّى و نظائرها يقال: كنّ الشىء من باب نصر إذا ستره فى كنّه و أخفاه و غطّاه، و اليكنّ وقاء كلّ شىء و ستره، و كتم الشىء من باب نصر أيضا أخفاه و الشنان: العداوه و البغضاء.

«جاشت مراجل الأضغان» جاشت أى غلت، و المراجل القدور جمع المرجل بمعنى القدر اسم آله على وزن مفعل، و الأضعان: الأحقاد جمع الضغن.

قال ابن الأثير فى النهايه: يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، و الفاتح الحاكم. و فى تفسيرى المجمع و غرائب القرآن أنّ ابن عبّاس قال: ما كنت أدرى ما الفتح حتّى سمعت بنت سيف بن ذى يزن و قد جرى بينى و بينها كلام فقالت: انطلق افاتحك القاضى أى احاكمك إليه.

و فى المفردات للراغب: فتح القضيّه فتاحا فصل الأمر فيها و أزال الاغلاق عنها قال تعالى: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا » - إلخ و منه الفتّاح العليم، قال الشاعر: و إنّى من فتاحتكم غنىّ. و قيل: الفتاحه بالضمّ و الفتح. انتهى.

و قد قال عليه السّلام فى الخطبه الّتى خطب بها الناس و رواها الكلينىّ فى الكافى (ص ١١ ج ١۴ من الوافى): اللّهمّ فاحكم بيننا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

و كذا فى خبر دعائم الإسلام الاتى ذكره.

الاعراب

«إليك» ظرف لغو متعلّق بكلّ واحد من الأفعال الخمسه قدّم توسّعا للظرف و جاز أن يكون لقوله أفضت مفعول محذوف و التقدير اللّهمّ إليك أفضت القلوب سرّها أو بسرّها، كما علم فى بيان اللّغه.

«مكنون» أو «مكتوم» مرفوع فاعل لقوله صرّح و قد دريت فى بيان اللّغه

ص:١٧۴

أن فعّل بمعنى تفعّل واسع فى لغه العرب، و «مراجل» فاعل لقوله جاشت.

«غيبه» منصوبه على المفعوليّه لقوله نشكو. و كلّ واحد من كثره و تشتّت منصوب معطوف عليها.

المعنى

قد تظافرت روايات فى أنّهم عليهم السّلام كثيرا ما كانوا يدعون بأدعيه إذا لقوا العدوّ محاربا، و كذا عند إراده القتال كانوا يدعون بأدعيه، كما كانوا يوصون عساكرهم بكلمات من تقوى اللّه، و إماته الباطل، و إحياء معالم الدّين و الوفاء بالأمان، و دعوه الأعداء إلى الدّين قبل الشروع بالقتال، و عدم الابتداء بالقتال و تعاهد الصلاه و الحفظ عليها، و الخلوص فى الجهاد، و عدم التعرض بالنساء، و حفظ أعراض الناس، و تعليم آداب الجهاد و الترغيب فيه و غيرها ممّا لا بدّ للمجاهد فى سبيل اللّه من مراعاتها و المحافظه عليها.

قال ابن قتيبه الدينوريّ فى كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ۱۲۳ ج ۱ طبع مصر): حدّثنى محمّد بن عبيد قال: حدّثنا معاويه عن أبى إسحاق، عن أبى رجاء قال: كان النبيّ صلّى اللّه عليه و اله يقول إذا اشتدّت حلقه البلاء و كانت الضيقه: «تضيّقى تفرّجى» ثمّ يرفع يديه فيقول: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم، اللّهمّ إيّاك نعبد و إيّاك نستعين، اللّهمّ كفّ عنّا بأس الّذين كفروا إنّك أشدّ بأسا و أشدّ تنكيلا فما يخفض يديه المباركتين حتّى ينزل اللّه النصر.

قال: و حدّثنى محمّد بن عبيد، عن معاويه، عن أبى إسحاق، عن موسى بن عقبه، عن سالم أبى نصر مولى عمرو بن عبيد اللّه و كان كاتبا له قال: كتب عبد اللّه بن أبى أوفى حين خرج إلى الحروريّه أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و اله فى بعض أيّامه الّتى لقى فيها العدوّ انتظر حتّى مالت الشمس ثمّ قام فى النّاس فقال: لا تتمنّوا لقاء العدوّ و اسألوا اللّه العافيه فإذا لقيتموهم فاثبتوا و اصبروا و اعلموا أنّ الجنّه تحت ظلال السيوف ثمّ قال: اللّهمّ منزل الكتاب و مجرى السحاب و هازم الأحزاب اهزمهم و انصرنا عليهم.

قال: و قال أبو النضر: و بلغنا أنّه دعا فی مثل ذلک فقال: اللّهمّ أنت ربّنا و ربّهم و هم عبیدک و نحن عبیدک و نواصینا و نواصیهم بیدک فاهزمهم و انصرنا علیهم.

و قال ابن هشام فی السیره: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله لمّا اشرف علی خیبر قال لأصحابه: قفوا ثمّ قال: اللّهمّ ربّ السماوات و ما أظللن - إلی آخر ما نقلنا عنه فی شرح المختار الثانی من باب کتبه علیه السّلام (ص ۵۰ ج ۱۷) قال ابن هشام:

و کان صلّی اللّه علیه و اله یقولها لکلّ قریه دخلها.

و قال المسعودی فی مروج الذهب (ص ۸ ج ۲ طبع مصر) إنّ علیّا علیه السّلام لمّا خرج مع عسکره من مدینه الرسول إلی البصره فساروا حتّی نزلوا الموضع المعروف بالزاویه صلّی أربع رکعات و عفّر خدیّه علی التربه و قد خالط ذلک دموعه ثمّ رفع یدیه یدعو: اللّهمّ ربّ السماوات و ما أظلّت إلی آخر ما نقلنا عنه فی (ص ۵۰ ج ۱۷) أیضا، و قد بیّنا هناک أنّ کلامه هذا لیس بمذکور فی النهج بما ذکرناه هناک فراجع.

و فی الباب التاسع عشر من کتاب الجهاد من الجامع الکافی للکلینیّ قدّس سرّه عدّه من أصحابنا عن سهل بن زیاد، عن جعفر بن محمّد، عن ابن القدّاح، عن أبیه المیمون، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام کان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللّهمّ إنّک أعلمت سبیلا من سبیلک جعلت فیه رضاک، و ندبت إلیه أولیاءک، و جعلته أشرف سبیلک عندک ثوابا، و أکرمها لدیک مابا، و أحبّها إلیک مسلکا، ثمّ اشتریت فیه من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّه یقاتلون فی سبیل اللّه فیقتلون و یقتلون وعدا علیک حقّا؛ فاجعلنی ممّن اشتری فیه منک نفسه ثمّ وفی لک ببیعه الّذی بایعک علیه غیر ناکث و لا ناقض عهدا و لا مبدّلا تبدیلا بل استیجابا لمحبّتک و تقرّبا به إلیک فاجعله خاتمه عملی و صیّر فیه فناء عمری و ارزقنی فیه لک به مشهدا توجب لی به منک الرضا، و تحطّ به عنّی الخطایا، و تجعلنی فی الأحیاء المرزوقین بأیدی العداه و العصاه تحت لواء الحقّ و رایه

ص:۱۷۶

الهدى ماضيا على نصرتهم قدما غير مولّ دبرا، و لا محدث شكّا، اللّهمّ و أعوذ بک عند ذلک من الجبن عند موارد الأهوال، و من الضعف عند مساوره الأبطال، و من الذنب المحبط للأعمال فأحجم من شکّ أو أمضى بغير يقين فيكون سعيى فى تباب و عملى غير مقبول.

أقول: و كلامه هذا أيضا ليس بمذكور فى النهج.

و فى الباب السادس و الأربعين من كتاب الجهاد من مستدرک الوسائل: صاحب الدعائم فى شرح الأخبار عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام أنّه قال: لمّا توافق النّاس يوم الجمل خرج علىّ عليه السّلام حتّى وقف بين الصفّين ثمّ رفع يده نحو السماء ثمّ قال:

يا خير من أفضت إليه القلوب، و دعى بالألسن، يا حسن البلاء، يا جزيل العطاء احكم بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

و فى كتاب صفّين لنصر (ص ۱۱۸ من الطبع الناصرى): الأبيض بن الأغرّ عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: ما كان علىّ فى قتال قطّ إلّا نادى يا كهيعص.

ثمّ قال نصر: فحدّثنى مالک بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ عليّا خرج إليهم فاستقبلوه فقال: اللّهم ربّ السقف المحفوظ المكفوف - إلى آخر ما نقلناه عن أبى جعفر الطبرى فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۵۵ ج ۱۵) و أتى به الرضىّ فى النهج و هو المختار ۱۶۹ من باب الخطب و بين النسخ الثلاث اختلاف فى الجمله.

و فى مهج الدّعوات لسيّد بن طاوس (ص ۱۳۶ طبع ايران ۱۳۲۹ ه) أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام دعا فى يوم الجمل - و يروى أنّه دعا بهذا الدّعاء يوم الجمل قبل الواقعه: اللّهمّ إنّى أحمدک و أنت للحمد أهل على حسن صنعک إلىّ و تعطّفک علىّ و على ما وصلتنى به من نورک و تداركتنى به من رحمتک و أسبغت علىّ من نعمتک فقد اصطنعت عندى يا مولاى ما يحقّ لک به جهدى و شكرى لحسن عفوک و بلائک القديم عندى، و تظاهر نعمائک علىّ، و تتابع أياديک لدىّ، لم أبلغ إحراز حظّى

و لاصلاح (إصلاح - خ ل) نفسي؛ و لكنّك يا مولاى بدأتنى أولا باحسانك فهديتنى لدينك، و عرّفتنى نفسك، ثبّتنى فى امورى كلّها بالكفايه، و الصّنع لى، فصرفت عنّى جهد البلاء، و منعت منّى محذور الأشياء (القضاء - خ ل) فلست أذكر منك إلّا جميلا، و لم أرمنك إلّا تفضيلا.

يا إلهى كم من بلاء و جهد صرفته عنّى و أريتنيه فى غيرى، فكم (و كم - خ ل) من نعمه أقررت بها عينى، و كم من صنيعه شريفه لك عندى.

إلهى أنت الّذى تجيب عند (فى - خ ل) الاضطرار دعوتى، و أنت الّذى تنفّس عند الغموم كربتى، و أنت الّذى تأخذ لى من الأعداء بظلامتى، فما وجدتك و لا أجدك بعيدا منّى حين اريدك، و لا منقبضا عنّى حين أسألك، و لا معرضا عنّى حين أدعوك.

فأنت إلهى أجد صنيعك عندى محمودا، و حسن بلائك عندى موجودا، و جميع أفعالك عندى جميلا، يحمدك لسانى و عقلى و جوارحى و جميع ما أقلّت الأرض منّى.

يا مولاى أسألك بنورك الّذى اشتققته من عظمتك، و عظمتك الّتى اشتققتها من مشيّتك، و أسألك باسمك الّذى علا أن تمنّ علىّ بواجب شكرى نعمتك.

ربّ ما أحرصنى على ما زهّدتنى فيه و حثثتنى عليه إن لم تعنّى على دنياى بزهد و على آخرتى بتقواى هلكت.

ربّ دعتنى دواعى الدّنيا من حرث النساء و البنين فأجبتها سريعا، و ركنت إليها طائعا، و دعتنى دواعى الاخره من الزهد و الاجتهاد فكبوت لها، و لم اسارع إليها مسارعتى إلى الحطام الهامد، و الهشيم البائد، و السّراب الذاهب عن قليل.

ربّ خوّفتنى و شوّقتنى و احتجبت علىّ فما خفتك حقّ خوفك و أخاف أن أكون قد تثبّطت عن السعى لك، و تهاونت بشىء من احتجابك (احتجاجك - خ ل).

اللهمّ فاجعل فى هذه الدّنيا سعيى لك و فى طاعتك، و املأ قلبى خوفك، و حوّل تثبيطى و تهاونى و تفريطى، و كلّما أخافه من نفسى فرقا منك، و صبرا على طاعتك، و عملا به يا ذا الجلال و الإكرام، و اجعل جنّتى من الخطايا حصينه،

و حسناتی مضاعفه فانّک تضاعف لمن تشاء.

اللّهمّ اجعل درجاتی فی الجنان رفیعه، و أعوذ بک ربّی من رفیع المطعم و المشرب، و أعوذ بک من شرّ ما أعلم و من شرّ ما لا أعلم، و أعوذ بک من الفواحش کلّها ما ظهر منها و ما بطن، و أعوذ بک ربّی أن أشتری الجهل بالعلم کما اشتری غیری أو السفه بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الضلاله بالهدی، أو الکفر بالایمان، یا ربّ منّ علیّ بذلک فإنّک تتولّی (تولّی - خ ل) الصالحین و لا تضیع أجر المحسنین و الحمد للّه ربّ العالمین.

أقول: و إنّما نقلنا الدّعاء بطوله لأنه من الأدعیّه العالیه المضامین کما لا یخفی علی المتأمّل و لم یأت به الرضیّ فی النهج، و کم من أدعیّه له علیه السّلام و قد بلغت فی الفصاحه و البلاغه درجه رفیعه و مرتبه منیعه غیر مذکوره فی النهج.

و فی الباب ۴۶ من کتاب الجهاد من مستدرک الوسائل نقلا عن الجعفریات:

أخبرنا عبد اللّه بن محمّد قال: أخبرنا محمّد بن محمّد قال: حدّثنی موسی بن إسماعیل قال:

حدثنا أبی، عن أبیه، عن جدّه جعفر بن محمّد، عن أبیه، عن جدّه علیّ بن الحسین عن أبیه، عن علیّ بن أبی طالب علیهم السّلام: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله إذا لقی العدوّ عبّی الرجال و عبّی الخیل، و عبّی الإبل ثمّ یقول: اللّهمّ أنت عصمتی و ناصری و مانعی اللّهمّ بک أصول و بک اقاتل.

قال: و بهذا الإسناد عن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قال: لمّا کان یوم خیبر بارزت مرحبا، فقلت ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله علّمنی أن أقوله: اللّهمّ انصرنی و لا تنصر علیّ، اللّهمّ اغلب لی و لا تغلب علیّ، اللّهمّ تولّنی و لا تول علیّ، اللّهمّ اجعلنی لک ذاکرا لک شاکرا لک راهبا لک منیبا مطیعا أقتل أعداءک فقتلت مرحبا یومئذ و ترکت سلبه و کنت أقتل و لا آخذ السلب.

قال: و بهذا الإسناد عن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله دعا یوم الأحزاب: اللّهمّ منزل الکتاب منشر السحاب واضع المیزان أهزم الأحزاب عنّا و ذلّلهم، و فی نسخه: و زلزلهم.

ص:۱۷۹

و قـال المفيـد رحمه اللّه فى الإرشاد: (ص ۲۱۷ طبع طهران ۱۳۷۷ ه) روى عن علىّ بن الحسـين زين العابدين عليهما السّـلام أنّه قـال: لمّا أصـبحت الخيل تقبل على الحسـين عليه السّـلام رفع يـديه و قال: اللّهمّ أنت ثقتى فى كلّ كرب، و أنت رجائى فى كلّ شدّه و أنت لى فى كلّ أمر نزل بى ثقه و عدّه، كم من همّ يضـعف فيه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله و يخذل فيه الصديق و يشـمت فيه العدوّ أنزلته بك و شكوته إليك رغبه منّى إليك عمّن سواك ففرّجته عنّى و كشفته فأنت ولىّ كلّ نعمه و صاحب كلّ حسنه و منتهى كلّ رغبه.

و قد قال الشيخ قدّس سرّه إنّ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه قال:

حدّثنى الحسـين بن محمّد بن عامر، عن رجل، عن ابن أبى عمير، عن حفص البخترىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان من دعـاء النبىّ صـلّى اللّه عليه و اله يوم الأـحزاب: اللّهمّ أنت ثقتى فى كلّ كرب و أنت رجائى فى كلّ شـدّه و أنت لى فى كلّ أمر نزل بى ثقه و عـدّه كم من كرب يضـعف عنه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله و يخذل عنه القريب و يشـمت به العدوّ و تعنينى فيه الامور أنزلته بـک و شـكوته إليـک راغبـا إليـک فيه عمّن سواك ففرّجته شـكوته فكفيتنيه فـأنت ولىّ كلّ نعمه و صاحب كلّ حاجه و منتهى كـلّ رغبه لك الحمـد كثيرا و لك المنّ فاضـلا، انتهى. فكلام سـيد الشـهداء فى كربلاء مقتبس من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله و هو عليه السّلام تأسّى به صلّى اللّه عليه و اله.

كما أنّ أبا عبد اللّه الصّادق عليه السّـلام كان يدعو بهذا الدّعاء متأسّـيا بجدّه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله و قد رواه السيد ابن طاوس رحمه اللّه فى باب أدعيه الصادق عليه السّـلام من مهج الدّعوات (ص ۲۶۹) و نظائر هـذه الأدعيّه و الأوراد و الأذكار عن أئمّتنا الطّاهرين عليهم السّـلام إذا لقوا العـدوّ كثيره و ما أتينا بها ههنا شـرذمه و أنموذجه عن ما رويت عنهم عليهم السّـلام و نقل طائفه منها السـيد ابن طاوس فى مهج الدعوات و فى الجوامع الروائيه كالبحار و غيرها مذكوره بإسـنادها و سلسله رواتها صفحنا عن نقلها بأسرها لئلا يفضى إلى الإسهاب.

ص:۱۸۰

و من كان طالب الأمر السديد و سالك النهج الرشيد يجب له أن يدين اللّه بما أوضحه حماه الدّين و يعبده على سيره حججه الهادين المهديّين الّذين لا يرى فى فعلهم غيّ و لا فى منطقهم خطاء فانّهم الحكماء المؤيّدون من عند اللّه و المؤدّبون بتأديبه تعالى لا يرون فى جميع أحوالهم سواء فى السرّاء و الضرّاء و الشدّه و الرّخاء و العافيه و البلاء إلّا اللّه تعالى، و لا يرى منهم عمل إلّا له تعالى فطوبى لمن اقتفى أثرهم و اقتدى بهديهم.

قوله عليه السّلام:«إليك أفضت القلوب - إلخ» قد ذكرنا فى أبحاثنا السالفه أنّ الجهاد عباده و أنّه من أعظم العبادات بل أنّه أشرف الأعمال بعد الإسلام كما هو نصّ ما قاله الأمير عليه السّلام (باب ١٥ من كتاب الجهاد من الكافى ص ٣٣٧ من الطبع على الحجر). فلو كانت مشوبه بالرياء لم يتقبّل اللّه و قال عزّ من قائل: «فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربّه أحدا».

ثمّ عند إقبال الجهاد يمتحن الرجال و يميّز الخبيث من الطّيب فمن استعدّ له فقد انقاد المولى و ذلّ له.

و لمّا كان بين النفس و البدن ارتباط تامّ، و اتّصال كامل بحيث يتأثّر كلّ واحد منهما عن الاخر كما قدّمنا البحث عنه فى شرح المختار ٢٣٢ من باب الخطب (ص ٥٣ ج ١٥) و أنّ قوى البدن كلّها جنود للنفس فلا جرم ينقاد البدن للنفس و يحكى أحوالها الطاريه لها و إن كان سرّ الحكايه مستورا عنّا فإنّا نعلم علما يقينا أنّ الإنسان إذا تحيّر فى أمر أو خجل يطرق رأسه، و إذا أدرك حقيقه و اطلع على مبهم معضل يحرّكه علوا و سفلا، و إذا أدركه كمه يحرّكه يمينا و شمالا، و إذا صدّق أمرا يؤميه إلى قدّامه و إذا أنكره يؤبيه إلى خلفه، و إذا خاف من شيء ينقبض البدن و تقف القوى عن أعمالها إن كان خوفا شديدا، أو يدبر و يفرّ إن كان خفيفا، و إذا غضب على غيره يتسدّل حاجباه و تنقبض ناصيته و تنبسط القوى و تبطش و تقوى على حدّ تخرج الحدقتان محمّرتين و يحمرّ البدن من جهه خروج الدّم إلى ظاهر البدن وقتئذ و إذا تعجّب من أمر يخرج شفته السفلى و يرفع حاجبيه و يخرج حدقتيه، و إذا تعشق أمرا عرضت له حاله اخرى و قد يستفاد من حركات

اليـدين و الحـاجبين و العينين و الشـفتين رموز و امور لا تحصـى و حالات البـدن الحاكيه أحوال طاريه للرّوح لا تكاد تمكن أن تحرّر و إذا تأمّلت فى الأحوال المختلفه العارضه للمصلّى فى صلاته تنكشف لك أسرار اخرى فانّه فى تكبيره الإحرام يرفع يديه إلى حـذاء شـحمتى اذنه و يسـتقبل القبله ببطون يديه و فى قنوته يرفع يديه على وجه آخر مع ذكر خاصّ و فى ركوعه يمدّ عنقه مع ذكر خاصّ و يفرّج بين أصابعه و يملا بها ركبتيه، و فى سـجوده يضـمّها و يجعل رأسه بين كفّيه و هكـذا حالاته الاخرى فى الصـلاه لسـنا الآن فى مقـام بيانهـا و نكتفى بـذكر عـدّه روايات رواها ثقه الإسـلام الكلينىّ رحمه اللّه فى الكافى و نقلها الفيض رحمه اللّه فى باب الإشارات فى الدّعاء من الوافى (ص ۲۲۲ ج ۵).

روى الكلينىّ قدّس سرّه باسناده عن أبى إسحاق، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

الرغبه أن تسـتقبل ببطن كفّيـك إلى السـماء، و الرهبه أن تجعـل ظهر كفّيـك إلى السـماء و قوله: و تبتّـل إليه تبتيلا قال: الـدّعاء باصبع واحده تشير بها و التضرّع تشير باصبعيك و تحرّكهما، و الابتهال رفع اليدين و تمدّهما و ذلك عند الدّمعه ثمّ ادع.

و روى عن مروك بيّاع اللؤلؤ عمّن ذكره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ذكر الرغبه و أبرز باطن راحتيه إلى السـماء و هكذا الرهبه و جعل ظهر كفّيه إلى السـماء و هكذا التضـرّع و حرّك أصابعه يمينا و شـمالا و هكذا التّبتّل و يرفع أصابعه مرّه و يضـعها مرّه و هكذا الابتهال و مدّ يديه (يده - خ ل) تلقاء وجهه إلى القبله و لا يبتهل حتى تجرى الدّمعه.

و روى بإسناده عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: مرّبىّ رجل و أنا أدعو فى صلاتى بيسارى فقال: يا أبا عبـد اللّه بيمينك فقلت: يا عبد اللّه إنّ للّه تعالى حقّا على هذه كحقّه على هذه و قال: الرغبه تبسط يديك و تظهر باطنهما، و الرهبه تبسط يديك تظهر ظهرهما، و التضـرّع تحرّك السـبابه اليمنى يمينا و شـمالا، و التبتّل تحرّك السبابه اليسرى ترفعها إلى السماء رسلا و تضعها، و الابتهال تبسط يدک و ذراعک إلى السماء، و الابتهال حين ترى أسباب البكاء.

و روى عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن الدعاء و رفع اليدين فقال: على أربعه أوجه، أمّا التعوّذ فتستقبل القبله بباطن كفّيك، و أمّا الدّعاء فى الرزق فتبسط كفّيك و تفضى بباطنهما إلى السماء، و أمّا التبتّل فإيماؤك باصبعك السبابه، و أمّا الابتهال فرفع يديك تجاوز بهما رأسك، و دعاء التضرّع أن تحرّك إصبعك السّبابه ممّا يلى وجهك و هو دعاء الخيفه.

و روى عن الخزّاز، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى «فما استكانوا لربّهم و ما يتضرّعون» قال: الاستكانه هى الخضوع و التضرّع رفع اليدين و التضرّع بهما.

و روى عن محمّد و زراره قالا: قلنا لأبى عبد اللّه عليه السّلام: كيف المسأله إلى اللّه تعالى؟ قال: تبسط كفّيك، قلنا: كيف الاستعاذه؟ قال: تفضى بكفّيك، و التبتّل الإيماء بالإصبع، و التضرّع تحريك الاصبع، و الابتهال أن تمدّ يديك جميعا.

أقول: لمّا انجرّ كلامنا إلى هنا أقبلنا شهر رجب المرجّب من سنه ستّ و ثمانين و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره على هاجرها ألف تحيّه و صلاه و سلام، و قد خلت من الشّهر تسع ليال و هذه ليله الثلثاء العاشره منه، و تذكّرت دعاء كلّ يوم من رجب المرجّب المأثور عن الصادق عليه السّلام رواه المجلسىّ رحمه اللّه فى المجلّد العشرين من البحار (ص ۳۴۲ من الطبع الكمبانى) قال:

و من الدّعوات كلّ يوم من رجب ما ذكره الطّرازى أيضا فقال: دعاء علّمه أبو عبد اللّه عليه السّلام محمّد السّجاد و هو محمّد بن ذكوان يعرف بالسّجّاد قالوا: سجد و بكى فى سجوده حتّى عمى. روى أبو الحسن علىّ بن محمّد البرسىّ رضى اللّه عنه قال:

أخبرنا الحسين بن أحمد بن شيبان قال: حدّثنا حمزه بن القاسم العلوىّ العبّاسى قال: حدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن عمران البرقى، عن محمّد بن علىّ الهمدانىّ قال:

أخبرنى محمّد بن سنان، عن محمّد السجّاد فى حديث طويل قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام جعلت فداك هذا رجب علّمنى فيه دعاء ينفعنى اللّه به، قال: فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

اکتب: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و قل فی کلّ يوم من رجب صباحا و مساء و فی أعقاب صلواتک فی يومک و ليلتک: «يا من أرجوه لکلّ خير، و آمن سخطه عند کلّ شرّ، يا من يعطی الکثير بالقليل، يا من يعطی من سأله، يا من يعطی من لم يسأله و من لم يعرفه تحنّنا منه و رحمه أعطنی بمسألتی إيّاک جميع خير الدّنيا و جميع خير الاخره، و اصرف عنّی بمسألتی إيّاک جميع شرّ الدّنيا و شرّ الاخره فإنّه غير منقوص ما أعطيت و زدنی من فضلک يا کريم» قال: ثمّ مدّ أبو عبد اللّه عليه السّلام يده اليسری فقبض علی لحيته و دعا بهذا الدّعاء و هو يلوذ بسبّابته اليمنی ثمّ قال بعد ذلک: «يا ذا الجلال و الاکرام يا ذا المنّ و الطّول حرّم شيبتی علی النّار» و فی حديث آخر ثمّ وضع يده علی لحيته و لم يرفعها إلّا و قد امتلی ظهر کفّه دموعا. انتهی.

فإنّ فی قوله: و هو يلوذ بسبّابته اليمنی إشاره إلی التبتّل و التضرّع و الالتجاء بتحريکها ففی النهايه الأثيريّه يقال: لاذ به يلوذ إذا التجأ إليه و انضمّ و استغاث. و قال الطّريحی فی المجمع: و قوله: و تلوذ بسبّابتک أی تتضرّع بسبّابتک بتحريکها.

ثمّ إنّ الجهاد يستلزم المتاعب من نصب السفر، و حمل الأثقال و أوزار الحرب، و سهر اللّيالی لئلّا يأتی العدوّ من مکان مخافه أو أمن و غيرها ممّا يقبل للمجاهدين علی أنحاء شتّی.

و هو عليه السّلام أشار إلی الأوّل بقوله: إليک أفضت القلوب أی إنّ هذه العباده الّتی هی أشرف الأعمال خالصه لوجهک الکريم، أو أنّها أفضت إليک بسرّها و إنّما تشکو بثّها و حزنها إليک و دخلت بفنائک و ساحتک و لا تعبد غيرک و لا تعرف إلّا إيّاک و لا تقرع إلّا بابک و قدم الظرف للحصر.

و إلی الثانی بقوله: و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار لما دريت من أنّ قوی البدن جنود للقلب و أنّ البدن يحکی الحالات الطاريه عليه فإذا أخلصت القلوب و انقادت له و طارت و وصلت إليه تمدّ الأعناق تبعا للقلوب اظهارا للمذلّه

و العبوديّه و ترفع الأبصار إليها كذلك لا ترى غيرها و لا ترجو الرحمه و الفيض إلاّ من عنده.

و إلى الثالث بقوله: و نقلت الأقدام و انضيت الأبدان لأنّ متاعب السفر مستلزم للكلال و الهزال، و لا يخفى لطائف كلامه عليه السّلام حيث جمع بين الافضاء و الانضاء، و كذا بين عدّه جوارح البدن.

قوله عليه السّلام:«اللّهمّ قد صرّح مكنون الشنان» بيّن عليه السّلام فى كلامه هذا أنّ مقاتليه كانوا يعاندونه و يبغضونه إلاّ أنّهم كانوا لا يظهرون العداوه و البغضاء لعدم استطاعتهم بالإظهار إمّا لوجود النبيّ صلّى اللّه عليه و اله و إمّا لفقدانهم اعوانا و لما ارتحل النبيّ صلّى اللّه عليه و اله أو وجدوا أعوانا أظهر و هما و سيأتى قوله عليه السّلام فى المختار السادس عشر فى معانديه: فو الّذى فلق الحبّه و برىء النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه.

و قد تظافرت الاثار على أنّ شبل أسد اللّه أبا عبد اللّه الحسين عليه السّلام لمّا احتجّ فى الطفّ على شذاذ الأحزاب و نبذه الكتاب بما احتج إلى أن انهى كلامه لهم بقوله: فبم تستحلّون دمى؟ أجابوه بقولهم: بغضا لأبيك.

و إنّما استكنّوا فى صدورهم عداوه أمير المؤمنين عليه السّلام لما رأوا منه فى بدر و احد و غيرهما من المواطن و قد مضى فى الكتاب العاشر قوله عليه السّلام لمعاويه: فأنا أبو حسن قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا يوم بدر - إلخ، و ناهيك فى ذلك عمل يزيد برأس ابن بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله إبرازا للعداه المستجنّه فى صدره حيث دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين و جعل يتمثّل بأبيات عبد اللّه بن الزبعرى و أضاف بعض أشعاره إليها فقال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا و استهلّوا فرحا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

فقتلنا الضّعف من أشرافهم و عدلنا ميل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

و قيل: إنّه قالها بعد وقعه الحرّه بدليل قوله: جزع الخزرج فانّ المراد من الخزرج الأنصار كانوا فى المدينه لأنّ الأنصار كانوا من قبيلتيّ الأوس و الخزرج و قد قتل الأنصار فى وقعه الحره، و أن الأبيات ليزيد نفسه قالها على وزن أبيات ابن الزّبعرى، و لكنّه و هم و قد قال المبرّد فى الكامل (ص ۲۵۷ ج ۲ طبع مصر):

قال ابن الزبعرى فى يوم احد: ليت أشياخى - إلخ. و كذا قال ابن هشام فى السيره النبويّه (ص ۱۳۶ ج ۲ طبع مصر ۱۳۷۵ ه) إنّ ابن الزبعرى قال فى يوم احد:

ليت أشياخى - إلخ، و قد أتى بستّه عشر بيتا قالها ابن الزبعرى فى ذلك اليوم ثمّ بعده نقل خمسه عشر بيتا قالها حسّان بن ثابت الأنصاريّ ردّا على ابن الزبعرى و قد استشهد باحد من الانصار اثنا عشر رجلا كما قال ابن هشام فى السيره (ص ۱۲۲ ج ۲) و لذا قال ابن الزبعرىّ: جزع الخزرج.

بيان: قوله: و عدلنا ميل بدر فاعتدل، يعنى أنّ أشياخهم الكافرين لمّا قتلوا فى بدر بأيدى المسلمين صار قتلهم سببا لاعوجاج أمرهم و شأنهم و ما زال كان معوّجا حتّى أنّ من بقى منهم قتلوا جماعه من المسلمين فى احد فاستقام أمرهم أى اعتدل الميل و الاعوجاج.

و قال أبو علىّ القالى فى الأمالى (ص ۱۴۲ ج ۱ طبع مصر ۱۳۴۴ ه):

قال يعقوب بن السّكّيت: العرب تقول: لاقيمنّ ميلك و جنفك و دراك و صغاك و صدغك و فذلك و ضلعك كلّه بمعنى واحد، يقال: ضلع فلان مع فلان أى ميله، و قال غيره: فأمّا الضّلع فخلقه تكون فى الإنسان، و قرأت على أبى بكر بن دريد لأبى كبير الهذلىّ:

نضع السّيوف على طوائف منهم فنقيم منهم ميل ما لم يعدل

الطّوائف: النّواحى: الأيدى و الأرجل و الرّؤوس، و قوله: ميل ما لم يعدل، قال: ميله فضله و زيادته، و إنّما يريد أنّ هؤلاء القوم كانوا غزوهم فقتلوهم فكأنّ ذلك القتل ميل على هؤلاء القوم، ثمّ إنّ هؤلاء القوم المقتولين

غزوهم بعد فقتلوهم فكأنّ قتلهم لهم قيام (إقامه – ظ) للميل، و هذا كقول ابن الزّبعرى:

و أقمنا ميل بدر فاعتدل

يقولها فى يوم احد، يقول: اعتدل ميل بدر إذ قتلنا مثلهم يوم احد. انتهى.

أقول: ما أفاد القالى يرجع بالدّقيق من النظر إلى المعنى الّذى تبادر إليه ذهننا أوّلا، ثمّ إنّ البيت قد نقل هكذا:

قد قتلنا القرم من ساداتهم و قتلناه ببدر فاعتدل

و لكنّ المصراع الثّانى محرّف، و الصواب ما اخترناه و هو الّذى أتى به ابن هشام فى السيره النبويّه و القالى فى الأمالى.

قوله عليه السّلام:«و جاشت مراجل أضغانهم» شبّه صدورهم بالقدور و بيّن أنّها أكنان الأضغان أى إنّ مظروفها الأحقان الكامنه الواغره فيها فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و قبل وجدان الأعوان و قد غلت الان بما تيسّر لهم ممّا هى كالنّار الموقده المغليه لها.

قوله: عليه السّلام:«اللّهم إنّا نشكوا إليك غيبه نبيّنا و كثره عدوّنا و تشتّت أهوائنا» لمّا كان القوم لم يقدروا فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على إظهار الضغائن و إبراز السرائر و تشتّت الأهواء و بموته اصطلحوا على الشقاق و النفاق و المعاداه على كلمه اللّه العليا و حجّته على عباده و افتراق الكلمه شكى عليه السّلام بلسانه و لسان تابعيه إليه تعالى غيبه نبيّه.

قوله عليه السّلام:«ربّنا افتح – إلخ» ثمّ انقطع إلى اللّه تعالى و التجأ إليه و استغاث منه فسأله عن نفسه و عن أتباعه أن يحكم بينه و تابعيه و بين أعدائهم بالحقّ و إن كان عالما بأنّ اللّه سيفعله إلاّ أنّه استفتح استنصارا من اللّه و رغبه منه إليه تعالى و إخبارا عن نفسه بأنّه على الطريقه المثلى و عن أعدائه بأنّهم على العمياء و أنّهم فريق حقّ عليهم الضلاله.

ص:۱۸۷

ثـمّ إنّه عليه السّـلام طلب من اللّه تعـالی أن یفرق بینه و بین أعـدائه و یبعـدهم عنه و یفصـل بینهمـا لمـا دریت من أنّ الفتـح هو الفصـل فـإذا حکم بینهمـا بالفصل یمیز الطیب من الخبیث و الحقّ من بالباطل و عنـد ذلک یفتضـح الباطل و یحلّ إلی دار البوار فکأنّ هذا القول دعاء علیهم و المراد أنّه علیه السّلام دعا علیهم أن ینزل اللّه علیهم عذابا یدلّ علی کونهم مبطلین و علی أنّه علیه السّـلام و قومه محقّین، و لم یصـرّح فی کلامه هـذا أن أیّهما علی الحقّ و أیّ فریق علی الباطل بل أبهم فی ذلک لأنّه أدلّ علی المقصود و أشدّ فی تبکیت الخصم و أوفق باسلوب المحاوره.

و هذا الکلام اقتباس من القرآن العظیم حکاه اللّه تعالی عن نبیّه شعیب صلوات اللّه علیه مع قومه حیث قال عزّ من قائل:«قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْـتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّکَ یا شُعَیْبُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْیَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ کُنّا کارِهِینَ قَدِ افْتَرَیْنا عَلَی اللّهِ کَذِباً إِنْ عُدْنا فِی مِلَّتِکُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللّهُ مِنْها وَ ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِیها إِلاّ أَنْ یَشاءَ اللّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا کُلَّ شَیْ ءٍ عِلْماً عَلَی اللّهِ تَوَکَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ الْفاتِحِینَ »(الأعراف ۸۸ و ۸۹).

و یعجبنی فی المقـام نقل خطبه من عبـد اللّه بن عبّاس رحمه اللّه فانّه أجاد بما أفاد و نطق بالحقّ و هـدی إلی الرشاد و السـداد و أوصـی وصیّه مفضی النّصح و الصّدق و الوداد نقلها نصر بن مزاحم فی کتاب صفّین (ص ۱۶۴ من الطبع الناصری) قال نصر قال عمر حـدّثنی خالـد بن عبـد الواحـد الجزری قـال: حـدّثنی من سـمع عمرو بن العـاص قبـل الوقعه العظمی بصـفّین و هو یحرّض أصـحابه بصـفّین فقـام محنیـا علی قوس فقـال - و بعـد ما نقل قول عمرو بن العاص قال: ثمّ قام عبـد اللّه بن العبّاس خطیبا فقال: الحمد للّه ربّ العالمین الّذی دحی تحتنا سـبعا و سـمک فوقنا سـبعا ثمّ خلق فیما بینهنّ خلقا، و أنزل لهم فیها رزقا، ثمّ جعل کلّ شیء یبلی و یفنی غیر وجهه الحیّ القیّوم الّذی یحیی و یبقی، ثمّ إنّ اللّه بعث أنبیـاء و رسـلا فجعلهم حججـا علی عباده عـذرا و نذرا، لا یطاع إلاّ بعلمه و إذنه یمنّ بالطاعه علی من یشاء من عباده ثمّ یثیب علیها، و یعصی فیعفو و یغفر بحمله، لا یقدّر قدره، و لا یبلغ شیء مکانه،

أحصى كلّ شىء عددا و أحاط بكلّ شىء علما.

ثمّ إنّى أشهد أنّ لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى اللّه عليه إمام الهدى و النبىّ المصطفى و قد ساقنا قدر اللّه إلى ما قد ترون حتّى كان فيما اضطرب من حبل هذه الامّه و انتشر من أمرها أنّ ابن آكله الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعوانا على علىّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذكر صلّى معه بدرىّ، قد شهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه كلّ مشاهده الّتى فيها الفضل و معاويه و أبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام.

و اعلموا و اللّه الّذى ملك الملك وحده فبان به و كان أهله لقد قاتل علىّ بن أبى طالب مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و علىّ يقول: صدق اللّه و رسوله و معاويه و أبو سفيان يقولان: كذب اللّه و رسوله، فما معاويه فى هذه بأبرّ و لا أتقى و لا أرشد و لا أصوب منه فى تلكم، فعليكم بتقوى اللّه و الجدّ و الحزم و الصبر، و اللّه إنّكم لعلى الحقّ، و إنّ القوم لعلى الباطل فلا يكوننّ أولى بالجدّ فى باطلهم منكم فى حقكم.

أما و اللّه إنّا لنعلم أنّ اللّه سيعذّبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم، اللّهمّ ربّنا أعنّا و لا تخذلنا و انصرنا على عدوّنا و لا تخل عنّا و افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين، و السلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته أقول قولى و أستغفر اللّه لى و لكم.

الترجمه

أمير المؤمنين عليه السّلام با دشمن كارزار كننده روبرو مى شد مى گفت: بار خدايا دلهاى ما بسوى تو كوچ كرده و در كوى تو آرميده است و گردنها در بندگى تو كشيده شده و چشمها بروى تو گشوده گشت و پاها بجانب تو رهسپار شده و بدنها در راه تو نزار گرديده است، بار خدايا دشمنان ما دشمنيهاى ديرينه را آشكار كردند و سينه هايشان كه آكنده از كينه بود چون ديك بجوش آمد، بار خدايا از نبودن پيغمبر خود و بسيارى دشمنان و پراكندگى و اختلاف انديشه هايشان بتو شكايت آوريم

(که قوم از نبودن پیغمبر میدان گرفتند و در پی اظهار دشمنی نهفته و ابراز کینه نهانی بر آمدند.

مهر درخشنده چو پنهان شود شب پره بازی گر میدان شود)

پروردگار ما میان ما و این گروه بحق حکم بفرما (تا محق از مبطل برای همه آشکار شود) که تو بهترین حکم کنندگانی.

و كان يقول عليه الصلاه و السلام لاصحابه عند الحرب

اشاره

و هذا هو المختار السادس عشر من باب المختار من كتبه و رسائله عليه السّلام لا تشتدّنّ عليكم فرّه بعدها كرّه، و لا جوله بعدها حمله. و أعطوا السّيوف حقوقها. و وطّنوا للجنوب مصارعها. و اذمروا أنفسكم على الطّعن الدّعسىّ، و الضّرب الطّلخفىّ. و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل. و الذى فلق الحبّه، و برأ النّسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه.

المصدر

قوله هذا على النضد المذكور ما وجدناه فيما حضرنى من الكتب و الرسائل مع طول الفحص و كثره الطلب إلّا أنّ المجلسى رحمه اللّه قد نقله فى المجلّد الثامن من البحار (ص ۶۲۶ من الطبع الكمبانى) و فى المجلّد الحادى و العشرين (ص ۱۰۲ من ذلك الطبع) عن نهج البلاغه أيضا و لم يذكر مأخذا آخر.

و كـذا نقله المحدّث النورى فى كتاب الجهاد من المستدرك عن النهج بلا ذكر سند آخر و فيه نقل - از مروا - بالزاى و لكنّه تصحيف من النّاسخ (ص ۲۵۹ ج ۲) و كذلك فى الموضع الثانى من البحار.

نعم قد وجد متفرقا فى أقواله الاخر المرويّه فى الجوامع الروائيه مما سنتلوها عليك، و لا بعد أن يكون هذا القول ملتقطا منها لما قد نبّهناك عليه غير مرّه من أنّ هذه عاده الرضىّ رضوان اللّه فى النهج فإنّ غرضه كان التقاط الفصيح و البليغ من كلامه و لعلّه نقله عن مأخذ لم يحضرنا و اللّه تعالى هو العالم، و لكنّ المتدرّب فى أساليب الكلام يعلم أنّ قوله عليه السّلام: «و الّذى فلق الحبّه - إلخ» خارج من اسلوب ما قبله و سيأتى روايه نصر فى كتاب صفين المتضمّنه هذا القول و يعلم أنّه فى روايه على حده و بالجمله لو لم نقل أنّ عبارات هذا المختار ملفقه من أحاديث شتّى فكون ذيلها أعنى و الّذى فلق إلى آخره التقط من روايه آت نقلها و لفّق إلى ما قبله فممّا لا ينبغى أن يرتاب فيه، فنقول:

قد رويت عنه عليه السّلام فى الجوامع الروائيه و المجاميع الّتى دوّنها القدماء فى امور متنوّعه و علوم متفنّنه، و كتب المغازى و الملاحم و التواريخ و السّير روايات متظافره و وصايا متكاثره بطرق عديده و اسناد كثيره فى آداب الحرب و رسومها و هى سنن كليّه لن تجد لها بمضىّ اللّيالى و الأيّام و انصرام الشهور و الأعوام تبديلا و لا تحويلا، اللّهمّ إلّا فى آلات السلاح و أوزار الحرب و نذكر فى المقام ما وجدناها فى مظّان ماخذها بالفحص و الطّلب و فيها توجد ما أتى بها الرضىّ ههنا على أنّ مصادر طائفه ممّا فى نهج البلاغه تعلم بنقلها طائفه من أقوالها الّتى حرّض بها الناس على الجهاد.

ففى الباب الخامس عشر من كتاب الجهاد من فروع الكافى لقدوه المحدّثين الكلينىّ قدّس سرّه (ص ۴۳۹ من الرحلى المطبوع على الحجر) و فى الوافى (ص ۲۰ ج ۹): و فى كلام له آخر - يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله له -. و إذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم فإذا بدأوكم فانهدوا إليهم، و عليكم

السّكينه و الوقار، و عضّوا على الأضراس فإنّه أنبأ للسيوف عن الهام، و غضّوا الأبصار، و مدّوا جباه الخيول و وجوه الرجال و أقلّوا الكلام فإنّه أطرد للفشل و أذهب بالوهل، و وطّنوا أنفسكم على المبارزه و المنازله و المجاوله، و اثبتوا و اذكروا اللّه عزّ و جلّ كثيرا فإنّ المانع للذّمار عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الّذين يحفّون براياتهم، و يضربون حافّتيها و أمامها، و إذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، و عليكم بالتّحامى فإنّ الحرب سجال، لا يشدّون عليكم كرّه بعد فرّه، و لا حمله بعد جوله، و من ألقى إليكم السّلام فاقبلوا منه، فاستعينوا بالصبر فإنّ بعد الصبر النصر من اللّه عزّ و جلّ، إنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتّقين.

أقول: روى قوله عليه السّلام فى هذه الرّوايه بلفظ: «أقلّوا الكلام فإنّه أطرد للفشل» و روى فى كلامه المقدّم ذكره من النهج بلفظ «أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل».

و فى روايه اخرى من الكافى أعنى حديث مالك بن أعين الّذى أتينا به فى مصادر الوصيّه الرابعه عشره من المختار من باب الكتب و الرسائل بلفظ «أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل».

و فى روايه نصر فى صفين (ص ١٠۶ من الطبع الناصرى) بصوره: «و غضّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلّوا الكلام» و قد نقلنا روايته كامله فى شرح المختار ٢٣۶ من باب الخطب (ج ١۵ ص ٢٢٢) و توافق روايه نصر روايه أبى جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ٧ ج ۴) و قد مضى نقل روايته فى شرح المختار ٢٣۶ من باب الخطب أيضا (ج ١۵ ص ٢٣٨).

ثمّ إنّه عليه السّلام على روايه الكافى نبّه أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كرّه بعد فرّه، و لا حمله بعد جوله» على أنّ إدبار الخصم ربّما لا يكون عن هزيمه و ذلك لأنّ الأعداء قد يولّون الأدبار عن الحرب خدعه لكى يغترّ المقاتلون

المقـابلون لهم بادبـارهم عنهـا فيحسـبون أنّهم هزموا فيـذهبون فی آثـارهم متفرّقين و بعـد ما سـلكوا مسافه كـذلك يرجع إليهم الأعداء بغته و يحملون عليهم حمله يد واحده و رجل واحد فيهزمونهم.

و على روايه النهج وصّـی عليه السّلام أصحابه كذلك بقوله: «لا تشتدّنّ عليكم فرّه بعدها كرّه، و لا جوله بعدها حمله» أی أنّكم إذا رأيتم المصلحه فی الفرار لجذب العدوّ إلى حيث تتمكنوا منه فلا يشق عليكم و لا تستصعبوه فإنّ الحرب خدعه.

أو يقال فی تفسير هاتين الجملتين أنّه عليه السّلام نبّه أصحابه فی الاولى على أن يواظبوا أنفسهم من الأعداء و إن فرّوا عن هزيمه واقعا، و ذلک لأنّ الأعداء ربّما ينهزمون ثمّ يكرّون على الفئه الغالبه لما رأو أنّهم خرجوا من مكامنهم و انتشروا فی معسكرهم و اطمأنّوا بالغلبه على فرارهم و خرجوا من أوزار الحرب و اشتغلوا بأنفسهم و غيرها ممّا لا يحصى كثره أحوالها و أطوارها.

و فی الثانيه حرّضـهم بأنّكم إذا اتّفقت لكم الهزيمه من العـدوّ و فررتم فلا تسـتحيوا من الكرّه عليهم ثانيا و لا تحسـبوها عارا فانّ هذه الكرّه يتدارک الفرّه و يناسب هذا التفسـير الثانی قوله المروىّ فی المسـتدرک عن فرات بن إبراهيم الاتی نقله: عاودوا الكرّ و استحيوا الفرّ.

و فی الإرشـاد للمفيـد رحمه اللّه (ص ۱۲۱ طبع طهران ۱۳۷۷ ه): و من كلامـه عليه السّـلام حين دخل البصـره و جمع أصـحابه فحرّضهم على الجهاد فكان ممّا قال:

عباد اللّه انهدوا إلى هؤلاء القوم منشـرحه صدوركم بقتالهم فإنّهم نكثوا بيعتی، و أخرجوا ابن حنيف عاملی بعد الضّـرب المبرّح، و العقوبه الشديـده، و قتلوا السّـيابجه، و مثّلوا حكيم بن جبله العبـدی، و قتلوا رجالا صالحين، ثمّ تتّبعوا منهم من نجی يأخـذونهم فی كـلّ حائط و تحت كـلّ رابيه، ثمّ يـأتون بهم فيضـربون رقـابهم صبرا، مـالهم قاتلهم اللّه أنّی يؤفكون؟ انهـدوا إليهم و كونوا أشـدّاء عليهم، و القـوهم صـابرين محتسـبين تعلمون أنّكم منـازلوهم و مقـاتلوهم و لقـد وطّنتم أنفسـكم على الطّعن الدّعسـی، و الضرب الطّلحفی، و مبارزه الأقران، و أیّ امریء

منكم أحسّ من نفسه رباطه جاش عند اللّقاء و رأى من أحد من إخوانه فشلا فليذبّ عن أخيه الّذى فضل عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء اللّه لجعله مثله.

أقول: إنّه عليه السّلام قال فى كلامه هذا: «و لقد وطّنتم أنفسكم على الطّعن الدعسى و الضرب الطّلحفى» و هو يشابه قوله المقدّم «و اذ مروا أنفسكم على الطعن الدعسى و الضرب الطّلخفى إلاّ أنّ المفيد روى الطلحفى بالحاء المهمله، و قد روى قوله عليه السّلام فى الجمل (ص ۱۶۲ من طبع النجف) و نسخه فى الجمل: «و قد وطّنتم أنفسكم على الضرب و الطعن» من غير ذكر كلمتى الدعسى و الطلحفى، و قد مضى نقل نسخه الجمل هذه فى شرح المختار الثانى من كتبه و رسائله (ص ۵۲ ج ۱۷).

و فى كتاب صفّين لنصر (ص ۱۲۰ من الطبع الناصرى) عن عمر بن سعد، عن عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن، عن أبيه أنّ عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام حرّض النّاس فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ قد دلّكم على تجاره تنجيكم من العذاب، و تشفى بكم على الخير: إيمان باللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفره الذّنوب، و مساكن طيّبه فى جنات عدن و رضوان من اللّه أكبر، فأخبركم بالّذى يحبّ فقال: إنّ اللّه يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنّهم بنيان مرصوص فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، و قدّموا الدّارع، و أخّروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام و أربط للجاش، و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و التووافى أطراف الرّماح فإنّه امور للأسنّه وراياتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلاّ فى أيدى شجعانكم المانعى الذّمار و الصّبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ الّذين يحفّون براياتكم، و يكتنفونها يضربون خلفها و أمامها و لا تضيّعوها، أجزأ كلّ امرىء منكم رحمكم اللّه قرنه و واسى أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك لائمه و يأتى به دنائه، و أنّى هذا و كيف يكون هكذا؟ هذا يقاتل اثنين، و هذا ممسك يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه و قائما ينظر إليه من يفعل هذا يمقته اللّه فلا تعرّضوا لمقت اللّه فإنّما مردّكم إلى اللّه قال اللّه لقوم:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكَمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلًا »، و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلمون من سيف الاخره، استعينوا بالصّدق و الصبر فإنّه بعد الصبر ينزل النصر.

و فيه أيضا (ص ۱۳۰ من ذلک الطبع): عن عمر، عن مالک بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ عليّا لمّا رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها و مضافّها و كشف من بازائها حتّى ضاربوهم فى مواقفهم و مراكزهم فأقبل حتّى انتهى إليهم فقال: إنّى قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم، و تحرّزكم الجفاه الطّغاه و أعراب أهل الشام، و أنتم لهاميم العرب، و السّنام الأعظم، و عمّار اللّيل بتلاوه القرآن و أهل دعوه الحقّ إذا ضلّ الخاطؤن فلو لا إقبالكم بعد إدباركم، و كرّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّى يوم الزّحف دبره، و كنتم فيما أرى من الهالكين، و لقد هوّن علىّ بعض وجدى، و شفى بعض حاج نفسى أنّى رأيتكم باخره حزتموهم كما حازوكم و أزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطروده اليهم فالان فاصبروا، انزلت عليكم السكينه و ثبّتكم اللّه باليقين، و ليعلم المنهزم أنّه مسخط لربّه، و موبق نفسه، و فى الفرار موجده اللّه عليه، الذّل اللاّزم، و فساد العيش، و أنّ الفارّ لا يزيد الفرار فى عمره، و لا يرضى ربّه فموت الرجل محقّا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرّضا بالتلبّس بها و الإقرار عليها.

أقول: الرّوايه الاولى قد ذكر طائفه منها العلامه ابن خلدون فى الفصل السابع و الثلاثين من الباب الثالث من المقدمه و قال: انظر وصيه علىّ رضى اللّه عنه و تحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب و لم يكن أحد أبصر بها منه قال فى كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص - و فيه: و اخفتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل و أولى بالوقار (ص ۲۷۵ طبع مصر).

و قد رواها أبو جعفرى الطّبرى فى تاريخه عن أبى مخنف (ص ۱۱ ج ۴) و لكن بين النسختين تفاوتا فى الجمله و أرى أنّ نسخه نصر أصحّ و أمتن و قد مضى

نقل نسخه الطبری فی شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۵۷ ج ۱۵) و قد رواها المفید فی الإرشاد (ص ۱۲۷ طبع طهران ۱۳۷۷ ه) و تخالف الاولیین فی الجمله، و هی روایه مالک بن أعین المرویه فی الباب الخامس عشر من جهاد الکافی (ص ۳۳۸ من الطبع الرحلی المطبوع علی الحجر ۱۳۱۵ ه) و قد أشرنا آنفا إلی نقله فی مصادر المختار الرابع عشر من باب الکتب إلاّ أنّ بین روایتی الکافی و نصر اختلافا کمّا و کیفا و قد أتی الکلینیّ قدّس سرّه بزیاده فیها لم یأت بها نصر فی صفّین و هی من قوله: «و لا تمثّلوا بقتیل - إلی قوله: فیعیّر بها و عقبه من بعده».

و الرّوایه الثانیه مرویّه فی الکافی أیضا بعد الرّوایه الاولی و إن کان یوجد بینهما اختلاف أیضا: فعلی نسخه الکافی: قال علیه السّلام: إنّی رأیت جولتکم و انحیازکم عن صفوفکم تحوزکم الجفاه الطّغاه و أعراب أهل الشام و أنتم لهامیم العرب و السّنام الأعظم و عمّار اللّیل بتلاوه القرآن، و دعوه أهل الحق إذا ضلّ الخاطئون فلو لا إقبالکم بعد إدبارکم، و کرّکم بعد انحیازکم لوجب علیکم ما یجب علی المولّی یوم الزّحف دبره، و کنتم فیما أری من الهالکین و لقد هوّن علیّ بعض و جدی، و شفی بعض حاج صدری إذ رأیتکم حزتموهم کما حازوکم فأزلتموهم عن مصافّهم کما أزالوکم و أنتم تضربونهم بالسیوف حتّی رکب أوّلهم آخرهم کالإبل المطروده الهیم الأنّ، فاصبروا نزلت علیکم السکینه، و ثبّتکم اللّه بالیقین، و لیعلم المنهزم بأنّه مسخط ربّه، و موبق نفسه، إنّ فی الفرار موجده اللّه (موجده اللّه علیه - خ) و الذلّ اللازم، و العار الباقی، و أنّ. الفارّ لغیر مزید فی عمره، و لا محجور بینه و بین یومه، و لا یرضی ربّه، و لموت الرّجل محقّا قبل اتیان هذه الخصال خیر من الرّضا بالتلبیس بها، و الإقرار علیها.

قوله: الهیم الان: فعلی نسخه صفّین ظرف و النون مخفّفه، و علی نسخه الکافی من الأنین و هی مثقّله، و الفرق بین سائر العبائر ظاهر.

و روایه نصر الثانیه مذکوره فی جهاد البحار أیضا (ص ۹۹ ج ۲۱ من الطبع الکمبانی) قال: و قال: نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن مالک بن أعین، عن

زید بن وهب أنّ علیّا - إلخ، فأسقط عمر بن سعد فی الطبع الناصری.

ثمّ تجد روایه مالک بن أعین فی الکافی و الّتی نقلناها عن الکافی أولا مشترکتین فی جمله من الألفاظ و الجمل و العبارات کما أنّ نسختی نصر و الکافی منقولتان عن مالک بن أعین إلاّ أنّ الاولی منهما ذکرت أنّ مالک بن أعین روی عن زید بن وهب، و الثانیه أکتفت بذکر مالک.

و قد مضی کلامنا فی شرح المختار ۲۳۶ من الخطب (ص ۲۵۷ ج ۱۵) أنّ نسخه تاریخ الطبریّ أعنی الروایه الاولی من کتاب صفّین لنصر مذکوره فی النهج و هو المختار ۱۲۲ من باب الخطب أوّله: فقدّموا الدارع و أخّروا الحاسر و عضّوا علی الأضراس فإنّه أنبا للسیوف عن الهام - إلی آخره، و نزیدک ههنا بیانا فنقول: ذلک المختار المذکور ملتقط و ملفّق من عدّه روایات إحداها هی الروایه الاولی من کتاب صفین الّتی رواها ثقه الإسلام الکلینیّ فی الکافی، و أبو جعفر الطبریّ فی التاریخ، و الشیخ الأجلّ المفید فی الإرشاد کما مرّ آنفا و هذه الرّوایه التقطت و ذکرت فی صدر المختار ۱۲۲ المذکور من أوّله إلی قوله علیه السّلام: لا تسلموا من سیف الاخره.

و الثانیه هی الرّوایه الثانیه من کتاب صفّین لنصر الّتی رواها الکلینیّ فی الکافی أیضا و هی قوله علیه السّلام: إنّی رأیت جولتکم و انحیازکم - إلخ، و قد التقط منها قوله علیه السّلام: «و أنتم لهامیم العرب - إلی قوله: لا محجوز بینه و بین یومه» المذکور فی ذلک المختار.

الثالثه ما رواها نصر فی صفین أیضا (ص ۲۰۷ من الطبع الناصری) قال: حدّثنی رجل عن مالک الجهنی، عن زید بن وهب أنّ علیّا علیه السّلام مرّ علی جماعه من أهل الشام بصفّین فیهم الولید بن عقبه و هم یشتمونه و یقصبونه فأخبروه بذلک فوقف فی ناس من أصحابه فقال: انهدوا إلیهم و علیکم السکینه و سیما الصّالحین و وقار الإسلام و اللّه لأقرب قوم من الجهل باللّه عزّ و جلّ قوم قائدهم و مؤدّبهم معاویه، و ابن النّابغه، و أبو الأعور السّلمی و ابن أبی معیط شارب الخمر و المجلود حدّا فی

الإسـلام و هم أولى يقومون فيقصـبوننى و يشـتموننى، و قبل اليوم ما قاتلونى و شتمونى و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام و هم يدعوننى إلى عباده الأصـنام، فالحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه، و قديما ما عادانى الفاسقون، إنّ هذا لهو الخطب الجليل أنّ فسّاقا كانوا عنـدنا غير مرضـيّين، و على الإسـلام و أهله متخوّفين حتّى خدعوا شـطر هذه الامّه فأشـربوا قلوبهم حبّ الفتنه فاسـتمالوا أهوائهم بالإفك و البهتان، و قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا فى إطفاء نور اللّه و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون، اللّهمّ فانّهم قد ردّوا الحق فافضض جمعهم، و شتّت كلمتهم، أبسلهم بخطاياهم فانّه لا يذل من واليت، و لا يعزّ من عاديت.

و قد أتى بذيلها المفيد قدّس سرّه فى الإرشاد (ص ١٢۶ طبع طهران ١٣٧٧ ه) و يوجد اختلاف يسير بينهما.

الرّابعه روايه رواها نصـر فى صـفين أيضا بعد الرّوايه الثالثه عن نمير بن و عله عن عامر الشعبى أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام مرّ بأهـل رايه فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرّض النّاس على قتـالهم و ذكر أنّهم غسّان فقـال: إنّ هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسـيم و ضـرب يفلق الهـام و يطيـح العظـام، و تسـقط منه المعـاصم و الأكفّ حتّى تصـدّع جباهم، و تنثر حواجبهم، على الصّدور و الأذقان، أين أهل الصبر و طلّاب الخير؟ أين من يشرى وجهه للّه عزّ و جلّ، فثابت إليه عصابه من المسـلمين فـدعا ابنه محمّدا فقال له: امش نحو هـذه الرّايه مشـيا رويـدا على هنيئتك حتّى إذا أشـرعت فى صدورهم الرّماح فامسك يدك حتّى يأتيك أمرى و رأيى.

و قد أتى بشطر من هذه الروايه الشيخ الأجل المفيد فى الإرشاد (ص ١٢٧ و ١٢٨) من الطبع المقدم ذكره.

و قد التقط من هاتين الروايتين قوله عليه السّلام: «اللّهمّ فإن ردّوا الحقّ - إلى قوله: و يندر السواعد و الأقدام» المذكور فى ذلك المختار.

الخامسه روايه رواها نصر فى صفين أيضا (ص ٢٨٣ من الطبع الناصرى)

عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبيّ أنّ عليّا عليه السّلام قال يوم صفّين حين أقرّ النّاس بالصّلح: إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحقّ و لا ـ ليجيبوا إلى كلمه السّواء حتّى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، و حتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس حتّى يدعق الخيول فى نواحى أرضهم و بأحناء مساربهم و مسارحهم، و حتّى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ، و حتّى تلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاک من هلک من قتلاهم و موتاهم فى سبيل اللّه إلاّ ـ جدّا فى طاعه اللّه، و حرصا على لقاء اللّه، و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلک إلاّ إيمانا و تسليما، و مضيّا على أمضّ الألم، و جدّا على جهاد العدوّ، و الإستقلال بمبارزه الأقران، و لقد كان الرّجل منّا و الاخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما سقى صاحبه كأس المنون فمرّه لنا من عدوّنا، و مرّه لعدوّنا منّا، و لمّا رآنا اللّه صبرا صدقا أنزل اللّه بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النّصر، و لعمرى لو كنّا نأتى مثل الّذى أتيتم ما قام الدّين و لا عزّ الإسلام، أيم اللّه لتجلبنّها دما فاحفظوا ما أقول لكم - يعنى الخوارج. انتهى.

و رواها الشيخ الأجل المفيد فى الإرشاد (ص ۱۲۸ طبع طهران ۱۳۷۷ ه) و بين النسختين اختلاف يسير، و هى مرويه فى الكتاب المنسوب إلى سليم بن قيس الكوفى (ص ۱۱۸ من طبع النجف) و هى تخالف روايتى نصر و المفيد.

و قد التقط من هذه الرّوايه قوله: «حتّى يرموا بالمناسر - إلى قوله:

مساربهم و مسارحهم» المذكور فى ذيل ذلک المختار من النهج، و إنّما بقى من ذلک المختار قوله عليه السّلام: «الرائح إلى اللّه كالظمان - إلى قوله: إلى ديارهم» فلم نجد مأخذه بعد و لعلّ اللّه يحدث بعد ذلک أمرا، و العارف بأساليب الكلام المتدرّب فيها يرى تلفيقه و انضمامه من أساليب شتّى و إن كانت كلّها ممّا أفاضها المرتضى روحى له الفداء، و قد مرّ منّا الإشاره غير مرّه إلى أنّ غرض الرّضىّ

فى النهج كان التقاط الفصيح من كلامه و انتخاب بليغه، و يا ليت الرضىّ أتى فى النهج بجميع الروايات المتقدّمه لأنّها فوق كلام البشر و دون كلام الخالق و الكلّ فصيح بليغ.

و فى مستدرك الوسائل (الباب ۳۲ من كتاب الجهاد ص ۲۵۸ ج ۲) للمحدّث النورى رحمه اللّه قال:

فرات بن إبراهيم الكوفى فى تفسيره عن إبراهيم بن بنان الخثعمى، عن جعفر بن محمّد بن يحيى بن شمس، عن علىّ بن أحمد بن الباهلى، عن ضرار بن الأزور أنّ رجلا من الخوارج سأل ابن عبّاس عن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فأعرض عنه ثمّ سأله فقال: لقد كان و اللّه علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام يشبه القمر الزّاهر، و الأسد الخادر - إلى أن قال: و قد رأيته يوم صفّين و عليه عمامه بيضاء و كأنّ عينيه سراجان و هو يتوقّف على شر ذمه شرذمه يحضّهم و يحثّهم إلى أن انتهى إلىّ و أنا فى كنف من المسلمين فقال: معاشر الناس استشعروا الخشيه، و أميتوا الأصوات، و تجلببوا بالسكينه، و اكملوا الأمه، و قلقلوا السّيوف فى الغمد قبل السلّه، و الحظوا الشّرز، و اطعنوا الخزز، و نافجوا بالظّبى، و صلوا السّيوف بالحظا، و الرّماح بالنبال، فإنّكم بعين اللّه مع ابن عمّ نبيّكم، عاودوا الكرّ، و استحيوا الفرّ فإنّه عار باق فى الأعقاب، و نار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفسا، و اطووا عن الحياه كشحا و امشوا إلى الموت مشيا - إلى أن قال: ألا فسوّوا بين الرّكب، و عضّوا على النواجد. و اضربوا القوابض (للقوانص - خ) بالصوارم، و اشرعوا الرّماح بالجوانح شدّوا فإنّى شاذّ ما هم (ماحم - خ) لا ينصرون. الخبر.

و روى هذا الخبر أعنى خبر فرات بن إبراهيم فى تفسيره المجلسىّ فى الثامن من البحار (ص ۵۱۸ من الطبع الكمبانى) بتمامه.

و أتى به الرضىّ فى المختار الرابع و الستين من باب الخطب من النهج أوله:

معاشر المسلمين استشعروا الخشيه و تجلببوا السكينه - إلخ.

و قد رواه المسعودى فى مروج الذهب (ص ۲۰ ج ۲ من طبع مصر ۱۳۴۶ ه)

و قد نقلنا نسخته فی شرح المختار ۲۳۶ (ص ۲۵۴ ج ۱۵). و أتی به الخواجه نصیر الدّین الطوسی قدّس سرّه فی الباب السابع و الثلاثین من أخلاق محتشمی.

و قال الجاحظ فی البیان و التبیین (ص ۲۸۵ ج ۲ طبع مصر ۱۳۸۰ ه):

قال علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه یومئذ (یعنی یوم صفّین) عضّوا علی النواجذ من الأضراس فإنّه أنبی للسیوف عن الهام، انتهی، و لم ینقل من کلامه علیه السّلام أکثر من ذلک کما هو دأبه فی ذلک الکتاب غالبا من التقاط بعض الجمل و ترک الاخری.

و نقل ما أتی به الجاحظ ابن قتیبه الدینوری فی کتاب الحرب من عیون الأخبار (ص ۱۳۳ ج ۱ من طبع مصر) و قال أیضا (ص ۱۱۰ ج ۱): ذکر ابن عبّاس علیّا علیه السّلام فقال: ما رأیت رئیسا یوزن به، لرأیته یوم صفّین و کأنّ عینیه سراجا سلیط و هو یحمّس أصحابه إلی أن انتهی إلیّ و أنا فی کثف فقال: معشر المسلمین استشعروا الخشیه، و عنّوا الأصوات و تجلببوا السکینه، و أکملوا اللّؤم و أخفوا الخون، و قلقلوا السّیوف فی أغمادها قبل السّلّه، و الحظوا الشّزر، و اطعنوا النّبر، و نافحوا بالظّبا، و صلوا السّیوف بالخطا، و الرّماح بالنّبل و امشوا إلی الموت مشیا سجحا، و علیکم بهذا السّواد الأعظم، و الرّواق المطنّب فاضربوا ثبجه فإنّ الشیطان راکد فی کسره، نافج خصییه، مفترش ذراعیه، قد قدّم للوثبه یدا، و أخّر للنّکوص رجلا.

و روی الکلینیّ قدّس سرّه فی آخر الباب الخامس عشر من جهاد الکافی (ص ۳۳۹ من الطبع علی الحجر) بإسناده عن حریز، عن محمّد بن مسلم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه لأصحابه: إذا لقیتم عدوّکم فی الحرب فأقلّوا الکلام و اذکروا اللّه عزّ و جلّ و لا تولّوهم الأدبار فتسخطوا اللّه تبارک و تعالی و تستوجبوا غضبه و إذا رأیتم من إخوانکم المجروح و من قد نکل به أو من قد طمع عدوّکم فیه فقوه بأنفسکم.

و روی أبو جعفر الطبریّ فی التاریخ (ص ۷ ج ۴) و نصر فی صفّین (ص ۱۰۶)

بإسنادهما إلى الحضرميّ قال: سمعت عليّا عليه السّلام عرض فى النّاس فى ثلاثه مواطن فى يوم الجمل و يوم صفّين و يوم نهروان فقال: عباد اللّه اتّقوا اللّه عزّ و جلّ و غضّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلّوا الكلام - إلى آخر ما مضى فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۲۲۲ و ۲۳۸ ج ۱۵).

فمن هذه الروايات دريت أنّه عليه السّلام كان يأمر أصحابه باخفاء الصوت تاره بقوله: أميتوا الأصوات، و اخرى بقوله: أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل و مرّه بأنّه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و اخرى بقوله: و عنّوا الأصوات، و هو من التعنيه أى الحبس و الأسر، و دفعه بقوله: فعمّوا الأصوات كما فى نسخه اخرى، و هو من التعميه بمعنى الإخفاء، و اخرى بقوله: اخفضوا الأصوات، و فى نسخه: اخفتوا الأصوات كما علم من نقلها مصادر صدر هذا المختار الّذى نحن بصدر الشرح عليه و إنّما بقى ذكر مأخذ قوله عليه السّلام: «و الّذى فلق الحبّه» - إلخ فنقول:

رواه نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين (ص ۱۱۰ و ۱۱۱ من الطبع النّاصرى) عن أبى عبد الرحمن المسعودى قال: حدّثنى يونس بن الأرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنّا مع علىّ عليه السّلام بصفّين فرفع عمرو بن العاص شقّه قميصه سوداء فى رأس رمح. فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلم يزالوا كذلك حتّى بلغ عليّا، فقال علىّ: هل تدرون ما أمر هذا اللّواء؟ إنّ عدوّ اللّه عمرو بن العاص أخرج له رسول اللّه هذه الشقه فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: و ما فيها يا رسول اللّه؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلما، و لا تقربه من كافر، فأخذها فقد و اللّه قربه من المشركين و قاتل به اليوم المسلمين، و الّذى فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا رجعوا إلى عداوتهم منّا إلاّ أنّهم لم يدعوا الصّلاه.

أقول: و قد روى نحو كلامه هذا من أبى اليقظان عمّار بن ياسر رحمه اللّه عليهما و الظاهر أنّه اقتبس من كلام إمامه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و قد رواه نصر فى صفّين،

كما روى نحوه من ابنه محمّد ابن الحنفيّه رضوان اللّه عليه فدونك ما روى عنهما.

قال بعد نقل كلامه هذا: أخبرنى عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبى ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين قال رجل لعمّار: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: قاتلوا النّاس حتّى يسلموا فإذا أسلموا عصموا منّى دماءهم و أموالهم؟ قال: بلى، و لكن و اللّه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعوانا.

نصر عن قطرب بن خليفه، عن منذر الثّورى قال: قال عمّار بن ياسر:

و اللّه ما أسلم القوم و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعوانا.

نصر، عبد العزيز قال حبيب بن أبى ثابت قال: حدّثنى منذر العلوى قال:

قال محمّد ابن الحنفيّه لما أتاهم اللّه من أعلى الوادى و من أسفله و ملأ الأوديه كتائب:

استسلموا حتّى وجدوا أعوانا.

اللغه

اشتدّ عليه الأمر أى شقّ عليه و استصعبه، يقال: اشتدّ عليه المرض أى زاد و عظم، و هو تفتعل من الشدّ.

الفرّه: الفرار، فعله للمرّه، و الكرّه: الجوع، و الحمله فى الحرب.

«الجوله» مصدر، أى الدوران فى الحرب يقال: جال القوم جوله إذا انكشفوا ثمّ كرّوا و قال عبد الشّارق بن عبد العزّى الجهنى (الحماسه ١٥٢).

سمعنا دعوه عن ظهر غيب فجلنا جوله ثمّ ارعوينا

و قال الشارح المرزوقى: يقول: قرع أسماعنا فى أثناء التهيّؤ و التّطالع دعوه تأدّت من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دوره ثمّ رجعنا إلى أماكننا.

و فى منتهى الأرب جال فى الحرب جوله بالفتح من باب نصر: گرد برآمد.

«السّيوف» جمع السيف معروف، و هو مأخوذ من قولهم: ساف إذا هلك لأنه به يقع الهلك. قال القلقشندى فى صبح الأعشى (ص ١٣٩ ج ٢ طبع مصر):

ص:٢٠٣

السيف إن كان من حديد ذكر - و هو المعبّر عنه بالفولاذ - قيل: سيف فولاذ.

و إن كان من حديد انثى - و هو المعبّر عنه فى زماننا بالحديد - قيل: سيف أنيث، فان كان متنه من حديد انثى وحدّاه من حديد ذكر كما فى سيوف الفرنجه قيل: سيف مذكّر، و يقال: إنّ الصّاعقه إذا نزلت إلى الأرض وردّت (بردت - ظ) صارت حديدا، و ربّما حفر عليها و اخرجت فطبعت سيوفا، فتجىء فى غايه الحسن و المضاء.

ثمّ إن كان عريض الصّفيح قيل له: صفيحه، و إن كان محدقا (مدقّقا - ظ) لطيفا قيل له: قضيب؛ فإن كان قصيرا قيل: أبتر؛ فإن كان قصره بحيث يحمل تحت الثياب و يشتمل عليه قيل: مشتمل - بالكسر -.

فإن كان له حدّ واحد و جانبه الاخر جاف قيل فيه: صمصامه: - و بهذا كان يوصف سيف عمرو بن معدى كرب فارس العرب، فإن كان فيه حزوز مستطيله (مطمئنه - ظ) قيل فيه: فقارات - بذلك سمّى سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: ذا الفقار، يروى أنه كان فيه سبع عشره فقاره.

ثمّ تاره ينسب السّيف إلى الموضع الّذى طبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند:

هندىّ و مهنّد، و فيما طبع باليمن: يمان، و فيما طبع بالمشارف - و هى قرى من قرى العرب قريبه من ريف العراق - قيل له: مشرفىّ؛ فإن كان من المعدن المسمّى بقساس و هو معدن موصوف بجوده الحديد قيل له: قساسى.

و تاره ينسب السيف إلى صاحبه كالسيف السّريحى - نسبه إلى قين من قيون العرب اسمه: سريح معروف عندهم بحسن الصنعه.

و يوصف السيف بالحسام و هو القاطع أخذا من الحسم و هو القطع، و بالصّارم و هو الّذى لا ينبو عن الصريبه.

«وطّنوا» بالنّون كما فى النسخه الخطّيه الّتى عندنا قوبلت على نسخه الرضىّ، و فى نسخه الجامع الكافى و غيرها ممّا تلوناها عليك، يقال: وطّن البلد

ص:۲۰۴

توطينا أى اتّخذه محلاـ و مسكنا يقيم به، و وطّن نفسه على الأمر و للأمر أى مهّدها لفعله و ذلّلها و حملها عليه، قال سيّار بن قصير الطائى (الحماسه ۳۰).

لو شهدت أمّ القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمنىّ أرنّت

عشيّه أرمى جمعهم بلبانه و نفسى و قد وطّنتها فاطمأنّت

و فى أساس البلاغه للزمخشرى:

وطّنت نفسى على كذا فتوطّنت

. قال:

و لا خير فيمن لا يوطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

و فى غير واحده من النسخ المطبوعه و الخطيّه كتبت: وطّئوا بالهمزه من التوطئه أى التمهيد يقال وطّأ الأمر إذا مهّده.

و الجنوب جمع الجنب بالفتح فالسكون كفلس و فلوس يقال بالفارسيه: پهلو و قال الراغب فى المفردات: أصل الجنب الجارحه و جمعه جنوب قال اللّه عزّ و جلّ «فتكوى بها جباههم و جنوبهم» و قال تعالى:«تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ » و قال عزّ و جلّ:«قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ »ثمّ يستعار فى الناحيه الّتى تليها كعادتهم فى استعاره سائر الجوارح لذلك نحو اليمين و الشمال كقول الشاعر: من عن يمينى مرّه و أمامى.

«المصارع» جمع المصرع، يقال: صرعه على الأرض صرعا من باب منع أى طرحه عليها، و المصرع مكان الصرع، و مصارع القوم حيث قتلوا.

«اذمروا» بالذّال المعجمه اخت الدّال المهمله، ذمره على الأمر بالتخفيف من باب نصر، و بالتّشديد أيضا حضّه مع لوم ليجدّ فيه يقال: القائد يذمر أصحابه فى الحرب أى يسمعهم المكروه ليشحذهم، و رأيتهم يتذامرون فى الحرب، و أقبل يتذمّر أى يلوم نفسه على التفريط فى فعله و هو ينشطها لئلاّـ تفرط ثانيه، و فلان يتذمّم و يتذمّر و يرفع أذياله و يتشمّر، و هو ذمر من الأذمار: شجاع، قاله فى الأساس و ذمرته أذمره ذمرا حثثته، ذمار اسم فعل للحضّ على الحرب و تذامر القوم أى حثّ بعضهم بعضا و ذلك فى الحرب.

«الدعسىّ» الدّعس بالفتح فالسكّون: الدفع فى الأصل، ثمّ يستعمل فى

الطّعن و شده الوطأ و الجماع قاله المرزوقی فی شرحه علی الحماسه قال العبّاس بن مرداس (الحماسه ۱۵۱):

إذا ما حملنا حمله نصبوا لنا صدور المذاکی و الرّماح الدّواعسا

و قال قتاده بن مسلمه الحنفی (الحماسه ۲۵۸):

و فی النقع ساهمه الوجوه عوابس و بهنّ من دعس الرّماح کلوم

قال الجوهری فی الصّحاح. الدّعس بالفتح: الأثر، یقال: رأیت طریقا دعسا أی کثیر الاثار، و المدعاس الطریق الّذی لیّنته المارّه و الدّعس: الطعن و قد یکنّی به عن الجماع، و دعست الوعاء: حشوته، و المدعس: الرّمح یدعس به، و یقال: المداعس الصمّ من الرّمح، انتهی ما أردنا من نقل کلامه، یقال:

بینهم مداعسه أی مطاعنه بالرماح، و فی القاموس: الدّعس کالمنع: حشو الوعاء.

و بما ذکرنا علمت أنّ الطّعن بمعنی الضرب بالرّماح فانّ الدعسی صفه للطعن و الدعس و الدواعس و المدعس و المداعس قد استعملت فی فصیح الکلام للرّماح فقط، و قد قال الأشتر فی أبیات آت نقلها:

فاصبروا للطّعان بالأسل السّمر و ضرب یجری به الأمثال و الأسل بالتحریک فی الأصل نبات دقیق الأغصان تتّخذ منه الغرابیل و یقال للرّماح الأسل علی التشبیه و المستدقّ اللّسان و الذّراع الأسله.

«الطّلخفیّ» بکسر الطاء و فتح اللام و سکون الخاء المعجمه، قال الجوهریّ فی ماده ط خ ف من الصحّاح: ضرب طلخف بزیاده اللام مثال حبجر أی شدید، و قال الصّفی پوری فی منتهی الأرب: ضرب طلخف کهزبر زدگی سخت، لام زائد است.

و جاءت الطلحفی فی غیر واحده من النسخ بالحاء المهمله و لکن نسختنا الّتی قوبلت علی نسخه الرضیّ مضبوطه بالمعجمه و المهمله کالمعجمه معنی یقال:

ضربته ضربا طلحیفا و طلحفّا و طلحفا و طلحفی و طلحافا أی شدیدا، و قالوا إنّ اللّام فی المهمله أصلیّه، و قال فی القاموس بعد ضروب اللّغات فی الطلحفی

ص:۲۰۶

المهمله: و اللام أصليّه لذكرهم الطّلحفى فى باب فعلّى مع حبركى و وهم الجوهرى.

أقول: زياده اللام أوّل الكلمه و حشوها قليله جدّا و أمّا فى الاخر فقد ثبت فى الأعلام كزيدل و عبدل فى زيد و عبد و لكن عدم زيادتها أوّلا و حشوا فممّا لم يثبت بل لها نظير و الجوهرىّ ذهب إلى أنّ اللّام فى الطّلخفى المعجمه زائده و لم يأت بالمهمله فى الصحاح و ذكر الصفى پورى المعجمه فى مادّه ط خ ف و صرّح بأنّ اللّام زائده و المهمله فى ط ل ح ف و بين بأنّها أصليه، فاسناد الوهم إلى الجوهرى و هم.

ثمّ إنّ المعجمه فى المعاجم الّتى عندنا مضبوطه على الوجه المقدّم ذكره إلاّ فى أقرب الموارد فانّه قال فى طلخف بالخاء المعجمه: ضرب طلخيف بالخاء:

كالحاء فى لغاته.

«إماته الصوت»: إخفاؤه.

«الطّرد»: الإبعاد، تقول طردته فاطّرد أى أبعدته فابتعد.

«الفشل» بالتحريك: ضعف مع جبن مصدر من فشل الرجل من باب علم إذا جبن و ضعف و تراخى عند حرب أو شدّه. قال الفيومىّ فى مصباح المنير: فشل فشلا فهو فشل عن باب تعب و هو الجبان الضعيف القلب.

تقول: دعى إلى القتال ففشل أى جبن، و ذهبت قوّته فهو فشل و فشيل و فشل و قال الطّرمّاح مستهزءا برجل:

فقد بزمام بظر امّک و احتفر بأير أبيک الفشل كرّاث عاسم

و هو من أبيات الحماسه (۶۲۸) و قد يروى فى البيت الفسل أيضا.

و عزم على كذا ثمّ فشل عنه أى نكل عنه و لم يمضه.

و فى القرآن الكريم: «وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ » (آل عمران ۱۴۷) «وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ » (الانفال - ۵۰).

«إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِى مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ » (الأنفال - ۴۶).

ص:۲۰۷

«إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكَمْ أَنْ تَفْشَلا » (آل عمران ١٢٣).

«فلق»: شق، و قال ابن الأثير فى النهايه: فيه - يعنى فى الحديث «من أعتق نسمه أو فكّ رقبه» النسمه: النفس و الروح أى من أعتق ذا روح، و كلّ دابّه فيها روح فهى سمه و إنّما يريد النّاس و منه حديث علىّ عليه السّلام و الّذى فلق الحبّه و برأ النسمه أى خلق ذات الروح و كثيرا مّا كان يقولها إذا اجتهد فى يمينه، انتهى.

الاعراب

النون المثقله من تشتدنّ نون تأكيد، عليكم ظرف لغو متعلّق بالفعل، فرّه فاعل الفعل، «بعدها كرّه» خبر و مبتداء قدّم الخبر توسعا للظروف و الجمله صفه للفرّه، و لا جوله بعدها حمله عطف على فرّه بعدها كرّه و الكلام فيها كالاولى، و مفعول وطّنوا محذوف إن اخذ التوطين بمعنى التمهيد على وجه ستعرفه أى وطّنوا أنفسكم، أو أن حرف التعريف فى الجنوب بدل من المضاف إليه كما سيعلم وجهه فى المعنى، على الطّعن ظرف لغو متعلّق بقوله: اذ مروا، و ياء الدعسى للنسبه.

و قال بعض المتأخّرين فى تعاليقه على النهج: الدّعسىّ اسم من الدّعس أى الطّعن الشّديد فإن عنى أن كلمه الدّعسىّ إحدى اللّغات فى الدعس غير أنّها اسم للدّعس لا يساعده المعاجم اللّغويه و الكتب الأدبيّه، و الدعسى على أىّ نحو كان صفه للطعن، و كذلك الطلحفى صفه للضرب فان كانت بالخاء المعجمه فالياء مشدّده للنسبه، و إن كانت بالحاء المهمله فهى مقصوره إحدى اللّغات الخمس فيها، و الضمير فى انه راجع إلى المصدر أعنى الإماته المستفاد من قوله: أميتوا كقوله تعالى: اعدلوا هو أقرب للتقوى، و لا بأس بتذكير الضمير لمكان المصدر، و كلمه أطرد للتفضيل و المفضّل منه محذوف بقرينه المقام أى أن أماته الأصوات أطرد للفشل من اعلائها، «و الّذى» كلمه الواو للقسم متعلّقه محذوفا وجوبا فانّها لا تدخل إلّا على مظهر و لا تتعلّق إلّا محذوف. فلق الحبّه صله للّذى و برأ النسمه عطف عليها

«مـا اسـلموا» جواب للقسم، و كلمه مـا نـافيه. لمّا علم للظّرف و هو لوقوع الشـيء لوقوع غيره و الشـيء الأوّل فى المقام اظهارهم الكفر، و الثانى وجود الأعوان عليه

المعنى

قوله عليه السّـلام:«لا تشـتدّنّ عليكم فرّه بعـدها كرّه و لا جوله بعـدها حمله» قد علمت آنفا أنّه عليه السّـلام قد كان ينبّه أصـحابه على أن لا يغترّوا بفرار الأعـداء من المعارك فإنّ الفرار قـد يكون عن حيله و خدعه فيولّون الأدبار لكى يفرجوا الّذين يقاتلونهم و يغرّوهم و يغروهم باتّبـاعهم آثـارهم مهر عين و يخرجوهم من مكـامنهم ظنّـا منهم بأنّهم انهزموا و ما كان فرارهم عن هزيمه و بعـد مـا أفرجوهم برهه من الزّمـان يعطفون و يقبلون عليهم و يحملونهم حمله رجـل واحـد فيهزمونهم، كمـا كـان هـذا التنبيه هو المروىّ عن الكافى حيث أيقظ عليه السّلام أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كرّه بعد فرّه، و لا حمله بعد جوله».

و ههنا أرشدهم إلى أنّ الحرب خدعه، و فرّ و كرّ فإنّ علموا أنّ مقتضـى الحال فى القتال يوجب أن يولّوهم الأدبار و يخيّلوهم و يروهم بأنّهم منهزمون حتّى إذا أمكنتهم الفرصه من الحمله عليهم كرّوا عليهم دفعه واحـده فلا يحسـبوه عارا و لا يسـتحيوا منه، و لاـ يستصـعب عليهم هـذا النحـو من الفرار الظـاهرى المـوجب للظفر على الخصم و انمـا الّـذى ينبغى أن يستصـعب و يشـق على المجاهد و يستحيى منه هو أن تكون فرّه من غير كرّه، بل لا يجوز الفرار إذا كان العدوّ على الضّعف أو أقلّ.

و قد مضى قول ثامن الأئمّه علىّ بن موسى الرّضا عليه السّلام فى شرح المختار ۲۳۵ من باب الخطب (ص ۱۷۸ ج ۱۵) فى الفرار عن الزحف حيث قال عليه السّـلام: و حرّم اللّه الفرار من الزّحف لما فيه من الوهن فى الدّين، و الاسـتخفاف بالرّسل صلوات اللّه و سـلامه عليهم و الأـئمّه العـادله عليهم السّـلام، و ترك نصـرتهم على الأعـداء و العقوبه لهم على انكـار ما دعوا إليه من الاقرار بـالربوبيّه، و اظهـار العـدل، و ترك الجور، و إمـاته الفساد لما فى ذلك من جرأه العـدوّ على المسـلمين و ما يكون فى ذلك من السّبى

و القتل و إبطال حق اللّه تعالى و غيره من الفساد. و كذا فى المقام غيره من النصوص المستفاضه المستفاد منها أنّ الفرار من الزّحف من جمله الكبائر.

و بما قدّمنا علم وجه كون عباره النهج بعكس ما فى الكافى ففى الكافى كانت الكرّه مقدّمه على الفرّه و الحمله على الجوله و ههنا كانت الكرّه متأخّره من الفرّه، و الحمله من الجوله، و هناك أيقظهم بقوله: لا يشدّون عليكم، و ههنا وصّاهم بقوله: لا تشتدّنّ عليكم.

و اعلم أنّ قوله عليه السّلام:«لا تشتدّنّ عليكم فرّه بعدها كرّه» قول فى تفسير قوله تعالى إلّا متحرّفا لقتال فى الأنفال حيث قال عزّ من قائل: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ » (آيه ١٧، ١٨).

و الزّحف الجيش الدّهم الّذى يرى لكثرته كأنّه يزحف أى يدبّ دبيبا، و الزّحف أيضا الدنوّ قليلا قليلا كما قال الأزهرىّ: أصل الزّحف هو أن يزحف الصّبىّ على استه قبل أن يقوم، شبّه بزحف الصبى مشى الطائفتين يتمشّى كلّ فئه مشيا رويدا إلى الفئه الاخرى يتدانى للضّراب، و زحفا منصوب فى موضع الحال للكفّار.

و فى تفسير المجمع: التحرّف: الزّوال عن جهه الاستواء إلى جهه الحرف فالمعنى - و اللّه تعالى أعلم - إذا لقيتم الكفّار للقتال و الحال أنّهم كثير جمّ و أنتم قليل فلا تولّوهم الأدبار أى لا تجعلوا ظهوركم إليهم أى لا تفرّوا منهم فضلا عن أن تدانوهم فى العدد أو تساووهم، و من يولّهم يومئذ أى وقتئذ سواء كان نهارا أو ليلا فقد استحقّ و احتمل غضب اللّه و مأويه جهنّم و بئس المصير فالايه تدلّ على أنّ الفرار من الزّحف من كبائر المعاصى.

و فى الكافى بإسناده عن عقيل الخزاعى: أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ الرّعب و الخوف من جهاد المستحقّ للجهاد و المتوازرين على الضّلال، ضلال فى

ص:٢١٠

الـدّين و سـلب للـدّنيا مع الذلّ و الصـغار، و فيه استيجاب النّار بالفرار من الزّحف عند حضـره القتال يقول اللّه عزّ و جلّ: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ ».

و استثنى جلّ و علا من حرمه الفرار حالتين إحداهما إذا كان المجاهد متحرّفا لقتال، فقال فى الكشّاف: و هو الكرّ بعد الفرّ يخيّل عدوّه أنّه منهزم ثمّ يعطف عليه و هو باب من خدع الحرب و مكائدها.

و نحوه النيسابورى فى غرائب القرآن، و البيضاوىّ فى أنوار التنزيل حيث قال فى معناه: يريـد الكرّ بعد الفرّ و تغرير العدوّ فانّه من مكائد الحرب.

و قال الطبرسىّ فى المجمع: و قيل معناه إلاّ منعطفا مستطردا كأنّه يطلب عوره يمكنه اصابتها فيتحرّف عن وجه و يرى أنّه يفرّ ثمّ يكرّ و الحرب كرّ و فرّ.

و القول الاـخر فى تفسير قوله تعـالى: «إِلاّـ مُتَحَرِّفـاً لِقِتـالٍ » هو أنّ من ولّى دبره يبغى موقفا أصـلح للقتال من الموقف الأوّل فهو خـارج عن حرمه الفرار من الزّحف و الحق إنّه شامـل على كلاـ القولين، أى إنّ الفـارّ عن الزّحف قـد بـاء بغضب من اللّه إلاّ أن يـدبر عن القتـال و ينحرف عن مضـيق إلى اتّسـاع لتجول الخيـل، أو من معاطش إلى مياه، أو كانت الشـمس أو الريـح فى وجهه فاستدبرها، أو كان يوهم باستدباره خصمه أنّه منهزم منه ليغريه باتّباعه فينفرد عن أشياعه فيكرّ عليه فيقتله و ما أشبه ذلك.

و ثانيتهمـا إذا كـان متحيّزا إلى فئه، و التحيّز طلب حيّز يتمكّن فيـه و المعنى أو كـان منحـازا و منتقلاـ إلى جمـاعه اخرى من المسـلمين أى غير الجمـاعه الّتى كـان فيهـا و هم الّـذين يريـدون قتال الأعـداء و الجهاد فى سبيل اللّه فهو يريـد أن يسـتعين بهم عليهم.

و عن ابن عبّاس أنّ الفرار من الزّحف فى غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر كما فى الكشّاف و غرائب القرآن.

و قد روى أهل السـنّه عن أبى هريره عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و ما هنّ؟ قال: الشّرك باللّه، و السحر، و قتل

النفس الّتی حرّم اللّه إلاّ بالحقّ، و أکل الرّبا، و أکل مال الیتیم، و التّولّی یوم الزّحف، و قذف المحصنات الغافلات و المؤمنات.

و قد مرّت الإشاره إلی أنّ مثل ذلک قد روی عن أهل بیت النبوّه علیهم السّلام بروایات متکاثره متظافره و تقدّم نقل شطر ممّا أفاضه أبو الحسن الرّضا علیه السّلام فی علل تحریم الکبائر و منها الفرار عن الزّحف. کما تقدّم آنفا قول أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام عن الکافی و صفّین لنصر: و لیعلم المنهزم أنّه مسخط لربّه و موبق نفسه و فی الفرار موجده اللّه علیه و الذّلّ اللازم – إلخ.

الحرب خدعه لا کلام فی أنّ الخدعه فی نفسها قبیحه تنفر الطباع عنها. روی الکلینیّ فی الکافی بإسناده عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: لو لا أنّ المکر و الخدیعه فی النّار لکنت أمکر النّاس (الوافی ص ۱۵۶ ج ۳) و قد رفع قبحها فی الحرب فإنّ الغرض الأسنی من الجهاد قمع اصول الفساد، و قطع فروعه و قد جوّز الشارع تعالی التوصّل بالخدعه فی حضره القتال إلی ذلک، و تنفذه الأحلام و تقبله الطّباع لذلک.

قال العلاّمه قدّس سرّه فی آخر المقصد الثانی من جهاد المنتهی (ص ۹۱۳ من الطبع الرحلی علی الحجر ۱۳۳۳ ه): یجوز المخادعه فی الحرب و یجوز للمبارز أن یخدع قرنه لیتوصّل بذلک إلی قتله إجماعا، روی الجمهور أن عمرو بن عبدود بارز علیّا علیه السّلام فقال: ما احبّ قتلک یا ابن أخی، فقال علیّ علیه السّلام: لکنّی احبّ أن أقتلک فغضب عمرو و أقبل علیه، فقال علیّ علیه السّلام: ما برزت لا- قاتل اثنین، فالتفت عمرو فوثب علیّ علیه السّلام فضربه، فقال عمرو: خدعتنی، فقال علیّ علیه السّلام:

الحرب خدعه، انتهی ما أردنا من نقل کلامه.

و روی شیخ الطائفه قدّس سرّه فی باب أنّ الحرب خدعه من جهاد التهذیب بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن جعفر، عن أبیه علیهما السّلام أنّ علیّا علیه السّلام کان یقول:

لأن یخطفنی الطّیر أحبّ إلیّ من أن أقول علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله ما لم یقل، سمعت

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول يوم الخندق: الحرب خدعه، يقول: تكلّموا بما أردتم، (الوافى ص ٢١ ج ٩).

و فيه بإسناده عن مصعده بن صدقه قال: حدّثنى شيخ من ولد عدىّ بن حاتم عن أبيه، عن جدّه عدىّ بن حاتم و كان مع علىّ عليه السّلام فى غروته أنّ عليّا عليه السّلام قال يوم التقى هو و معاويه بصفّين فرفع بهم صوته يسمع أصحابه: و اللّه لأقتلنّ معاويه و أصحابه ثمّ قال فى آخر قوله: إن شاء اللّه خفض بها صوته فكنت منه قريبا فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك حلفت على ما قلت ثمّ استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال:

إنّ الحرب خدعه و أنا عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن احرّض أصحابى عليهم لكيلا يفشلوا و لكى يطمعوا فيهم فافهم فانّك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء اللّه، و اعلم أنّ اللّه عزّ و جلّ قال لموسى حيث أرسله إلى فرعون: «فأتياه فقولا له قولا ليّنا لعلّه يتذكّر أو يخشى» و قد علم أنّه لا يتذكّر و لا يخشى و لكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السّلام على الذّهاب، (الوافى ص ٩٥ ج ٧ و ص ٢٢ ج ٩)، و رواه فى البحار عن تفسير العياشى (ص ٩٨ ج ٢١ من الطبع الكمبانى).

و فى الباب السابع و الثلاثين من أخلاق محتشمى للخواجه الطّوسى قدّس سرّه:

كان النبىّ صلّى اللّه عليه و اله إذا أراد سفرا ورّى إلى غيره و قال: الحرب خدعه.

و فى مروج الذهب للمسعودى (ص ۶ ج ٢) قال ابن عبّاس لعلىّ عليه السّلام:

يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول: الحرب خدعه؟ فقال علىّ عليه السّلام: بلى. و سيأتى تمام كلامهما فى شرح الكتاب السابع عشر إن شاء اللّه تعالى.

و فى الجامع الصغير للسّيوطى عن أبى هريره، عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: الحرب خدعه.

و روى الكلينىّ فى الكافى بإسناده عن صفوان، عن أبى مخلّد (محمّد - خ) السّرّاج، عن عيسى بن حسّان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوما إلّا فى ثلاثه: رجل كائد فى حربه فهو موضوع عنه، أو رجل

أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح فيما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئا و هو لا يريد أن يتمّ لهم، (الوافى ص ۱۵۸ ج ۳).

و فى الكامل لأبى العبّاس المبرّد (ص ۱۹۳ ج ۲ طبع مصر) ناقلا عن المهلّب قال: انّه جاء عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قوله: «كلّ كذب يكتب كذبا إلّا ثلاثه:

الكذب فى الصلح بين الرجلين، و كذب الرّجل لامرأته يعدها، و كذب الرّجل فى الحرب يتوعّد و يتهدّد.

و قال: و جاء عنه صلّى اللّه عليه و اله إنّما أنت رجل فخذلّ عنّا فانّما الحرب خدعه.

قال: و قال عليه السّلام فى حرب الخندق لسعد بن عباده و سعد بن معاذ و هما سيّد الحيّين الخزرج و الأوس: «ائتيا بنى قريظه فإن كانوا على العهد فأعلنا بذلك؛ و إن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لى لحنا أعرفه و لا تفتّا فى أعضاد المسلمين» فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول اللّه: عضل و القاره فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله للمسلمين:

ابشروا فإنّ الأمر ما تحبّون.

قال الأخفش: سألت المبرّد عن قولهما عضل و القاره فقال: هذان حيّان كانا فى نهايه العداوه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فأرادا أنّهم فى الانحراف عنه و الغدر به كهاتين القبيلتين.

قال ابن إسحاق: لمّا خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله إلى بدر نزل قريبا منه فركب هو و رجل من أصحابه يتعرّفان أخبار قريش حتّى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، و عن محمّد و أصحابه، و ما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا اخبر كما حتّى تخبرانى ممّن أنتما؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فانّه بلغنى أنّ محمّدا و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الّذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الّذى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله - و بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان الّذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الّذى فيه قريش - فلمّا فرغ من خبره قال: ممّن أنتما؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: نحن ماء ثمّ انصرف عنه فجعل الشيخ

ص:۲۱۴

يقول: نحن من مـاء! من ماء العراق أو ماء كـذا أو ماء كـذا، نقله ابن هشام فى السـيره النبويّه (ج ۱ ص ۶۱۶ من طبع مصر ۱۳۷۵ ه)، و ابن قتيبه الدينورى فى باب الحيل فى الحروب من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ۱۹۴ ج ۱ طبع مصر ۱۳۸۳ ه).

و اعلم أنّ مـا قـدّمناه من جواز الخـدعه فى الحرب هو غير الغـدر بهم أى قتالهم و قتلهم بغته بعـد الأمان، و الغـدر ترک الوفاء و نقض العهد، قال شـيخ الطائفه قدّس سـرّه فى جهاد المبسوط: من أذمّ مشـركا أو غير مشـرک ثمّ خفره و نقض ذمامه كان غادرا آثما.

و إنّما لا يجوز الغدر بهم لقوله تعالى: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » و لقوله صلّى اللّه عليه و اله:

«لا تغلوا و لا تمثلوا و لا تغـدروا» و غيره من الأخبار الوارده فى النهى عن الغـدر بهم ففى خبر رواه الكلينىّ قـدّس سـرّه فى جامع الكافى بإسـناده عن طلحه بن زيـد، عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكلّ واحده منهما ملک على حده اقتتلوا ثمّ اصـطلحوا ثمّ إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسـلمين فصالحهم على أن يغزوا تلک المدينه، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: لا ينبغى للمسلمين أن يغدروا و لا يأمروا بالغدر و لا يقاتلوا مع الّذين غدروا و لكنّهم يقاتلون المشركين حيث وجـدوهم و لا يجوز عليهم ما عاهـد عليه الكفّار. (جهاد الوسائل الباب ۲۰) و الرّوايات عن الرسول صـلّى اللّه عليه و اله و عن أئمّه الدّين فى التحذير عن الغدر و كراهيته كثيره.

و قـد نقـل ابن قتيبه فى كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ۱۱۷ ج ۱ طبع مصـر) قضيه معجبه فى خدعه مستغربه، و سوء عاقبه الغدر و البغى تأبى نفسـى إلاّ الإتيان بها، قال: و قرأت فى كتاب سـير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لمّا ملک سار بجنوده نحو خراسـان ليغزو اخشـنوار ملـک الهيـاطله ببلـخ، فلمّـا انتهى إلى بلاده اشـتدّ رعب اخشـنوار منه و حـذره له، فناظر أصـحابه و وزراءه فى أمره.

فقال له رجل منهم: أعطنى موثقا و عهدا تطمئنّ إليه نفسى أن تكفينى أهلى

ص:۲۱۵

و ولـدی و تحسن إلیهم و تخلفنی فیهم، ثمّ اقطع یـدیّ و رجلیّ و القنی علی طریـق فیروز حـتّی یمرّبی هو و أصـحابه فـأکفیک مئونتهم و شوکتهم و أورّطهم مورّطا تکون فیه هلکتهم.

فقال له اخشـنوار: و ما الّذی تنتفع به من سـلامتنا و صـلاح حالنا إذا أنت قد هلکت و لم تشرکنا فی ذلک؟ قال: إنّی قد بلغت ما کنت احبّ أن أبلغه من الـدّنیا و أنـا موقن بأنّ الموت لا بـدّ منه و إن تأخّر أیّاما قلائل، فاحبّ أن أختم عمری بأفضل ما تختم به الأعمار من النّصیحه لإخوانی و النکایه فی عدوّی فیشرف بذلک عقبی و اصیب سعاده و حظوه فیما أمامی.

ففعـل به ذلـک و أمر به فلمّـا مرّ به فیروز سـأله عن أمره فـأخبره أنّ اخشـنوار فعـل ذلـک به و أنّه احتـال حـتّی حمـل إلی ذلک الموضع لیـدلّه علی عورته و غرّته، و قـال: إنّی أدلّـک علی طریق هو أقرب من هـذا الّـذی تریـدون سـلوکه و أخفی، فلا یشـعر اخشـنوار حـتّی تهجموا علیه فینتقم اللّه لی منه بکم، و لیس فی هـذا الطریق من المکروه إلاّ تفویز یومین ثمّ تفضون إلی کـلّ ما تحبّون.

فقبـل فیروز قوله بعـد أن أشـار علیه و زراؤه بالإتّهـام له و الحـذر منه و بغیر ذلک فخالفهم و سـلک الطریق حتّی انتهی بهم إلی موضـع من المفـازه لا صـدر عنه ثمّ بیّن لهم أمره فتفرّقوا فی المفـازه یمینـا و شـمالا یلتمسون المـاء فقتـل العطش أکـثرهم و لم یخلص مع فیروز منهم إلاّ عدّه یسیره فإنّهم انطلقوا معه حتّی أشرفوا علی أعدائهم و هم مستعدّون لهم فواقعهم علی تلک الحاله و علی ما بهم من الضرّ و الجهد فاستمکنوا منهم و أعظموا النکایه فیهم.

ثمّ رغب فیروز إلی اخشـنوار و سأله أن یمنّ علیه و علی من بقی من أصـحابه علی أن یجعل لهم عهد اللّه و میثاقه ألاّ یغزوه أبدا فیمـا یسـتقبل من عمره؛ و علی أنّه یحـدّ فیمـا بینه و بین مملکته حـدّا لا تجاوزه جنوده، فرضـی اخشـنوار بـذلک و خلّی سبیله و انصرف إلی مملکته.

فمکث فیروز برهه من دهره کئیبا، ثمّ حمله الأنف علی أن یعود لغزوه و دعا أصحابه إلی ذلک فردّوه عنه و قالوا: إنّک قد عاهدته و نحن نتخوّف علیک عاقبه البغی و الغدر مع ما فی ذلک من العار و سوء المقاله.

فقال لهم: إنّی شرطت له ألّا أجوز الحجر الّذی جعلته بینی و بینه فأنا آمر بالحجر لیحمل علی عجله أمامنا.

فقالوا له: أیّها الملک إنّ العهود و المواثیق الّتی یتعاطاها النّاس بینهم لا تحمل علی ما یسرّ المعطی لها و لکن علی ما یعلن المعطی، و إنّک إنّما جعلت له عهد اللّه و میثاقه علی الأمر الّذی عرفه لا علی أمر لم یخطر بباله.

فأبی فیروز و مضی فی غزاته حتّی انتهی إلی الهیاطله و تصافّ الفریقان للقتال فأرسل اخشنوار إلی فیروز یسأله أن یبرز فیما بین صفّیهم لیکلّمه، فخرج إلیه.

فقال له اخشنوار: قد ظننت أنّه لم یدعک إلی غزونا إلّا الأنف ممّا أصابک و لعمری لئن کنّا احتلنا لک بما رأیت لقد کنت التمست منّا أعظم منه، و ما ابتدأناک ببغی و لا ظلم و لا أردنا إلّا دفعک عن أنفسنا و عن حریمنا، و لقد کنت جدیرا أن تکون مکافأتنا بمنّنا علیک و علی من معک من نقض العهد و المیثاق الّذی وکّدت علی نفسک أعظم أنفا و أشدّ امتعاظا ممّا نالک منّا فإنّا أطلقناکم و أنتم أسری، و مننّا علیکم و أنتم مشرفون علی الهلکه، و حقنّا دماءکم و بنا قدره علی سفکها، و إنّا لم نجبرک علی ما شرطت لنا بل کنت أنت الرّاغب إلینا فیه، و المرید لنا علیه؛ ففکّر فی ذلک، و میّل بین هذین الأمرین فانظر أیّهما أشدّ عارا و أقبح سماعا: إن طلب رجل أمرا ینح له، و سلک سبیلا فلم یظفر فیها ببغیته، و استمکن منه عدوّه علی حال جهد وضیعه منه و ممّن معه فمنّ علیهم و أطلقهم علی شرط شرطوه و أمر اصطلحوا علیه فاضطرّ لمکروه القضاء، و استحیا من النّکث و الغدر؛ أم یقال(۱) امرؤ نکث العهد و ختر المیثاق؟

۱- (۱) کان فی الاصل: أن یقال، و الصواب: أم یقال کما صححناه فی المتن لانه عدل ان طلب. منه.

مع أنّى قد ظننت أنّه يزيدک نجاحا ما تثق به من کثره جنودک و ما ترى من حسن عدّتهم و طاعتهم لک و ما أجدنى أشکّ أنّهم أو أکثرهم کارهون لما کان من شخوصک بهم عارفون بأنّک قد حملتهم على غير الحقّ، و دعوتهم إلى ما يسخط اللّه فهم فى حربنا غير مستبصرين، و نيّاتهم فى مناصحتک اليوم مدخوله، فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال؛ و ما عسى أن تبلغ نکايته فى عدوّه إذا کان عارفا بأنّه إن ظفر فمع عار، و إن قتل فإلى النّار؟ فأنا اذکّرک اللّه الّذى جعلته على نفسک کفيلا، و نعمتى عليک و على من معک(۱) بعد يأسکم من الحياه و إشفائکم على الممات، و أدعوک إلى ما فيه حظک و رشدک من الوفاء بالعهد و الاقتداء بابائک الّذين مضوا على ذلک فى کلّ ما أحبّوه أو کرهوه فأحمدوا عواقبه و حسن عليهم أثره.

و مع ذلک إنّک لست على ثقه من الظّفر بنا، و البلوغ لنهمتک فينا و إنّما تلتمس منّا أمرا نلتمس منک مثله، و تناوىء عدوّا لعلّه يمنح النصر عليک فقد بالغت فى الاحتجاج عليک، و تقدّمت الإعدار إليک، و نحن نستظهر باللّه الّذى اعتززنا به و وثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بکثره جنودک و ازدهتک عدّه أصحابک، فدونک هذه النّصيحه فواللّه ما کان أحد من نصحائک ببالغ لک أکثر منها، و لا زائد لک عليها، و لا يحرّمنک منفعتها مخرجها منّى فإنّه لا يزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن کانت من قبل الأعداء کما لا يحبّب المضارّ إليهم أن تکون على أيدى الأولياء.

و اعلم أنّه ليس يدعونى إلى ما تسمع من مقالتى ضعف أحسّه من نفسى، و لا قلّه من جنودى؛ و لکنّى أحببت أن أزداد بذلک حجّه و استظهارا، و أزداد به من اللّه النّصر و المعونه استيجابا، و لا أوثر على العافيه و السلامه شيئا ما وجدت إليهما سبيلا.

۱- (۱) عطف على اللّه أى. اذکرک نعمتى عليک و على من معک. منه.

فأبی فیروز إلاّ- تعلّقا بحجّته فی الحجر الّذی جعله حدّا بینه و بینه و قال: لست ممّن یردعه عن الأمر یهمّ به وعید، و لا یقتاده التهدّد و الترهیب، و لو کنت أری ما أطلبک غدرا منّی ما کان أحد أنظر و لا أشدّ اتّقاء منّی علی نفسی فلا یغرّنّک منّا الحال الّتی صادفتنا علیها فی المرّه الاولی من القلّه و الجهد و الضّعف.

قال اخشنوار: لا- یغرّنّک ما تخدع به نفسک من حملک الحجر أمامک فإنّ النّاس لو کانوا یعطون العهود علی ما تصف من إسرار أمر و إعلان آخر إذا ما کان ینبغی لأحد أن یغترّ بأمان، و لا یثق بعهد، و إذا لما قبل النّاس شیئا ممّا یعطونه من ذلک؛ و لکنّه وضع علی العلانیه و علی نیّه من تعقد العهود و الشروط له.

فانصرفا یومهما ذلک فقال فیروز لأصحابه: لقد کان اخشنوار حسن المحاوره، و ما رأیت للفرس الّذی کان تحته نظیرا فی الدّوابّ فإنّه لم یزل قوائمه و لم یرفع حوافره عن موضعها و لا صهل و لا أحدث شیئا یقطع به المحاوره فی طول ما تواقفنا.

و قال اخشنوار لأصحابه: لقد واقفت فیروز کما علمتم و علیه السّلاح کلّه فلم یحرّک رأسه، و لم ینزع رجله من رکابه، و لا حنا ظهره، و لا- التفت یمینا و لا شمالا و لقد تورّکت أنا مرارا، و تمطّیت علی فرسی و تلفّتّ إلی من خلفی، و مددت بصری فی أمامی و هو منتصب ساکن علی حاله، و لولا محاورته إیّای لظننت أنّه لا یبصرنی.

و إنّما أرادا بما وصفا من ذلک أن ینتشر هذان الحدیثان فی أهل عسکریهما فیشغلوا بالإفاضه فیهما عن النظر فیما تذاکراه.

فلمّا کان فی الیوم الثّانی أخرج اخشنوار الصحیفه الّتی کتبها لهم فیروز فرفعها علی رمح لینظر إلیها أهل عسکر فیروز فیعرفوا غدره و بغیه و یخرجوا من متابعته، فانتقض عسکر فیروز و اختلفوا و ما لبثوا إلاّ یسیرا حتّی انهزموا و قتل منهم خلق کثیر و هلک فیروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الّذی قال: لا رادّ لما قدّر، و لا أشدّ إحاله لمنافع الرأی من الهوی و اللّجاج، و لا أضیع من نصیحه

يمنحها من لا يوطّن نفسه على قبولها و الصّبر على مكروهها، و لا أسرع عقوبه و لا أسوأ عاقبه من البغى و الغدر، و لا أجلب لعظيم العار و الفضوح من إفراط الفخر و الأنفه.

و قد مضى وجه آخر فى تفسير كلامه هذا فى ضمن بيان المصادر، و يحتمل الوجهين قوله عليه السّلام المنقول من الكافى و نصر و الطّبرى و المفيد آنفا فى ذكر المصادر:

فلو لا إقبالكم بعد إدباركم و كرّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّى يوم الزحف دبره و كنتم فيما أرى من الهالكين.

و الشارح البحرانى احتمل فى تفسير قوله عليه السّلام:«لا تشتدنّ عليكم فرّه بعدها كرّه» وجها آخر سوى الوجهين الّذين اخترناهما فقال:

و يحتمل أن يريد فلا تشتدّنّ عليكم فرّه من عدوّكم بعدها كرّه منه عليكم فإنّ تلك الكرّه لما كانت عقيب الفرّه لم تكن إلّا عن قلوب مدخوله و نيّات غير صحيحه و انما قدّم الفرّه فى هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحقير تلك الكرّه بذكر الفرّه و كان ذكرها أهم فلذلك قدّمت و كذلك قوله: و لا جوله بعدها حمله. انتهى.

و أقول: قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليّا تاره يوصى عسكره و يوقظهم بأن لا يغرّنكم فرار الخصم فإنّه ربّما يكون من مكائد الحرب لأنّ الخصم ربّما يولّيكم الدّبر ليخيّلكم أنّه منهزم ثمّ يعطف و يشدّ عليكم؛ كما رواه الكلينىّ فى الجامع الكافى عنه عليه السّلام حيث قال: و لا يشدّون عليكم كرّه بعد فرّه و لا حمله بعد جوله.

و تاره يوصيهم و يحثّهم إذا رأيتم المصلحه فى أن تولّوهم الأدبار لكى توهموهم الانهزام حتّى إذا أمكنتهم الفرصه تكرّون عليهم فلا يشتدّ عليكم هذا النحو من الفرار الّذى هو من مكائد الحرب أى لا تحسبوه عارا حتّى يستصعب عليكم هذا الفرار كما هو المروىّ فى النهج قال عليه السّلام: لا تشتدّنّ عليكم فرّه بعدها كرّه، و لذا كانت العبارتان متعاكستين، و قد علمت أنّ قوله فى النهج كان ناظرا إلى قوله

تعالی «إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ »، و الرّوایات کالایات یفسّر بعضها بعضا، و روایه الکافی هذا و الرّوایه المتقدّمه الحاویه قوله علیه السّلام: فلو لا إقبالکم بعد إدبارکم و کرّکم بعد انحیازکم - إلخ، و قوله تعالی إلاّ متحرّفا لقتال تدلّ علی أنّ معنی ما فی النهج هو الّذی قدّمناه أوّلا، و کان للجملتان معنی صحیح آخر ذکرناه فی ضمن بیان المصادر و کان معنیاهما متعاکسین أیضا، و لا یجری هذا الاحتمال الثالث فی قوله المروی فی الکافی، و لو یفسّر ما فی النهج به لوجب أن یقال لا تشتدّنّ علیکم کرّه بعد فرّه.

علی أنّ لأسالیب الکلام معنی یتبادر إلیه الذهن من غیر تکلّف و ما من کلام إلاّ أمکن فیه تقدیر وجوه من المعانی البعیده فیخرج حینئذ عن الفصاحه و الجوده و بالجمله إذا تأمّلت فیما قدّمنا و فی سیره أهل الحرب یظهر لک أنّ ما ینبغی أنّ تفسّر الجملتان هو المعنیان المختاران.

قوله علیه السّلام:«و أعطوا السیوف حقوقها»لا یخفی علیک أنّ هذا الفصل من مختار کلامه علیه السّلام یفید ثلاثه مطالب: الأوّل أنّ الحرب خدعه فالفرار منها إذا کان موجبا لتغریر الخصم و هلاکه لا ینبغی أن یستصعب و یحسب عارا، الثانی أنّ علی المجاهد أن یراعی امورا، الثالث أنّ هؤلاء المحاربین للإمام کانوا کافرین إلاّ أنّهم أسرّوا کفرهم، أمّا الأوّل فقد مضی مفصّلا، و أمّا الثالث فسیأتی بیانه، أمّا الثانی فقد ذکر أربعه منها: الأوّل أن یعطوا السّیوف حقوقها هذا تحریض علی الجدّ فی القتال أی إذا ضربتم بها فاحکموا الضرب، و اضربوا ضربه منکره و إعطاءها حقوقها کنایه عن هذا النحو من الضرب، فجعل للسیف حقا و هو ما ینبغی أن یستفاد منه ثمّ أمرهم باعطاء حقّها فإذا لم یضربوا بها علی ما کان الحریّ بها جدّا فکأنّهم خانوها، کما یقال أیضا: إنّ سیف فلان لم یخنه، أی إنّه لشدّه حدّته و جودته فعل ما أراد منه صاحبه کما قال نهشل بن حریّ النهشلی فی قصیده یرثی بها أخاه مالکا رحمه اللّه و قد قتل بصفین بحضره أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قتله الفئه الباغیه:

أخ ما جد لم يخزنى يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

و هوّن وجدى عن خليلى إنّنى إذا شئت لا قيت امرء مات صاحبه

قوله عليه السّلام:«و وطّنوا للجنوب مصارعها» هذا هو الثانى من الامور أمرهم بها، الظاهر من كلامه عليه السّلام أنّه حثّهم و نشّطهم على الإحكام فى الضّرب، و إن شئت قلت: هذا تأكيد و تشديد فى الأمر الأوّل أى أدّوا حقوق السيوف و اضربوا بها ضربه و احكموا الضرب إلى حدّ تطرحوا بها جنوب الأعداء على مصارعهم و تجعلوا مصارعهم أوطانا لهم أى بحيث لا يقدر الصّرعى أن يقوموا من الأرض فكأنّهم أخذوها أوطانا لهم أو مهّدوا مصارعهم لجنوبهم أى اجعلوها ممهده لسقوطهم عليها بضروبكم المنكره و المال واحد و إن كان الأوّل ألصق و أنسب بسياق الكلام إن لم يكن متعيّنا، هذا ما ينادى به اسلوب الكلام.

و قال الشارح البحرانى: و المعنى أن يوطّنوا لجنوبهم مصارعها أى يتخذوا مصارع جنوبهم أوطانا لها و هو كنايه عن الأمر بالعزم الجازم على القتل فى سبيل اللّه و الإقدام على أهوال الحرب إذا كان اتّخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلك العزم و الإقدام.

و احتذى على مثاله المجلسىّ فى فتن البحار (ص ۶۲۶ ج ۸ من الطبع الكمبانى) حيث قال: أى اجعلوا مصارع الجنوب و مساقطها وطنا لها أو وطيئا لها أى استعدّوا للسقوط على الأرض و القتل كنايه على العزم على الحرب و عدم الاحتراز عن مفاسدها. انتهى.

و هذا كما ترى لا يناسب تحريض العسكر على الجهاد و حثّهم على القتال، أرأيت أنّ أمر أمير عسكره بالاستعداد للسقوط على الأرض لا يوجب و هنهم؟ و لو سلّم أنّ فيه تشجيعا بالعزم الجازم على الإقدام على أهوال الحرب و القتال فى سبيل اللّه تعالى فسوق الكلام يأبى عن ذلك الحمل.

قوله عليه السّلام:«و اذمروا أنفسكم على الطّعن الدّعسى، و الضرب الطّلخفى» هذا ثالث الامور أمرهم بها، حثّهم عليه السّلام أن يحضّوا و يوطّنوا أنفسهم على الجدّ

فی الطّعن بالرّماح و الضّرب بالسّیوف و یوبّخوها علی الفشل و الضّعف، حتّی یتشمّروا للطّعن بالرّماح علی الأعداء بحیث یظهر أثره و یحشی به أجوافهم، و یتهیئوا لإیقاع الضرب الشدید بالسّیوف علیهم.

ثمّ بالتأمّل الصحیح فی سیاق هذه الامور الثلاثه یعلم أنّ مساقها واحد، و مفادها فارد، و الحقّ أن یقال أنّها ملتقطه من روایات شتّی کما قد أتینا بها فی بیان مصادرها.

قوله علیه السّلام:«و أمیتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل» هذا رابع الامور أمرهم بها، أی اخفضوا الأصوات و عنّوها فإنّ اخفائها أولی بالوقار و أطرد للفشل و أذهب بالوهل و إنّ شدّه الضوضاء فی الحرب أماره الخوف و الوجل.

و فی کتاب الحرب من عیون الأخبار لابن قتیبه (ص ۱۰۸ ج ۱) أنّ قوما استشاروا أکثم بن صیفی فی حرب قوم أرادوهم و سألوه أن یوصیهم فقال: أقلّوا الخلاف علی امرائکم، و اعلموا أنّ کثره الصّیاح من الفشل، و المرء یعجز لا محاله تثبتوا فإنّ أحزم الفریقین الرّکین، و ربّه عجله تعقب ریثا، و اتّزروا للحرب، و ادّرعوا اللّیل فأنه أخفی للویل، و لا جماعه لمن اختلف علیه.

و قال ابن قتیبه بعد نقل ما قاله أکثم: قال بعض الحکماء: قد جمع اللّه لنا أدب الحرب فی قوله تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمْ فِئَهً فَاثْبُتُوا وَ اذْکُرُوا اللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ وَ أَطِیعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِینَ » (الأنفال ۴۸-۴۹).

و قال: حدّثنی محمّد بن عبید قال: حدّثنا معاویه بن عمرو، عن أبی إسحاق عن الأوزاعی قال: قال عتبه بن ربیعه یوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - یعنی أصحاب النّبی صلّی اللّه علیه و اله - جثیا علی الرّکب کأنّهم خرس یتلمّظون تلمّظ الحیّات، قال: و سمعتهم عائشه یکبّرون یوم الجمل فقالت: لا تکثروا الصّیاح فإنّ کثره التکبیر عند اللّقاء من الفشل.

قوله علیه السّلام:«و الّذی فلق الحبّه - إلخ» هذا هو المطلب الثالث الموعود بیانه

ص:۲۲۳

و فی بعض النسخ: فالّذی بالفاء و هو من تصرّفات النسّاخ أتوا بالفاء لیرتبط الذیل بالصدر و قد غفلوا أنّ. کلامه هذا لیس بمقاله فارده بل ملتقطه من عدّه مقالات مرویّه عنه علیه السّلام.

و کان علیه السّلام کثیرا مّا یحلف بقوله و الّذی فلق الحبّه و برأ النسمه إذا اجتهد فی یمینه و هذا ممّا لم یسمع من غیره أن یقسموا به و کان علیه السّلام متفرّدا بإنشائه و الحلف به.

و قد دریت أنّه علیه السّلام قال کلامه هذا فی صفّین لمّا رفع عمرو بن العاص شقّه قمیصه سوداء فی رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله – إلی آخر ما نقلنا فی ذکر مصادر هذا الفصل عن کتاب صفّین لنصر بن مزاحم المنقری و أشار علیه السّلام بقوله: «فأخذها فقد و اللّه قربه من المشرکین و قاتل به الیوم المسلمین» إلی أنّ القوم کانوا کافرین.

ثمّ إنّ سیاق الکلام یقتضی افراد الأفعال و الضمائر إلّا أنّه عدل من الإفراد إلی الجمع تنبیها علی أنّ عمرو بن العاص و معاویه بن أبی سفیان و أشیاعهما و أشباههما ما أسلموا واقعا بقلوبهم و لکن استسلموا أی أظهروا الإسلام بألسنتهم فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و انقادوه خوفا من السیف و کانوا قد أسرّوا کفرهم لأنّهم لم یجدوا أعوانا علیه حتّی یظهروه فلمّا وجدوهم أظهروه و کان کلامه علیه السّلام المروی آنفا عن صفّین لنصر حیث قال: «و قد نصبوا لنا الحرب و جدّوا فی إطفاء نور اللّه و اللّه متمّ نوره و لو کره الکافرون» مشعرا بکفرهم کما لا یخفی.

و قد مرّ کلام ابن الحنفیّه المنقول عن کتاب صفین لنصر فی ذکر المصادر أنّه قال: لمّا أتاهم اللّه من أعلی الوادی و من أسفله و ملأ الأودیه کتائب استسلموا حتّی وجدوا أعوانا، و کذا کلام عمّار رضوان اللّه علیه، و سیأتی کلام الأمیر علیه السّلام فی الکتاب التالی إلی معاویه: و لمّا أدخل اللّه العرب فی دینه أفواجا و أسلمت له هذه الأمّه طوعا و کرها کنتم ممّن دخل فی الدّین إمّا رغبه و إمّا رهبه – إلخ.

ص:۲۲۴

و راجع إلى باب ما ورد فى كفر معاويه و عمرو بن العاص و أوليائهما من المجلّد الثامن من البحار (ص ۵۶۰-۵۷۱ من الطبع الكمبانى).

و قال الفاضل الشارح المعتزلى: و هذا يدلّ على أنّه عليه السّلام جعل محاربتهم له كفرا. انتهى.

أقول: هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السّلام صريح فى أنّ القوم كانوا كافرين و لا يدلّ على أنّ من حاربه فهو كافر نعم إنّ محاربتهم له عليه السّلام توجب كفرا و محاربيه كفره بالأدلّه الّتى قدّمناها فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۶۷-۳۷۹ ج ۱۵) و فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرّسائل (ص ۷۶-۸۰ ج ۱۶).

و أرسل معاويه كتابا إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و ذلك كان لمّا دعى النّاس من حيله عمرو بن العاص و روغانه إلى كتاب اللّه و كتب فيما كتب فيه: و اقطع لهذه الفتن فاتّق اللّه فيما دعيت له و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام كتابا جوابا عن كتابه، و من جملته:

إنّك قد دعوتنى إلى حكم القرآن و لقد علمت أنّك لست من أهل القرآن - إلخ.

و قد نقلهما نصر فى كتاب صفين (ص ۲۶۷).

و روى نصر فى صفين (ص ۱۶۷) عن يحيى، عن علىّ بن حزوّر، عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى علىّ عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم الدعوه واحده و الرسول واحد و الصّلاه واحده و الحجّ واحد فبم نسمّيهم؟ قال: نسمّيهم بما سمّاهم اللّه فى كتابه، قال: ما كلّ ما فى الكتاب أعلمه، قال: أما سمعت اللّه قال: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ» - إلى قوله - «وَ لَوْ شاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» فلمّا وقع الإختلاف كنّا نحن أولى باللّه و بالكتاب و بالنبىّ و بالحقّ فنحن الّذين آمنوا و هم الّذين كفروا و شاء اللّه قتالهم فقاتلناهم هدىً بسنّه اللّه ربّنا و إرادته.

أقول: و روايه نصر بن بن مزاحم فى صفين عن الأصبغ ظاهره فى أنّ الرّجل سأل الأمير عليه السّلام عن القاسطين، و قد روى نحوه الشيخ الأجلّ المفيد فى المجلس الثانى عشر من أماليه (ص ۵۹ طبع النجف) أنّ الرّجل سأله عليه السّلام عن النّاكثين حيث قال: حدّثنا أبو الحسن بلال المهلّبى رحمه اللّه يوم الجمعه لليلتين بقيتا من شعبان سنه ثلاث و خمسين و ثلاثمائه قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن حميد بن الرّبيع اللحمى قال: حدّثنا سليمان بن الرّبيع النهدىّ قال: حدّثنا نصر بن مزاحم المنقرىّ قال: حدّثنا يحيى بن يحيى الأسلمىّ، عن علىّ بن الحزّور، عن الأصبغ بن نباته رحمه اللّه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بالبصره فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم - إلخ - على حذوا الرّوايه الاولى من نصر فى صفين.

و من الممكن أنّ السؤال وقع عن كلّ واحده من الطائفتين فقد سأله رجل عن الناكثين فى البصره، و ذلك الرّجل أو آخر سأله عن القاسطين، أو السؤال كان عن إحداهما فاشتبه الأمر على الرّاوى و أسند تاره إلى هؤلاء و تاره إلى هؤلاء أو يقال: إنّ ما فى كتاب صفين مطلق مرسل فانّه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم، فهو يشمل الطائفتين و لمّا رأى نصر أنّ السؤال الّذى كان من الرّجل عن الناكثين جار فى القاسطين أيضا فما سئل الأمير عليه السّلام فى البصره أتى به فى صفين لاتّحاد الحكم فيهما و الحقّ أنّ جواب الأمير عليه السّلام الرّجل جار فى محاربى علىّ عليه السّلام سواء كانوا من الطوائف الثلاث الناكثين و القاسطين و المارقين أو غيرهم.

و فى بشاره المصطفى لشيعه المرتضى (ص ۲۳۵ من طبع النجف): بإسناده عن الأصبغ بن نباته أنّه قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى بعض خطبه: أيّها النّاس اسمعوا قولى و اعقلوه - إلى أن قال: لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و اله أنّ الناكثين و القاسطين و المارقين ملعونون على لسان النبىّ الأمّىّ «وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى ».

الترجمه

أمیر علیه السّلام در هنگام کارزار به لشکریانش تعلیم می داد که: گریختن و عقب نشینی که پس از بازگشت و حمله بر دشمن باشد بر شما سخت و ناگوار نباشد و از آن ننگ نداشته باشید - یا اگر از دشمن شکست خوردید و رو بگریز گذاشتید از برگشتن و جنگیدن و تدارک گذشته کردن شرم نکنید و آنرا دشوار مپندارید، حق شمشیرها را بدهید، و پهلوی دشمنان را بر خاک هلاک جای دهید، و خودتان را بر نیزه زدنی که بدرون دشمن رسد و کارگر شود، و بشمشیر زدن سخت بر آنها وادار کنید و آماده سازید، و آوازها را بمیرانید و صدا بلند نکنید که ترس را بهتر و بیشتر راننده تر و دور کننده تر است، سوگند به آنکه دانه را شکافت و آدمی را آفرید این قوم منافق اسلام نیاوردند و از ترس و حفظ جان خود گردن نهادند و بظاهر دعوی اسلام کردند و کفر را در دل پنهان داشتند تا چون اکنون یاری کنندگان و پشتیبانان بر آن یافتند آشکارش کردند و پرچم مخالفت برافراشتند.

و من کتاب له علیه السّلام الی معاویه جوابا عن کتاب منه الیه

اشاره

و هو المختار السابع عشر من باب الکتب و الرسائل و أمّا طلبک إلیّ الشّام فإنّی لم أکن لاعطیک الیوم ما منعتک أمس. و أمّا قولک إنّ الحرب قد أکلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقیت ألا فمن أکله الحقّ فإلی النّار. و أمّا استوائنا فی الحرب و الرّجال فلست بأمضی علی الشّکّ منّی

على اليقين. و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الاخره. و أمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن و لكن ليس أميّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلّب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطّليق، و لا الصّريح كاللّصيق، و لا المحقّ كالمبطل و لا المؤمن كالمدغل، و لبئس الخلف خلف يتّبع سلفا هوى فى نار جهنّم. و فى أيدينا بعد فضل النّبوّه الّتى أذللنا بها العزيز، و نعشنا بها الذّليل. و لمّا أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا، و أسلمت له هذه الأمّه طوعا و كرها كنتم ممّن دخل فى الدّين إمّا رغبه و إمّا رهبه على حين فاز أهل السّبق بسبقهم، و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم. فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيبا، و لا على نفسك سبيلا.

الماخذ

روى الكتابين سليم بن قيس الكوفى المتوفّى حدود سنه ۹۰ ه كما فى الكتاب المنسوب إليه (۱۷۴ من طبع النجف).

و نصر بن مزاحم المنقرىّ الكوفىّ المتوفّى ۲۱۲ ه فى كتاب صفّين (ص ۲۵۲ من الطبع النّاصرىّ)

ص:۲۲۸

و ابن قتيبه الـدّينورى المتوفّى ۲۷۶ ه فى كتاب الإمامه و السـياسه المعروف بتاريـخ الخلفاء (ص ۱۱۷ و ۱۱۸ ج ۱ من طبع مصر ۱۳۷۷ ه).

و علىّ بن الحسين بن علىّ المعروف بالمسعودىّ المتوفّى ۳۴۶ ه فى مروج الذّهب (ص ۶۰ و ۶۱ ج ۲ من طبع مصر ۱۳۴۶ ه).

و الشيـخ الجليل أبو الفتـح محمّـد بن علىّ المعروف بالكراجكى المتوفّى ۴۴۹ ه و قد كان عاصـر الرّضـى، فى كتابه كنز الفوائد (ص ۲۰۱ من الطبع الحجرى فى إيران ۱۳۲۲ ه).

و أتى المجلسـىّ رحمه اللّه بروايه سـليم بن قيس فى ثامن البحار (ص ۵۲۰ من الطبع الكمبانى)، و بروايه نصـر فى ص ۵۴۵ من ذلك المجلّد.

و لا ـ بـدّ لنا من الإتبان ببعضـها و الإشاره إلى اختلاف نسـخها لأنّ معنى الكتاب الصـحيح يتوقّف عليهما، و بـذلك يعرف أيضـا صحه نسخ، و تحريف اخرى، فدونك ما رواه نصـر فى صـفّين عن عمر فى إسـناده قال: و كان من أهل الشّام بصفّين رجل يقال له الأصـبغ بن ضـرار الأزدى، و كان يكون طليعه و مسـلحه لمعاويه، فندب علىّ له الأشتر فأخذه أسـيرا من غير أن يقاتل، و كان علىّ ينهى عن قتل الأسـير الكافّ؛ فجاء به ليلا و شدّ وثاقه و ألقاه مع أضـيافه ينتظر به الصّباح، و كان الأصبغ شاعرا مفوها، و نام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشتر فقال:

ألا ليت هذا اللّيل اطبق سرمدا على النّاس لا يأتيهم بنهار

يكون كذا حتّى القيامه إنّنى احاذر فى الإصباح ضرمه نار

فيا ليل طبّق إنّ فى اللّيل راحه و فى الصبح قتلى أو فكاك اسارى

و لو كنت تحت الأرض ستّين واديا لما ردّ عنّى ما أخاف حذارى

فيا نفس مهلا إنّ للموت غايه فصبرا على ما ناب يا ابن ضرار

أ أخشى ولى فى القوم رحم قريبه أبى اللّه أن أخشى و الأشتر جارى

و لو أنّه كان الأسير ببلده أطاع بها شمّرت ذيل إزارى

و لو كنت جار الأشعث الخير فكّنى و قلّ من الأمر المخوف فرارى

و جار سعید أو عدیّ بن حاتم و جار شریح الخیر قرّ قراری

و جار المرادیّ العظیم و هانیء و زحر بن قیس ما کرهت نهاری

و لو أنّنی کنت الأسیر لبعضهم دعوت رئیس القوم عند عثاری

اولئک قومی لا عدمت حیاتهم و عفوهم عنّی و ستر عواری

فغدا به الأشتر علی علیّ فقال: یا أمیر المؤمنین هذا رجل من المسلحه لقیته بالأمس فو اللّه لو علمت أنّ قتله الحقّ قتلته؛ و قد بات عندنا اللّیله و حرکنا فإن کان فیه القتل فاقتله و إن غضبنا فیه و إن کنت فیه بالخیار فهبه لنا، قال: هو لک یا مالک، فإذا أصبت أسیرا فلا تقتله فإنّ أسیر أهل القبله لا یفاد، أولا یقتل، فرجع به الأشتر إلی منزله و قال: لک ما أخذنا معک لیس لک عندنا غیره.

قال: و ذکروا أنّ علیّا أظهر أنّه مصبح غدا معاویه و مناجزه فبلغ ذلک معاویه و فزع أهل الشّام لذلک و انکسروا لقوله، و کان معاویه بن الضحّاک بن سفیان صاحب رایه بنی سلیم مع معاویه و کان مبغضا لمعاویه و کان یکتب بالأخبار إلی عبد اللّه بن الطفیل العامری و یبعث بها إلی علیّ علیه السّلام فبعث إلی عبد اللّه بن الطفیل أنّی قائل شعرا أذعر به أهل الشام و اذعر (أرغم - خ) به معاویه، و کان معاویه لا یتّهمه و کان له فضل و نجده و لسان فقال لیلا لیسمع أصحابه:

ألا لیت هذا اللّیل أطبق سرمدا علینا، و أنّا لا نری بعده غدا

و یا لیته إن جاءنا بصباحه وجدنا إلی مجری الکواکب مصعدا

حذار علیّ إنّه غیر مخلف مدی الدّهر مالبّی الملبّون موعدا

فأمّا فراری فی البلاد فلیس لی مقام و لو جاوزت جابلق مصعدا

کأنّی به فی النّاس کاشف رأسه علی ظهر خوّار الرّحاله أجردا

یخوض غمار الموت فی مرحجنّه ینادون فی نقع العجاج محمدا

فوارس بدر و النضیر و خیبر و احد یردّون الصّفیح المهنّدا

و یوم حنین جالدوا عن نبیّهم فریقا من الأحزاب حتّی تبدّدا

هنالک لا تلوی عجوز علی ابنها و إن أکثرت فی القول نفسی لک الفدا

ص:۲۳۰

فقل لابن حرب ما الّذى أنت صانع أتثبت أم ندعوك فى الحرب قعددا؟

و ظنّى بأن لا يصبر القوم موقفا نقفه و إن لم نجز فى الدّهر للمدا

فلا رأى إلّا تركنا الشّام جهره و إن أبرق الفجفاج فيها و أرعدا

فلمّا سمع أهل الشام شعره أتوا به معاويه فهمّ بقتله، ثمّ راقب فيه قومه و طرده عن الشّام فلحق بمصر و ندم معاويه على تسييره إيّاه، و قال معاويه: و اللّه لقول السّلمى (لشعر السلمى - خ) أشدّ على أهل الشام من لقاء علىّ ماله قاتله اللّه لو أصاب خلف جابلق مصعدا نفذه - و جابلق مدينه بالمشرق و جابلص مدينه بالمغرب ليس بعد هما شيء.

و قال الأشتر حين قال علىّ عليه السّلام: إنّنى مناجز القوم إذا أصبحت:

قد دنا الفضل فى الصّباح و للسّلم رجال و للحرب رجال

فرجال الحروب كلّ خدبّ مقحم لا تهدّه الأهوال

يضرب الفارس المدحّج بالسيف إذا فلّ فى الوغا الأكفال

يا ابن هند شدّ الحيازيم للموت و لا يذهبن بك الامال

إنّ فى الصّبح إن بقيت لأمرا تتفادى من حوله الأبطال

فيه عزّ العراق أو ظفر الشام بأهل العراق و الزّلزال

فاصبروا للطّعان بالأسل السّمر و ضرب يجرى به الأمثال

إن تكونوا قتلتم النّفر البيض و غالت اولئك الاجال

فلنا مثلهم و إن عظم الخطب قليل أمثالهم أبدال

يخضبون الوشيح طعنا إذا جرّت للموت بينهم أذيال

طلب الفوز فى معاد و فى ذا تستهان النّفوس و الأموال

فلمّا انتهى إلى معاويه شعر الأشتر قال: شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق و عظيمهم و مسعّر حربهم و أوّل الفتنه و آخرها، و قد رأيت أن أكتب إلى علىّ كتابا أسأله الشام و هو الشيء الأوّل الّذى ردّنى عنه و القى فى نفسه الشّكّ و الرّقّه.

ص:٢٣١

فضحكك عمرو بن العاص ثم قال: أين أنت يا معاويه من خدعه عليّ؟ فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟ قال: بلى، و لكنّ لهم النبوّه دونك و إن شئت أن تكتب فاكتب فكتب معاويه إلى عليّ مع رجل من السّكاسك يقال له عبد اللّه بن عقبه و كان من ناقله أهل العراق فكتب:

أمّا بعد فإنّى أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا لم يجنها بعضنا على بعض، و إن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم به ما مضى و نصلح ما بقى، و قد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمنى لك طاعه و لا بيعه فأبيت ذلك علىّ فأعطانى اللّه ما منعت؛ و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّى لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلّا ما تخاف، و قد و اللّه رقّت الأجناد و ذهبت الرّجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستذلّ به عزيز، و لا يسترقّ به حرّ و السّلام.

فلمّا انتهى كتاب معاويه إلى علىّ عليه السّلام قرأه ثمّ قال: العجب لمعاويه و كتابه ثمّ دعا علىّ عليه السّلام عبيد اللّه بن أبى رافع كاتبه فقال: اكتب إلى معاويه:

أمّا بعد فقد جائنى كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، فإنّا و إيّاك منها فى غايه لم تبلغها (لم نبلغها - ظ)، و إنّى لو قتلت فى ذات اللّه و حيّيت ثمّ قتلت ثمّ حيّيت سبعين مرّه لم أرجع عن الشّدّه فى ذات اللّه و الجهاد لأعداء اللّه.

و أمّا قولك: إنّه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنّى ما نقضت عقلى، و لا ندمت على فعلى؛ فأمّا طلبك الشّام فإنّى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

و أمّا استواؤنا فى الخوف و الرّجاء فإنّك لست بأمضى على الشّكّ منّى على اليقين، و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الاخره.

و أمّا قولک: إنّا بنو عبد مناف لیس لبعضنا علی بعض فضل فلعمری إنّا بنو أب واحد و لکن لیس امیّه کهاشم، و لا حرب کعبد المطلّب، و لا أبو سفیان کأبی طالب، و لا المهاجر کالطّلیق، و لا المحقّ کالمبطل، و فی أیدینا فضل النبوّه الّتی أذللنا بها العزیز، و أعززنا بها الذّلیل. و السّلام.

نصر، عن عمر بن سعد، عن نمیر بن و عله قال: فلمّا أتی معاویه کتاب علیّ علیه السّلام کتمه عن عمرو بن العاص أیّاما ثمّ دعاه بعد ذلک فأقرأه الکتاب فشمت به عمرو و لم یکن أحد من قریش أشدّ تعظیما لعلیّ علیه السّلام من عمرو منذلقیه و صفح عنه فقال عمرو بن العاص فیما کان أشار به علی معاویه شعرا.

ألا للّه درّک یا ابن هند و درّ الأمرین لک الشّهود

أ تطمع لا أبا لک فی علیّ و قد قرع الحدید علی الحدید

و ترجو أن تخبّره بشّک و ترجو أن یهابک بالوعید

و قد کشف القناع و جرّ حربا یشیب لهو لها رأس الولید

له جأواء مظلمه طحون فوارسها تلهّب کالاسود

یقول لها إذا دلفت إلیه و قد ملّت طعان القوم عودی

فإن وردت فأوّلها ورودا و إن صدرت فلیس بذی صدود

و ماهی من أبی حسن بنکر و ما هی من مسائک بالبعید

و قلت له مقاله مستکین ضعیف الرّکن منقطع الورید

دعنّ الشّام حسبک یا ابن هند من السّوءات و الرأی الزّهید

و لو أعطاکها ما ازددت عزّا و لا لک لو أجابک من مزید

و لم تکسر بذاک الرّأی عودا لرکّته و لا ما دون عود

فلمّا بلغ معاویه قول عمرو دعاه فقال: یا عمرو إنّنی قد أعلم ما أردت بهذا قال: ما أردت؟ قال: أردت تفییل رأیی و إعظام علیّ و قد فضحک، فقال: أمّا تفییلی رأیک فقد کان، و أمّا إعظامی علیّا فإنّک باعظامه أشدّ معرفه منّی و لکنّک تطویه و أنا أنشره، و أمّا فضیحتی فلم یفتضح امرؤ لقی أبا حسن، و قد کان معاویه

شمت بعمرو حيث لقى من علىّ عليه السّلام ما لقى فقال عمرو فى شماته معاويه:

معاوى لا تشمت بفارس بهمه لقى فارسا لا تعتريه الفوارس

معاوى إن أبصرت فى الخيل مقبلا أبا حسن يهوى دهتك الوساوس

و أيقنت أنّ الموت حقّ و أنّه لنفسك إن لم تمض فى الرّكض حابس

فإنّك لو لاقيته كنت بومه اتيح لها صقر من الجوّ آنس

و ما ذا بقاء القوم بعد اختباطه و إنّ امرأ يلقى عليّا لايس

دعاك فصمّت دونه الاذن هاربا فنفسك قد ضاقت عليها الأمالس

و أيقنت أنّ الموت أقرب موعد و أنّ الّتى ناداك فيها الدّهارس

و تشمت بى أن نالنى حدّ رمحه و عضعضنى ناب من الحرب ناهس

أبى اللّه إلّا أنّه ليث غابه أبو أشبل تهدى إليه الفرايس

و إنّى امرؤ باق فلم يلف شلوه بمعترك تسفى عليه الرّوامس

فإن كنت فى شكّ فأدهج عجاجه و إلّا فتلك التّرّهات البسابس

و كتاب معاويه فى نسخه الإمامه و السياسه يخالف ما فى كتاب صفّين فى الجمله ففيه: لو علمت أن الحرب تبلغ و لم يأت بلفظه «و علمنا» كما أتى بها فى صفين.

و فيه: فلنا منها ما ندمّ به - و كان فى صفين «ماننّدم به».

و فيه: و قد كنت سألتك ألّا يلزمنى - و كان فى صفين «و قد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمنى».

و فيه: و إنّى أدعوك إلى - و كان فى صفين «و أنا أدعوك اليوم إلى» و فيه: فانّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو، و لا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف - و كان فى صفين بعكس ذلک، و التأمّل الصحيح يقضى بأن نسخه نصر كانت أمتن و أبلغ.

صوره كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام على

ما فى الامامه و السياسه

قال الدّينورى: فلمّا انتهى كتابه - يعنى كتاب معاويه المقدّم نقله - إلى

علىّ عليه السّلام، دعا كاتبه عبيد اللّه بن أبى رافع، فقال: اكتب: أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، و إنا و إيّاك فى غايه لم نبلغها بعد، و أمّا طلبك إلىّ الشام فانّى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس، و أمّا استواؤنا فى الخوف و الرّجاء فإنّك لست أمضى على الشّكّ منّى على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الاخره، و أمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف فكذلك و لكن ليس اميّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلّب و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطّليق، و لا المحق كالمبطل، و فى أيدينا فضل النبوّه الّتى قتلنا بها العزيز، و بعنابها الحرّ. و السّلام.

نسخه الكتابين على ما فى كتاب سليم بن قيس

قال سليم: ثمّ إنّ عليّا عليه السّلام قام خطيبا فقال: أيّها الناس إنّه قد بلغكم ما قد رأيتم و بعدوكم كمثل فلم يبق إلّا آخر نفس و إنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها و قد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغوا فيكم ما قد بلغوا و أنا غاد عليهم بالغداه إن شاء اللّه و محاكمهم إلى اللّه فبلغ ذلك معاويه ففزع فزعا شديدا و انكسر هو و جميع أصحابه و أهل الشام لذلك فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّما هى اللّيله حتّى يغدوا علينا فما ترى؟ قال: أرى الرّجال قد قلّوا، و ما بقى فلا يقومون لرجاله و لست مثله و إنما يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء و ليس يخاف أهل الشام عليّا إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم، و لكن ألق إليهم أمرا فإن ردّوه اختلفوا و إن قبلوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب اللّه و ارفع المصاحف على رءوس الرّماح فإن بالغ حاجتك فإنّى لم أزل أدّخرها لك.

فعرفها معاويه و قال: صدقت و لكن قد رأيت رأيا أخدع به عليّا طلبى إليه الشام على الموادعه و هو الشىء الأوّل الّذى ردّنى عنه.

فضحک عمرو و قال: أین أنت یا معاویه من خدیعه علیّ؟ و إن شئت أن تکتب فاکتب.

قال: فکتب معاویه إلی علیّ علیه السّلام کتابا مع رجل من أهل السّکاسک یقال له عبد اللّه بن عقبه: أمّا بعد فانّک لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بک ما بلغت و علمناه نحن لم یجنها بعضنا علی بعض و إن کنّا قد غلبنا علی عقولنا فقد بقی منها ما نرم به ما مضی و نصلح ما بقی، و قد کنت سألتک الشام علی أن لا تلزمنی لک طاعه و لا بیعه فأبیت ذلک فأعطانی اللّه ما منعت و أنا أدعوک إلی ما دعوتک إلیه أمس فإنّک لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجوه و لا تخاف من الفناء إلاّ ما أخاف، و قد و اللّه رقّت الأکباد و ذهب الرّجال، و نحن بنو عبد مناف و لیس لبعضنا علی بعض فضل یستذلّ به عزیز و لا یسترقّ به ذلیل. و السلام.

قال سلیم: فلمّا قرأ علیّ علیه السّلام کتابه ضحک و قال: العجب من معاویه و خدیعته لی فدعا کاتبه عبید اللّه بن أبی رافع فقال له: اکتب: أمّا بعد فقد جاءنی کتابک تذکر فیه أنّک لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بک إلی ما بلغت لم یجنها بعضنا علی بعض، و إنّا و إیّاک یا معاویه علی غایه منها لم نبلغها بعد، و أمّا طلبک الشام فانّی لم أعطک الیوم ما منعتک أمس، و أمّا استواؤنا فی الخوف و الرّجاء فانّک لست بأمضی علی الشّک منی علی الیقین و لیس أهل الشام أحرص علی الدّنیا من أهل العراق علی الآخره، و أمّا قولک: إنّا بنو عبد مناف لیس لبعضنا فضل علی بعض فکذلک نحن و لکن لیس امیّه کهاشم، و لا حرب کعبد المطّلب، و لا أبو سفیان کأبی طالب، و لا الطلیق کالمهاجر، و لا المنافق کالمؤمن، و لا المبطل کالمحق، فی أیدینا فضل النبوّه الّتی ملکنا بها العرب، و استعبدنا بها العجم و السّلام.

و کتاب معاویه علی نسخه المسعودی: «و إنّا و إن کنّا قد غلبنا علی عقولنا فقد بقی لنا ما نردّ به ما مضی» «علی أن لا تلزمنی لک طاعه و أنا أدعوک الیوم» «و ذهبت الرّجال» «و یسترقّ به حرّ، و السّلام» و سائر العبارات یطابق نسخه سلیم.

و كتاب أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام على نسخته «و أنا و إيّاك نلتمس منها غايه لم نبلغها بعد»، «و ليس أهل الشام على الدّنيا بأحرص» «و ليس اميّه» «و فى أيدينا فضل النبوّه الّتى قتلنا بها العزيز و بعنا بها الحرّ و السّلام» و سائر عباراته يوافق نسخه سليم.

و نسخه كتاب الأمير عليه السّلام من الكراجكى فى الكنز تطابق نسخه المسعودى فى المروج، و أمّا نسخه كتاب معاويه ففى الكنز: «فقد بقى لنا ما نرم به ما مضى» كما فى نسخه سليم «يستذلّ به عزّ و لا يسترقّ به حد (حرّ – ظ) و السلام» و البواقى توافق نسخه المسعودى.

أقول: و بعد اللّتيا و الّتى فلم نجد مع الجدّ فى الطّلب و كثره الفحص و التتبّع روايه تحوز جميع ما فى نسخه الرّضى فى النهج أو توافق لها متنا، أو تطابق أجوبتها ما أتى به معاويه فى كتابه و إن كان الاختلاف قليلا و لا نشكّ فى أنّ الرضىّ نقل كلامه عليه السّلام من ماخذ قيمه كانت تحضره، غايه الأمر أن يكون مختار واحد ملفّقا من ملتقطات عباراته الشتّى.

نعم على ما نقله الفاضل البحرانى فى شرحه على النهج تطابق أجوبه كتابه عليه السّلام كتاب معاويه، قال: كتب إليه معاويه: أمّا بعد فإنّى أظنّك لو علمت أنّ الحرب يبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا لم يجنها بعض على بعض، و إنّا و إن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم بها على ما مضى و نصلح به ما بقى، و قد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمنى لك طاعه و لا بيعه و أبيت ذلك علىّ فأعطانى اللّه ما منعت و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فانّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو و لا أخاف من القتل إلّا ما تخاف و قد و اللّه رقّت الأجناد و ذهبت الرجال و أكلت الحرب العرب إلّا حشاشات نفس بقيت، و إنّا فى الحرب و الرّجال سواء و نحن بنو عبد مناف و ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستذلّ به عزيز و لا يسترقّ به حرّ. و السّلام. فلمّا قرأ علىّ عليه السّلام كتابه تعجّب منه و من كتابه ثمّ دعا عبيد اللّه بن أبى رافع كاتبه و قال له اكتب إليه أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر – الفصل.

«طلبک إلیّ» قال فی أقرب الموارد: طلب إلیّ: رغب، و قال الفاضل الشارح المعتزلی: یقال: طلبت إلی فلان کذا و التقدیر طلبت کذا راغبا إلی فلان کما قال تعالی «فی تسع آیات إلی فرعون» أی مرسلا، و فی تعلیقه نسخه خطیّه عندنا فسّرت العباره هکذا: أی طلبک الشام قاصدا إلیّ بذلک، و سیأتی وجه آخر فی بیان الإعراب.

«حشاشات» جمع حشاشه بالضمّ، الحشاش و الحشاشه بقیّه الرّوح فی المریض قال فی الأساس: و ما بقی منه إلّا حشاشه، قال ذو الرّمّه:

فلمّا رأین اللّیل و الشمس حیّه حیاه الّتی تقضی حشاشه نازع

و فی الحماسه (۵۰۲):

فهل أنت إلّا مستعیر حشاشه لمهجه نفس آذنت بفراق

و قال المرزوقی فی الشرح: الحشاشه هی روح القلب، و رمق من حیاه النّفس و قد آذنت بالمفارقه، و المهجه: خالصه النفس.

و فی منتهی الأرب: حشاش بالضمّ کغراب: بقیّهٔ جان در بیمار و جریح، حشاشه بالهاء کذلک.

«الطّلیق» قال ابن الأثیر فی النهایه: و فی حدیث حنین: و خرج إلیها و معه الطّلقاء، هم الّذین خلّی عنهم یوم فتح مکّه و أطلقهم و لم یسترقّهم واحدهم طلیق فعیل بمعنی مفعول و هو الأسیر إذا طلق سبیله، و منه حدیث الطّلقاء من قریش و العتقاء من ثقیف کأنّه میّز قریشا بهذا الاسم حیث هو أحسن من العتقاء.

«الصّریح»: الخالص من کلّ شیء، قال الفیومی فی المصباح: صرح الشیء بالضمّ صراحه و صروحه: خلص من تعلقات غیره فهو صریح، و عربیّ صریح خالص النّسب و الجمع صرحاء، و کلّ خالص صریح، و منه قول صریح و هو الّذی لا یفتقر إلی إضمار أو تأویل.

و فی أقرب الموارد یقال: رجل صریح النسب أی خالصه.

«اللّصیق»أصل اللّصیق: الدّعیّ فی قوم الملصق بهم و لیس منهم من قولک لصق الشیء بغیره من باب تعب لصقا و لصوقا: لزق، و قال فی الأساس: و من المجاز:

فلان ملصق و لصیق، دعیّ.

«المدغل» اسم فاعل من الإدغال، قال الجوهریّ فی الصحاح: الدّغل بالتحریک: الفساد مثل الدّخل، یقال: قد أدغل فی الأمر إذا أدخل فیه ما یخالفه و یفسده.

و فی النهایه الأثیریّه: فیه - یعنی فی الحدیث - اتّخذوا دین اللّه دغلا أی یخدعون النّاس، و أصل الدّغل الشجر الملتّف الّذی یکمن أهل الفساد فیه، و قیل: هو من قولهم: أدغلت فی هذا الأمر إذا أدخلت فیه ما یخالفه و یفسده و منه حدیث علیّ علیه السّلام لیس المؤمن بالمدغل هو اسم فاعل من أدغل.

«نعشنا» نعشه اللّه ینعشه من باب منع أی رفعه، قال الجوهریّ: لا یقال أنعشه اللّه، و سمّی سریر المیّت نعشا لارتفاعه و إذا لم یکن علیه میّت محمول فهو سریر، قاله ابن الأثیر فی النهایه، و قال المرزوقی فی شرحه علی الحماسه (۳۶۸):

النعش شبیه بالمحفّه کان یحمل علیه الملک إذا مرض؛ ثم کثر حتّی سمّی النعش الّذی فیه المیّت نعشا.

«رغبه» بالفتح فالسکون مصدر من قولک رغب فیه من باب علم إذا أراده بالحرص علیه و أحبّه.

و «رهبه» کالرغبه أی الخوف مصدر رهب الرّجل منه من باب علم إذا خاف منه.

الاعراب

«و أمّا طلبک إلیّ الشام» الواو عاطفه علی ما سبق فی الکتاب من قوله:

و أمّا قولک إنّه قد بقی من عقولنا - إلخ - کما دریت فی بیان الماخذ، و فی بعض

النسخ: فأمّا طلبك، بالفاء كما فى نسخه نصر المقدّم نقلها، و نسخه الرّضى أصحّ، و ياء إلىّ مشدّده مدغّمه من ياء إلى الجارّه و ياء ضمير المتكلّم المجرور و الشّام منصوب مفعول للطّلب.

و العباره فى بعض النسخ مشكوله بجرّ الشام و تخفيف إلى أى رغبتك إلى الشّام و نحوه، و كأنّها و هم و نسخه الرّضى و أكثر المتون ما اخترناها و هو أوفق باسلوب الكلام، و أوثق فى تأديه المعنى. و أوجز و أبلغ فى الفحوى و المغزى.

و أمكن أن تكون كلمه إلى بمعنى من أى طلبك منّى الشّام نحو قول عمرو ابن أحمر الباهلى فى قصيده قالها بعد ما هرب من يزيد بن معاويه لما بلغ عنه شىء إليه.

تقول و قد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلىّ بن أحمر؟

أى تقول الناقه و قد رفعت الرّحل و وضعته على ظهرها: أ يركبنى عمرو بن أحمر فلا يملّ من ركوبى، و البيت فى جامع الشواهد.

«اكلت» الضمير يرجع إلى الحرب و هى تؤنّث و تذكّر.

«حشاشات» منصوب بالكسر لأنّ المستثنى متصل. «ألا» حرف تنبيه.

«فالى النّار» خبر لقوله من الموصوله فى من أكله. و الفاء فى فإلى لتضمّن من معنى الشّرط، و قال ابن الحاجب فى البحث عن المبتدأ و الخبر من الكافيه:

و قد يتضمّن المبتدأ معنى الشرط فيصحّ دخول الفاء فى خبره و ذلك إمّا الاسم الموصول بفعل أو ظرف أو النكره الموصوفه بهما مثل الّذى يأتينى أو الّذى فى الدّار فله درهم و مثل كلّ رجل يأتينى أو فى الدّار فله درهم.

«ما منعتك» ما موصول اسمى مفعول ثان لأعطيك «منّى على اليقين» الظّرفان متعلّقان بأمضى، و من أهل العراق على الاخره متعلّقان بأحرص «اميّه» غير منصرف للعلميّه و التأنيث، و كذلك سفيان لمكان الألف و النّون الزّائدتين كعثمان .

ص:۲۴۰

«لبئس» بئس من أفعال الذّم، الخلف فاعله و خلف مخصوص بالذّم و جمله يتبع سلفا، فى محلّ الرّفع صفه له لأنّه نكره، و جمله هوى فى نار جهنّم فى محلّ الرّفع صفه لسلف لذلك.

فى أيد خبر فضل النبوّه قدّم توسعا للظرف و الواو للحال فالجمله حاليه بعد مبنى على الضمّ حذف المضاف إليه بقرينه المقام كما سيعلم فى المعنى، نعشنا عطف على قوله اذللنا.

«كنتم» جواب لمّا، و أفرد دخل لظاهر من، على حين كقوله تعالى: «دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها » (القصص - ١۶) و قال الفاضل أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش فى تفسير التبيان فى إعراب القرآن: على حين غفله حال من المدينه و يجوز أن يكون حالا من الفاعل أى مختلسا. انتهى، ففى المقام جاز أن يكون على حين حالا من ضمير كنتم أو من الدّين و إن كان الأوّل أنسب بسياق الكلام.

«طوعا» و «كرها» مصدران فى موضع الحال و كذا رغبه و رهبه و ذو الحال فى الصوره الاولى الامّه و فى الثانيه من «و ذهب» عطف على فاز، أى على حين ذهب، و الباء فى بفضلهم للتّعديه أعنى صار فعل ذهب بها متعدّيا، و فى باء التعديه معنى المصاحبه أيضا، و لذلك إذا تعدّى الفعل اللازم بباب الافعال يفيد معنى، و إذا تعدّى بباء الجر يفيد معنى آخر يغاير الأوّل؛ مثلا إذا قلت اذهبت زيدا جعلت زيدا ذاهبا و ما ذهبت معه، و إذا قلت ذهبت بزيد جعلته ذاهبا و أنت أيضا ذاهب معه لمكان الباء؛ فتبصّر من لطافه قوله عليه السّلام و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم.

و الأوّلون صفه للمهاجرين، و الباء فى بسبقهم سببيّه.

«نصيبا» مفعول لا تجعل، و للشيطان متعلق به و كذلك فيک قدّما عليه توسعا للظّروف.

«و لا على نفسک سبيلا» معطوف على الشيطان فسبيلا مفعول الفعل و على نفسک متعلق به قدّم عليه للظرفيّه.

المعنی

اشاره

هـذا الکتـاب کتب قبـل لیله الهریر کما هو الظاهر، قیل بیومین أو ثلاثه جوابا عن کتاب کتبه معاویه إلی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّـلام، و إنّمـا کتبه معـاویه إلیه بعـد مـا بلغه قول علیّ علیه السّـلام: لانـاجزنّهم مصـبحا، و تناقـل النّاس کلمته و فزع أهل الشام لذلک و انکسروا لقوله کما تقدّم الکلام فیه من نصر و غیره آنفا.

و معاویه قـد أظهر فی کتابه النـدامه و النفره علی إنارته نار الحرب و إثارته إیّاها و إقـدامه علی إقبالها، و اعترف بأنه أطاع نفسـه فی ذلک و أدبر عن فتیا العقل، و فیه اشعار بجزعه من الحرب و اضطرابه من القتال و عدم نجدته فی الحراب.

و أساء بـأمیر المؤمنین علیّ علیه السّـلام الظنّ و خرج عن صوب الصواب و طریق الأدب حیث خـاطبه علیه السّـلام بقوله: فـإنّی أظنّک - إلی قوله: لم یجنهـا بعض علی بعض و أشـرکه فی اتّباعه الهوی و خروجه عن الطریقه المثلی، بقوله: و إنّا و إن کنّا قد غلبنا علی عقولنا.

و طلب منه علیه السّلام ثانیا أن یترک له الشّام، و لا یطلب منه طاعه و لا بیعه کما کان طلبه منه کذلک من قبل.

و شمخ بأنفه و أرعد و أبرق فجعل نفسه عکم خلیفه اللّه بقوله: فانّک لا ترجو من البقاء - إلخ.

و استعطفه و دعاه إلی الشّفقه علی النّاس و الکفّ من البأس بقوله: و قد و اللّه رقت - إلخ.

و خوّفه باستواء الفریقین فی الحرب و الرّجال بقوله: و إنّا فی الحرب - إلخ.

ثمّ تبصبص و أبدی القرابه منه بأنّ امیّه و هاشم صنوان من أصل واحد.

ثمّ تغطرس بأنّ بنی عبد مناف لیس لبعضـهم علی بعض فضل، و اسـتثنی من ذلک فقال: إلّا فضل لا یسـتذلّ به عزیز و لا یسترقّ به حرّ، فأجاب عنها أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام بما تری:

ص:۲۴۲

أمّا بعد فقد جاءنی کتابک تذکر: «أنّک لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بک ما بلغت لم یجنها بعضنا علی بعض» نقل کلام معاویه أوّلا فأجابه بقوله:

فإنّا و إيّاک منها فی غایه لم نبلغها، و إنّی لو قتلت فی ذات اللّه و حیّیت ثمّ قتلت ثمّ حیّیت سبعین مرّه لم أرجع عن الشدّه فی ذات اللّه و الجهاد لأعداء اللّه.

و ضمیر منها یرجع إلی الحرب، و کلمه لم تبلغها جاءت فی نسخه نصر بتاء الخطاب و فی نسخه کنز الکراجکی بیاء الغیبه و فی سائر النسخ بنون المتکلّم مع الغیر، و الأخیر أنسب بسیاق الکلام، و المراد: أنّا نلتمس و ننتظر من الحرب غایه لم نبلغها بعد، أی إنّی أعلم أنّ الحرب ستشبّ إلی حدّ یکون ما مضی منها دونه.

و کلامه هذا إذعار معاویه و إرغامه فی قبال قوله ذلک، و تهدید و تخویف و ایعاد إیّاه بأنّ أمره سیئول إلی أشدّ من ذلک و أنّ عاقبته و خیمه و أنّ عاقبه الّذین أساءوا السّوأی، و إنبائه بنفسه أی إنّی لعلی بصیره و بیّنه من ربّی و إنّی لعلی الطّریق الواضح، ثمّ أکّده بقوله: و إنّی لو قتلت فی ذات اللّه و حیّیت ثمّ قتلت ثمّ حیّیت سبعین مرّه لم أرجع عن الشّدّه فی ذات اللّه و الجهاد لأعداء اللّه، و أعلمه بذلک ثبات قدمه فی الدّین، و کونه علی النهج القویم و الصّراط المستقیم، و عدم بأسه من القتال و القتل فی سبیل اللّه و لو قتل و حیّی سبعین مرّه، و عرّف فی أثناء قوله معاویه و من سلکوا مسلکه و اتّبعوا مأخذه بأنّهم کافرون لأنّهم أعداء اللّه.

و اعلم أنّ أولیاء اللّه لکونهم علی بیّنه من ربّهم لا یبالون وقعوا علی الموت أو وقع الموت علیهم، و لا یخافون من القتل فی سبیل اللّه و لا من القتال فی سبیله، و یعلمون أنّهم لا یتربّصون بالأعداء إلّا إحدی السوئین، و أنّ الأعداء لا یتربّصون بهم إلّا إحدی الحسنیین إمّا الفتح و إمّا الشّهاده کما قال اللّه تعالی خطابا لرسوله صلّی اللّه علیه و اله: «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاّ إِحْدَی الْحُسْنَیَیْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِکُمْ أَنْ یُصِیبَکُمُ اللّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَیْدِینا فَتَرَبَّصُوا إِنّا مَعَکُمْ مُتَرَبِّصُونَ » (التوبه ۵۳).

ص:۲۴۳

و اقتفى أثره عليه السّلام فى قوله هذا: و إنّى لو قتلت فى ذات اللّه - إلخ، الّذين استضاءوا من مشكاه وجوده، و اقتبسوا من نور علمه و ربّوا فى بيته و حجره، و احتذوا حذوه، و اتّبعوا سبيله سلام اللّه عليهم أجمعين: فهذا هو عمّار بن ياسر فاستمع ما ذا يقول رضوان اللّه عليه: روى نصر فى صفّين عن عمر قال: حدّثنى عبد الرّحمن بن جندب، عن جندب بن عبد اللّه قال: قام عمّار بن ياسر بصفّين فقال: امضوا عباد اللّه إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظّالم لنفسه، الحاكم على عباد اللّه بغير ما فى كتاب اللّه إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الامرون بالإحسان فقال هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا لأحداثه، فقالوا: إنّه ما أحدث شيئا و ذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، و اللّه ما أظنّهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنه لظالم و لكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمرءوها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيهم منها، و لم يكن للقوم سابقه فى الإسلام يستحقّون بها الطاعه و الولايه فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما ليكونوا بذلك جبابره و ملوكا، و تلك مكيده قد بلغوا بها ما ترون و لو لا هى ما بايعهم من النّاس رجلان، اللّهمّ إن تنصرنا فطال ما نصرت، و إن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم، ثمّ مضى و مضى معه أصحابه فلمّا دنى من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر تبّا لك و طال ما بغيت الإسلام عوجا ثمّ حمل عمّار و هو يقول:

صدق اللّه و هو للصّدق أهل و تعالى ربّى و كان جليلا

ربّ عجّل شهاده لى بقتل فى الّذى قد احبّ قتلا جميلا

مقبلا غير مدبر إنّ للقتل على كلّ ميته تفضيلا

إنّهم عند ربّهم فى جنان يشربون الرّحيق و السلسبيلا

من شراب الأبرار خالطه المسك و كأسا مزاجها زنجبيلا

و الأبيات الثلاثه الأخيره تشير إلى قوله تعالى: «وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ » (البقره - ١٥٢).

و قوله تعالى: «وَ لاـ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّـ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاـ هُمْ يَحْزَنُونَ » إلى قوله تعالى: «وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللّهِ وَ اللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » (آل عمران ١٦٥-١٧٠).

و قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ » (المطفّفين ٢٤-٢٧).

و قوله تعالى: «وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا عَيْناً فِيها تُسَمّى سَلْسَبِيلًا » (هل أتى - ١٨ و ١٩).

قال نصر: ثمّ نادى عمّار عبيد اللّه بن عمر و ذلك قبل مقتله فقال: يا ابن عمر صرعك اللّه بعت دينك بالدّنيا من عدوّ اللّه و عدوّ الإسلام، قال: كلّا و لكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: كلّا أشهد على علمي فيك أنّك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه اللّه و أنّك إن لم تقتل اليوم فستموت غدا فانظر إذا أعطى اللّه العباد على نيّاتهم ما نيّتك؟ ثمّ قال عمّار: اللّهمّ إنّك لتعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبه سيفي في بطني ثمّ انحني عليها حتّي يخرج من ظهرى لفعلت، اللّهمّ و إنّي أعلم ممّا أعلمتنى أنّي لاـ أعلم اليوم عملاـ هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفعلته. (ص ١٦٥ من الطبع الناصرى).

و قد نقل قوله هذا أبو جعفر الطّبرى في تاريخه كما تقدّم في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٨٤ ج ١٥).

و تقدّمت طائفه من كلمات قيّمه من أصحاب عليّ عليه السّلام في شرح الكتاب

العاشر فراجع.

و لمّا جمع ريحانه رسول اللّه سيّد الشهداء الحسين بن علىّ عليهم السّلام أصحابه عند قرب المساء من يوم التّاسوعاء و قال لهم: إنّى قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حلّ ليس عليكم منّى ذمام هذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه جملا فبعد ما قال أعوانه من إخوته و أبنائه و بنى أخيه و بنى عقيل و ابنى عبد اللّه بن جعفر ما قالوا، قام إليه مسلم بن عوسجه رضوان اللّه عليه فقال: أنحن نخلّى عنك و بما نعتذر إلى اللّه فى أداء حقّك أما و اللّه حتّى أطعن فى صدورهم برمحى و أضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى و لو لم يكن معى سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجاره و اللّه لا نخلّيك حتّى يعلم اللّه أنا قد حفظنا غيبه رسوله فيك، أما و اللّه لو قد علمت أنّى اقتل ثمّ احيى ثمّ احرق ثمّ احيى ثمّ اذرى يفعل ذلك بى سبعين مرّه ما فارقتك حتّى ألقى حمامى دونك و كيف لا أفعل ذلك و إنّما هى قتله واحده ثمّ هى الكرامه الّتى لا انقضاء لها أبدا.

و قام زهير بن القين رحمه اللّه عليه فقال: و اللّه لوددت أنّى قتلت ثمّ نشرت ثمّ قتلت حتّى اقتل هكذا ألف مرّه و أنّ اللّه عزّ و جلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك و عن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

تو مكن تهديدم از كشتن كه من تشنهٔ زارم بخون خويشتن

عاشقان را هر زمانى مردنى است مردن عشّاق خود يك نوع نيست

او دو صد جان دارد از نور هدى و آن دو صد را ميكند هر دم فدا

هر يكى جان را ستاند ده بها از نبى خوان عشره أمثالها

آزمودم مرگ من در زندگيست چون رهم زين زندگى پايندگيست

إنّ فى موتى حياتى يا فتى كم افارق موطنى حتّى متى

فرقتى لو لم تكن فى ذا السكون لم يقل إنّا إليه راجعون

قال عليه السّلام و أمّا قولك: «انّه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى» نقل كلام معاويه ثمّ أجابه بقوله: «فإنّى ما نقضت عقلى و لا ندمت على فعلى»

ص:۲۴۶

و ذلك لأنّه عليه السّلام كان مأمورا بقتاله من اللّه تعالى كما احتجّ عليه السّلام بذلك على معاويه فى الكتاب السابع (ص ۲۲۳ ج ۱۶) حيث قال معاويه: و إنّى احذّرك اللّه أن تحبط عملك و سابقتك بشق عصا هذه الامّه و تفريق جماعتها، فأجابه الأمير عليه السّلام: فلعمرى لو كنت الباغى عليك لكان لك أن تحذّرنى ذلك، و لكنّى وجدت اللّه تعالى يقول: «فقاتلوا الّتى تبغى حتّى تفىء إلى أمر اللّه» فنظرنا إلى الفئتين ما الفئه الباغيه؟ فوجدناها الفئه الّتى أنت فيها - إلخ.

على أنّ الحجج الإلهيّه كما أنّهم معصومون من الذّنوب كذلك معصومون من أن يفعلوا فعلا أو يتركوا ما يوجب ندامتهم به لأنّهم ينظرون بنور اللّه و يحكمون بالعقل النّاصع فإذا سكتوا فسكوتهم هو الصّواب، و إذا نطقوا فنطقهم هو الصّواب و إذا فعلوا ففعلهم هو الصّواب و إذا تركوا و كفّوا فتركهم هو الصّواب ثمّ من لم يكن عالما بعواقب الامور يندم من فعله لأنّه يفعل فعلا كان الصواب تركه أو يترك فعلا كان الصواب فعله فاذا ظهر له خلافه يندم به فأين هذا ممّن كان بنهايه قربه من اللّه و كمال الإتّصال بجنابه و تمام الحضور إلى حضرته مصونا و معصوما عن جميع ما تنفر عنها الطباع و قد تقدّم البحث عن صفاتهم و عصمتهم فى شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب و لذا قال عليه السّلام: فإنّى ما نقضت عقلى و لا ندمت على فعلى، و فى بعض النسخ: فإنّى ما تنقّصت عقلى، أى ما أنسبه إلى النقصان.

قال عليه السّلام:«و أمّا طلبك إلىّ الشّام فإنى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس» طلب معاويه من الأمير عليه السّلام الشّام غير مرّه كما اعترف به فى كتابه المتقدّم إليه، و كان أتباعه أيضا يطلبون بأمره من الأمير عليه السّلام أن يخلّى بينهم و بين الشام، و يخلّوا بينه و بين العراق وهما منهم أنّ خلفاء اللّه تعالى إنّما يقاتلون أعداء اللّه لاقتراف الدّيار و العقار و حطام الدّنيا و قد روى نصر فى صفّين (ص ۲۵۵) أنّ رجلا من أهل الشام ينادى بين الصفّين: يا أبا حسن يا علىّ ابرز إلىّ فخرج إليه علىّ عليه السّلام حتّى إذا اختلف أعناق دابّتيهما بين الصفّين؛ فقال: يا علىّ إنّ لك قدما فى الإسلام و هجره فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدّماء

و تـأخير هـذه الحروب حتّى ترى من رأيـك؟ فقـال له علىّ عليه السّـلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلّى بينك و بين العراق و نرجع إلى شامنا فتخلّى بيننا و بين شامنا.

فقال له علىّ عليه السّـلام: لقد عرفت أنّما عرضت هذا نصـيحه و شـفقه، و لقد أهمّنى هذا الأمر و أسـهرنى و ضـربت أنفه و عينه فلم أجـد إلّا القتال أو الكفر بما انزل على محمّـد صـلّى اللّه عليه و اله إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصـى فى الأرض و هم سـكوت مـذعنون لا يـأمرون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر فوجـدت القتال أهون علىّ من معالجه الأغلال فى جهنّم، فرجع الشامىّ و هو يسترجع.

أقول: و قد مضـى كلامنا فى ذلك فى شـرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۲۲ ج ۱۵)، و هذا من أبناء الدّنيا يقصـر الهمّه فى المـاء و الكلاء و يتمرّغ فى الأهواء و الأميال الشـهوانيّه، و ذلك رجل إلهىّ و سـفير ربّانىّ يرشـد النّاس من عباره و جيزه إلى حقيقه أشـرقت من صبح الأزل فيها بيان علّه قيام أولياء اللّه و نهضتهم فى قبال أعدائه قائلا: إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه - إلخ.

و الحرىّ بباغى الرّشد أن ينظر حقّ النّظر فى قوله عليه السّلام فوجدت القتال أهون علىّ من معالجه الأغلال فى جهنّم.

و لقد سـبق معاويه فى الطّلب المذكور مسـيلمه المتنبّى إلّا أنّ هذا المفترى الكذّاب طلب من النبىّ و ذاك طلب من الوصىّ سنّه بسنّه؛ ففى السيره النبويّه لابن هشام (ص ۶۰۰ ج ۲ طبع مصر ۱۳۷۵ ه): و قد كان مسيلمه بن حبيب قد كتب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: من مسـيلمه رسول اللّه، إلى محمّـد رسول اللّه سـلام عليـك، أمّـا بعـد فانّى قـد أشـركت فى الأمر معك و إنّ لنا نصف الأرض و لقريش نصف الأرض و لكنّ قريشا قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدّثنى شيخ من أشجع عن سلمه بن نعيم

ابن مسعود الأشجعىّ، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما و اللّه لو لا أنّ الرّسل لا تقتل لضربت أعناقكما، ثمّ كتب صلّى اللّه عليه و اله إلى مسيلمه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: من محمّد رسول اللّه إلى مسيلمه الكذّاب: السّلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتّقين.

و هذه المشابهه بين مسيلمه و بين معاويه فى النبىّ و الوصىّ شبيهه بما وقع بين النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سهيل بن عمرو يوم الحديبيّه، و بين الوصىّ عليه السّلام و معاويه يوم صفّين و ذلک أنّ صحيفه الصلح لمّا كتبت يوم الحديبيّه «هذا ما تصالح عليه محمّد رسول اللّه و سهيل بن عمرو» قال سهيل: لا اجيبک إلى كتاب تسمّى رسول اللّه و لو علمت أنّک رسول اللّه لم اقاتلک إنّى إذا ظلمتک إن منعتک أن تطوف ببيت اللّه و أنت رسول اللّه و لكن اكتب محمّد بن عبد اللّه اجيبک.

و لمّا كتبت صحيفه الصلح يوم صفّين «هذا ما تقاضى عليه علىّ أمير المؤمنين و معاويه بن أبى سفيان» قال معاويه: بئس الرّجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته فمحوا كلمه أمير المؤمنين، و قد مرّ تفصيله فى شرح المختار ۲۳۶ ص ۲۴۲ من ج ۱۵ فراجع.

و العجب لمعاويه تاره يحرّض النّاس و يألّبهم على قتال الحقّ مدّعيا الطّلب بدم عثمان، و يتّخذ عمرو بن العاص العاصى الظالم المضلّ عضده و جعل مصرا طعمه له؛ و مرّه يطلب من أمير المؤمنين عليه السّلام الشّام فأين هذا من ذاک؟ و لا يدرى أنّه كان بأىّ رأى يعيش؟ بلى من كان ميّت القلب و أعماه حبّ الدّنيا فهو يهيم فى كلّ واد من أوديه الأباطيل و الأضاليل و الأهواء المرديه و الاراء الرّديه، قال عزّ من قائل: «و لا تكونوا كالّذين نسوا اللّه فانسيهم أنفسهم اولئک هم الفاسقون»

اى عجب چون مى نبينند اين سپاهعالمى پر آفتاب چاشتگاه

چشم باز و گوش باز و اين ذكاحيرتم از چشم بندى خدا

ص:۲۴۹

دو سر انگشت بر دو چشم نه هیچ بینی از جهان انصاف ده

ور نه بینی این جهان معدوم نیست عیب جز ز انگشت نفس شوم نیست

تو ز چشم انگشت را بردار هین و آنگهانی هر چه می خواهی ببین

نوح را گفتند امّت کو ثواب؟ گفت او ز ان سوی و استغشوا ثیاب

رو و سر در جامه ها پیچیده اند لا جرم با دیده و بی دیده اند

و قوله: أمس إشاره إلی طلبه من أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام حین بویع بالخلافه إقراره علی إمره الشّام، و نقل عن ابن عبّاس أنّه قال له علیه السّلام: و لّه شهرا و اعزله دهرا فإنّه بعد أن یبایعک لا یقدر علی أن یعدل فی إمرته و لا بدّ أن یجور فتعزله بذلک، فقال علیه السّلام: کلّا و ما کنت متّخذ المضلّین عضدا.

و قال المسعودیّ فی مروج الذّهب (ص ۵ ج ۲) أتی المغیره بن شعبه علیّا فقال له: إنّ حقّ الطاعه النصیحه، و إنّ الرأی الیوم تحوز به ما فی غد، و إنّ التّصارع الیوم تضیع به ما فی غد، اقرر معاویه علی عمله، و اقرر ابن عامر علی عمله، و اقرر العمّال علی أعمالهم حتّی إذا أتتک طاعتهم و طاعه الجنود استبدلت أو ترکت.

قال علیه السّلام: حتّی أنظر، فخرج من عنده و عاد إلیه من الغد فقال: إنّی أشرت علیک بالأمس برأی و تعقّبته و إنّما الرأی أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غیره و یستقلّ أمرک، ثمّ خرج فتلقّاه ابن عبّاس خارجا و هو داخل فلمّا انتهی إلی علیّ علیه السّلام قال: رأیت المغیره خارجا من عندک ففیم جاءک؟ قال: جاءنی أمس بکیت و کیت، و جاءنی الیوم بذیت و ذیت، فقال: أمّا أمس فقد نصحک و أمّا الیوم فقد غشّک.

قال: فما الرّأی؟ قال: کان الرّأی أن تخرج حین قتل عثمان أو قبل ذلک فتأتی مکّه فتدخل دارک فتغلق علیک بابک فإنّ العرب کانت لجائله مضطرّه فی إثرک لا تجد غیرک فأمّا الیوم فإنّ بنی امیّه سیحسنون الطّلب بأن یلزموک شعبه من هذا الأمر و یشبهون فیک علی النّاس، و قال المغیره: نصحته فلم یقبل فغششته

و ذكر انه قال و أمّا أنا فنصحته قبلها و لا أنصحه بعدها.

قال المسعوديّ: وجدت في وجه آخر من الرّوايات أنّ ابن عبّاس قال:

قدمت من مكّه بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليّا أدخل عليه فقيل لی عنده المغيره بن شعبه فجلست بالباب ساعه فخرج المغيره فسلّم عليّ، و قال: متى قدمت؟ قلت: الساعه، و دخلت على عليّ و سلّمت عليه، فقال: أين لقيت الزّبير و طلحه؟ قلت: بالنواصف، قال: و من معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبه من قريش فقال عليّ: أما إنّهم لم يكن لهم بدّ أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، و اللّه يعلم أنّهم قتله عثمان.

فقلت: أخبرنی عن شأن المغيره و لم خلابک؟ قال: جاءنی بعد مقتل عثمان بيومين فقال: اخلنی، ففعلت؛ فقال: إنّ النّصح رخيص و أنت بقيّه النّاس و أنا لک ناصح و أنا اشير عليک أن لا ـ تردّ عمّال عثمان عامک هذا، فاكتب إليهم باثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لک و اطمأنّ أمرک عزلت من أحببت و أقررت من أحببت، فقلت له: و اللّه لا اداهن فی دينی و لا اعطی الرّياء فی أمری.

قال: فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت و اترک معاويه فإنّ له جرأه، و هو فی أهل الشّام مسموع، و لک حجّه فی إثباته؛ فقد كان عمر ولّاه الشّام كلّها.

فقلت: لا و اللّه لا أستعمل معاويه يومين أبدا. فخرج من عندی على ما أشار به ثمّ عاد فقال: إنّی أشرت عليك بما أشرت به و أبيت عليّ فنظرت فی الأمر و إذا أنت مصيب لا ينبغی أن تأخذ أمرک بخدعه و لا يكون فيه دنسه.

قال ابن عبّاس: فقلت له: أمّا أوّل ما أشار عليك فقد نصحک و أمّا الاخر فقد غشّک، و أنا اشير عليك أن تثبت معاويه فإن بايع لک فعليّ أن أقلعه من منزله.

قال: لا و اللّه لا أعطيه إلّا السّيف ثمّ تمثّل:

فما منّه إن منّها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غالها

فقال: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول: الحرب

خدعه؟ فقال علیّ علیه السّلام: بلی، قلت: أمّا و اللّه لإن أطعتنی لأصدرنّ بهم بعد ورود، و لأترکنّهم ینظرون فی آثارهم الأمر و لا یدرون ما کان وجهها من غیر نقص لک و لا إثم علیک.

فقال: یا ابن عبّاس لست من هنیّاتک و هنیّات معاویه فی شیء یسیر مالک عندی الطاعه و اللّه ولیّ التوفیق.

بیان: هنیّات جمع هنیّه علی التصغیر أصلها من ه ن ه، أو من ه ن و، قال ابن الأثیر فی النهایه: و فی حدیث ابن الأکوع قال له: ألا تسمعنا من هناتک؟ أی من کلماتک أو من أراجزک؛ و فی روایه من هنیاتک علی التصغیر؛ و فی اخری من هنیهاتک علی قلب الیاء هاء.

ثمّ أردف معاویه قوله: «و أنا أدعوک الیوم إلی ما دعوتک إلیه أمس» بقوله:

«فإنّی لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف» إشاره إلی أنّه مثل علیّ علیه السّلام فی الخوف من القتل و الرّجاء من البقاء یعنی أنّه لا یبالی من الموت، و لا یطمع فی الحیاه بل یقاتل لإحیاء حقّ أو إماته باطل.

و غرضه من هذا القول دفع ما یوهم فی طلبه الشام و موادعته الحرب من حصول الجبن و الفزع له، أی لا تظنّ من طلبی الشّام إدخال الجبن فیّ فإنّی لا أخاف من الموت و القتل و لا أطمع فی الحیاه بل أطلب الموادعه لحقن دماء النّاس.

أقول: و قد ظهر صدق قوله حینما قام علیّ علیه السّلام بین الصّفین فی صفّین ثمّ نادی یا معاویه یکرّرها؛ فقال معاویه: اسألوه ما شأنه؟ قال: احبّ أن یظهر لی فاکلّمه کلمه واحده فبرز معاویه و معه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم یلتفت إلی عمرو و قال لمعاویه: ویحک علی م یقتل النّاس بینی و بینک و یضرب بعضهم بعضا؟ ابرز إلیّ فأیّنا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاویه إلی عمرو فقال: ما تری یا أبا عبد اللّه فیما ههنا ابارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفک الرّجل، و اعلم أنّه إن نکلت عنه لم تزل سبّه علیک و علی عقبک ما بقی عربیّ.

فقال معاويه: يا عمرو بن العاص ليس مثلى يخدع عن نفسه و اللّه ما بارز ابن أبى طالب رجلا قطّ إلاّ سقى الأرض من دمه، ثمّ انصرف معاويه راجعا حتّى انتهى إلى آخر الصّفوف و عمرو معه.

هذا هو روايه نصر فى صفين نقلناها بألفاظه (ص ۱۴۰ من الطبع النّاصرى) و قد أتى بقريب منها المسعودى فى مروج الذّهب (ص ۲۵ ج ۲) و قد تقدّم نقله فى شرح المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۱۶ ج ۱۵).

و نقل ابن قتيبه الدّينورىّ فى باب أخبار الجبناء من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ۱۶۹ ج ۱ طبع مصر) عن المدائنى قال: رأى عمرو بن العاص معاويه يوما يضحك، فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك اللّه سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبى طالب أما و اللّه لقد وافقته منّانا كريما و لو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما و اللّه إنّى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، و ربا سحرك، و بدا منك ما أكره ذكره لك؛ فمن نفسك فاضحك أودع. و نقله المسعودى فى مروج الذّهب مفصّلا (ص ۶۵ ج ۲).

و حينما قام رجل من أصحاب علىّ عليه السّلام و قال: و اللّه لأحملنّ معاويه حتّى أقتله فأخذ فرسا فركبه ثمّ ضربه حتّى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهه شىء عن الوقوف على رأس معاويه و دخل معاويه خباء فنزل الرّجل عن فرسه و دخل عليه فخرج معاويه من الخباء و طلع الرّجل فى أثره فخرج معاويه حتّى أحاط قومه بالرّجل فقتلوه، على التفصيل الّذى ذكره نصر فى صفّين (ص ۱۳۸).

و حينما حمل أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و أصحابه على القاسطين حمله واحده فلم يبق لأهل الشام صفّ إلاّ أهمد حتّى أفضى الأمر إلى معاويه و علىّ عليه السّلام يضرب بسيفه و لا يستقبل أحدا إلاّ ولّى عنه فدعا معاويه فرسه لينجو عليه فلمّا وضع رجله فى الرّكاب ليفرّ من الحرب أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرّماح ففعلوا ما فعلوا، نقله الدّينورىّ فى الإمامه و السياسه (ص ۱۲۷ ج ۱).

ص:۲۵۳

فإنّه لو لم يكن صادقا فى قوله: «فإنّى لا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف و لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو» لما أعرض عن المبارزه حين دعاه علىّ عليه السّلام إلى البراز، و لم ينصرف راجعا حتّى ينتهى إلى آخر الصفوف أوّلا، و لما أدبر عن الرّجل و لم يدخل خباء مرّه و لم يخرج منه اخرى ثانيا، و لما فرّ من الحرب و لم يدعو فرسه لينجو عليه ثالثا.

على أنّ صاحبه عمرو بن العاص كان عارفا بحاله و قد أمضى قوله ذلك حيث قال له فى صفّين: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله (يعنى رجال علىّ عليه السّلام) و لست مثله هو يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، رواه نصر فى صفّين (ص ۲۵۶) و سليم بن قيس كما تقدّم نقله فى ماخذ هذا الكتاب.

و انّما قال عليه السّلام: لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، لأنّ معاويه فى الأمس لم يكن لائقا بأخذ زمام الامور و إعطاء ذلك المقام لكونه على الباطل و هذه العلّه كانت باقيه فى اليوم فلم يصلح لتوليه امور المسلمين بعد.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا قولك: «إنّ الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت» «ألا فمن أكله الحقّ فإلى النّار» نقل كلام معاويه أوّلا ثمّ أجابه بقوله: ألا فمن - إلخ، و النسخ فى عباره الجواب مختلفه: ففى نسخه خطيّه عتيقه من النهج عندنا: ألا فمن أكله الحقّ فالنّار أولى به، و هى قريبه من نسخه الرّضى الّتى اخترناها فى المتن.

و فى أكثر النسخ المطبوعه: ألا و من أكله الحقّ فإلى الجنّه و من أكله الباطل فإلى النّار.

أقول: الصواب ما اخترناها فى المتن من النسخه الّتى عندنا قوبلت على نسخه الرّضى رضوان اللّه عليه، و ما فى تلك النسخه الخطيّه يؤيّدها فانّهما بمعنى فارد تقريبا.

و أمّا النسخ المطبوعه فيشبه أن تكون مصحّفه عن أصلها، و لا يخلو حملها

على معنى صحيح من تكلّف مثل أن يقال: من قتل فى سبيل الحقّ و الذّبّ عنه فمصيره إلى الجنّه، و من هلك فى سبيل الباطل و الدّفاع عنه فإلى النّار.

أو يضمر فى الجملتين مضافان، و التقدير: ألا و من أكله أعداء الحقّ فإلى الجنّه، و من أكله أعداء الباطل فإلى النّار، و نحوهما.

و المعنى على نسخه الرّضى مستقيم لا اعوجاج فيه لأنّ الأكل فى فصيح الكلام العربى كثيرا مّا يؤتى به لإفادته معنى الافناء و الإزاله و الظهور على أمر أى من أفناه الحق و غلب عليه فمصيره إلى النار، و إنّما قال ذلك لأنّ أتباع الحق قد قتلوا فى صفّين خلقا كثيرا من أحزاب معاويه فأشار عليه السّلام إلى أنّ مصيرهم إلى النّار و إن بلغ عددهم ما بلغ و لم يبق منهم إلاّ حشاشات أنفس، يقال: أكلت النار الحطب أى أفنته، و قال أوس بن حجر كما فى ماده ا ك ل من الأساس:

و قد أكلت أظفاره الصخر كلّما تعنّى عليه طول مرقى توصّلا

أى أكلت الصّخر أى أفننت الحجاره أظفاره.

و قال الطّريحىّ فى المجمع: أكلنا بنى فلان أى ظهرنا عليهم، و أصل الأكل للشىء الإفناء له ثمّ استعير لافتتاح البلاد و سلب الأموال.

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه عند قول خلف بن خليفه (الحماسه ۷۹۴):

لعمرى لنعم الحىّ يدعو صريخهم إذا الجار و المأكول أرهقه الأكل

و معنى أرهقه الأكل ضيّق عليه و غشيه، و قد قيل: أكلت فلانا إذا غلبته و غلبته.

و قد جاءت بهذا المضمون من معنى الأكل أعنى الإفناء روايات عن أئمّتنا الطّاهرين عليهم السّلام ففى باب الحسد من اصول الجامع الكافى لثقه الإسلام الكلينىّ قدّس سرّه بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ الرّجل ليأتى بأىّ بادره فيكفر فإنّ (و إنّ - خ ل) الحسد ليأكل الإيمان كما يأكل النّار الحطب.

و روى بإسناده عن جرّاح المدائنىّ، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الحسد يأكل

الإيمان - إلخ، و أتى بهما الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص ۱۴۸ ج ۳).

و قد مضى فى المختار ۸۴ من باب الخطب عن الأمير عليه السّلام: و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل - إلخ.

و فى الجامع الصغير للسيوطى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب.

و سيأتى من كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام لابنه الإمام المجتبى قوله له و إيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا إليها و تكالبهم عليها - إلى ان قال: فإنّما أهلها كلاب عاويه و سباع ضاريه يهرّ بعضها بعضا، و يأكل عزيزها ذليلها، و يقهر كبيرها صغيرها - إلخ.

قال عليه السّلام: و أمّا استواؤنا فى الحرب و الرّجال - إلى قوله: على الاخره، قد علمت من نسخ ماخذ الكتاب أنّها كانت متّفقه فى قوله: «و أمّا استواؤنا فى الخوف و الرّجاء» مكان قوله: «و أمّا استواؤنا فى الحرب و الرجال» إلّا ما نقلناه أخيرا من نسخه نقلها الشارح البحرانى فإنّها كانت موافقه للمتن، و نسخه الرّضى هى الّتى اخترناها فى المتن و توافقها نسختنا الخطيّه المذكوره.

و أظنّ أنّ الّذين نقلوا عباره «و أمّا استواؤنا فى الخوف و الرّجاء» نظروا بقول معاويه: «فإنّى لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف» و ظنّوا أنّ قول الأمير عليه السّلام فلست بأمضى - إلخ، جواب عنه فحرّفوا الحرب و الرّجال بالخوف و الرّجاء، و قد غفلوا أنّ هذا الجواب لا يوافقه، كما يشهد به التأمّل الصّحيح، و أنّ قول معاويه: «فإنّى لا أرجو - إلخ» انّما هو تتمّه قوله: «و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك» لما قد عرفت آنفا، و قد أجابه الأمير عليه السّلام بقوله: و أمّا طلبك إلىّ الشّام - إلخ.

ص:۲۵۶

و معناه أنّ معاويه خوّف الأمير عليه السّلام و هدّده باستواء الفريقين فى الحرب و الرّجال و أوهم بذلك ثباته فى الحرب و بقاءه عليها و عدم تزلزله و اضطرابه منها و من وقوع كثره القتلى فى عسكره فأجابه الأمير عليه السّلام بأنّك إنّما على علم فى عدم كونك على حقّ، و يقين فى أنّك لست بمحقّ، و إنّما تقاتل و تحارب لاقتراف حطام الدّنيا و لست على يقين فى وصولك إلى ما ترجو و تتمنّى بل، على شكّ و ترديد فيه، لأنّه أمكن أن تظهر علينا فتصل إلى أمانيّك الدنيّه الدّنيويّه، و أمكن أن نظهر عليكم فتعاق عنها و تحرم، و كذلك الكلام فى أحزابك من أهل الشام.

و أمّا أنا فعلى بيّنه من ربّى، و يقين فى أنّى على الصّراط المستقيم و ليس بعده إلاّ الضّلال و التّباب، و اقاتل و احارب على يقين فى دينى و ليس لى إلاّ إحدى الحسنيين إمّا الظفر عليكم فهو جهاد فى سبيل اللّه، و إمّا القتل فى سبيل اللّه فمصيره إلى الجنّه و رضوان اللّه و هكذا الكلام فى أصحابى من أهل العراق.

ثمّ من المعلوم أنّ من يعمل فعلا على شكّ و ترديد فيه ليس بأمضى فيه ممّن يعمله على يقين، و من يفعل عملا لاقتراف الدّنيا و حصول الأمانىّ الفانيه الزائله ليس بأحرص فيه ممّن يفعله للتقرّب إلى اللّه تعالى، و الوصول إلى النعم الاخرويه الدائمه و الحياه الباقيه و الدّرجات العاليه الأبديّه الرّوحانيّه، و أين هذا من ذاك و نعم ما قاله الأشتر رضوان اللّه عليه فى أبياته السالفه آنفا:

طلب الفوز فى المعاد و فى ذا تستهان النفوس و الأموال

فظهر أنّ أهل الشكّ و التّرديد ليسوا فى رتبه أهل اليقين و إن كانوا كثيرين عددا و قد قال عزّ و جلّ: «قُلْ لا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ » (المائده ١٠١) و قال تعالى: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ » (البقره ٢٥٠) فما ادّعاه معاويه من استواء الفريقين فى الحرب و الرّجال اختلاق محض فإنّ مثلهما كالأعمى و الأصمّ و البصير و السميع هل يستويان؟.

و أنّ تهديده عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام بما نسجه من استوائهما فى الحرب و الرّجال أوهن من بيت العنكبوت، بل الخوف به أولى و الفزع به أحرى.

قال عليه السّلام: و أمّا قولك: «إنّا بنو عبد مناف» فكذلك نحن و لكن ليس اميّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطّلب و لا أبو سفيان كأبى طالب، و سيأتى نحو كلامه هذا فى الكتاب الثامن و العشرين الّذى كتبه الأمير عليه السّلام إلى معاويه جوابا:

منّا النبىّ و منكم المكذّب، و منّا أسد اللّه و منكم أسد الأحلاف، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّه و منكم صبيه النار، و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب - إلخ.

افتخر معاويه بأنّه من بنى عبد مناف، أو أراد بذلك الاستعطاف من أمير المؤمنين عليه السّلام، أو قصد الاستواء بقوله هذا تبخترا، حيث قال بعده: و ليس لبعضنا على بعض فضل، أو عنى بذلك أنّهما من بيت واحد فليس لبعضهم فضل على بعض أى أنّها فى الفضيله و الشرافه سواء فإن استحقّ هذا منصبا كان ذلك للاخر أيضا، و إن ادّعى هذا مقاما كان ذلك للاخر أيضا، و مال الوجهين الأخيرين واحد و استفاده الوجه الثانى من الأوّلين من العباره لا تخلو من تكلّف.

و نقول أوّلا: إنّ معاويه و إن كان منتسبا إلى عبد مناف بحسب الظاهر لكنّ دنيّات اموره و رذيلات صفاته قد أخرجته من بيت الشّرف حقيقه و كم من فعال خبيثه و أعمال غير صالحه أوجبت القطع عن بيت و رحم و فى القرآن الكريم قال:

«يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ » (هود - ۵۰)، و لا يخفى عليك أنّ الورد و الشّوك من أصل واحد و لكن أين هذا من ذاك.

و ثانيا إنّه لمّا افتخر بانتسابه إلى عبد مناف و ادّعى الاستواء بينه و بين الأمير عليه السّلام و أنكر فضل بعض على بعض من بيت عبد مناف أجابه الأمير عليه السّلام بقوله: إنّا بنو أب واحد كما فى نسخه نصر فعلى هذه النسخه لم يمض الأمير عليه السّلام أنّ معاويه من بنى عبد مناف كما لا يخفى و فيه نكته لطيفه نشير إليها عن قريب، و على نسخه الرّضى أجابه بقوله: فكذلك نحن أى نسبنا ينتهى إليه أيضا و لكنّ بين آبائى و آبائك تفاوتا فاحشا، كما أنّ بين صفاتى و صفاتك فرقا ظاهرا و مسافه كثيره، و تفصيله أنّ اميّه ليس كهاشم - إلخ، بدأ عليه السّلام بذكر الأوصاف الخارجه و الفضائل الطاريه عليه من جهه آبائه، و الرّذائل العارضه على خصمه معاويه من

جهه أسلافه، ثمّ أتى بالأوصاف الدّاخله على أربعه أقسام الاتى شرحها إن شاء اللّه تعالى، فلا بدّ فى المقام من ذكر سلسلتى نسبهما إلى عبد مناف فنقول: علىّ عليه السّلام كان ابن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، و معاويه كان ابن صخر أبى سفيان بن حرب بن اميّه بن عبد شمس بن عبد مناف.

و آباء أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام كانوا أهل بيت شرف فى قومهم، و كان كلّ واحد منهم أشرف و أفضل و أعلى من آباء معاويه بمراحل، أمّا أبو طالب عليه السّلام فإنّه كان زعيما حازما نبيها سيّاسا، و له فى دفع كياد الأعداء عن النبىّ و الذّبّ عنه صلّى اللّه عليه و اله على الإسلام و المسلمين حقّ عظيم، و جلاله شأنه و حسن إسلامه أشرف من الشارق و أبلج من الصّبح و قد ذكرنا طائفه من أشعاره السّاميه الدالّه على إسلامه، و حمايته عن الرسول صلّى اللّه عليه و اله و المسلمين، و نبذه من روايات جاءت فى فخامه أمره و علوّ قدره فى شرح المختار التاسع من باب الكتب و الرسائل (ص ۳۵۱-۳۶۴) ج ۱۷ و قال اليعقوبى فى التاريخ: و كفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بعد وفاه عبد المطّلب أبو طالب عمّه فكان خير كافل، و كان أبو طالب سيّدا شريفا مطاعا مهيبا مع إملاقه، قال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام: أبى ساد فقيرا، و ما ساد فقير قبله.

و أمّا عبد المطّلب: ففى السيره النبويّه لابن هشام (ص ۱۴۲ ج ۱) أنّه ولى السّقايه و الرّفاده بعد عمّه المطّلب فأقامها للنّاس و أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، و شرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه و أحبّه قومه و عظم خطره فيهم، ثمّ ذكر الرّؤيا الّتى أريها عبد المطّلب فى حفر زمزم، و نذره ذبح ولده و ما جرى فيهما، إلى أن قال:

ثمّ لم يلبث عبد اللّه بن عبد المطّلب أبو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أن هلك و امّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله حامل به، فلمّا وضعته امّه آمنه بنت وهب أرسلت إلى جدّه عبد المطّلب: أنّه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه فأتاه فنظر إليه و حدّثته بما رأت حين حملت به و ما قيل لها فيه و ما أمرت أن تسمّيه.

فيزعمون أنّ عبد المطّلب أخذه فدخل به الكعبه فقام يدعو اللّه و يشكر له

ما أعطاه ثمّ خرج به إلی امّه فدفعه إلیها و التمس لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله الرّضعاء فاسترضع له امرأه من بنی سعد بن بکر یقال لها حلیمه ابنه أبی ذؤیب.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله مع امّه آمنه و جدّه عبد المطّلب بن هاشم فی کلاءه اللّه و حفظه، ینبته اللّه نباتا حسنا، لما یرید به من کرامته فلمّا بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله ستّ سنین توفّیت امّه آمنه بالأبواء بین مکّه و المدینه فکان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله مع جدّه عبد المطلب بن هاشم.

و کان یوضع لعبد المطّلب فراش فی ظلّ الکعبه فکان بنوه یجلسون حول فراشه ذلک حتّی یخرج إلیه، لا یجلس علیه أحد من بنیه إجلالا له، فکان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله یأتی و هو غلام جفر حتّی یجلس علیه فیأخذه أعمامه لیؤخّروه عنه فیقول عبد المطّلب إذا رأی ذلک منهم: دعوا ابنی، فو اللّه إنّ له لشأنا ثمّ یجلسه معه علی الفراش و یمسح ظهره بیده و یسرّه ما یراه یصنع فلمّا بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله ثمانی سنین هلک عبد المطّلب ابن هاشم فکان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله بعد عبد المطّلب مع عمّه أبی طالب و کان عبد المطّلب - فیما یزعمون - یوصی به عمّه أبا طالب و ذلک لأنّ عبد اللّه أبا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و أبا طالب أخوان لأب و امّ، امّهما: فاطمه بنت عمرو بن عائذ، و کان أبو طالب هو الّذی یلی أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله بعد جدّه فکان إلیه و معه.

بیان: السقایه اسقاء الحجیج الماء العذب، و الرّفاده خرج کانت قریش تخرجه فی کلّ موسم من أموالها فتدفعه إلیه فیصنع به طعاما للحاج یأکله من لم یکن له سعه و لا زاد.

و قال الیعقوبی فی التاریخ (ص ۷ ج ۲): و توفّیت امّه صلّی اللّه علیه و اله بنت وهب بالأبواء و کان عبد المطّلب جدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله یکفله و عبد المطّلب یومئذ سیّد قریش غیر مدافع قد أعطاه اللّه من الشّرف ما لم یعط أحدا، و سقاه زمزم و ذا الهرم(۱)

۱- (۱) ذو الهرم اسم بئر حفرها عبد المطلب بالطائف بعد ما حفر زمزم بمکه؛ کما فی تاریخ الیعقوبی أیضا ص ۲۰۶ ج ۱ - منه.

و حكمته قريش فى أموالها، و أطعم فى المحلّ حتّى أطعم الطّير و الوحوش فى الجبال قال أبو طالب:

و نطعم حتّى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد

و رفض عباده الأصنام، و وحّد اللّه عزّ و جلّ، و وفى بالنّذر، و سنّ سننا نزل القرآن بأكثرها و جاءت السنّه من رسول اللّه بها، و هى: الوفاء بالنذور، و مائه إبل فى الدّيه، و ألاّ تنكح ذات محرم، و لا تؤتى البيوت من ظهورها، و قطع يد السّارق، و النّهى عن قتل الموؤده، و المباهله، و تحريم الخمر، و تحريم الزّنا و الحدّ عليه، و القرعه، و ألاّ يطوف أحد بالبيت عريان، و إضافه الضّيف، و ألاّ ينفقوا إذا حجّوا إلاّ من طيب أموالهم، و تعظيم الأشهر الحرم، و نفى ذوات الرّايات، فكانت قريش تقول: عبد المطّلب إبراهيم الثانى.

و ذكر قريبا ممّا نقلنا عن اليعقوبى الحلبىّ فى السيره ناقلا عن ابن الجوزى و زينى دحلان بهامشه (ص ۲۱) أيضا، و قال دحلان: كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم و البغى و يحثّهم على مكارم الأخلاق و ينهاهم عن دنيّات الامور و كان يقول: لن يخرج من الدّنيا ظلوم حتّى ينتقم اللّه منه و تصيبه عقوبه، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام و لم تصبه عقوبه فقيل لعبد المطّلب فى ذلك ففكر و قال:

و اللّه إن وراء هذه الدّار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه و يعاقب المسيء باساءته.

و أوصى عبد المطّلب إلى ابنه الزبير بالحكومه و أمر الكعبه، و إلى أبى طالب برسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سقايه زمزم، و قال له: قد خلفت فى أيديكم الشرف العظيم الّذى تطاون به رقاب النّاس، و قال لأبى طالب - و كان اسمه عبد مناف أى أنّه كان سمىّ جدّه الأعلى عبد مناف -:

اوصيك يا عبد مناف بعدى بمفرد بيد أبيه فرد

فارقه و هو ضجیع المهد فکنت کالامّ له فی الوجد

تدنیه من أحشائها و الکبد فأنت من أرجی بنیّ عندی

لدفع ضیم أو لشدّ عقد

(۱) و توفّی عبد المطّلب و لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله ثمانی سنین و لعبد المطّلب مائه و عشرون سنه و قیل: مائه و أربعون سنه، و أعظمت قریش موته، و غسّل بالماء و السّدر و کانت قریش أوّل من غسل الموتی بالسّدر، و لفّ فی حلّتین من حلل الیمن قیمتهما ألف مثقال ذهب و طرح علیه المسک حتّی ستره، و حمل علی أیدی الرّجال عدّه أیّام إعظاما و إکراما و إکبارا لتغییبه فی التّراب و روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله أنّه قال: إنّ اللّه یبعث جدّی عبد المطّلب امّه واحده فی هیئه الأنبیاء و زیّ الملوک.

أقول: قوله رضوان اللّه علیه: «فارقه و هو ضجیع المهد» ینافی ما نقلنا آنفا من ابن هشام من أنّ عبد اللّه أبا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله مات و قد کانت أمّ رسول اللّه حاملا به، فقد تنوزع فی ذلک فمنهم من قال: انّه مات قبل مولد النبیّ صلّی اللّه علیه و اله، و منهم من قال: إنّه مات بعد مولده بشهر و قیل: بشهرین، و منهم من قال: انّه مات بعد مولده بسنه، و قیل: إنّه مات فی السّنه الثانیه من مولده، و قیل: بل مات عبد اللّه و رسول اللّه ابن ثمان و عشرین شهرا.

و قال الطبرسیّ فی تفسیر سوره و الضّحی من المجمع: کان النبیّ صلّی اللّه علیه و اله مات أبوه و هو ابن سنتین، و قال الکلینیّ فی باب تاریخ مولد النبیّ و وفاته صلّی اللّه علیه و اله:

۱- (۱) و اسند الی عبد المطلب هذان البیتان أیضا:وصیت من کنیته بطالبعبد مناف و هو ذو تجاربیابن الحبیب الاکرم الاقاربیابن الـذی قـد غاب غیر آئب فهـذه الوصیه و التی فی المتن تدلان علی أن أبا طالب کان سـمی جده عبد مناف و أن أبا طالب کان کنیه له، و فی السادس من البحار: أبو طالب اسمه عبد مناف و قیل اسمه عمران و یؤید الاول وصیه عبد المطلب بقوله: اوصیک یـا عبـد مناف بعدی، و الثانی ما عن بعض النسـخ فی زیاره النبی صـلّی اللّه علیه و آله من بعیـد السـلام علی عمک عمران أبی طالب - منه.

و توفّى أبوه عبد اللّه بن عبد المطّلب بالمدينه عند أخواله و هو ابن شهرين، و ظاهر الحديث الّذى رواه الصدوق فى المجلس الخامس و الأربعين من أماليه (ص ١٥٨) عن ابن عبّاس أنّه مات قبل مولده حيث قال: فلمّا مات عبد اللّه و ولدت آمنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أتيته - إلخ.

أكثر العلماء من الفريقين على أنّ عبد اللّه مات بعد مولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، و قال اليعقوبىّ فى التاريخ: توفّى عبد اللّه بن عبد المطّلب أبو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله - على ما روى جعفر بن محمّد - بعد شهرين من مولده، قال: و قال بعضهم: إنّه توفّى قبل أن يولد و هذا غير صحيح لأنّ الإجماع على أنّه توفّى بعد مولده، انتهى، فقول الكلينىّ و من سلك مسلكه متّخذ من الحديث المروى عن الإمام الصّادق عليه السّلام.

ثمّ إنّ ما نقل اليعقوبىّ عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فى جدّه عبد المطّلب توافقه عدّه روايات فى الكافى و أتى بها الفيض رحمه اللّه فى باب ما جاء فى عبد المطلب و أبى طالب رضى اللّه عنهما من الوافى (ص ١٥٨ ج ٢) ففى الكافى بإسناده إلى زراره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يحشر عبد المطّلب يوم القيامه امّه وحده عليه سيماء الأنبياء و هيبه الملوك.

و فيه بإسناده عن مقرن، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبدا يبعث يوم القيامه أمّه وحده عليه بهاء الملوك و سيماء الأنبياء، و غيرهما من روايات اخرى.

و ما نقل ابن هشام فى السيره من أنّه يوضع لعبد المطّلب فراش فى ظلّ الكعبه - إلخ، توافقه روايه فى الكافى بهذا المضمون نقلها الفيض فى ذلك الباب من الوافى أيضا: روى الكلينىّ بإسناده إلى رفاعه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان عبد المطّلب يفرش له بفناء الكعبه لا يفرش لأحد غيره و كان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنى منه فجاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و هو طفل يدرج حتّى جلس على فخذيه فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه، فقال له عبد المطّلب: دع ابنى فإنّ الملك قد أتاه، (الوافى ص ١٥٩ ج ٢).

و أمّا هاشم: ففى السيره لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق (ص ۱۳۵ ج ۱) ولى الرّفاده و السقايه - يعنى بعد أن توفّى أبوه عبد مناف - و ذلك أنّ عبد شمس كان رجلا سفارا، قلّما يقيم بمكّه و كان مقلّا ذا ولد (كان لعبد مناف بنون خمسه و هم: عبد شمس، و هاشم، و المطّلب، و نوفل، و أبو عمرو عبيد) و كان هاشم موسرا، فكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحاج قام فى قريش فقال: «يا معشر قريش إنّكم جيران اللّه و أهل بيته؛ و إنّه يأتيكم فى هذا الموسم زوّار اللّه و حجّاج بيته و هم ضيف اللّه، و أحقّ الضّيف بالكرامه ضيفه؛ فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيّامهم هذه الّتى لا بدّ لهم من الإقامه بها فإنّه و اللّه لو كان مالى يسع لذلك ما كلّفتكموه» فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم، كلّ امرىء بقدر ما عنده فيصنع به للحجّاج طعاما حتّى يصدروا منها.

قال: و كان هاشم فيما يزعمون أوّل من سنّ الرّحلتين لقريش رحلتى الشتاء و الصيف، و أوّل من أطعم الثريد بمكّه، و إنّما كان اسمه عمرا، فما سمّى هاشما إلاّ بهشمه الخبز بمكّه لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب (قيل هو عبد اللّه بن الزّبعرى، و قيل هو مطرود بن كعب):

عمرو الّذى هشم الثريد لقومه قوم بمكّه مسنتين عجاف

سنّت إليه الرّحلتان كلاهما سفر الشتاء و رحله الأصياف

المسنتون: الّذين أصابتهم السّنه، و هى الجوع و القحط و الجدب، و العجاف جمع عجف من العجف بمعنى الضعف و الهزال.

ثمّ توفّى هاشم بغزّه من أرض الشام تاجرا فولى السقايه و الرّفاده من بعده المطّلب بن عبد مناف و كان أصغر من عبد شمس و هاشم و كان ذا شرف فى قومه و فضل و كانت قريش إنّما تسمّيه الفيض لسماحته و فضله.

و ذكر أكثر ممّا نقلناه عن ابن هشام اليعقوبى فى التاريخ (ص ۲۰۲ ج ۱) فراجع، قال: و يقال: إنّ هاشما و عبد شمس كانا توأمين فخرج هاشم و تلاه عبد شمس و عقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى فقيل: ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع

ما لم یکن بین أحد.

و أمّا بنو امیّه فالتاریخ أصدق شاهد على أنّهم لم یکونوا إلاّ فی صدد إثاره فتنه، و إناره حرب، و أنّ شیمتهم کانت الخیلاء، و البخل، و النفاق، و أنّ دأبهم کان الإستیلاء على النّاس و السلطان علیهم ظلما و جورا، و أنّ بینهم و بین بنی هاشم فی السّجایا الإنسانیّه بونا بعیدا.

و إنّی کلّما طلبتهم فی کتب التواریخ و المغازی و السّیر فما وجدتهم إلاّ أفظاظاً غلاظ القلوب و قساتها، و ما رأیت أمانیّهم إلاّ أن تکونوا جبابره ملوکا.

و هذا هو أبو سفیان کان صخرا، و قد حارب رسول اللّه صلّى اللّه علیه و اله و کان سببا لإثاره وقعه بدر کما تقدّم عن الیعقوبیّ فی شرح المختار التاسع من باب الکتب (ص ۳۶۹ ج ۱۷) ففی السیره النبویّه لابن هشام (ص ۶۷۱ ج ۱): قال ابن إسحاق: ثمّ قال اللّه عزّ و جلّ: «إنّ الّذین کفروا ینفقون أموالهم لیصدّوا عن سبیل اللّه - إلى قوله: إلى جهنّم یحشرون» یعنی النفر الّذین مشوا إلى أبی سفیان و إلى من کان له مال من قریش فی تلک التجاره فسألوهم أن یقوّوهم بها على حرب رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله ففعلوا.

و قال ابن الأثیر فی اسد الغابه ناقلا عن أبی أحمد العسکریّ: هو الّذی قاد قریشا کلّها یوم احد و لم یقدمها قبل ذلک رجل واحد إلاّ یوم ذات نکیف قادها المطّلب.

و قال الیعقوبیّ فی التاریخ: کانت وقعه احد فی شوّال بعد بدر بسنه، اجتمعت قریش و استعدّت لطلب ثارها یوم بدر و استعانت بالمال الّذی قدّم به أبو سفیان و قالوا: لا تنفقوا منه شیئا إلاّ فی حرب محمّد إلى أن قال :-

و خرج المشرکون و عدّتهم ثلاثه آلاف و رئیسهم أبو سفیان بن حرب، و خرج رسول اللّه صلّى اللّه علیه و اله و خرج المسلمون و عدّتهم ألف رجل حتّى صاروا إلى احد، و وافى المشرکون فاقتتلوا قتالا شدیدا فقتل حمزه بن عبد المطّلب أسد اللّه و أسد رسوله رماه وحشی و مثلت به هند بنت عتبه (و هند کانت زوج أبی سفیان) و شقت عن کبده فأخذت منها قطعه فلاکتها و جدعت أنفه فجزع علیه رسول اللّه صلّى اللّه علیه و اله جزعا شدیدا

و قال: لن أصاب بمثلك - إلخ.

و كان أبو سفيان يحرّض قريشا على القتال، و قال ابن إسحاق: و قد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدّار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بنى عبد الدّار إنّكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم و إنّما يؤتى النّاس من قبل راياتهم إذا زالت زالو، فإمّا أن تكفونا لواءنا و إمّا أن تخلّوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهمّوا به و تواعدوه و قالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع! و ذلك أراد أبو سفيان.

و كانت زوجه هند و النسوه اللاّتى معها يحرّضن الكفّار على القتال فإنّه لمّا التقى النّاس و دنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبه فى النسوه اللاّتى معها و أخذن الدفوف يضربن بها خلف الرّجال و يحرّضنهم فقالت هند فيما تقول:

ويها بنى عبد الدّار ويها حماه الأدبار

ضربا بكلّ بتّار

و تمثّلت بأبيات قالتها هند بنت طارق بن بياضه الإياديه فى حرب الفرس لإياد:

إن تقبلوا نعانق و نفرش النّمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

و كان أبو سفيان يشمت بالمسلمين بعد احد، كما قال ابن عبّاس و عكرمه لمّا اصيب المسلمين ما أصابهم يوم احد و صعد النبيّ صلّى اللّه عليه و اله الجبل جاء أبو سفيان فقال: يا محمّد لنا يوم و لكم يوم، فقال صلّى اللّه عليه و اله: أجيبوه فقال المسلمون: لا سواء قتلانا فى الجنّه و قتلاكم فى النّار، فقال أبو سفيان: لنا عزّى و لا عزّى لكم؛ فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و اله: قولوا: اللّه مولانا و لا مولى لكم، فقال أبو سفيان: اعل هبل؛ فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و اله: قولوا: اللّه أعلى و أجل، و ذكر قريبا منه ابن هشام فى السيره (ص ٩٣ ج ٢).

و كان دأب معاويه و شيمته أيضا كذلك إلى أن أسلم بحسب الظاهر إمّا رغبه و إمّا رهبه فى يوم فتح مكّه و بعد ما أسلم ظاهرا قد سفك دماء المسلمين و أفرط فيه فقد

قال المسعودی فی مروج الذّهب (ص ۶۶ ج ۲): و قد کان بسر بن أرطاه العامری (کان بسر منصوبا من قبل معاویه، علی سفک الدّماء) قتل بالمدینه و بین المسجدین خلقا کثیرا من خزاعه و غیرهم، و کذلک بالجرف قتل بها خلقا کثیرا من رجال همذان، و قتل بصنعاء خلقا کثیرا من الأبناء؛ و لم یبلغه عن أحد أنّه یمالیء علیّا أو یهواه إلّا قتله.

و نقل ما اصیب منه المسلمون یطول به الکتاب و ینجرّ إلی الإسهاب، و نکتفی بنقل کتاب کتبه محمّد بن أبی بکر إلی معاویه ذکر فیه علیا و أباه، و معاویه و أباه بما تراه، قال المسعودیّ فی مروج الذّهب (ص ۵۹ ج ۲): لمّا صرف علیّ علیه السّلام قیس بن سعد بن عباده عن مصر وجّه مکانه محمّد بن أبی بکر فلما وصل إلیها کتب إلی معاویه کتابا فیه:

من محمّد بن أبی بکر إلی الغاوی معاویه بن صخر: أمّا بعد فإنّ اللّه بعظمته و سلطانه خلق خلقه بلا عبث منه و لا ضعف فی قوّته و لا حاجه به إلی خلقهم لکنّه خلقهم عبیدا و جعل منهم غویّا و رشیدا و شقیّا و سعیدا ثمّ اختار علی علم و اصطفی و انتخب منهم محمّدا صلّی اللّه علیه و اله فانتخبه لعلمه و اصطفاه لرسالته و ائتمنه علی وحیه و بعثه رسولا و مبشّرا و نذیرا فکان أوّل من أجاب و أناب و آمن و صدق و أسلم و سلم أخوه و ابن عمّه علیّ بن أبی طالب صدّقه بالغیب المکتوم و آثره علی کلّ حمیم و وقاه بنفسه کلّ هول و حارب حربه و سالم سلمه فلم یبرح مبتذلا لنفسه فی ساعات اللّیل و النّهار و الخوف و الجوع و الخضوع حتّی برز سابقا لا نظیر له فیمن اتّبعه و لا مقارب له فی فعله و قد رأیتک تسامیه و أنت أنت و هو هو أصدق النّاس نیّه، و أفضل النّاس ذرّیه، و خیر النّاس زوجه و أفضل النّاس ابن عمّ أخوه الشاری بنفسه یوم موته، و عمّه سیّد الشهداء یوم احد، و أبوه الذّابّ عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و عن حوزته؛ و أنت اللّعین ابن اللّعین لم تزل أنت و أبوک تبغیان لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله الغوائل، و تجهدان فی إطفاء نور اللّه، تجمعان علی ذلک الجموع، و تبذلان فیه المال، و تؤلّبان علیه القبائل؛ علی ذلک مات أبوک و علیه خلفته؛ و الشهید علیک من تدنی و یلجأ إلیک من بقیّه

الأحزاب و رؤساء النفاق؛ و الشاهد لعليّ مع فضله المبين القديم أنصاره الّذين معه الّذين ذكرهم اللّه بفضلهم، و أثنى عليهم من المهاجرين و الأنصار و هم معه كتائب و عصائب يرون الحقّ فى اتّباعه و الشّقاء فى خلافه؛ فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعليّ و هو وارث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و وصيّه و أبو ولده، أوّل النّاس له اتّباعا و أقربهم به عهدا، يخبره بسرّه و يطلعه على أمره، و أنت عدوّه و ابن عدوّه فتمتّع فى دنياك ما استطعت بباطلك، و ليمددك ابن العاص فى غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى و كيدك قد و هى، ثمّ يتبيّن لك لمن تكون العاقبه العليا، و اعلم أنّك أنّما تكايد ربّك الّذى آمنك كيده و يئست من روحه فهو لك بالمرصاد و أنت منه فى غرور و السلام على من اتّبع الهدى.

فأجابه معاويه فى كتاب أرسله إليه بما خلاصته: فقد كنّا و أبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب و حقّه لازما لنا مبرورا علينا فلمّا قبض اللّه نبيّه كان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، و خالفه على أمره على ذلك اتّفقا و اتّسقا، و لو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبى طالب و لسلمنا إليه و لكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع و السلام على من أناب.

و أتى بتفصيله المسعوديّ فى مروج الذّهب فراجع، فأين أبو سفيان الضّارى بدماء النبيّ صلّى اللّه عليه و اله و المسلمين، و أبو طالب الّذى كان كافل الرّسول و حاميه و ذابّا عنه و عن المسلمين.

و أين زوجه هند آكله الأكباد، و امرأه أبى طالب فاطمه بنت أسد بن هاشم ربّت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، و قال اليعقوبى فى التاريخ (ص ۱۰ ج ۲) و يروى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله لما توفيت (يعنى فاطمه بنت أسد) و كانت مسلمه فاضله - أنّه قال: اليوم ماتت امّى، و كفّنها بقميصه، و نزل على قبرها، و اضطجع فى لحدها؛ فقيل له يا رسول اللّه لقد اشتدّ جزعك على فاطمه؛ قال: إنّها كانت امّى إذا كانت لتجيع صبيانها و تشبعنى، و تشعثهم و تدهننى و كانت امّى.

و بنو هاشم هم الّذين كان النبيّ من بيتهم و هو صلّى اللّه عليه و اله ربّى فى حجرهم و ما بعث اللّه نبيّا إلاّ فى منعه من قومه ففى المقدّمه السادسه من مقدّمه ابن خلدون (ص ۹۱ طبع مصر): إنّ اللّه سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فضّلهم بخطابه و فطرهم على معرفته و جعلهم وسائل بينهم و بين عباده يعرّفونهم بمصالحهم و يحرّضونهم على هدايتهم - ثمّ أخذ فى بيان علامات هذا الصّنف من البشر فقال: و من علاماتهم أيضا أن يكونوا ذوى حسب فى قومهم، و فى الصحيح ما بعث اللّه نبيّا إلاّ فى منعه من قومه و فى روايه اخرى فى تروه من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين، و فى مسئله هر قل لأبى سفيان كما هو فى الصحيح قال: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب؛ فقال هرقل: و الرّسل تبعث فى أحساب قومها، و معناه أن تكون له عصبه و شوكه تمنعه عن أذى الكفّار حتّى يبلغ رساله ربّه و يتمّ مراد اللّه من إكمال دينه و ملّته.

و كلام ابن خلدون هذا قد عنون فى الكتب الكلاميّه أيضا، ثمّ إنّ المهدىّ الموعود ظهوره و قيامه من أهل بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فهو من بنى هاشم كما أنّ آباءه الكرام البرره عليهم السّلام من ذلک البيت.

و قد قاتل أبو سفيان بن حرب الأموى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و فعل ما فعل.

و ابنه معاويه قاتل خليفه الرّسول عليّا المرتضى، و قتل بالسمّ ريحانه الرسول الحسن المجتبى.

و زوجه هند كانت تحرّض المشركين على قتال المسلمين و قتلهم و قد مثلت أسد اللّه و أسد رسوله حمزه و أكلت أكباد أودّاء اللّه.

و ابن معاويه يزيد قتل سيّد شباب أهل الجنّه ريحانه رسول اللّه الحسين بن فاطمه و أصحابه أنصار اللّه بكربلاء، و قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء (ص ۳۰۷ طبع مصر): و فى قتله قصّه فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون. انتهى.

و بعد قتله فعل بمدينه الرّسول ما فعل فقد قال السيوطى فى التاريخ المذكور

و فی سنه ثلاث و ستّین بلغه (یعنی یزید بن معاویه) أنّ أهل المدینه خرجوا علیه و خلعوه فأرسل إلیهم جیشا کثیفا و أمرهم بقتالهم ثمّ المسیر إلی مکّه لقتال ابن الزبیر فجاءوا و کانت وقعه الحرّه علی باب طیبه، و ما أدراک ما وقعه الحرّه؟ ذکرها الحسن مرّه فقال: و اللّه ما کاد ینجو منهم أحد قتل فیها خلق من الصحابه رضی اللّه عنهم و من غیرهم، و نهبت المدینه و افتضّ فیها ألف عذراء فإنّا للّه و إنّا إلیه راجعون؛ قال:

قال صلّی اللّه علیه و اله: «من أخاف أهل المدینه أخافه اللّه، و علیه لعنه اللّه و الملائکه و الناس أجمعین» و کان سبب خلع أهل المدینه له أنّ یزید أسرف فی المعاصی.

و قال عبد اللّه حنظله الغسیل: و اللّه ما خرجنا علی یزید حتّی خفنا أن نرمی بالحجاره من السماء إنّه رجل ینکح امّهات الأولاد و البنات، و الأخوات، و یشرب الخمر، و یدع الصلاه.

قال: قال الذّهبیّ: و لما فعل یزید بأهل المدینه ما فعل مع شرب الخمر و اتیانه المنکر اشتدّ علیه النّاس و خرج علیه غیر واحد و لم یبارک اللّه فی عمره و سار جیش الحره إلی مکّه لقتال ابن الزبیر و أتوا مکّه فحاصروه و قاتلوه و رموه بالمنجنیق و احترقت من شراره نیرانهم أستار الکعبه و سقفها - إلی آخر ما نقل فراجع إلی الکتاب.

و الدّجال الّذی یقاتل المهدیّ المنتظر علیه السّلام الهاشمیّ سفیانیّ أیضا ففی معانی الأخبار للصدوق رحمه اللّه عن الصّادق علیه السّلام: قال: إنا و آل أبی سفیان أهل بیتین تعادینا فی اللّه: قلنا صدق اللّه و قالوا کذب اللّه، قاتل أبو سفیان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و قاتل معاویه علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و قاتل یزید بن معاویه الحسین بن علیّ علیه السّلام و السفیانیّ یقاتل القائم، رواه المجلسی فی البحار (ج ۸ ص ۵۶۰ من الطبع الکمبانی).

و هذه أنموذجه من شیم بنی امیّه، و تلک نبذه من خلال بنی هاشم و خلقهم العظیم.

ثمّ إنّ الفاضل الشارح المعتزلی قال: کان الترتیب یقتضی أن یجعل هاشما

بإزاء عبد شمس لأنّه أخوه فى قعدد و كلاهما ولد عبد مناف لصلبه، و أن يكون اميّه بإزاء عبد المطّلب، و أن يكون حرب بإزاء أبى طالب، و أن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السّلام لأن كلّ واحد من هؤلاء فى قعدد صاحبه إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا كان فى صفّين بازاء معاويه اضطرّ إلى أن جعل هاشم بإزاء اميّه بن عبد شمس. انتهى.

أقول: أوّلا إنّ سلسلتى نسب أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و معاويه إلى عبد مناف ليستا متكافئتين حتّى يجعل كلّ واحد من هذه السلسله فى قعدد صاحبه من السلسله الاخرى فإنّها فى معاويه تجاوز حلقه فعلىّ عليه السّلام ينتهى إلى عبد مناف بثلاثه آباء و معاويه ينتسب إليه ظاهرا باباء أربعه.

و ثانيا إنّ الأمير عليه السّلام جعل نفسه بازاء معاويه، و أباه أبا طالب بإزاء أبيه أبى سفيان، و جدّه عبد المطّلب بإزاء جدّه حرب، و أبا جدّه هاشم بإزاء أبى جدّه اميّه فلا يخفى حسن صنيعته عليه السّلام.

و ثالثا إنّ فى صنيعته هذه اشاره لطيفه دقيقه إلى عدم انتهاء نسب الخصم إلى عبد مناف، أى عدم كونه من صميم قريش فتبصّر.

و رابعا إنّ الأمير عليه السّلام كان فى بيان فضل أولاد عبد مناف الّذين كانوا آباءه عليهم السّلام شرافه و كرامه و مجدا على أولاده الّذين كان معاويه ينتسب بهم إليه و ليس للتنظير مزيد اهتمام فى المقام.

و خامسا إنّ فى ما فعل الأمير عليه السّلام من جعل اميّه بازاء هاشم، و حرب بازاء عبد المطّلب، و أبى سفيان بازاء أبى طالب نكته تاريخيّه أوجبت تنظير كلّ واحد من الثلاثه قبال صاحبه و قد غفل الشارح المذكور عنها و هى أنّ هاشما بعد أبيه عبد مناف لمّا ولى ما كان إليه من السّقايه و الرّفاده و ساد قومه حسده أميّه ابن أخيه عبد شمس بن عبد مناف فتكلّف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيّرته قريش و قالوا له: أتتشبّه بهاشم؟ ثمّ دعا هاشما للمنافره فأبى هاشم ذلك لسنّه و علوّ قدره فلم تدعه قريش؛ فقال هاشم لاميّه: انا فرك على خمسين ناقه سود الحدق تنحر

بمكّه، و الجلاء عن مكّه عشر سنين، فرضى اميّه بذلك و جعلا بينهما الكاهن الخزاعى و كان بعسفان فخرج كلّ منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم: و القمر الباهر، و الكوكب الزّاهر، و الغمام الماطر، و ما بالجوّ من طائر، و ما اهتدى بعلم مسافر، من منجد و غائر، لقد سبق هاشم اميّه إلى المفاخر فنصر هاشم على اميّه فعاد هاشم إلى مكّه و نحر الإبل و أطعم النّاس و خرج اميّه إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوه وقعت بين هاشم و اميّه و توارث ذلك بنوهما.

فقد أشار علىّ عليه السّلام بقوله:«و لكن ليس اميّه كهاشم» إلى هذا التنظير، و قد نقلنا هذه النكته التاريخيّه من انسان العيون فى سيره الأمين و المأمون المعروف بالسيره الحلبيّه (ص ۵ ج ۱ طبع مصر) و قد نقل قريبا منه أبو جعفر الطبرىّ فى التاريخ، و ابن الأثير فى الكامل.

و أمّا ما أوجبت التنظير بين عبد المطّلب و حرب فهى أنّ حربا كان نديم عبد المطّلب فى الجاهليه و كان فى جوار عبد المطّلب يهودىّ فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامه فأغرى عليه حرب من قتله؛ فلمّا علم عبد المطّلب بذلك ترك منادمه حرب و لم يفارقه حتّى أخذ منه مائه ناقه دفعها لابن عمّ اليهودى ثمّ نادم عبد اللّه بن جدعان التميمى.

هذا ما نقلنا عن السيره النبويّه لأحمد زينى دحلان (هامش السيره الحلبيه ص ۲۲ ج ۱) و تفصيل ذلك ما أتى به أبو جعفر الطبرى فى التاريخ و ابن الأثير فى الكامل من أنّ عبد المطّلب كان له جار يهودىّ يقال له: اذينه يتّجر و له مال كثير فغاظ ذلك حرب بن اميّه، و كان نديم عبد المطّلب فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه و يأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدّار، و صخر بن عمرو بن كعب التيمىّ جدّ أبى بكر؛ و لم يعرف عبد المطّلب قاتله فلم يزل يبحث حتّى عرفهما و إذا هما قد استجارا بحرب بن اميّه، فأتى حربا و لامّه، و طلبهما منه فأخفاهما

فتغالظا فی القول حتّی تنافرا إلی النجاشی ملک الحبشه فأبی أن ینفر بینهما فجعلا بینهما نفیل بن عبد العزّی بن ریاح، فقال لحرب:

یا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منک قائمه، و أعظم منک هامه، و أوسم منک و سامه، و أقلّ منک ملامه، و أکثر منک ولدا، و أجزل صفدا، و أطول منک مذودا؟ و إنّی لأقول هذا و إنّک لبعید الغضب، رفیع الصوت فی العرب، جلد المریره، جلیل العشیره، و لکنّک نافرت منفرا.

فغضب حرب و قال: إنّ من انتکاس الزّمان أن جعلت حکما؛ فترک عبد المطّلب منادمه حرب، و نادم عبد اللّه بن جدعان و أخذ من حرب مائه ناقه فدفعها إلی ابن عمّ الیهودی، و ارتجع ماله إلّا شیئا هلک فغرمه من ماله.

ثمّ قال زینی دحلان: و یروی أنّ حربا کان لا یلتقی من أحد من رؤساء قریش أو غیرهم فی؟؟ عقبه؟؟ أو مضیق إلّا تأخّروا و تقدّم هو، و لا یستطیع أحد أن یتقدّم علیه فالتقی حرب مع رجل من بنی تمیم فی عقبه فتقدّمه التمیمی، فقال حرب: أنا حرب بن امیّه فلم یلتفت إلیه التمیمی و مرّ قبله فقال حرب: موعدک مکّه فبقی التّمیمی دهرا ثمّ أراد دخول مکّه فقال: من یجیرنی من حرب بن امیّه؟ فقیل له: عبد المطّلب بن هاشم فأتی التّمیمی لیلا دار الزّبیر بن عبد المطّلب فدقّ الباب فقال الزّبیر لأخیه الغیداق: قد جاءنا رجل إمّا مستجیر أو طالب حاجه أو طالب قری و قد أعطیناه ما أراد فخرج الزّبیر فأنشد الرّجل:

لاقیت حربا فی الثنیّه مقبلا و الصبح أبلج ضوءه للباری

فدعا بصوت و اکتنی لیروعنی و دعا بدعوته یرید فخاری

فترکته کالکلب ینبح وحده و أتیت أهل معالم و فخار

لیثا هزبرا یستجار بقربه رحب المنازل مکرما للجار

و لقد حلفت بمکّه و بزمزم و البیت ذی الأحجار و الأستار

إنّ الزّبیر لما نعی من خوفه ما کبّر الحجّاج فی الأمصار

ص:۲۷۳

فقال الزّبير للتميمى: تقدّم فإنّا لا نتقدّم على من نجيره فتقدّم التميمى و دخل المسجد فرآه حرب فقام إليه فلطمه فعدا عليه الزّبير بالسّيف فعدا حرب حتّى دخل دار عبد المطّلب فقال: أجرنى من الزّبير فأكفأ عليه جفنه كان أبوه هاشم يطعم النّاس فيها فبقى تحتها ساعه ثمّ قال له عبد المطّلب: اخرج، فقال: كيف اخرج و سبعه من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه عبد المطّلب رداءه فخرج عليهم فعلموا أنّه أجاره فتفرّقوا.

و إلى هذه القصّه أشار ابن عبّاس رضى اللّه عنهما حين دخل على معاويه فى أيّام خلافته و عنده وفود العرب فذكره كلاما فيه افتخار و ذكر فى كلامه حرب بن اميّه فقال له ابن عبّاس: فمن أكفأ عليه إناء و أجاره بردائه؟ فسكت معاويه.

و أمّا التنظير بين أبى طالب و أبى سفيان فظاهر ممّا قدّمنا سالفا من حمايه أبى طالب رضوان اللّه عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و المسلمين و ذبّه عن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و حسن تدبيره فى دفع كياد القوم عنه، و آنفا من ايذاء أبى سفيان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و المسلمين و بغيه لهم و تأليبه عليهم القبائل و جهده فى إطفاء نور اللّه و ولعه فى سفك الدّماء.

ثمّ بما بيّنا من وجه التنظير علم أيضا أنّ بنى هاشم كانوا يؤمنون الخائفين و يؤدّون الحقوق، و كان دارهم مأمن النّاس و أنّ بنى اميّه كانوا على خلافهم.

قال عليه السّلام:«و لا المهاجر كالطليق، و لا الصّريح كاللّصيق، و لا المحقّ كالمبطل، و لا المؤمن كالمدغل» بعد ما بيّن ما كانت طاريه عليهما من جهه آبائهما أخذ بذكر الصّفات النفسانيه، فقال: و لا المهاجر كالطّليق يعنى بالمهاجر نفسه و بالطليق معاويه و قد علمت فى شرح المختار الرّابع و الثلاثين و المأتين من باب الخطب و هو قوله عليه السّلام: فجعلت أتبع مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله - إلخ (ص ١٢۶ ج ١۵) أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله لمّا فجاءه من الكفّار ما أحوجه إلى الخروج من مكّه استخلف عليّا فى ردّ الودائع إلى أربابها و قضاء ما كان عليه من دين لمستحقيه و جمع بناته و نساء أهله و أزواجه و الهجره بهم إليه فقام علىّ عليه السّلام به أحسن القيام و بات على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و وقاه بنفسه ثمّ ردّ كلّ وديعه إلى أهلها و أعطى كلّ ذى

حقّ حقّه و حفظ بنات رسول اللّه و حرمه و هاجر بهم ماشيا على قدميه يحوطهم من الأعداء و يكلأهم من الخصماء و يرفق بهم فى المسير حتّى أوردهم عليه صلّى اللّه عليه و اله المدينه على أتمّ صيانه و حراسه و رفق و رأفه و حسن تدبير.

و كان معاويه و أبوه فى زمان مهاجره الرّسول و الوصىّ عليهما السّلام مشركين و قد أسلما يوم فتح مكّه إمّا رغبه و إمّا رهبه و لما ظهر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على أهل مكّه قال لهم:

فاذهبوا و أنتم الطلقاء فمعاويه طليق بن طليق، و سيأتى ذكر فتحها عن قريب.

قوله عليه السّلام:«و لا الصّريح كاللّصيق» يعنى بالصّريح نفسه و باللّصيق معاويه و قد علم فى بيان لغه الكتاب أن الصّريح بمعنى خالص النسب، و اللصيق بمعنى الدعىّ فى قوم، الملصق بهم و ليس منهم.

قال الفاضل الشارح المعتزلى: إن قلت: ما معنى قوله: و لا الصّريح كاللّصيق و هل كان فى نسب معاويه شبهه ليقول له هذا؟ قلت: كلّا إنّه لم يقصد ذلك و إنّما أراد الصّريح بالإسلام و اللّصيق فى الإسلام فالصّريح فيه هو من أسلم اعتقادا و إخلاصا، و اللّصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبه فى الدّنيا و قد صرّح بذلك فقال: كنتم ممّن دخل فى هذا الّذين إمّا رغبه و إمّا رهبه. انتهى.

أقول: لو كان شرح عباره مبنياً على الرأى من دون دلاله سبكها و اسلوبها عليه، أو لم يكن له شاهد من خارج لجاز أن تفسّر على آراء كثيره قائله خارجه عن حيطه المراد قطعا.

ثمّ يقال له: ما اقتضى عدولك عن ظاهر اللّفظ و ارتكابك على هذا التكلّف؟ و لم لا يجوز أن يكون معاويه ملصقا بقريش و مع ذلك كان ممّن دخل فى الدّين إمّا رغبه أو رهبه، حتّى لا تحمل العبارتان على معنى واحد؟ فإن قلت: إذا كان اللّصيق بهذا المعنى أى إنّه لم يكن من قريش فلم قال الأمير عليه السّلام:«و أمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن» و لم يردّه فى ادّعائه هذا بأنّه ليس من بنى عبد مناف، بل أمضاه و أثبته بقوله فكذلك نحن؟ قلت: أوّلا إنّه عليه السّلام على نسخه نصر لم يمضه و لم يعترف بأنّ معاويه من

بنی عبد مناف بل قال: و أمّا قولک: «إنّا بنو عبد مناف لیس لبعضنا علی بعض فضل» «فلعمری إنّا بنو أب واحد» و لا یخفی علیک أنّ الکافر و المسلم من أب واحد آدم علیه السّلام.

و ثانیا هب أنّه قال: فکذلک نحن، و لکن لا ـ ضیر فی أن یکون کلامه هذا مبنیاّ علی المماشاه و فرض التسلیم أی سلّمنا أنّ نسبک ینتهی إلی عبد مناف و لکنّ بین آبائی و آبائک إلی عبد مناف فی الشرافه و الجلاله فرقا فاحشا ثمّ نفی نسبه إلیه بقوله: و لیس الصریح کاللّصیق، و هذا الدّأب فی المحاورات لیس بعزیز.

و قال سیّنا عماد الدّین الحسن بن علیّ بن محمّد بن الحسن الطبریّ فی الفصل الأوّل من الباب الخامس و العشرین من کتابه کامل السقیفه المشتهر بالکامل البهائی (ص ۱۶۱ ج ۲ طبع دار العلم قم) و کذا قال صاحب إلزام النواصب: إنّ بنی امیّه لیسوا بصحیحی النسب إلی عبد مناف، و نقل قولهما المجلسی فی المجلّد الثامن من البحار (ص ۳۸۳ من الطبع الکمبانی) قال:

قال صاحب الکامل البهائی: إنّ امیّه کان غلاما رومیا لعبد الشمس فلمّا ألفاه کیّسا فطنا أعتقه و تبنّاه فقیل امیّه بن عبد الشمس کما کانوا یقولون قبل نزول الایه: زید بن محمّد، و لذا روی عن الصّادقین علیهما السّلام فی قوله تعالی: «الم غُلِبَتِ الرُّومُ » انّهم بنو امیّه، و من هنا یظهر نسب عثمان و معاویه و حسبهما و أنّهما لا یصلحان للخلافه لقوله صلّی اللّه علیه و اله: الأئمّه من قریش.

و قال مؤلّف کتاب إلزام النّواصب: امیّه لم یکن من صلب عبد الشمس و إنّما هو من الرّوم فاستلحقه عبد الشمس فنسب إلیه فبنو امیّه لیسوا من صمیم قریش و إنّما هم یلحقون بهم و یصدق ذلک قول أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّ بنی امیّه لصاق و لیسوا صحیحی النسب إلی عبد مناف و لم یستطع معاویه انکار ذلک. انتهی.

أقول: قوله قبل نزول الایه اشاره إلی قوله تعالی فی سوره الأحزاب:

«فَلَمّا قَضی زَیْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناکَها » - إلی قوله عزّ و جلّ: «ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ »

و روایه الصادقین قد رواها الشیخ الجلیل أبو الفتح الکراجکی معاصر الشریف الرّضی فی کنز الفوائد، و قد روی عن غیرهما من أئمّتنا علیهم السّلام أیضا أتی بها المجلسی فی ثامن البحار (ص ۳۷۹) روی الکراجکیّ قدّس سرّه عن محمّد بن العبّاس، عن ابن عقده، عن الحسن بن القاسم، عن علیّ بن إبراهیم بن المعلّی، عن فضیل بن إسحاق، عن یعقوب بن شعیب، عن عمران بن میثم، عن عبایه، عن علیّ علیه السّلام قال:

قوله عزّ و جلّ: «الم غُلِبَتِ الرُّومُ » هی فینا و فی بنی امیّه.

و روی عن محمّد بن العباس، عن الحسن بن محمّد بن جمهور العمیّ، عن أبیه، عن جعفر بن بشیر، عن ابن مسکان، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن تفسیر «الم غُلِبَتِ الرُّومُ » قال: هم بنو امیّه و إنّما أنزلها اللّه الم غلبت الرّوم بنو امیّه فی أدنی الأرض و هم من بعد غلبهم سیغلبون فی بضع سنین للّه الأمر من قبل و من بعد و یومئذ یفرح المؤمنون بنصر اللّه عند قیام القائم.

و اعلم أنّ الرّوایتین تشیران إلی بطن من بطون الایه و لیس المراد من قوله انّما أنزلها الم غلبت الرّوم بنو امیّه و قوله یفرح المؤمنون بنصر اللّه عند قیام القائم أنّ الایه نزلت هکذا أوّلا ثمّ حرّفت و صحّفت؛ و ذلک لما علمت من شرحنا علی المختار الأوّل من باب الکتب و الرّسائل أنّ القرآن الّذی فی أیدی النّاس الیوم هو جمیع ما أنزله اللّه تعالی علی رسوله و ما تطّرق إلیه زیاده و نقصان فراجع إلی ص ۲۴۹-۲۹۵ من المجلّد السادس عشر.

قال علیه السّلام:«و لا المحقّ کالمبطل» أی لیس ذاک کهذا، و یعنی بالمحقّ نفسه و بالمبطل معاویه، و کذا قوله علیه السّلام:«و لا المؤمن کالمدغل» انّما یعنی بالمؤمن نفسه و بالمدغل معاویه.

فالأمیر علیه السّلام بدأ بذکر فضائله و رذائل خصمه من آبائهما أوّلا و أدرج الخصم فی سلک قریش علی سبیل المماشاه، ثمّ أتی بأوصاف أربعه کمالیه کانت له علیه السّلام، و ذکر مع کلّ واحده منها ضدّها الّذی کان لخصمه معاویه.

و أفاد الشارح البحرانی بأنّه علیه السّلام ذکر الفرق بینهما من وجوه خمسه بدأ

فيها بالامور الخارجه أوّلا من كمالاته و فضائله و رذائل خصمه متدرّجا منها إلى الأقرب فالأقرب فالأوّل شرفه من جهه الاباء المتفرّعين على عبد مناف بعد أن سلّم الاشتراك بينهما فى كونهما من بنى عبد مناف.

الثانى شرفه من جهه هجرته مع الرسول صلّى اللّه عليه و اله و خسّه خصمه من جهه كونه طليقا و ابن طليق و هذه فضيله و إن كانت خارجيه إلاّ أنّها تستلزم فضيله نفسانيه و هى حسن الإسلام و النيّه الصادقه الحقّه و كذلك ما ذكر من رذيله خصمه بدنيّه عرضت له إلاّ أنّ هذه الفضيله و الرذيله أقرب من الاعتبارين الأوّلين لكونهما حقيقيتين بالاباء و هميّتين بالأبناء دون هاتين.

الثالث شرفه من جهه صراحه النسب و خسّه خصمه من جهه كونه دعيّا و هذان الاعتباران أقرب ممّا قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الأوّلين.

الرابع شرفه من جهه كونه محقّا فيما يقوله و يعتقده و رذيله خصمه من جهه كونه مبطلا و هذان الاعتباران أقرب لكونهما من الكمالات و الرّذائل الذاتيه دون ما قبلها.

الخامس شرفه من جهه كونه مؤمنا، و المؤمن الحقّ هو المستكمل للكمالات الدينيّه النفسانيّه و خسّه خصمه من جهه كونه مدغلا أى خبيث الباطن مشتملا على النفاق و الرذائل الموبقه و ظاهر أنّ هذين الاعتبارين أقرب الكمالات و الرذائل إلى العبد، و إنّما بدأ بذكر الكمالات و الرذائل الخارجيه لكونهما مشتمله عند الخصم و أظهر له و للخلق من الامور الدّاخليه.

قال عليه السّلام:«و لبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى فى نار جهنّم» اسلوب الكلام ينادى بأعلى صوته أن جمله يتبع صفه للخلف، و هو فى نار جهنّم للسلف و الإتيان بالفعل المضارع فى الاولى، و الماضى فى الثانيه أصدق شاهد لما قلنا فأخبر عليه السّلام بأنّ سلف معاويه و منهم أبو سفيان هوى بكفره و شركه فى نار جهنّم.

على أنّ السّلف إذا كان على سوىّ الصّراط فنعم الخلف خلف يتّبعه فلا يعاب على خلف بهذا الاتّباع و لا يذمّ به بل يمدح ففى هذا الكلام ذمّ للخلف و السلف معا.

ص:٢٧٨

فبما حقّقنا دريت و هن ما جنح إليه الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهره رسائل العرب (ص ۴۸۰ ج ۱) من أنّه عليه السّلام لا يعيب على معاويه بأنّ سلفه كانوا كفّارا بل بكونه متّبعا لهم فقد نهج فى معاداه علىّ نهج أجداده فى معاداه أجداد علىّ.

قال عليه السّلام:«و فى أيدينا بعد فضل النبوّه الّتى أذللنا بها العزيز و نعشنا بها الذليل» هذا ردّ على قول معاويه: «ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز و لا يسترقّ به حرّ» معناه: و الحال أنّ لنا فضلا آخر عليكم بعد الفضائل المتقدّمه و هو فضل النبوّه، و لمّا استثنى معاويه بقوله إلاّ فضل لا يستذلّ به - إلخ أجابه الأمير عليه السّلام تبكيتا له و إفحاما و ردّا لادّعائه الباطل بقوله: الّتى أذللنا بها العزيز كأبى سفيان و أبى لهب و أضرابهما، و رفعنا بها الذّليل كأكثر الصحابه و التابعين كانوا خاملى الذكر و لمّا آمنوا رفع اللّه لهم ذكرهم.

بل كان لابائه أعنى بنى هاشم فضل و شرف و مجد كانوا أعوانا للمظلوم و إن كان خاملا ذليلا، و خصماء للظالم و إن كان عزيزا نبيها، و كانوا يؤدّون كلّ ذى حقّ حقّه و يذلّون العزيز الظالم و ينعشون المظلوم الذليل.

و فى قوله عليه السّلام: و فى أيدينا بعد فضل النبوّه اشاره إلى انّه ربّى فى بيت النبوّه و اقتبس من مشكاه الرّساله، و أنّ نور النبوّه كان فى بنى هاشم ينتقل عن واحد منهم بعد واحد حتّى انتقل إلى عبد اللّه بن عبد المطّلب والد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و أنّ بنى هاشم كانوا ببركه هذا النّور يذلّون العزيز و يرفعون الذّليل، و كان لهم به شرف و فضل لم يكن لغيرهم، و أنّ من كان من بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و أهله إنّما كان شأنه اعانه المظلوم و إغاثته، و قمع الظلم و دفع الظالم، و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته، و لا يخفى عليك أنّ هذا الفضل لا يعادله شيء.

قوله عليه السّلام «و لما أدخل اللّه العرب - إلخ» بعد ما عرّف عليه السّلام نفسه و آباءه بأنّهم من بيت النبوّه و لهم فضل النبوّه و كانوا حماه النّاس و رعاتهم عقّبه بذكر رذيله للخصم بأنّه و أباه و أتباعهما - كما أتى بلفظه الجمع حيث قال كنتم - ممّن دخلوا فى دين اللّه لا عن اخلاص بل كانوا متمرّدين عاصين كارهين إلاّ أنّهم لمّا

رأوا أنّ دين اللّه استولى على النّاس و أظهره اللّه تعالى على الدّين كلّه لم يجدوا مخلصا و محيصا إلاّ أن يستسلموا إمّا رغبه إلى زخارف الدّنيا، و إمّا رهبه من سيوف المسلمين و قد مضى فى ذلك كلام عمّار و ابن الحنفيه فى المختار السابق عند قوله عليه السّلام:

«و الّذى فلق الحبّه و برىء النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه» فراجع.

على أنّهم إنّما أسلموا ظاهرا بعد ما فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم، و إنّما الفضل للمتقدّم لأنّه إمام فى فعله وداع إلى الخير و للسّابق إلى الاسلام و دعوه الناس إلى اللّه فضيله على غيره لا تنكر.

و قوله عليه السّلام:«و لمّا أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا» اشاره إلى سوره النصر.

و قوله عليه السّلام:«على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم» اشاره إلى قوله تعالى: «وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبه ١٠٠).

قوله عليه السّلام: فلا تجعل للشيطان - إلخ معناه كما أفاده الفاضل الشارح المعتزلى: لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاربا فيك بنصيب لأنّه ما كتب إليه هذه الرّساله إلاّ بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب و إنّما المراد نهيه عن دوام ذلك و استمراره.

فى صفّين لنصر بن مزاحم (ص ١١٠ من الطبع الناصرى) أنّ عمّارا جعل يقول (يعنى يوم صفّين): يا أهل الإسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى اللّه و رسوله و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلمّا أراد اللّه أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فأسلم و هو و اللّه فيما يرى راهب غير راغب و قبض اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و اله و إنّا لنعرفه بعداوه المسلم و مودّه المجرم، ألا و إنّه معاويه فالعنوه لعنه اللّه، و قاتلوه فانّه ممّن يطفأ نور اللّه و يظاهر أعداء اللّه.

حديث فتح مكه و أن أهل مكه الطلقاء

لمّا صالح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قريشا عام الحديبيّه كان فى أشراطهم أنّه من أحبّ أن يدخل فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله دخل فيه فدخلت خزاعه فى عقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و كنانه فى عقد قريش فأعانت قريش كنانه فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعه فقتلوا فيهم فجاءت خزاعه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فشكوا إليه ذلك و كان ذلك ممّا هاج فتح مكّه فأحلّ اللّه لنبيّه قطع المدّه الّتى بينه و بينهم و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال للناس كأنّكم بأبى سفيان قد جاء ليشدّ العقد و يزيد فى المدّه و سيلقى بديل بن ورقاه فلقوا أبا سفيان بعسفان و قد بعثته قريش إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و اله ليشدّ العقد و يزيد فى المدّه فلمّا لقى أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ و ظنّ أنّه أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال: سرت فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى قال: ما أتيت محمّدا؟ قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكّه فقال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينه لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته و أخذ من بعرها ففتّه فرأى فيه النوى فقال: احلف باللّه تعالى لقد جاء بديل محمّدا.

ثمّ خرج أبو سفيان حتّى قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فدخل على ابنته امّ حبيبه فلمّا ذهب ليجلس على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله طوته عنه؛ فقال: يا بنيّه ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنّى؟ قالت امّ حبيبه: بل هو فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و أنت رجل مشرك نجس و لم احبّ أن تجلس على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

قال: و اللّه لقد أصابك يا بنيّه بعدى شرّ.

ثمّ خرج حتّى أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فكلّمه فقال: يا محمّد احقن دم قومك و أجر بين قريش و زدنا فى المدّه.

فقال صلّى اللّه عليه و اله: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا، قال: فنحن على ما كنّا عليه.

فخرج أبو سفيان فلقى أبا بكر فقال: أجر بين قريش.

ص:۲۸۱

قال: ويحک و أحد يجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله؟ ما أنا بفاعل.

ثمّ لقى عمر بن الخطّاب فقال له مثل ذلک.

فقال عمر: أ أنا أشفع لكم إلى رسول اللّه فو اللّه لو لم أجد إلاّ الذّرّ لجاهدتكم به.

ثمّ خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و عنده فاطمه بنت رسول اللّه سلام اللّه عليها و عندها حسن بن علىّ غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا علىّ إنّک أمسّ القوم بى رحما، و إنّى قد جئت فى حاجه فلا أرجعنّ كما جئت خائبا فاشفع لى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

فقال: ويحک يا أبا سفيان! و اللّه لقد عزم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمه عليها السّلام فقال: يا بنت محمّد هل لک أن تأمرى بنيّک هذا فيجير بين النّاس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدّهر؟ قالت: و اللّه ما بلغ بنىّ ذاک أن يجير بين النّاس، و ما يجير أحد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

و فى مجمع الطبرسىّ: دخل أبو سفيان بعد ما خرج من عند ابنته امّ حبيبه على فاطمه عليها السّلام فقال: يا بنت سيّد العرب تجيرين بين قريش و تزيدين فى المدّه فتكونين أكرم سيّده فى النّاس؟ فقالت: جوارى جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

أ تأمرين (فقال: أ تأمرين - ظ) ابنيک أن يجيرا بين النّاس؟ قالت: و اللّه ما بلغ ابناى أن يجيرا بين النّاس و ما يجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أحد.

فقال: يا أبا الحسن إنّى أرى الامور قد اشتدّت علىّ فانصحنى.

قال: و اللّه ما أعلم شيئا يغنى عنک شيئا و لكنّک سيّد بنى كنانه فقم فأجر بين النّاس ثمّ الحق بأرضک.

قال: أو ترى ذلک مغنيا عنّى شيئا؟

قال: لا و اللّه ما أظنّه و لكنّى لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيّها النّاس إنّى قد أجرت بين النّاس، ثمّ ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمّدا فكلّمته فو اللّه ما ردّ علىّ شيئا ثمّ جئت ابن أبى قحافه فلم أجد فيه خيرا، ثمّ جئت ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدوّ، ثمّ جئت عليّا فوجدته ألين القوم و قد أشار علىّ بشىء صنعته فو اللّه ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا؟ قالوا: و بم أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين النّاس ففعلت؛ قالوا: فهل أجار ذلك محمّد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك! أما و اللّه إن زاد علىّ بن أبى طالب على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت، قال: لا و اللّه ما وجدت غير ذلك.

ثمّ عزم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله على غزو مكّه و قال: اللّهمّ أعم الأخبار عنهم - يعنى قريشا - فكتب حاطب بن أبى بلتعه مع ساره مولاه أبى لهب إلى قريش بخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و ما اعتزم عليه فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب فوجّه بعلىّ بن أبى طالب و الزّبير و قال خذ الكتاب منها فلحقاها و قد كانت تنكّبت الطريق فوجد الكتاب فى مشعرها، و قيل فى فرجها فأتيا به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فأسرّ إلى كلّ رئيس منهم بما أراد و أمره أن يلقاه بموضع سمّاه و أن يكتم ما قال له فأسرّ إلى خزاعى بن عبد نهم أن يلقاه بمزينه بالروحاء، و إلى عبد اللّه بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا، و إلى قدامه بن ثمامه أن يلقاه ببنى سليم بقديد، و إلى الصعب بن جثامه أن يلقاه ببنى - ليث بالكديد.

و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يوم الجمعه حين صلّى صلاه العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنه ثمان، و قيل لعشر مضين من رمضان، و استخلف على المدينه أبا لبابه ابن عبد المنذر و لقيته القبائل فى المواضع الّتى سمّاها لهم و أمر النّاس فأفطروا، و سمّى الّذين لم يفطروا العصاه و دعا بماء فشربه و تلقّاه العبّاس بن عبد المطّلب فى بعض

ص:۲۸۳

الطريق فلمّا صار بمرّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسّس الأخبار و معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء و هو يقول لحكيم ما هذه النيران؟ فقال خزاعه أحمشتها الحرب، فقال خزاعه: أقل و أذل و سمع صوته العبّاس فناداه يا أبا حنظله (يعنى به أبا سفيان) فأجابه فقال له: يا أبا الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فأردفه على بغلته و لحقه عمر بن الخطّاب و قال: الحمد للّه الّذى أمكن منك بغير عهد و لا عقد فسبقه العبّاس إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فقال: يا رسول اللّه هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعا فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: قل أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنى محمّد رسول اللّه، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و جعل يمتنع من أن يقول و أنّك رسول اللّه فصاح به العباس فقال.

و فى نقل آخر أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال له: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ اللّه؟ فقال: بأبى أنت و امّى ما أوصلك و أكرمك و أرحمك و أحلمك و اللّه لقد ظننت أن لو كان معه إله لأغنى يوم بدر و يوم احد فقال: ويحك يا أبا سفيان أ لم يأن لك أن تعلم أنّى رسول اللّه؟ فقال: بأبى أنت و امّى أمّا هذه فإنّ فى النفس منها شيئا، قال العبّاس: فقلت له ويحك اشهد بشهاده الحقّ قبل أن يضرب عنقك فتشهّد كما فى السيره لابن هشام (ص ۴۰۳ ج ۲).

ثمّ سأل العبّاس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أن يجعل له شرفا و قال: إنّه يحبّ الشرف فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن.

فلما ذهب لينصرف قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: يا عبّاس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتّى تمرّ به جنود اللّه فيراها، قال عبّاس: فخرجت حتّى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله أن أحبسه و مرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيله قال: يا عبّاس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالى و لسليم، ثمّ تمرّ القبيله فيقول: يا عبّاس من هؤلاء؟ فأقول: مزينه، فيقول: مالى و لمزينه، حتّى نفدت القبائل ما تمرّ به قبيله إلاّ يسألنى عنها فإذا أخبرته بهم قال: مالى و لبنى فلان حتّى مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فى كتيبته الخضراء من المهاجرين و الأنصار فى الحديد

لا يرى منهم إلّا الحدق فقال: سبحان اللّه من هؤلاء يا أبا الفضل - يعنى به العباس -؟ قلت: هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فى المهاجرين و الأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقه، و اللّه يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيما، قال: قلت:

ويحك يا أبا سفيان إنّه ليس بملك إنّما هى النبوّه، قال: فنعم إذن.

و مضى أبو سفيان مسرعا حتّى دخل مكّه فأخبرهم الخبر و قال هو اصطلام إن لم تسلموا و قد جعل أنّ من دخل دارى فهو آمن، فوثبوا عليه و قالوا: ما يسع دارك؟ فقال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

و فتح اللّه على نبيّه و كفاه القتال و دخل مكّه و دخل أصحابه من أربعه مواضع و أحلّها اللّه له ساعه من نهار.

ثمّ قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فخطب فحرمها، و أجارت أمّ هانى بنت أبى طالب حموين لها: الحارث بن هشام، و عبد اللّه بن أبى ربيعه فأراد علىّ عليه السّلام قتلهما؛ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: يا علىّ قد أجرنا من أجارت امّ هانى، و آمنهم جميعا إلّا خمسه نفر أمر بقتالهم و لو كانوا متعلّقين بأستار الكعبه، و أربع نسوه.

و هم: عبد اللّه بن عبد العزّى بن خطل من بنى تيم الأكرم بن غالب، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله وجّهه مع رجل من الأنصار فشدّ على الأنصارى فقتله و قال: لا طاعه لك و لا لمحمّد.

و عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح العامرى و كان يكتب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فصار إلى مكّه فقال: أنا أقول كما يقول محمّد و اللّه ما محمّد نبىّ و لقد كان يقول لى اكتب «عزيز حكيم» فأكتب «لطيف خبير» و لو كان نبيّا لعلم فاواه عثمان و كان أخاه من الرضاع و أتى به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فجعل يكلّمه فيه و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله ساكت ثمّ قال: هلا قتلتموه؟ فقالوا: انتظرنا أن تومئ؛ فقال: إنّ الأنبياء لا تقتل بالإيماء.

و مقيس بن صبابه أحد بنى ليث بن كنانه و كان أخوه قتل فأخذ الدّيه من قاتله ثمّ شدّ عليه فقتله.

و الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى كان ممّن يؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بمكّه و يتناوله بالقول القبيح.

و النسوه: ساره مولاه بنى عبد المطّلب و كانت تذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بالقبيح.

و هند بنت عتبه، و قريبه و فرتا (كذا) جاريتا ابن خطل كانتا تغنّيان فى هجاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

و أسلمت قريش طوعا و كرها، و أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله مفتاح البيت من عثمان ابن أبى طلحه و فتح الباب بيده و ستره ثمّ دخل البيت فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فأخذ بعضادتى الباب فقال: لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له أنجز وعده و نصر عبده و غلب الأحزاب وحده فللّه الحمد و الملك لا شريك له.

ثمّ قال: ما تظنّون و ما أنتم قائلون؟ قال سهيل: نظنّ خيرا و نقول خيرا أخ كريم و ابن عمّ كريم و قد ظفرت، قال: فإنّى أقول لكم كما قال أخى يوسف «لا تثريب عليكم اليوم».

ثمّ قال: ألا كلّ دم و مال و مأثره فى الجاهليّه فإنّه موضوع تحت قدمىّ هاتين إلّا سدانه الكعبه و سقايه الحاجّ فإنّهما مردودان إلى أهليهما، ألا و إنّ مكّه محرّمه بحرمه اللّه لم تحلّ لأحد من قبلى و لا تحلّ لأحد من بعدى و إنّما حلّت لى ساعه ثمّ أغلقت فهى محرمه إلى يوم القيامه لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها، و لا ينفر صيدها، و لا تحلّ لقطتها إلّا لمنشد، ألا إنّ فى القتل شبه العمد الدّيه مغلّظه، و الولد للفراش و للعاهر الحجر.

ثمّ قال: ألا- لبئس جيران النبىّ كنتم لقد كذبتم و طردتم و أخرجتم و آذيتم ثمّ ما رضيتم حتّى جئتمونى فى بلادى تقاتلوننى فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنّما انشروا من القبور.

و دخل مكّه بغير احرام و أمر بلالا- أن يصعد على الكعبه فأذّن فعظم ذلك على قريش و قال عكرمه بن أبى جهل و خالد بن أسيد: إنّ ابن رباح ينهق على الكعبه. و تكلّم قوم معهما فارسل إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فقالوا: قد قلنا فنستغفر اللّه

فقال: ما أدرى ما أقول لكم و لكن تحضر الصلاه فمن صلّى فسبيل ذلك و إلّا قدّمته فضربت عنقه.

و أمر بكلّ ما فى الكعبه من صوره فمحيت و غسلت بالماء، و نادى منادى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله من كان فى بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام.

و دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله بالنساء فبايعنه و نزلت عليه سوره إذا جاء نصر اللّه و الفتح فقال: نعيت إلى نفسى.

و اعلم أنّه قد مضى بحثنا الكلامى عن عمل عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح و طرح بعض روايات وردت فيه فراجع إلى شرح المختار الأوّل من باب الكتب و الرّسائل (ص ۲۱۰-۲۱۳ ج ۱۶).

و كذا قد تقدّم وجه دلاله سوره النصر على رحله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فى شرح المختار ۲۳۳ من باب الخطب (ص ۷۹ ج ۱۵).

و قيل لأهل مكّه الطّلقاء لقوله صلّى اللّه عليه و اله لهم: فاذهبوا و أنتم الطّلقاء، و لذا قالت عقيله بنى هاشم الصدّيقه الصغرى زينب بنت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فى احتجاجها على يزيد بن معاويه: أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك و إماءك و سوقك بنات رسول اللّه سبايا؟ و عن ابن مسعود قال: دخل النبىّ صلّى اللّه عليه و اله يوم الفتح و حول البيت ثلاثمائه و ستّون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول: جاء الحقّ و ما يبدىء الباطل و ما يعيد، جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.

و عن ابن عبّاس قال: لمّا قدم النبىّ صلّى اللّه عليه و اله إلى مكّه أبى أن يدخل البيت و فيه الالهه فأمر بها فاخرجت صوره إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام و فى أيديهما الأزلام؛ فقال صلّى اللّه عليه و اله: قاتلهم اللّه أما و اللّه لقد علموا أنّهما لم يستقسما بها قطّ، و جاء ابن الزّبعرى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و أسلم و قال:

يا رسول المليك إنّ لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغىّ و من مال ميله مثبور

آمن اللحم و العظام لربّى ثمّ قلبى الشهيد أنت النّذير

إنّنى عنك زاجر ثمّ حيّا من لؤىّ و كلّهم مغرور

و ابن الزّبعرى هذا هو الّذى تقدّم الكلام فيه فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب و الرّسائل.

طائفه من احتجاجات و محاضرات وقعت بين معاويه و غيره يناسب نقلها

المقام و تفيد زياده تبصر فى آل أبى سفيان.

لما استتمّت البيعه لمعاويه من أهل الكوفه صعد المنبر فخطب النّاس، و ذكر أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام، و نال منه و نال من الحسن عليه السّلام ما نال؛ و كان الحسن و الحسين عليهما السّلام حاضرين فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السّلام و أجلسه ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ، و أنت معاويه و أبوك صخر، و امّى فاطمه و امّك هند، و جدّى رسول اللّه وجدّك حرب، وجدّتى خديجه وجدّتك فتيله فلعن اللّه أخملنا ذكرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قدما و أقدمنا كفرا و نفاقا. فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

و كذلك يقول مؤلّف الكتاب نجم الدّين الحسن الطبرىّ الاملىّ: آمين آمين، و يرحم اللّه عبدا قال آمينا، و نقل القصّه الشيخ الأجلّ المفيد رحمه اللّه فى الإرشاد (ص ۱۷۳ طبع طهران ۱۳۷۷ ه) و من ذلك أنّه اجتمع عند معاويه عمرو بن العاص، و الوليد بن عقبه، و عقبه ابن أبى سفيان، و المغيره بن شعبه؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن ابن علىّ، فقال لهم: فيم؟ فقالوا: كى نوبّخه و تعرفه أنّ أباه قتل عثمان، فقال لهم: إنّكم لا تنتصفون منه و لا تقولون شيئا إلاّ كذّبكم النّاس، و لا يقول لكم شيئا ببلاغته إلاّ صدّقه النّاس، فقالوا: أرسل إليه فإنّا سنكفيك أمره، فأرسل إليه معاويه، فلمّا حضر قال: يا حسن إنّى لم أرسل إليك و لكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع

مقالتهم و أجب و لا تحرمنى فقال الحسن عليه السّلام فليتكلّموا و نسمع.

فقام عمرو بن العاص فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: هل تعلم يا حسن أنّ أباك أوّل من أثار الفتنه، و طلب الملک؟ فكيف رأيت صنع اللّه به؟.

ثمّ قام الوليد بن عقبه بن أبى معيط فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: يا بنى هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفّان فنعم الصّهر كان يفضلكم و يقرّبكم؛ ثمّ بغيتم عليه فقتلتموه؛ و لقد أردنا يا حسن قتل أبيک فأنقذنا اللّه منه، و لو قتلناه بعثمان ما كان علينا من اللّه ذنب.

ثمّ قام عقبه فقال: تعلم يا حسن أنّ أباک بغى على عثمان فقتله حسدا على الملک و الدّنيا فسلبها؟ و لقد أردنا قتل أبيک حتّى قتله اللّه تعالى.

ثمّ قام المغيره بن شعبه فكان كلامه كلّه سبّا لعلىّ و تعظيما لعثمان.

فقام الحسن عليه السّلام فحمد اللّه تعالى و أثنى عليه و قال: بک أبدأ يا معاويه لم يشتمنى هؤلاء و لكن أنت تشتمنى بغضا و عداوه و خلافا لجدّى صلّى اللّه عليه و اله ثمّ التفت إلى النّاس و قال: انشدكم اللّه، أ تعلمون أنّ الرّجل الّذى شتمه هؤلاء كان أوّل من آمن باللّه، و صلّى للقبلتين، و أنت يا معاويه يومئذ كافر تشرک باللّه، و كان معه لواء النبىّ صلّى اللّه عليه و اله يوم بدر و مع معاويه و أبيه لواء المشركين؟ ثمّ قال: انشدكم اللّه و الإسلام أ تعلمون أنّ معاويه كان يكتب الرسائل لجدّى صلّى اللّه عليه و اله فأرسل إليه يوما فرجع الرّسول و قال: هو يأكل فردّ الرّسول إليه ثلاث مرّات كلّ ذلک و هو يقول هو يأكل فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و اله: لا أشبع اللّه بطنه؛ أما تعرف ذلک فى بطنک يا معاويه؟ ثمّ قال: و انشدكم اللّه أ تعلمون أنّ معاويه كان يقود بأبيه على جمل و أخوه هذا يسوقه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: لعن اللّه الجمل و قائده و راكبه و سائقه؟ هذا كلّه لک يا معاويه.

و أمّا أنت يا عمرو: فتنازع فيک خمسه من قريش فغلب عليک ألأمهم حسبا و شرّهم منصبا، ثمّ قمت وسط قريش فقلت: إنّى شانئ محمّد فأنزل اللّه على نبيّه صلّى اللّه عليه و اله

«إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ثمّ هجوت محمّدا صلّی اللّه علیه و اله بثلاثین بیتا من الشعر فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و اله:

إنّی لاـ أحسن الشّعر و لکن العن عمرو بن العاص بکلّ بیت لعنه ثمّ انطلقت إلی النجاشی بما علمت و عملت فأکذبک اللّه وردّک خائبا فأنت عدوّ بنی هاشم فی الجاهلیه و الإسلام فلم نلمک علی بغضک.

و أمّا أنت یا ابن أبی معیط فکیف ألومک علی سبّک لعلیّ و قد جلّد ظهرک فی الخمر ثمانین سوطا، و قتل أباک صبرا بأمر جدّی و قتله جدّی بأمر ربّی، و لمّا قدّمه للقتل قال: من للصبیه یا محمّد؟ فقال: لهم النّار، فلم یکن لکم عن النبیّ صلّی اللّه علیه و اله إلاّ النار و لم یکن لکم عند علیّ غیر السّیف و السّوط.

و أمّا أنت یا عقبه فکیف تعد أحدا بالقتل؟ لم لاقتلت الّذی وجدته فی فراشک مضاجعا لزوجتک ثمّ أمسکتها بعد أن بغت.

و أمّا أنت یا أعور ثقیف ففی أیّ ثلاث تسبّ علیّا: أفی بعده من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ أم فی حکم جائر؟ أم فی رغبه فی الدّنیا؟ فان قلت شیئا من ذلک فقد کذبت اکذبک النّاس، و إن زعمت أنّ علیّا قتل عثمان فقد کذبت و أکذبک النّاس، و أمّا وعیدک فإنّما مثلک کمثل بعوضه وقفت علی نخله فقالت لها: استمسکی فانّی ارید أن أطیر؛ فقالت لها النخله: ما علمت بوقوفک فکیف یشقّ علیّ طیرانک؟ و أنت فما شعرنا بعداوتک فکیف یشقّ علینا سبّک؟ ثمّ نفض ثیابه و قام.

فقال لهم معاویه: ألم أقل لکم إنّکم لا تنتصفون منه؟ فو اللّه لقد أظلم علیّ البیت حتی قام فلیس لکم بعد الیوم خیر. و قد نقلها أبو بکر بن علیّ القادری الحنفیّ فی ثمرات الأوراق فی المحاضرات (هامش المستطرف ص ۵۵ ج ۱ طبع مصر).

و المراد من الألأم الشانیء الأبتر هو العاص بن وائل السّهمی، و کان عمرو ابنه علی النّحو الّذی بیّنه المجتبی علیه السّلام.

و روایه «لا أشبع اللّه بطنه» منقبه جلیله لمعاویه قد اصطلحت نقله الاثار بنقلها منهم ابن عبد البرّ فی الاستیعاب، و ابن الأثیر فی اسد الغابه عن مسند أبی داود الطیالسی و غیره، و ما أنکروا ثبوتها له.

و قد روى الصّدوق رحمه اللّه فى باب السبعه من كتابه الخصال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: المؤمن يأكل فى معاء واحده و الكافر يأكل فى سبعه أمعاء، و روى السيوطى فى الجامع الصغير عنه صلّى اللّه عليه و اله: المؤمن يشرب فى معى واحد و الكافر يشرب فى سبعه أمعاء.

«المعى» يذكر و يؤنث فالعباره فى الروايتين صحيحه، و سيأتى كلام صعصعه له:

اتسع بطن من لا يشبع، و دعا عليه من لا يجمع.

و الكلام فى حديث اللّعن كالرّوايه المتقدّمه فى المنقبه المذكوره، و قد مضى نقل روايات اخرى فى سائر مناقبه أيضا عن كتاب صفّين لنصر بن مزاحم فى شرح المختار ۲۳۶ (ص ۳۷۰-۳۷۴ ج ۱۵) منها عن البراء بن عاذب قال: أقبل أبو سفيان و معه معاويه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: اللّهمّ العن التابع و المتبوع.

و روى الصّدوق رحمه اللّه فى باب السبع من الخصال عن أبى الطفيل عامر بن واثله أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله لعن أبا سفيان فى سبعه مواطن. فراجع.

و من ذلك أنّ شريك بن الأعور دخل على معاويه و هو يختال فى مشيته، فقال له معاويه: و اللّه إنّك لشريك و ليس للّه من شريك، و إنّك ابن الأعور و الصّحيح خير من الأعور، و إنّك لدميم و الوسيم خير من الدّميم؛ فبم سوّدك [سدت] قومك؟ فقال له شريك: و اللّه إنّك لمعاويه و ما معاويه إلاّ كلبه عوت فاستعوت فسمّيت معاويه، و إنّك ابن حرب و السّلم خير من الحرب، و إنّك ابن صخر و السّهل خير من الصّخر، و إنّك ابن اميّه و ما اميّه إلاّ أمه صغّرت فسميّت اميّه فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فقال له معاويه: أقسمت عليك إلاّ ما خرجت عنّى.

نقلها فى ثمرات الأوراق أيضا (هامش المستطرف ص ۵۹ ج ۱) و نقلها الأبشيهى فى المستطرف (ص ۵۷ ج ۱).

و فى تاريخ الخلفاء (ص ۱۹۹) للسّيوطى و فى المستطرف للأبشيهى (ص ۵۸ ج ۱):

أخرج عن الفضل بن سويد قال: وفد جاريه بن قدامه السعدى على معاويه فقال

له معاويه: أنت الساعى مع علىّ بن أبى طالب، و الموقد النّار فى شعلك تجوس قرى عربيه تسفك دماءهم؟ قال جاريه: يا معاويه دع عنك عليّا فما أبغضنا عليّا منذ أحببناه، و لا غششناه منذ صحبناه.

قال: ويحك يا جاريه! ما كان أهونك على أهلك إذا سمّوك جاريه! قال:

أنت يا معاويه كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاويه و هى الانثى من الكلاب، قال: اسكت لا امّ لك، قال: امّ لى ولدتنى؛ أما و اللّه إنّ القلوب الّتى أبغضناك بها لبين جوانحنا، و قوائم السيوف الّتى لقيناك بها بصفّين فى أيدينا، قال: إنّك لتهدّدنى؟ قال: إنّك لم تملكنا قسره و لم تفتحنا عنوه، و لكن أعطيتنا عهودا و مواثيق فان وفيت لنا وفينا و إن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مدادا، و أدرعا شدادا، و أسنّه حدادا، فإن بسطت إلينا فترا من غدر زلفنا إليك بباع من ختر؛ قال معاويه: لا أكثر اللّه فى النّاس أمثالك يا جاريه؛ فقال له: قل معروفا فإنّ شرّ الدّعاء محيط أهله.

و أخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جاريه بن قدامه السعدى على معاويه فقال: من أنت؟ قال: جاريه بن قدامه، قال: و ما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلّا نحله؟ قال: لا تقل، فقد شبّهتنى بها حاميه اللّسعه حلوه البصاق؛ و اللّه ما معاويه إلّا كلبه تعاوى الكلاب، و ما اميّه إلّا تصغير أمه، (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٩).

و دخل عدىّ بن حاتم الطائى على معاويه فقال له معاويه: ما فعلت الطرفات - يعنى أولاده -؟ قال: قتلوا مع علىّ، قال: ما أنصفك على قتل أولادك و بقاء أولاده، فقال عدىّ: ما أنصفك علىّ [ما أنصفت عليّا] إذ قتل و بقيت بعده؛ فقال معاويه:

أما إنّه قد بقى قطره من دم عثمان ما يمحوها إلّا دم شريف من أشراف اليمن.

فقال عدىّ: و اللّه إنّ قلوبنا الّتى أبغضناك بها لفى صدورنا، و إنّ أسيافنا الّتى قاتلناك بها لعلى عواتقنا، و لئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندنينّ إليك من

الشرّ شبرا و إنّ حزّ الحلقوم و حشرجه الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءه فی علی فسلّم السیف لباعث السیف.

فقال معاویه: هذه کلمات حکم فاکتبوها و أقبل علی عدیّ محادثا له کأنّه ما خاطبه بشیء، ذکره المسعودیّ فی مروج الذّهب (ص ۵۴ ج ۲).

و خطب معاویه یوما فقال: إنّ اللّه تعالی یقول: «وَ إِنْ مِنْ شَیْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم » فعلام تلوموننی إذا قصرت فی عطایاکم؟ فقال له الأحنف: و إنّا و اللّه لا نلومک علی ما فی خزائن اللّه و لکن علی ما أنزله اللّه من خزائنه فجعلته فی خزائنک حلت بیننا و بینه، نقله فی المستطرف (ص ۵۸ ج ۱).

و دخل عقیل علی معاویه و قد کفّ بصره فأجلسه معه علی سریره ثمّ قال له:

أنتم معشر بنی هاشم تصابون فی أبصارکم، فقال له عقیل: و أنتم معشر بنی امیّه تصابون فی بصائرکم. أتی به فی المستطرف (ص ۵۸ ج ۱).

و قال معاویه یوما: أیّها الناس إنّ اللّه حبا قریشا بثلاث: فقال لنبیّه: «و أنذر عشیرتک الأقربین» و نحن عشیرته الأقربون، و قال تعالی: «وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ » و نحن قومه، و قال تعالی: «لِإِیلافِ قُرَیْشٍ إِیلافِهِمْ رِحْلَهَ الشِّتاءِ وَ الصَّیْفِ » و نحن قریش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: علی رسلک یا معاویه فإنّ اللّه تعالی یقول:

«وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ وَ هُوَ الْحَقُّ » و أنتم قومه، و قال تعالی: «وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْیَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ یَصِدُّونَ » و أنتم قومه، و قال تعالی: «وَ قالَ الرَّسُولُ یا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً » و أنتم قومه ثلاثه بثلاثه. ذکره فی المستطرف (ص ۵۸ ج ۱).

و من ذلک أنّ معاویه حجّ سنه ۴۴ و لمّا صار إلی المدینه أتاه جماعه من بنی هاشم و کلّموه فی امورهم فقال: أ ما ترضون یا بنی هاشم أن نقرّ علیکم دماءکم و قد قتلتم عثمان حتّی تقولوا ما تقولون فو اللّه لأنتم أحلّ دما من کذا و کذا و أعظم فی القول.

فقال له ابن عبّاس: کلّما قلت لنا یا معاویه من شرّ بین دفّتیک و أنت و اللّه أولی بذلک منّا، أنت قتلت عثمان ثمّ قمت تغمص علی النّاس أنّک تطلب بدمه

فانکسر معاویه، فقال ابن عبّاس و اللّه ما رأیتک صدقت إلاّ فزعت و انکسرت، قال فضحک معاویه، و قال: و اللّه ما احبّ أنّکم لم تکونوا کلّمتمونی.

ثمّ کلّمه الأنصار فأغلظ لهم فی القول و قال لهم: ما فعلت نواضحکم؟ قالوا أفنیناها یوم بدر لما قتلنا أخاک و جدّک و خالک، و لکنّا نفعل ما أوصانا به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؛ قال: ما أوصاکم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر؛ قال: فاصبروا ثمّ ادلج معاویه إلی الشام و لم یقض لهم حاجه.

ذکره الیعقوبی فی التاریخ (ص ۱۹۸ ج ۲) ثمّ قال الیعقوبیّ: و أخرج معاویه المنابر إلی المصلّی فی العیدین و خطب الخطبه قبل الصّلاه و ذلک أنّ الناس کانوا إذا صلّوا انصرفوا لئلاّ یسمعوا لعن علیّ علیه السّلام فقدّم معاویه الخطبه قبل الصلاه و وهب فدکا لمروان بن الحکم لیغیظ بذلک آل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله.

قال السیوطی فی تاریخ الخلفاء (ص ۲۰۱): و ابن عبد البرّ فی الاستیعاب عن عبد اللّه بن محمّد بن عقیل: قدم معاویه المدینه فلقیه أبو قتاده الأنصاری، فقال معاویه: تلقّانی النّاس کلّهم غیرکم یا معشر الأنصار، قال: لم یکن لنا دوابّ فقال: فأین النّواضح؟ قال: عقرناها فی طلبک و طلب أبیک یوم بدر، قال: نعم یا أبا قتاده! ثمّ قال أبو قتاده: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله قال لنا: انّکم سترون بعدی أثره، فقال معاویه: فما أمرکم عند ذلک؟ قال: أمرنا بالصبر، قال: فاصبروا حتّی تلقوه، فبلغ عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت ذلک فقال:

ألا أبلغ معاویه بن حرب أمیر المؤمنین نبا کلامی

فإنّا صابرون و منظروکم إلی یوم التغابن و الخصام

و فی نسخه الاستیعاب: نثا کلامی، و فی بعضها عنی کلامی.

و من ذلک أنّه لم یکن أحد أحبّ إلی معاویه أن یلقاه من أبی الطّفیل عامر ابن واثله الصّحابی الکنانی و کان فارس أهل صفّین و شاعرهم، و کان من أخصّ النّاس بعلیّ علیه السّلام، فقدم أبو الطفیل الشّام یزور ابن أخ له من رجال معاویه فأخبر معاویه

بقدومه، فأرسل إليه، فأتاه و هو شيخ كبير، فلمّا دخل عليه، قال له معاويه: أنت أبو الطفيل عامر بن واثله؟ قال: نعم، قال معاويه: أ كنت ممّن قتل عثمان؟ قال:

لا؛ و لكن ممّن شهده فلم ينصره، قال: و لم؟ قال: لم ينصره المهاجرون و الأنصار، فقال معاويه: أما و اللّه إن نصرته كانت عليهم و عليك حقّا واجبا، و فرضا لازما فقال أبو الطفيل: فما منعك إذ تربّصت به ريب المنون أن لا تنصره و معك أهل الشام؟ فقال معاويه: أما طلبى بدمه نصره له؟ فضحك أبو الطفيل و قال: بلى و لكنّك و عثمان كما قال عبيد بن الأبرص.

لا ألفينّك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زوّدتنى زادا

فدخل مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و عبد الرّحمن بن الحكم فلمّا جلسوا نظر إليهم معاويه، ثمّ قال: أ تعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا؛ فقال معاويه:

هذا خليل علىّ بن أبى طالب، و فارس صفّين، و شاعر أهل العراق، هذا أبو الطّفيل، قال سعيد بن العاص: قد عرفناه فما يمنعك منه؟ و شتمه القوم - فزجرهم معاويه، قال: مهلا فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا، ثمّ قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطّفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء، و لا أعرفهم بخير، و أنشد:

فإن تكن العداوه قد أكنّت فشرّ عداوه المرء السباب

فقال معاويه: يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبّ علىّ؟ قال: حبّ امّ موسى و أشكو إلى اللّه التقصير. (و فى مروج الذّهب: قال معاويه له: كيف وجدك على خليلك أبى الحسن؟ قال: كوجد امّ موسى على موسى و أشكو إلى اللّه التقصير) فضحك معاويه، قال: و لكن و اللّه هؤلاء الّذين حولك لو سألوا عنّى ما قالوا هذا فقال مروان: أجل و اللّه لا نقول الباطل، (الامامه و السياسه للدينورىّ ص ۱۹۲ ج ۱، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۰۰، مروج الذّهب للمسعودىّ ص ۶۲ ج ۲) و ذكره أبو الفرج فى الأغانى على التفصيل فراجع (ص ۱۵۹ ج ۱۳ من طبع ساسى).

و دخل على معاويه ضرار بن الخطّاب فقال له: كيف حزنك على أبى الحسن؟

قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها و لا يسكن حزنها، نقله المسعودى فى مروج الذّهب (ص ۶۲ ج ۲).

و أخرج العسكرى فى كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد اللّه بن معمر قال:

قدم معاويه مكّه أو المدينه فأتى المسجد فقعد فى حلقه فيها ابن عمرو ابن عبّاس و عبد الرّحمن بن أبى بكر فأقبلوا عليه و أعرض عنه ابن عبّاس فقال معاويه: و أنا أحقّ بهذا الأمر من هذا المعرض و ابن عمّه، فقال ابن عبّاس: و لم؟ ألتقدّم فى الإسلام، أم سابقه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله، أو قرابه منه؟ قال: لا و لكنّى ابن عمّ المقتول، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن أبى بكر - قال: إنّ أباه مات موتا، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن عمر - قال: إنّ أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجّتك إن كان المسلمون عتبوا على ابن عمّك فقتلوه (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۰۱).

و أخرج ابن عساكر عن الأوزاعى قال: دخل خريم بن فاتك على معاويه و مئزره مشمّر - و كان حسن الساقين - فقال معاويه: لو كانت هاتان الساقان لإمره! فقال خريم: فى مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين (تاريخ الخلفاء ص ۲۰۴).

و أخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمّد، عن أبيه أنّ عقيلا دخل على معاويه فقال معاويه: و هذا عقيل و عمّه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاويه و عمّته حمّاله الحطب (تاريخ الخلفاء ص ۲۰۴).

و أخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أنّ عقيل بن أبى طالب سأل عليّا عليه السّلام فقال: إنّى محتاج و إنّى فقير فأعطنى، فقال: اصبر حتّى يخرج عطائى مع المسلمين فأعطيك معهم فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده و انطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دق هذه الأقفال، و خذ ما فى هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتّخذنى سارقا؟ قال: و أنت تريد أن تتّخذنى سارقا؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لاتينّ معاويه، قال: أنت و ذاك؛ فأتى معاويه فسأله و أعطاه مائه ألف، ثمّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علىّ و ما أوليتك فصعد فحمد اللّه و أثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس إنّى أخبركم أنّى أردت عليّا على دينه فاختار دينه، و أنّى أردت معاويه على دينه فاختارنى على دينه. (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۰۴)

و من ذلـك أنّه وفـد على معـاويه عقيـل بن أبى طـالب منتجعـا و زائرا، فرحبّ به معاويه و سرّ بوروده لاختياره إيّاه على أخيه - يعنى أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام - و أوسعه حلمـا و احتمالا؛ فقـال له: يا أبا يزيـد - يعنى عقيلا - كيف تركت عليّا؟ فقال: تركته على مـا يحبّ اللّه و رسوله، و ألفيتـك على مـا يكره اللّه و رسوله، فقـال له معـاويه: لو لا ـ إنّـك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه.

ثمّ أحبّ معـاويه أن يقطع كلامه مخافه أن يأتى بشـىء يخفضه، فوثب عن مجلسه و أمر له أن ينزل و حمل إليه مالا عظيما، فلمّا كـان من غـد جلس و أرسل إليه فأتاه فقال له: يا أبا يزيـد كيف تركت عليّا أخاك؟ قال: تركته خيرا لنفسه منك و أنت خير لى منه، فقال له معاويه: أنت و اللّه كما قال الشاعر:

و إذا عددت فخار آل محرق فالمجد منهم فى بنى عتاب

فمحلّ المجد من بنى هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيّرك الأيّام و اللّيالى، فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانيها لا بدّ أن تصلّى بحاميها

و أنت و اللّه يا ابن أبى سفيان كما قال الاخر:

و إذا هوازن أقبلت بفخارها يوما فخرتهم بال مجاشع

بالحاملين على الموالى عزمهم و الضاربين الهام يوم القارع

و لكن أنت يـا معاويه إذا افتخرت بنو اميّه فبمن تفخر؟ فقال معاويه: عزمت عليك أبا يزيـد لما أمسـكت فانّى لم أجلس لهـذا و إنّما أردت أن أسألك عن أصـحاب علىّ فانّك ذو معرفه بهم، فقال عقيل: سل عما بـدا لك، فقال: ميّز لى أصـحاب علىّ و ابدأ بال صوحان فانّهم مخاريق الكلام، قال: أمّا صعصعه فعظيم الشأن، عضب اللّسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، و يفتق ما رتق، قليل النظير.

ص:۲۹۷

و أمّا زيـد و عبـد اللّه فانّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان، و يغاث بهما البلـدان، رجلا جـدّ لا لعب معه، و أمّا بنو صوحان فكما قال الشاعر:

إذا نزل العدوّ فانّ عندى اسودا تخلس الأسد النفوسا

فاتّصل كلام عقيل بصعصعه فكتب إليه: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، ذكر اللّه أكبر و به يستفتح المستفتحون، و أنتم مفاتيح الدّنيا و الاخره، أمّا بعـد فقـد بلغ مولاک کلامک لعـدوّ اللّه و عـدوّه فحمدت اللّه على ذلک و سألته أن يفیء بک إلى الدّرجه العليا، و القضـيب الأحمر، و العمود الأسود، فإنّه عمود من فارقه فارق الدّين الأزهر، و لئن نزعت بک نفسک إلى معاويه طلبا لماله إنّک لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بک ناره فيضـلّک عن الحجّه فإنّ اللّه قد رفع عنكم أهل البيت ما وضـعه فی غيركم، فما كـان من فضـل أو احسـان فبکم وصـل إلينـا، فأجـلّ اللّه أقـداركم و حمى أخطاركم، و كتب آثاركم، فإنّ أقـداركم مرضـيّه، و أخطـاركم محميّـه و آثـاركم بـدريّه، و أنتم سـلّم اللّه إلى خلقه، و وسـيلته إلى طرقه، أيـد عليّه، و وجـوه جليّه، و أنتم كمـا قـال الشاعر:

فما كان من خبر أتوه فإنّما توارثه آباء آبائهم قبل

و هل ينبت الخطى إلاّ وشيجه و تغرس إلاّ فی منابتها النخل؟

نقله المسعودی فی مروج الذّهب (ص ۷۵ ج ۲).

وحدت أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرىّ، عن محمّد بن حميد الرازى، عن أبى مجاهد عن محمّد بن إسحاق بن أبى نجيح قال: لمّا حجّ معاويه طاف بالبيت و معه سـعد فلما فرغ انصرف معاويه إلى دار الندوه فأجلسه معه على سريره، و وقع معاويه فی علیّ و شرع فی سبّه فزحف سعد ثمّ قال: أجلستنى معک على سريرک ثمّ شرعت فی سبّ علیّ! و اللّه لأن تكون فیّ خصله واحده من خصال كانت لعلیّ أحبّ إلیّ من أن يكون لی ما طلعت عليه الشمس.

و اللّه لأن أكون صهر الرّسول صلّى اللّه عليه و اله لی من الولد ما لعلیّ أحبّ إلیّ من أن يكون لی ما طلعت عليه الشمس.

و اللّه لأن يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قاله لى ما قاله يوم خيبر: «لأعطينّ الرايه غدا رجلا يحبّه اللّه و رسوله و يحبّ اللّه و رسوله ليس بفرّار يفتح اللّه على يديه» أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس.

و اللّه لأن يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله قال لى ما قال له فى غزوه تبوك: «ألا ترضى أن تكون منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى» أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس و أيم اللّه لا دخلت لك دارا ما بقيت و نهض.

نقله المسعودى فى مروج الذّهب (ص ۶۱ ج ۲) ثمّ قال المسعودى: و وجدت فى وجه آخر من الرّوايات و ذلك فى كتاب علىّ بن محمّد بن سليمان النوفلى فى الأخبار عن ابن عائشه و غيره أنّ سعدا لما قال هذه المقاله لمعاويه و نهض ليقوم ضرط له معاويه و قال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قطّ ألأم منك الان فهلّا نصرته و لم قعدت عن بيعته؟ فإنّى لو سمعت من النبىّ مثل الّذى سمعت فيه لكنت خادما لعلىّ ما عشت، فقال سعد: و اللّه إنّى لأحقّ بموضعك منك، فقال معاويه: يأبى عليك بنو عذره - و كان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذره - قال النوفلى: و فى ذلك يقول السيّد الحميرىّ:

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه من كان أثبتها فى الدّين أوتادا

من كان أقدمها سلما و أكثرها علما و أطهرها أهلا و أولادا

من وحّد اللّه إذ كانت مكذّبه تدعو مع اللّه أوثانا و أندادا

من كان يقدم فى الهيجاء ان نكلوا عنها و إن بخلوا فى أزمه جادا

من كان أعدلها حكما و أقسطها حلما و أصدقها وعدا و إيعادا

إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا

إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف و من عدىّ لحقّ اللّه جحّادا

أو من بنى عامر أو من بنى أسد رهط العبيد ذوى جهل و أوغادا

أو رهط سعد و سعد كان قد علموا عن مستقيم صراط اللّه صدادا

قوم تداعوا زنيما ثمّ سادهم لو لا خمول بنى زهر لما سادا

و قال معاويه لعقيل: إنّ فيكم شبقا يا بنى هاشم، فقال له عقيل: منّا فى الرّجال و منكم فى النساء، نقله القاضى نور اللّه الشهيد فى المجلس الثالث من مجالس المؤمنين.

و من ذلك ما جرى بين معاويه و بين قيس بن سعد بن عباده حين كان عاملا على مصر فكتب إليه معاويه: أمّا بعد فانّك يهودىّ ابن يهودىّ و إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك و استبدل بك، و إن ظفر أبغضهما إليك نكل بك و قتلك؛ و قد كان أبوك أو ترقوسه و رمى غرضه فأكثر الجدّ و أخطأ القصد فخذله قومه و أدركه يومه ثمّ مات بحوران طريدا.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد فإنّما أنت و ثنىّ ابن وثنىّ دخلت فى الإسلام كرها، و خرجت منه طوعا لم يقدم إيمانك و لم يحدث نفاقك و قد كان أبى أو ترقوسه و رمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه و لا شق غباره، و نحن أنصار الدّين الّذى منه خرجت و أعداء الدّين الّذى فيه دخلت، نقله المسعودىّ فى مروج الذّهب (ص ۶۲ ج ۲).

و دخل قيس بن سعد بعد وفاه علىّ و وقوع الصلح فى جماعه من الأنصار على معاويه فقال لهم معاويه: يا معشر الأنصار بم تطلبون ما قبلى؟ فو اللّه لقد كنتم قليلا معى، كثيرا علىّ، و لفللتم حدّى يوم صفّين حتّى رأيت المنايا تلظّى فى أسنّتكم و هجوتمونى فى أسلافى بأشدّ من وقع الأسنّه حتّى إذا أقام اللّه ما حاولتم ميله قلتم ارع وصيّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله هيهات يأبى الحقير الغدره.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به اللّه لا بما نمت به إليك الأحزاب و أمّا عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، و أمّا هجاؤنا إيّاك فقول يزول باطله و يثبت حقّه، و أمّا استقامه الأمر فعلى كره كان منّا، و أمّا فلّنا حدّك يوم صفّين فانّا كنّا مع رجل نرى طاعته للّه طاعه، و أمّا وصيّه رسول اللّه بنا فمن آمن به رعاها بعده، و أمّا قولك يأبى الحقير الغدره فليس دون اللّه يد تحجزك منّا يا معاويه، فقال

معاویه: دعوه(۱) ارفعوا حوائجکم.

نقله المسعودی فی مروج الذّهب (ص ۶۳ ج ۲) ثمّ قال: و قد کان قیس بن سعد من الزهد و الدّیانه و المیل إلی علیّ بالموضع العظیم.

لما قدم معاویه الکوفه صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: أمّا بعد ذلکم فإنّه لم تختلف امّه بعد نبیّها إلاّ غلب باطلها حقّها إلاّ ما کان من هذه الامّه فإنّ حقّها غلب باطلها. ثمّ نزل و أحضر النّاس لبیعته و کان الرّجل یحضر فیقول: و اللّه یا معاویه إنّی لا بایعک و إنّی لکاره لک فیقول: بایع فانّ اللّه قد جعل فی المکروه خیرا کثیرا؛ و یأتی الاخر فیقول: أعوذ باللّه من نفسک، و أتاه قیس بن سعد بن عباده فقال: بایع قیس، قال: إن کنت لأکره مثل هذا الیوم یا معاویه؟ فقال له: مه رحمک اللّه، فقال: لقد حرصت أن افرق بین روحک و جسدک قبل ذلک فأبی اللّه یا ابن أبی سفیان إلاّ ما أحبّ، قال: فلا یردّ أمر اللّه، فأقبل قیس علی النّاس بوجهه فقال: «یا معشر النّاس لقد اعتضتم الشرّ من الخیر، و استبدلتم الذلّ من العزّ، و الکفر من الإیمان، فأصبحتم بعد ولایه أمیر المؤمنین و سیّد المسلمین و ابن عمّ رسول ربّ العالمین، و قد ولیکم الطّلیق ابن الطّلیق، یسومکم الخسف، و یسیر فیکم بالعسف، فکیف تجهل ذلک أنفسکم أم طبع اللّه علی قلوبکم و أنتم لا تعقلون» فجثا معاویه علی رکبتیه ثمّ أخذ بیده و قال: أقسمت علیک ثمّ صفق علی کفّه و نادی النّاس: بایع قیس؛ فقال: کذبتم و اللّه ما بایعت و لم یبایع لمعاویه أحد إلاّ أخذ علیه الإیمان فکان أوّل من استخلف علی بیعته.

و دخل إلیه سعد بن مالک فقال: السّلام علیک أیها الملک. فغضب معاویه فقال: ألاّ قلت السّلام علیک یا أمیر المؤمنین؟ قال: ذاک إن کنّا أمّرناک، إنّما أنت منتز، (نقلهما الیعقوبی فی التاریخ ص ۱۹۲ ج ۲).

حدث أبو الهیثم قال: حدثنی أبو البشر محمّد بن بشر الفزاری عن إبراهیم بن عقیل البصریّ قال: قال معاویه یوما و عنده صعصعه و کان قدم علیه بکتاب علیّ و عنده

۱- (۱) کان الاصل: یموه، و انما صححناه علی القیاس. منه.

وجوه النّاس: الأرض للّه و أنا خليفه اللّه فما آخذ من مال اللّه فهو لى و ما تركته منه كان جائزا لى، فقال صعصعه:

تمنّيك نفسک ما لا يكون جهلا معاوى لا تأثم

فقال معاويه: يا صعصعه تعلّمت الكلام قال: العلم بالتعلّم و من لا يعلم يجهل، قال معاويه: ما أحوجک إلى أن اذيقک و بال أمرک! قال: ليس ذلک بيدک ذلک بيد الّذى لا يؤخّر نفسا إذا جاء أجلها، قال معاويه: و من يحول بينى و بينک؟ قال:

الّذى يحول بين المرء و قلبه، قال معاويه: اتّسع بطنک للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير: قال: اتّسع بطن من لا يشبع و دعا عليه من لا يجمع، نقله المسعودىّ فى مروج الذّهب (ص ۷۹ ج ۲).

و دخل صعصعه بن صوحان على معاويه فقال له: يا ابن صوحان أنت ذو معرفه بالعرب و بحالها فأخبرنى عن أهل البصره و إيّاک و الحمل على قوم لقوم فأجابه و أخبره عنهم، ثمّ قال: فأخبرنى عن أهل الكوفه؛ قال: قبه الاسلام و ذروه الكلام - إلى أن قال: غير أنّ لهم ثباتا فى الدّين و تمسكا بعروه اليقين يتّبعون الأئمّه الأبرار و يخلعون الفسقه الفجّار؛ فقال معاويه من البرره و الفسقه؟ فقال: يا ابن أبى سفيان ترک الخداع من كشف القناع، علىّ و أصحابه من الأئمّه الأبرار و أنت و أصحابک من اولئک، ثمّ أحبّ معاويه أن يمضى صعصعه فى كلامه بعد أن بان فيه الغضب فقال:

أخبرنى عن القبّه الحمراء فى ديار مضر فأخبره عنها ثمّ استخبره عن ديار ربيعه، و عن مضر فأخبره عنهما ثمّ أمسک معاويه فقال له صعصعه: سل يا معاويه و إلاّ أخبرتک بما تحيد عنه؛ قال: و ما ذاک يا ابن صوحان؟ قال: أهل الشام، قال: فأخبرنى عنهم قال: أطوع الناس لمخلوق، و أعصاهم للخالق، عصاه الجبار، و خلفه الأشرار، فعليهم الدّمار، و لهم سوء الدار، فقال معاويه: و اللّه يا ابن صوحان إنّک لحامل مديتک منذ أزمان إلاّ أنّ حلم أبى سفيان يردّ عنک، فقال صعصعه: بل أمر اللّه و قدرته إنّ أمر اللّه كان قدرا مقدورا.

نقله المسعودىّ فى مروج الذّهب مفصّلا و ما أتينا به ههنا ملتقط منه.

ص:۳۰۲

و من ذلک أنّ معاویه حبس صعصعه بن صوحان العبدی، و عبد اللّه بن الکواء الیشکری و رجالا من أصحاب علیّ علیه السّلام مع رجال من قریش فدخل علیهم معاویه یوما فقال: نشدتکم باللّه إلّا ما قلتم حقّا و صدقا أیّ الخلفاء رأیتمونی؟ فبعد ما تکلّم ابن الکواء فی مساوی معاویه قال صعصعه: تکلّمت یا ابن أبی سفیان فأبلغت و لم تقصر عمّا أردت و لیس الأمر علی ما ذکرت أنّی یکون الخلیفه من ملک النّاس قهرا، و دانهم کبرا، و استولی بأسباب الباطل کذبا و مکرا؟ أما و اللّه مالک فی یوم بدر مضرب و لا مرمی و ما کنت فیه إلّا کما قال القائل «لا حلی و لا سیری» و لقد کنت أنت و أبوک فی العیر و النفیر ممّن أجلب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و إنّما أنت طلیق ابن طلیق أطلقکما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله فأنّی تصلح الخلافه لطلیق؟ فقال معاویه: لو لا أنّی أرجع إلی قول أبی طالب حیث یقول:

قابلت جهلهم حلما و مغفره و العفو عن قدره ضرب من الکرم

لقتلتکم. (مروج الذّهب ص ۷۸ ج ۲).

دخل صعصعه علی معاویه أوّل ما دخل علیه و قد کان یبلغ معاویه عنه فسأله عن نسبه فبیّن له نسبه، ثمّ قال له معاویه: أمّا و اللّه لقد کان یسوءنی أن أراک أسیرا! قال: و أنا و اللّه لقد کان یسوءنی أن أراک أمیرا، نقلهما القالی فی الأمالی و القصّه طویله عذبه غیر مملّه (ص ۲۲۷ ج ۲) و قریب منها ما نقله المسعودی فی مروج الذّهب (ص ۷۶ ج ۲) و لصعصعه بن صوحان أخبار حسان و کلام فی نهایه البلاغه و الفصاحه و الإیضاح عن المعانی علی إیجاز و اختصار و قد جری بینه و بین معاویه کلام کثیر فی غیر موطن تکلّم فیها بقبائح أعمال معاویه و خبث سریرته و سوء رویّته و قد أتی الشیخ الأجلّ الطبرسی فی کتاب الاحتجاج طائفه من احتجاجات الإمامین سیّدی شباب أهل الجنّه و ریحانتی الرّسول الحسن و الحسین علیهما السّلام، و غیرهما من کبار الصحابه و التابعین علی معاویه بن أبی سفیان، و ما تکلّم القوم بها معاویه من مساوی أفعاله أکثر من أن تحصی و إنّما نقلنا نبذه منها فإنّ القلیل ینبیء عن الکثیر.

و فیما نقلناها مواقع للتدبّر و الاستبصار فی أمر معاویه و أشیاعه و أتباعه کیف

لعبوا بالقرآن، و رفعوا رايه البغى و الطغيان فاتّخـذوا دين اللّه دغلا، و مال اللّه دولا، و عباده خولا و الصّالحين حربا، و الفاسـقين حزبا، و قد قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء إنّه أخرج السلفى فى الطيوريات عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال:

سألت عن علىّ عليه السّلام و معاويه، فقال: اعلم أنّ عليّا كان كثير الأعـداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه و قاتله فأطروه كيادا منهم له.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حـديثا و يـذرون طيبا من القول و يأخذون خبيثا فبعدا للمفترين و سـحقا للممترين ربّ نعوذ بك من أمانى الأنفس و شرورها.

اشاره: قـد احتجّ صعصـعه على معاويه بأنّ الطّليق لا يصـلح للخلافه، و هذا حقّ و صعصـعه رضوان اللّه عليه قد اسـتنار من ضـياء القرآن، و اقتبس من مشـكاه النبوّه و الولايه و ذلك لأنّ الطّلقاء كانوا مشـركين قبل الإسـلام و عبـدوا الأصـنام و قـد قال عزّ من قائـل: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (لقمـان - ۱۴) و قـال اللّه تعـالى: «لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ » (البقره - ۱۱۹) و الخلافه عهـد اللّه تعالى فلا يناله الطّلقاء، و تقدّم بحثنا عن ذلك فى شرح المختار ۲۳۷ من باب الخطب فراجع (ص ۴۹-۵۹ ج ۱۶).

الترجمه

نصـر بن مزاحم منقرى كـوفى در كتـاب صـفّين و ديگر أربـاب تاريـخ آورده انـد كه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام روزى در صفين اظهار داشت كه فردا بأنبوه لشكرم فرمان كارزار دهم و به مقاتلت اقدام نمايم تا كار را يكسره كرده مردم را از جنگ و جوش رهـائى داده أمر را بخـاتمت رسـانم چون اين خبر بمعـاويه رسـيد و در شاميان كه پيروان او بودنـد پراكنـده شـد همگى سخت مضطرب شدند و فزعى تمام در آنها در گرفت.

و از آن سوى معاويه بن ضحاك نيز أبياتى چند بسرود كه بر فزعشان افزود

ص:۳۰۴

معاویه در این خیال افتاد و در خاطر نهاد که نامه ای بأمیر علیه السّلام نویسد و از حضرتش بحیلت و خدیعت و مکر درخواست کند که ایالت شام را - که پیش از اینهم از وی خواسته بود - بدو واگذار کند و وی را از بیعت معاف بدارد، باشد که از این درخواست دو دلی در علی روی دهد و رقّتی بی اساس بوی دست دهد که در دام فریب معاویه افتاده، دست از کارزار بردارد.

سپس مکنون خاطرش را به عمرو عاص مکشوف داشت عمرو از بلاهت وی بر عقلش بخندید و گفت: ای معاویه تو کجا تا توانی علی را فریب دهی؟ معاویه گفت: مگر من و او هر دو از دودمان عبد مناف نیستیم؟ گفت: آری ولی ایشان را رتبت و فضیلت نبوّت است و تو را نیست - یعنی أمیر علیه السّلام از مشکاه نبوّت اقتباس معارف حقهٔ إلهیّه کرده است و هیچگاه أهل نبوّت و وحی گول مردم نخورند، چه در تمام صفات انسانیّت از دیگران بهتر و برترند و در هوش و زیرکی سرور و سر آمد و بالاتر از همه هستند - و با این همه اگر خواهی نامه ای بنویسی بنویس (تا صدق گفتارم بر تو روشن آید).

معاویه نامه ای نوشت و عبد اللّه بن عقبه را که از قبیلهٔ سکاسک بود با نامه بسوی أمیر علیه السّلام گسیل داشت مضمون نامه اش این که: أمّا بعد اگر ما و شما می دانستیم که جنگ کار را بدین غایت و خونریزی را بدین نهایت می رساند هیچگاه بان اقدام نمی کردیم و لکن نفوس هر دو ما بر عقول ما غلبه کرد - یعنی بخواهش نفسانی و از روی هوا و هوس آتش جنگ بر افروختیم و بفرمان خرد ساز جنگ نکردیم - و اکنون وقت آن هست که از گذشته پشیمان شویم و در پی اصلاح آینده برآییم.

و پیش از این از شما خواستیم که ایالت شام را بمن واگذار و از بیعت و طاعت معافم دار ولی شما از خواستهٔ من سرباز زدید و نپذیرفتید و آنچه را که از من باز داشتید خداوند بمن عطا فرمود، و اکنون نیز همان خواستهٔ پیش را خواهانم که تو از بقا نخواهی مگر آنچه را که من خواهم، و از فنا نمی ترسی مگر آنچه که من می ترسم سوگند بخدا که لشکریان نابود شدند و مردان جنگی از بین رفتند، و عرب طعمهٔ

جنگ گردید و نیم جانی بیش نمانده، و ما و شـما در جنگ و مردان جنگی برابریم و هر دو از دودمان عبد مناف و یکی از ما بر دیگری برتری ندارد و اگر هم دارد نباید بدان ارجمندی را خوار و آزادی را بنده گرداند. و السلام.

چون عبد اللّه بن عقبه نامه را بأمیر علیه السّلام رسانید و حضرت آن را بگشود و قرائت فرمود بخندید و گفت: شگفتم می آید از معاویه و نامهٔ او و خـدیعت و مکری که خواهـد با من بکار برد، پس کاتبش عبیـد اللّه بن أبی رافع را پیش خوانـد و فرمود پاسخ نامه اش بنویس:

أمّـا بعـد «این که گفته ای اگر می دانستیم کـار جنـگ بـدین حـدّ خواهـد رسـید هیچیک بان تن در نمی دادیم» همانا که این جنـگ را نهـایت و سـرانجامی است که که هنوز بـدان نرسـیده ایم، و اگر من در راه ذات حق هفتاد بار کشـته و زنـده شوم از سخت گیری و کوشش در راه خدا و جهاد با دشمنان خدا بر نخواهم گشت.

و أمّـا آنکه گفته ای «هوای مـا بر خرد ما چیره شـد و اینک وقت آنست که از کردهٔ پیش نادم و در راه اصـلاح آینـده باشـیم» همانا که من از دائرهٔ فرمان خرد پای بدر ننهادم و از کردهٔ خود پشیمان نیستم.

أمّا این که «شام را از من طلب کرده ای» همانا که من کسـی نیسـتم که امروز بدهم بتو آنچه را که دیروز تو را از آن بازداشتم - چه در دیروز استحقاق آن نداشت و امروز هم بر آن حال باقی است -.

أمّـا این که گفته ای «جنـگ عرب را خورده و در چنگش نیم جانی بیش نمانـده» آگاه باش هر که را حق در ربود و خورده و سترده است رخت بدوزخ کشد.

أمّا آنکه گفته ای «در جنگ و سپاه جنگی یکسانیم» درست نیست چه تو به شکّ و تردید در کار خود استوارتر و گذرانده تر از من که به علم و یقینم نیستی، و مردم شام در اکتساب دنیا حریص تر از مردم عراق در کسب آخرت نیستند.

أمّا این که گفتی «ما فرزنـدان عبـد منافیم» آری همـهٔ ما فرزنـدان یک پـدریم ولی امیّه پـدر جدّ تو بمنزلت هاشم پدر جدّ من نیست، و حرب جدّ تو به مرتبت

عبـد المطّلب جـدّ من نیست، و أبو سـفیان پدر تو به پایهٔ أبو طالب پدر من نیست - چه بنی هاشم خانواده ای نجیب و دلسوز و مهربان و یکتاپرست بودند و در شرافت و اصالت سر آمد عرب و همواره ملجأ و مأمن مردم، علاوه این که حاملین نور نبوّت و صدفهای درّ ولایت بودند، أمّا بنی امیّه جز خونخواری و بیدادگری و نخوت و حبّ شهوت و دنیا پرستی نمی دانستند -.

و مهاجر ماننـد طلیق نیست - مهاجر أمیر علیه السّـلام که از مکّه بمـدینه هجرت فرمود چنانکه شـرح آن بطور اجمال در شـرح خطبه ۲۳۴ گفته شـد ص ۱۲۶-۱۶۷ ج ۱۵، و طلیق یعنی آزاد شـده و رهـا شـده از قیـد اسارت چون معاویه و پـدرش و از این روی معاویه را طلیق ابن طلیق گویند -.

و نه خالص پاکیزه نسب ماننـد بسته و چسبیـده بقومی است - چون بنی امیّه از قریش نیسـتند چون امیّه رومی بود و آزاد شـدهٔ عبـد شـمس بن عبـد مناف و عرب او را بقاعـدهٔ نسـبت و محاورت ابن عبد الشـمس گفتند، این ابن یعنی پسـر خوانده نه پسـر حقیقی لـذا حضـرت أمیر علیه السّـلام امضـاء نکرده که معـاویه از عبـد منـاف است بلکه در جـوابش فرمـود: إنّا بنو أب واحد چنانکه نصر در کتاب صفّین روایت کرده بود.

و نه صـاحب حق ماننـد طرف دار باطـل است، و نه مؤمن مثـل منافق مفسـد ناپاك است، و چه بـد فرزنـدی است فرزنـدی که گذشتگانش را که أهل جهنّمند تقلید و پیروی کند و راه آنان را پیش بگیرد - یعنی معاویه که گذشتگانش از کفر و شرك و نفاق در آتش دوزخند و او راه آنان را پیش گرفت -.

و حـال آنکـه بعـد از این همه فضائـل، در دست مـا فضـل نبـوّت است - که هیـچ فضـیلتی بـا آن برابری نمی کنـد - که بـدان گردنکشان را خوار، و بیچارگان را بلند گردانیدیم.

و چـون خداونـد عرب را دسـته دسـته بـدینش در آورد و ایـن امّت برخی برضـا و رغبت و برخی به بی میلی و کراهت اسـلام آوردنـد، شـما از کسـانی بودیـد که یـا بجهت طمع بـدنیا و یـا از ترس شمشـیر داخـل در دین شدیـد؛ علاوه آنهم در وقتی که سابقان

به سبقتشان در دین رستگار شدند، و هجرت کنندگانی که پیش از این بودند فضل و بزرگی را برده بودند پس برای شیطان در خود بهره ای و بر خویشتن راهی قرار مده. و السّلام.

و من کتاب له علیه السّلام الی عبد اللّه بن عباس و هو عامله علی البصره

اشاره

و هو المختار الثامن عشر من باب کتبه و رسائله علیه السّلام اعلم أن البصره مهبط إبلیس، و مغرس الفتن؛ فحادث أهلها بالإحسان إلیهم، و احلل عقده الخوف عن قلوبهم؛ و قد بلغنی تنمّرک لبنی تمیم، و غلظتک علیهم، و إنّ بنی تمیم لم یغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر، و إنّهم لم یسبقوا بوغم فی جاهلیّه و لا إسلام، و إنّ لهم بنا رحما ماسّه و قرابه خاصّه، نحن مأجورون علی صلتها، و مأزورون علی قطیعتها، فاربع أبا العبّاس - رحمک اللّه - فیما جری علی یدک و لسانک من خیر و شرّ، فإنّا شریکان فی ذلک، و کن عند صالح ظنّی بک، و لا یفیلنّ رأیی فیک، و السّلام.

المصدر

روی أنّ ابن عبّاس کان قد أضرّ ببنی تمیم حین ولی البصره من قبل

ص:۳۰۸

علیّ علیه السّلام لما عرفهم به من العداوه یوم الجمل لأنّهم کانوا من شیعه طلحه و الزبیر و عائشه فتنکّر علیهم و سمّاهم شیعه الجمل و أنصار عسکر(۱) و حزب الشیطان فاشتدّ ذلک علی نفر من شیعه علیّ علیه السّلام من بنی تمیم منهم جاریه بن قدامه(۲) فکتب بذلک إلی علیّ علیه السّلام یشکو ابن عبّاس فکتب علیه السّلام إلی ابن عبّاس: «أمّا بعد فإنّ خیر النّاس عند اللّه أعملهم بطاعته فیما له و علیه، و أقولهم بالحقّ و إن کان مرّا ألا- و إنّه بالحقّ قامت السماوات و الأرض فیما بین العباد فلتکن سریرتک فعلا، و لیکن حملک واحدا، و طریقتک مستقیمه و اعلم أنّ البصره مهبط إبلیس - إلخ.

أقول: هکذا قال العالم الشارح البحرانی قدّس سرّه فی شرحه علی النهج، و نقل عنه المحدّث الجلیل المجلسیّ رضوان اللّه علیه فی ثامن البحار (ص ۶۳۴ من الطبع الکمبانی) و أتی به الفاضل الهادی کاشف الغطا رحمه اللّه علیه فی مستدرک نهج البلاغه، و مدارکه، و لکن روی أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقری الکوفیّ المتوفّی (۲۱۲ ه ق) فی کتابه صفّین (ص ۵۷ من الطبع الناصری) أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام کتب إلی عبد اللّه بن عامر:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی عبد اللّه بن عامر أمّا بعد فإنّ خیر النّاس عند اللّه عزّ و جلّ أقومهم للّه بالطّاعه فیما له و علیه، و أقولهم بالحقّ و لو کان مرّا، فإنّ الحقّ به قامت السماوات و الأرض و لتکن سریرتک

۱- (۱) کان عسکر اسم جمل عائشه.

۲- (۲) قد حرف فی شروح نهج البلاغه و تراجمه العربیه و الفارسیه جاریه بن قدامه بحارثه بن قدامه، فراجع الی التقریب و الاصابه لابن حجر، و الطبقات الکبری لابن سعد (ص ۵۶ ج ۷ من طبع بیروت)، و روی الکشی فی رجاله أن أمیر المؤمنین علیه السّلام وجهه الی أهل نجران عند ارتدادهم عن الاسلام، و قال أبو علی فی منتهی المقال: و وجد علی کتاب الشیخ رحمه اللّه هکذا: قال محمد بن ادریس هذا (یعنی حارثه بن قدامه بالحاء و الثاء) اغفال واقع فی التصنیف و انما هو جاریه بالجیم و هو جاریه بن قدامه السعدی التمیمی أحد خواص علی علیه السّلام صاحب السرایا و الالویه و المیل یوم صفین و کان ینبغی أن یکون فی باب الجیم بغیر شک - منه.

كعلانيتك، و ليكن حكمك واحدا، و طريقتك مستقيمه، فإنّ البصره مهبط الشيطان فلا تفتحنّ على يد أحد منهم بابا لا نطيق سدّه نحن و لا أنت و السّلام.

اللغه

(مهبط) بكسر الباء كمجلس: موضع الهبوط: يقال: هبط هبوطا من باب ضرب أى انحدر و نزل؛ قال عزّ من قائل: «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ » (البقره - ٣٦)، (و مغرس) كمجلس أيضا موضع الغرس، يقال: غرس الشجر غرسا من ذلك الباب أيضا أى أثبته فى الأرض، و يبنى اسما الزّمان و المكان من الثلاثى الصّحيح المجرّد على وزن مفعل بكسر العين إذا كانت عين مضارعه مكسوره، و على مفعل بفتح العين إذا كانت عين المضارع مضمومه أو مفتوحه إلّا إحدى عشره لفظه أتت بكسر العين مع أنّ مضارعها مضموم؛ فالضّابطه قائله بأنّ المهبط و المغرس على وزن مفعل بالكسر، ففتح العين فيهما كما اختاره الشيخ محمّد عبده ليس بصحيح، و نسختنا الّتى قوبلت على نسخه الرضى مشكوله بالكسر فيهما.

(حادث أهلها بالاحسان إليهم) أى تعاهدهم تعدهم به، قال ابن الأثير فى النهايه فى حديث الحسن: حادثوا هذه القلوب بذكر اللّه [فإنّها سريعه الدثور] أى اجلوها به و اغسلوا الدرن عنها و تعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال، ففى المقام أمره الأمير عليه السّلام أن يجلو قلوب أهلها و يغسل درن الأحقان و الضّغائن ورين الوساوس الموذيه الموديه عنها بصقال الاحسان و ماء البرّ. (تنمّرك) النمر سبع معروف أصغر من الأسد و أخبث و أجرأ منه و هو منقط الجلد نقطا سودا و بيضا سمّى به للنّمر الّتى فيه و منه النمره بفتح النون و كسر الميم و هى كساء فيه خطوط بيض و سود تلبسه الأعراب؛ و فى البيان و التبيين (ص ٦٨ ج ٢) أنّ عمر بن الخطّاب سأل عمرو بن معديكرب عن سعد، قال: كيف أميركم؟ قال: خير أمير، نبطىّ فى حبوته، عربىّ فى نمرته، أسد فى تامورته، يعدل فى القضيه، و يقسم بالسويّه، و ينفر فى السّريّه، و ينقل إلينا حقّنا كما تنقل الذّرّه؛ فقال عمر: لشدّ ما تقارضتما الثناء.

و التنمّر: التشبّه بالنّمر إمّا فى لبس ثوب من النمره و نحوها يشبه جلده، و إمّا فى التخلّق بأخلاقه، و يفيد كلا الوجهين قول عمرو بن معديكرب:

قوم إذا لبسوا الحديد تنمّروا حلقا و قدّا

(۱) و هذا البيت من أبيات له مذكوره فى الحماسه (الحماسه ۳۴) يريد بالحديد حلقا الدروع الّتى نسجت حلقتين حلقتين، و بالحديد قدّا اليلب و هو شبه درع كان يتّخذ من القدّ أى إنّهم إذا لبسوا الحديد الدروع و اليلب تشبّهوا بالنمر فى أفعالهم فى الحرب فيكون حلقا و قدّا كل واحد منهما بدلا عن الحديد و يجوز أن يريد بتنمّروا أنّهم تلوّنوا بألوان النّمر لطول ثباتهم و ملازمتهم الحديد، و على هذا الوجه يصحّ أن يكون انتصاب حلقا و قدّا على التميز، و يروى خلقا و قدّا أى انهم تشبّهوا بالنمر فى أخلاقهم و خلقهم فيكون انتصابهما على التميز أيضا، هذا ما ذكره المرزوقىّ فى شرح الحماسه؛ و قال الجوهرىّ فى الصحاح فى معنى البيت:

أى تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القدّ و الحديد و لم يذكر الروايه الثانيه.

۱- (۱) صدر القصيده على ما فى الحماسه:ليس الجمال بمئزرفاعلم و ان رديت برداان الجمال معادنو مناقب أورثن مجدااعددت للحدثانسابغه و عداء علندى و قال الثعالبى فى يتيمه الدهر (ص ۲۳۳ ج ۳): لما حصل الصاحب بن عباد فى رقعه جرجان على الفيل الذى كان فى عسكر خراسان أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه فى تشبيب قصيده على وزن قافيه قول عمرو بن معديكرب: اعددت للحدثان، البيت فأتى بثلاث قصائد حسان معروفه بالفيليات لابى القاسم عبد الصمد بن بابك، و أبى الحسن الجوهرى، و أبى محمد الخازن، و بعض أبيات الجوهرى مذكور فى باب البلار و البراهمه من كتاب كليله و دمنه المترجم بالفارسى لنصر اللّه المنشى، كما قد اشرنا اليه من تعليقتنا عليه (ص ۴۷۳ طبع طهران ۱۳۸۲ ه ق).

و نقل الجوهرىّ عن الاصمعى قال: تنمّر له أى تنكّر له و تغيّر و أوعده لأنّ النّمر لا تلقاه أبدا إلاّ غضبان.

و فى كنز اللّغه: تنمّر - مانند پلنگ خشمناك شدن، و لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكّر له و أظهر الحقد و الغضب و قيل: كانت ملوك العرب إذا جلست لقتل انسان لبست جلود النمور ثمّ أمرت بقتل من تريد قتله، و نقل الجاحظ فى البيان و التبيين عن أبى الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراسانى صاحب التفسير قال: سمعت يزيد بن المهلّب يخطب بواسط فقال: «يا أهل العراق، يا أهل السّبق و السّباق، و مكارم الأخلاق، إنّ أهل الشام فى أفواههم لقمه دسمه، زبّبت لها الأشداق، و قاموا لها على ساق، و هم غير تاركيها لكم بالمراء و الجدال؛ فالبسوا لهم جلود النّمور».

(و غم) الوغم بالفتح فالسكون: الحرب و القتال و التره و الذحل الثقيل و الحقد الثابت فى الصّدر، قال ابن الأثير المتوفّى «۶۰۶ ه ق» فى و غم من النهايه: و فى حديث علىّ عليه السّلام: «إنّ بنى تميم لم يسبقوا بوغم فى جاهليه و لا اسلام» الوغم: التره، و جمعها أوغام، و وغم عليه بالكسر أى حقد و تو غم إذا اغتاظ. انتهى.

(رحما)قال الراغب فى المفردات: الرّحم رحم المرأه و منه استعير الرّحم للقرابه لكونهم خارجين من رحم واحده يقال: رحم و رحم، قال تعالى:

«وَ أَقْرَبَ رُحْماً »، انتهى، و فى الأساس للزّمخشرى: وقعت النطفه فى الرّحم «هو الّذى يصوّركم فى الأرحام» و هى منبت الولد و وعاؤه فى البطن و بينهما رحم و رحم قال الهذلى:

و لم يك فظّا قاطعا لقرابه و لكن وصولا للقرابه ذا رحم

«و أقرب رحما» و هى علاقه القرابه و سببها.

(مأزورون) من الوزر فأصله موزورون بالواو إلاّ أنّه عليه السّلام قال:

مأزورون طلبا للمطابقه بين مأجورين و مأزورين، و نحوه قوله عليه السّلام لأشعث بن قيس إن صبرت جرى عليك القدر و أنت مأجور و إن جزعت جرى عليك القدر و أنت مأزور و سيأتى فى الحكمه ۲۹۱.

(اربع) بالباء الموحّده قال الجوهرىّ: ربع الرّجل يربع - من باب منع -

إذا وقف و تحبّس و منه قولهم اربع على نفسك و اربع على ظلعك أى ارفق بنفسك و كفّ، و فى نسخه مخطوطه من النهج جاءت الكلمه بالتاء المثناه (ارتع) و كأنّها مصحّفه.

(لا ـ يفيلنّ) فال رأيه يفيل فياله و فيوله من باب ضرب أخطأ و ضعف، و فيّل رأيه تفييلا: قبّحه و ضعّفه و خطّاه، و رجل فائل الرأى و فيل الرأى أى ضعيفه، قال أبو الفرج محمّد بن الحسين الكاتب:

و أعلم أنّى فائل الرأى مخطئ و لكن قضاء لا اطيق غلابه(۱)

الاعراب

«فحادث» الفاء فصيحه.

«و إنّ بنى تميم» الواو هنا و او الحال و لذا يجب أن تكسر انّ فى المقام لأنّ وقوع انّ بعد واو الحال من المواضع التسعه الّتى يجب كسرها كما تقرّر فى النحو فراجع إلى شرح صدر الدّين السيد على خان الكبير على الصّمديه فى النحو للشيخ البهائى العاملى قدّس سرّهما، و هذا نحو قوله تعالى: «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ » (الأنفال – ۶) و قال أبو البقاء يعيش ابن علىّ فى تفسيره التبيان فى إعراب القرآن: الواو هنا – يعنى فى قوله تعالى و إنّ فريقا: للحال، و فى تفسير الجلالين، و النيسابورى، و البيضاوى قوله تعالى:

«وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ » فى موضع الحال أى كما أخرجك فى حال كراهتهم.

«و إنّهم. و إنّ لهم» معطوفان على قوله و إنّ بنى تميم، «لم يسبقوا» على صيغه المجهول «ماسّه» صفه لقوله رحما لأنّها مؤنثه، «فاربع» الفاء فصيحه و التقدير إذا كان حال البصره و شأن بنى تميم كذا فاربع، «أبا العباس» منصوب بالنداء و هو كنيه لابن عبّاس، «رحمك اللّه» جمله معترضه، «فيما جرى» متعلّق بقوله اربع «من خير و شرّ» بيان لما، «فانا شريكان» تعليل لقوله اربع «و كن» عطف على

ص:۳۱۳

۱- (۱) صححنا البيت فى باب الاسد و الثور من كتاب كليله و دمنه (ص ۱۵۴ طبع طهران ۱۳۸۲ ه).

اربع، «و السلام» خبره محذوف أى و السلام عليك، أو و السّلام على من اتّبع الهدى، و نحوهما.

المعنى

كان ابن عبّاس عامل البصره و خليفه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فيها بعد وقعه الجمل فإنّه عليه السّلام لما أراد الخروج من البصره بعد أن وضعت الحرب أوزارها استعمله و استخلفه عليها، و قد مضى تفصيل ذلك فى شرحنا على المختار الثانى من كتبه عليه السّلام (ص ۹۵ ج ۱۷)، و كان عامله عليها قبله عثمان بن حنيف.

و البصره أحدثها المسلمون و مصرّوها أيّام عمر بن الخطّاب، تفصيل ذلك مذكور فى كتاب أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم للمقدّسى المعروف بالبشارى (ص ۱۱۷ طبع ليدن)، و أتى بأكثر منه تفصيلا و شرحا البلاذرىّ فى كتابه فتوح البلدان (ص ۳۴۱-۳۷۰ طبع مصر ۱۳۵۰ ه‍ ق).

و هذا الكتاب بعض ما كتبه عليه السّلام إلى ابن عبّاس و سيأتى نقله على صورته الكامله.

قوله عليه السّلام:(اعلم أنّ البصره مهبط إبليس، و مغرس الفتن) قد ذمّ عليه السّلام البصره و أهلها من قبل هذا الكتاب أيضا حين أراد الخروج من البصره بعد الجمل و قد أشرنا إلى الروايات الوارده فيه فى شرحنا على المختار الثانى من كتبه (ص ۸۶ - ۸۹ ج ۱۷)، و قوله عليه السّلام أنّها مهبط إبليس يحتمل وجوها:

منها أن تكون فيه اشاره إلى قوله تعالى لإبليس: «فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَکَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصّاغِرِينَ » (الأعراف - ۱۴) و قوله تعالى:

«قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ » (الأعراف - ۲۵)، بأنّ إبليس لمّا اخرج من الجنّه و هبط إلى الأرض كانت أرض البصره مهبطه و لكنّ الإنصاف أنّ الكلام يأبى عن هذا الوجه، و كلمه مهبط لا تدلّ عليه لأنّها أعمّ من ذلك و قد قال تعالى لقوم موسى عليه السّلام: «اِهْبِطُوا مِصْراً » (البقره - ۶۰) و فى الأساس للزّمخشرىّ: هبط من بلد إلى بلد، فالمهبط يأتى بمعنى موضع الورود و النزول و لا يعتبر فيه الانحدار من عال إلى سافل مطلقا، نعم إنّ الهبوط إذا استعمل

فى الانسان و إبليس ففيه نوع استخفاف بخلاف الإنزال فإنّ اللّه تعالى ذكر الانزال فى الأشياء الّتى نبّه على شرفها كانزال الملائكه و القرآن و المطر و غير ذلک، و الهبط ذكر حيث نبّه على الغضّ نحو: «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ »، «فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَکَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها »، «اِهْبِطُوا مِصْراً »؛ أفاده الراغب فى المفردات.

و منها أن تكون فيه اشاره إلى أنّ البصره قريه بعيده عن العلماء و القرّاء و لم تكن مدينه فاضله و إلّا لم تكن مهبطه و ذلك لأنّ العلماء حصون كحصون سور المدينه لها.

و منها أن تكون فيه اشاره إلى أنّ البصره موطن و محلّ له بأن تكون لها خواصّ أوجبت له أن يتّخذها موطنا له، و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب قول الأمير عليه السّلام فيها: «الحمد للّه الّذى أخرجنى من أخبث البلاد و أخشنها ترابا، و أسرعها خرابا، و أقربها من الماء، و أبعدها من السماء، بها مغيض الماء و بها تسعه أعشار الشرّ، و هى مسكن الجنّ - إلخ» (ص ۸۸ ج ۱۷) و كان إبليس من الجنّ كما مضى البحث عن ذلك فى شرح المختار الثامن منّ باب الكتب (ص ۲۸۶ - ۲۹۵ ج ۱۷) و لمّا كان إبليس و قبيله و جنوده اتّخذوها موطنا لهم فهى مهبطهم و مغرس الفتن.

و منها أن تكون فيه اشاره إلى أنّها مهبط قوم تعلّق إبليس بهم فغرسوا اصول الفتن فى أراضى قلوبهم، و بذروا حبوب آراء رديّه فيها حتّى أثمرت ما أثمرت ففيه إشاره إلى هبوط جند المرأه و أتباع البهيمه فيها، و إذا تأمّلت فيما جرى على أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام منذ خلافته الظاهريه إلى شهادته كلّها مولّده من هبوط القوم فى البصره فإنّه أثار فتنه الجمل، و هى ولّدت وقعه صفّين، و هى ولّدت وقعه نهروان، و هى ولّدت أمر شهادته عليه السّلام فهم غرسوا بهبوطهم فيها شجره خبيثه أثمرت هذه الثمار السوء فكانت البصره لذلک مهبط إبليس و مغرس الفتن.

قوله عليه السّلام (فحادث أهلها - إلى قوله: عن قلوبهم) الفاء فصيحه كما مرّ أى إذا كانت البصره حالها كذا فحادث أهلها - إلخ و من الفاء هذه، و من قوله

و احلل عقده الخوف عن قلوبهم يستفاد أنّ أهل البصره لم يكونوا بعد آمنين، بل كانوا خائفين، و كانوا يتربّصون بهم ريب المنون، بل يستفاد من قوله انّها مهبط إبليس و مغرس الفتن، و من تفريع حادث أهلها عليه ذلك أيضا فاسلوب الكلام يدلّ على اضطراب أوضاعها و احتمال اثاره فتنه فيها، و اقبال وقائع هائله على أهلها و لذلك أمر الأمير عليه السّلام ابن عبّاس بالإحسان إليهم و إزاله الخوف عنهم لئلاّ تحدث فتنه.

ثمّ إنّ قوله هذا فى البصره ذمّ على أهلها أيضا فانّه يدلّ على اتّباعهم إبليس بخروجهم عن حكومه سلطان العقل، و على أنّهم أهل شقاق و نفاق، و على أنّ فيهم أهل التفتين و حزب الشيطان.

قوله عليه السّلام(و إنّ بنى تميم لم يغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر)النجم كثيرا ما يراد به فى لغه العرب سيّد القوم و مقتداهم و المشهور من النّاس من حيث إنّهم يقتدون و يهتدون به و قال حسّان بن ثابت فى قصيده يذكر فيها عدّه أصحاب اللّواء يوم احد:

تسعه تحمل اللّواء و طارت فى رعاع من القنا مخزوم

إلى أن قال:

لم تطق حمله العواتق منهم إنّما يحمل اللّواء النّجوم

أى إنّما يحمله الأشراف المشاهير من النّاس، و القصيده مذكوره فى السيره النبويّه لابن هشام (ص ۱۴۹ ج ۲ طبع مصر ۱۳۷۵ ه)، و أتى الجاحظ فى البيان و التبين أبياتا منها (ص ۳۲۵ ج ۲ طبع مصر ۱۳۸۰ ه)، و فى ديوان الحسان، و لمّا استعار كلمه النجم لهذا المعنى رشح بمناسبه ظاهر اللّفظ بقوله لم يغب و طلع، و المعنى كيف يجوز لنا التنمّر لهم و الغلظه عليهم و الحال أنّ لهم هذه الخصال الثلاث:

أحدها أنّه لم يمت منهم سيّد إلاّ قام لهم آخر منهم مقامه، و كأنّما يريد عليه السّلام أنّ لهم سيّدا مطاعا و أميرا خيّرا مدبّرا يجمع شمل امورهم و يلمّ شعث آرائهم و أهوائهم، و ينقذهم من المهالك، و يمنعهم عن الهوىّ فيما يوجب شينهم، و هذا

التدبير و الاتّحاد و الاقتداء بقدوه كذا كان لهم فی كلّ دوره فلا ينبغی التنمّر علی قوم هذا شأنهم.

و الثّانی أنّهم لم يسبقوا بوغم فی جاهليه و لا إسلام يعنی بهذه الجمله أنّهم كانوا أهل بأس و قوّه و شجاعه و حميّه فی الجاهليه و الإسلام و يناسبه معنی التميم لغه فإنّه بمعنی الشديد كما فی نهايه الأرب فی معرفه أنساب العرب للقلقشندی، فلا ينبغی التنمّر و الغلظه علی طائفه بلغوا فی البأس و القوّه هذه المرتبه أمّا معناها المطابقیّ فالأولی أن يحمل الوغم علی الحقد و الغيظ لأنّه يناسب المقام و اسلوب الكلام و ذلك لأنّ ابن عبّاس - كما دريت - إنّما تنكّر عليهم باتّباعهم الناكثين و يسمّيهم حزب الشيطان و شيعه الجمل و أنصار عسكر لذلك و أوجب عملهم هذا حقدا فی صدر ابن عبّاس و كأنّه كان يسميّهم بها تشفّيا من غيظه، و يتنكّر عليهم انتقاما منهم بفعلهم المنكر فنهاه الأمير عليه السّلام عن ذلك و عرّف له بنی تميم بأنّهم لم يسبقوا بوغم فی جاهليّه و لا اسلام، أی لم يسبقهم أحد كان له حقد و غيظ عليهم فيتنكّر و يغلظ عليهم تشفّيا منهم و نكايه فيهم لقوّتهم و قهرهم، هذا هو الوجه الّذی ينبغی أن يختار فی معنا هذه الجمله فی المقام.

و أمكن أن يفسّر بوجوه اخری: منها أن يقال: لم يسبقهم أحد بحقد لهم عليه لأنّهم لعلوّ همّتهم و شرافه نفوسهم لا يهتمّون بأذی غيرهم و إسائته عليهم و لذلك لم يكن فی قلوبهم ضغن و عداوه علی أحد.

و منها أن يفسّر الوغم بالتره فقال الجوهریّ فی الصحاح: الموتور الّذی قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول منه و تره يتره وترا و تره، و كذلك وتره حقّه أی نقصه و قوله تعالی: «وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ » أی لن يتنقّصكم فی أعمالكم كما تقول دخلت البيت و أنت تريد دخلت فی البيت، انتهی؛ فالمعنی أنّ بنی تميم لم يهدر لهم دم، و لم ينقص أحد حقّهم.

و منها أن يفسّر الوغم بالحرب و القتال كقول شقيق بن سليك الأسدی يقول معتذرا إلی أبی أنس الضحّاك بن قيس بن خالد الشيبانی الفهری (الحماسه ٢۶١):

أتانی عن أبی أنس وعید فسلّ لغیظه الضحّاک جسمی

و لم أعص الأمیر و لم اربه و لم أسبق أبا أنس بوغم

و قول شقیق یشابه قول أبی دلامه زند بن الجون شهد مع روح بن حاتم المهلّبیّ الحرب فقال له روح: تقدّم و قاتل فقال أبو دلامه:

إنّی أعوذ بروح أن یقدّمنی إلی البراز(۱) فتخزی بی بنو أسد

إنّ البراز إلی الأقران أعلمه مما یفرّق بین الرّوح و الجسد

إلی آخر الأبیات المذکوره فی الأغانی (ص ۱۱۹ ج ۹ طبع ساسی فی أخبار أبی دلامه) و فی عیون الأخبار (ص ۱۶۴ ج ۱) و فی شرح المرزوقیّ علی الحماسه (ص ۷۷۸ ج ۲).

الثالث أنّ لهم بنا - أی ببنی هاشم - رحما ماسّه و قرابه خاصّه لأنّ نسب کلّ واحد من بنی هاشم و بنی تمیم ینتهی إلی إلیاس بن مضر: لأنّ هاشما هو ابن عبد مناف بن قصیّ بن کلاب بن مرّه بن کعب بن لؤیّ بن غالب بن فهر بن مالک بن النّضر بن کنانه بن خزیمه بن مدرکه بن إلیاس بن مضر، کما فی السیره النبویّه لابن هشام؛ و تمیما هو ابن مرّ بن ادّ بن طابخه بن إلیاس بن مضر، کما فی نهایه الأرب فی معرفه العرب للقلقشندیّ.

و یمکن أن تکون فیه إشاره إلی مصاهره کانت بین الأمیر علیه السّلام و بین بنی تمیم فإنّ إحدی زوجاته کانت لیلی بنت مسعود الحنظلیه من بنی تمیم و ولّدت له عبید اللّه و أبا بکر کما فی تاریخ الیعقوبی (ص ۱۸۹ ج ۲).

ثمّ إنّه علیه السّلام أکّد مراعاه حقّ الرّحم بقوله: نحن مأجورون علی صلتها و مأزورون علی قطیعتها، و قد قال عزّ من قائل: «وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً » (النساء - ۲)، و قال تعالی: «فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَکُمْ » (محمّد - ۲۵).

قوله علیه السّلام:(فاربع-إلخ)قد تقدّم فی الإعراب أنّ الفاء فصیحه متفرّعه علی جمیع ما تقدّم من هذا الکتاب أی إذا کانت البصره مهبط إبلیس و مغرس الفتن

ص:۳۱۸

۱- (۱) (القتال-خ ل)

و كـانت منزله بنى تميم كـذا فقف و تثبّت و ارفق فيما يجرى على لسانك و يـدك من خير و شـرّ و نافع و ضارّ، و لا تعجل به، أمره أن يـدارى مع الرّعيه فى أقواله و أفعـاله فـانّ ما يجرى على اللّسان و اليـد كنايه عنهما،و سـمّى ابن عبّاس بكنيته أبى العبّاس تكريما له و العرب يقصد بها التعظيم و بعض النفوس تأنّف أن تخاطب باسمها.

قوله عليه السّـلام:(فإنّا شـريكان فى ذلك) علّل التثبّت بقوله هذا، أى اربع و تثبّت فيما يجرى على يدك و لسانك لأنّا شـريكان فى ذلك أى أنا و أنت شـريكان فى ما جرى على يدك و لسانك، و إنّما كان الأمير عليه السّلام شريكه فيه لأنّه كان سببا بعيدا فيما جرى على يد ابن عبّاس و لسانه و هو كان نائبا عنه و سببا قريبا فى أفعاله و أقواله و كلّ ما صنع بالرّعيه فإنما هو باتّكائه عليه عليه السّلام و إلّا لما كان له مكنه و قدره على ذلك.

ثمّ إنّ قوله هذا يهدينا إلى حقيقه اخرى و هى أنّ الفرد الانسانىّ لمّا كان بمنزله عضو من هيكل اجتماعه و لم يكن تعيّشه مرتبطا لشـخصه خـاصّه بل يؤثّر أثرا من سـنخ فعله و قوله فى الاجتماع فكلّ ما صـدر عن يـده و لسانه و له بقاء فى الاجتماع و يعمل به غيره و لو بعـد ممـاته فهو شـريك العامل فى ذلك الأثر الصادر منه قال عزّ من قائل: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَـعى وَ أَنَّ سَـعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى » (النجم ۴۱-۴۳).

و قال تعالى: «سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِى الْعالَمِينَ إِنّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ » (الصافات ۷۸-۷۹).

و فى البحار (ص ۱۸۱ من الجزء الثانى من ج ۱۵) نقلا عن ثواب الأعمال للصّدوق رحمه اللّه بإسناده عن ميمون القدّاح عن أبى جعفر عليه السّلام قال: أيّما عبد من عباد اللّه سنّ سنّه هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من اجورهم شىء، و أيّما عبد من عباد اللّه سنّ سنّه ضلاله كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شىء.

و قد عقد المجلسیّ بابا فی ذلک روی فیه عدّه روایات عن أهل بیت رسول اللّه صلوات اللّه علیهم أجمعین قریبه بهذا المضمون کلّها تشیر إلی هذه الحقیقه.

و قد روی فی المجلّد السابع عشر (ص ۱۸۸) عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام قال:

لا یتکلّم أحد بکلمه هدی فیؤخذ بها إلاّ کان له مثل أجر من أخذ بها، و لا یتکلّم بکلمه ضلاله فیؤخذ بها إلاّ کان علیه مثل وزر من أخذ بها.

قوله علیه السّلام (و کن عند صالح ظنّی بک) أی کن مراقبا لنفسک فی ما یجری علی یدک و لسانک بحیث إنّک تری نفسک حاضره عند صالح ظنّی بک فانظر فیما تفعل و تقول هل هو مرضیّ عندی أم لا فإذا رأیت رضای فیه فافعل.

قوله علیه السّلام:(و لا یفیلنّ رأیی فیک) لمّا استعمله الأمیر علیه السّلام علی البصره، و استصلحه لذلک و کان ابن عبّاس ممّن یثق الأمیر علیه السّلام به و إلاّ لما کان یستخلفه علی البصره نبّهه علی أن لا یعمل ما یوجب سلب وثوقه به و ضعف رأیه فیه.

الترجمه

این نامه ایست که ولیّ اللّه الأعظم أمیر المؤمنین علی علیه السّلام به عبد اللّه بن عبّاس که عامل و حاکم آن حضرت بر أهل بصره بود فرستاد.

در روایت آمده که ابن عبّاس در بصره بر بنی تمیم درشتی و بدخوئی میکرد و آنان را پیروان جمل و یاران عسکر - که نام شتر عائشه بود - و حزب شیطان می نامید از آن روی که بنی تمیم در جنگ جمل از طرفداران و أتباع طلحه و زبیر و عائشه بودند.

این رفتار ابن عبّاس بر گروهی از بنی تمیم که از شیعیان أمیر علیه السّلام بودند و از جملهٔ آنان جاریه بن قدامه بود گران آمد نامه ای بأمیر نوشته و از دست ابن عبّاس شکایت کردند، أمیر علیه السّلام این نامه را به ابن عبّاس نوشت:

أمّا بعد بهترین مردم در نزد خدا آن کسی است که بطاعت او - خواه در آنچه آنکه به سود او است و خواه در آنچه که بزیان او است - عمل کننده تر باشد، و به گفتار حق اگر چه برای او ناگوار و تلخ باشد گویاتر؛ آگاه باش که آسمانها و زمین بحق و عدل برای بندگان برپا است، پس مطابق اندیشه ات کردار داشته باش، و با همه یکسان باش، و راه راست پیش گیر، و بدانکه بصره فرودگاه شیطان و جای نشانیدن درخت فتنه است پس أهل آن را وعدهٔ باحسان و نیکی ده - یعنی با آنان احسان و نیکی کن و به بخشش و دستگیری آنانرا دلشاد دار - و گره بیم از دلشان بگشا.

بمن خبر رسید که با بنی تمیم پلنگ خوئی و درشتی روا می داری با این که بنی تمیم کسانی هستند که ستاره ای از ایشان غروب نکرد مگر این که دیگری از ایشان طلوع کرد - یعنی آنان همیشه دارای بزرگی پیشوا و از أهل شرف و کرامت بودند - و کسی بر ایشان چه در زمان جاهلیت و چه در زمان اسلام سبقت نگرفته که به کینه توزی و خشم گرفتن و دشمنی بر آنان سخت گیرد و درشتی کند (یعنی آنان مردم شجاعت و حمیّت و قوّت و نبرد بودند)، و ایشان را با ما رحامتی پیوسته و خویشی خاصّی است (جدّ أعلای بنی هاشم و بنی تمیم الیاس بن مضر است - و دیگر این که أمیر علیه السّلام با بنی تمیم رحامت بمصاهرت داشت) که به صله رحم پاداش خوب یابیم و به قطع آن کیفر بد؛ پس ای أبو العبّاس - خدا رحمتت کند - در نیک و بدی که از دست و زبانت جاری می شود آهستگی کن و تأنّي و رفق پیشه گیر و هموار باش و با رعیت مدارا کن که من و تو در نیک و بد تو شریکیم (زیرا ابن عبّاس عامل آن حضرت بود و آنچه میکرد باتّکاء و اعتماد و پشت گرمی باو بود، و أمیر علیه السّلام سبب بعید در کارهای او است چنانکه ابن عبّاس سبب قریب و هر دو در آنها شریک) و باش در نزد گمان شایستهٔ من بتو، و باید رأی من در بارهٔ تو سست نگردد، و السلام.

و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

اشاره

و هو المختـار التاسع عشـر من باب كتبه و رسائله أمّا بعـد فإنّ دهاقين أهل بلـدك شـكوا منك قسوه و غلظه و احتقارا و جفوه؛ فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يـدنوا لشـركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم؛ فالبس لهم جلبابا من اللّين تشوبه بطرف من الشّدّه، و داول لهم بين القسوه و الرّأفه، و امزج لهم بين التّقريب و الادناء، و الابعاد و الاقصاء إن شاء اللّه.

المصدر

قال اليعقوبىّ فى تاريخه (ص ١٧٩ ج ٢ طبع النجف): كتب علىّ عليه السّلام إلى عمر بن أبى سلمه الأرحبى: أمّا بعد فإنّ دهاقين عملك شـكوا غلظه و نظرت فى أمرهم فما رأيت خيرا فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدّه فى غير ظلم و لا نقص، فإن هم أجبونا صاغرين فخذ مالك عندهم و هم صاغرون، و لا تتّخذ من دون اللّه وليّا فقد قال اللّه عزّ و جلّ: «لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ »، و قال تبارك و تعالى: «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » و قرّعهم بخراجهم و قاتل من ورائهم، و إيّاك و دماءهم و السلام. انتهى.

الظـاهر أنّهما كتاب واحـد نقل الرّضـى طائفه منه فى النهـج على ما هو أبه من التقاط الفصـيح من كلامه عليه السّـلام و رفض ما عداه، و نقل اليعقوبىّ طائفه اخرى منه فى تاريخه، إلاّ أنّ صدره روى بروايتين مختلفتين فى الجمله، و يؤيّده ما فى

ص:٣٢٢

شرح الفاضل البحرانى من أنّ المنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا فإنّ الأمير عليه السّلام أمّره على فارس و على البحرين كما فى الاستيعاب و اسد الغابه فهذا الكتاب إنّما كتبه إليه لما كان عامله على فارس لأنّهم كانوا مجوسا يعبدون النّار، و هذا القول لا ينافى قول الأمير عليه السّلام: و قال جلّ و عزّ فى أهل الكتاب - إلخ؛ لأنّهم كانوا أهل كتاب لما مرّ فى ذلك خبر مرویّ عنه عليه السّلام من كتاب التوحيد للصّدوق قدّس سرّه حيث قال الأشعث بن قيس للأمير عليه السّلام: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزيه و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث إليهم نبیّ؟ قال: بلى يا أشعث قد أنزل اللّه عليهم كتابا و بعث إليهم رسولا - إلخ؛ فراجع إلى شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب و الرسائل (ص ٣١٢ ج ١٧).

ثمّ إنّ العامل المذكور قد عرّف فى الكتب الرجاليّه بأبى حفص عمر بن أبى سلمه عبد اللّه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى ربيب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله امّه امّ سلمه هند المخزوميه زوج النبیّ صلّى اللّه عليه و اله و شهد مع علیّ عليه السّلام الجمل و استعمله على البحرين و على فارس و توفّى بالمدينه أيّام عبد الملك ابن مروان سنه ثلاث و ثمانين كما فى الاستيعاب و الإصابه و اسد الغابه، و قد يأتى كتاب آخر من أمير المؤمنين علیّ عليه السّلام إليه المعنون بقول الرّضى و من كتاب له عليه السّلام إلى عمر بن أبى سلمه المخزومى و كان عامله على البحرين - إلخ، و هو الكتاب الثانى و الأربعون، و لا تنافى ظاهرا بين قولهم بكونه مخزوميّا و بين قول اليعقوبى بكونه أرحبيّا لأنّه يمكن أن يكون من المخزومى ثمّ أحد أرحب بن دعام من همدان، و لم يذكر فى الكتب الرّجاليه عمر بن أبى سلمه غيره إلّا عمر بن أبى سلمه ابن عبد الرّحمن بن عوف الزّهرى قاضى المدينه و لكن لم يقل أحد بأنّ الأمير عليه السّلام أمّره على بلد أو قريه أو طائفه؛ على أنّه قتل بالشام سنه اثنتين و ثلاثين مع بنى اميّه كما فى التقريب لابن حجر و قد كانت أماره أمير المؤمنين علیّ عليه السّلام من سنه خمس و ثلاثين.

ص:٣٢٣

و قد ذکر ابن سعد فی الطبقات الکبری (ص ۱۷۱ ج ۶ طبع بیروت) عمرو بن سلمه بن عمیره الهمدانی الأرحبی و قال: انّه روی عن علیّ علیه السّلام و عبد اللّه و کان شریفا، و لکن الأمیر علیه السّلام لم یستعمله، ثمّ این هو و عمر بن أبی سلمه فالظنّ القویّ المتاخم بالعلم بالفحص و الطلب حاصل لنا بأنّ عمر بن أبی سلمه الأرحبیّ هو عمر بن أبی سلمه المخزومی و الکتابان واحد. و اللّه هو العالم.

ثمّ قد عثرنا فی هذه الأیّام و الأوان علی کتابین أحدهما مترجم بمستدرک نهج البلاغه و مدارکه لمؤلّفه العالم المتضلّع: الهادی کاشف الغطاء، و الثانی بجمهره رسائل العرب لجامعها الفاضل المتتبع: أحمد زکی صفوت، أمّا الأوّل فقد خصّص للنّهج خاصّه و قد أتی بمدارک کثیر من خطب النهج و رسائله و حکمه، و أمّا الثانی فموضوعه عامّ إلاّ أنّه ذکر فیه کتبا و رسائل کثیره لأمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام مع الإشاره إلی ماخذه و مصادره غالبا من غیر النهج أیضا؛ و لعمری إنّهما قد بذلا الجهد فی تألیفهما و أجادوا و أفادا، إنّ اللّه لا یضیع أجر من أحسن عملا و لکن مصدر هذا الکتاب لأمیر المؤمنین علیه السّلام إلی بعض عمّاله، و الّذی قبله إلی عبد اللّه بن عبّاس لیس بمذکور فیهما.

و لیعلم أنّا - للّه الحمد - قد وفّقنا بالعثور علی کثیر من مصادر ما فی النهج، و خطب و رسائل و حکم للأمیر علیه السّلام بطرق عدیده و أسانید کثیره من الجوامع الروائیه الّتی ألّفها قبل الرّضی علماؤنا الأقدمون، و هی تزید علی ما فی الکتابین المذکورین بأضعاف مضاعفه.

اللغه

(دهاقین) بفتح الدال جمع دهقان بکسرها، فارسی معرّب أصله دهگان مخفّف دیهیگان ففی برهان قاطع: دهگان با کاف پارسی بر وزن و معنی دهقان است که زراعت کننده و مزارع باشد و دهقان معرّب آنست، و مردم تاریخی و تاریخ دان را نیز گفته اند. انتهی. و کثیرا ما یستعمل فی الفارسیّه علی صورتها

ص:۳۲۴

المعرّبه قال الشاعر:

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر کای نور چشم من بجز از کشته ندروی

و فی البیان و التبیین للجاحظ (ص ۳۴۵ ج ۳) قال فتی طیّب من ولد یقطین:

ربّ عقار باذرنجیّه اصطدتها من بیت دهقان

قال ابن الأثیر فی النهایه: فی حدیث حذیفه انه استسقی ماء فأتاه دهقان بماء فی إناء من فضّه، الدهقان بکسر الدال و ضمّها: رئیس القریه، و مقدم النساء، و أصحاب الزراعه؛ و هو معرّب و نونه أصلیه کقولهم تدهقن الرجل و له دهقنه موضع کذا؛ و قیل: النون زائده و هو من الدهق الامتلاء و منه حدیث علیّ علیه السّلام أهداها إلیّ دهقان. انتهی.

أقول: قوله الدهقان بکسر الدال و ضمّها مبنیّ علی أصلهم فی التعریب: عجمی فالعب به ما شئت، و إلاّ فأصله بکسر الدال، و تفسیره برئیس القریه مبنیّ علی أصل الکلمه فانها مرکبه من ده و گان و أحد معانی گان فی الفارسیه: الأمیر و الرئیس و الملک و قد تطلق علی الملک الظالم.

و قال الفیّومی فی المصباح: الدهقان معرب: یطلق علی رئیس القریه و علی التاجر و علی من له مال و عقار، و داله مکسوره؛ و فی لغه تضمّ و الجمع دهاقین و دهقن الرّجل و تدهقن کثر ماله. انتهی.

(قسوه) قسا قلبه یقسو من باب نصر قسوه: صلب و غلظ فهو قاس و قسیّ فالقسوه: غلظ القلب، قال الراغب فی المفردات: أصله من حجر قاس، و المقاساه معالجه ذلک، قال تعالی: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ » -... «فَوَیْلٌ لِلْقاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللّهِ » و قال تعالی: «وَ الْقاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ » -... «وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِیَهً » و قرئ قسیّه أی لیست قلوبهم بخالصه من قولهم درهم قسیّ و هو جنس من الفضه المغشوشه فیه قساوه أی صلابه، قال الشاعر: صاح القسیّات فی أیدی الصّیاریف.

(الغلظه)بتثلیث الغین: الخشونه و ضدّ الرّقه، قال الراغب: أصله أن یستعمل فی الأجسام لکن قد یستعار للمعانی کالکبیر و الکثیر، قال تعالی:«وَ لْیَجِدُوا »

«فِيكَمْ غِلْظَةً »و قال:«ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ »و قال:«فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ ».

(جفوه) تقول: جفوته أجفوه جفوه و جفاء أى فعلت به ما ساءه و يقال على المجاز: أصابته جفوه الزّمان و جفاوته كما فى الأساس و الجفاء خلاف البرّ كما فى الصحاح، و الجفوه: ضدّ المواصله و المؤانسه كما فى الأقرب.

(يدنوا) من الإدناء، يقال: أدنى الشيء إذا قرّبه إليه كثيرا، و منه قولهم: دخلت على الأمير فرحّب بى و أدنى مجلسى.

(يقصوا) من الإقصاء خلاف الإدناء أى الإبعاد، يقال: أقصاه عنه إقصاء أى أبعده عنه كثيرا.

(يجفوا) من قولك جفوت الرّجل أجفوه جفاء أى أعرضت عنه أو طردته فهو مجفوّ.

(جلبابا) قال فى فتن البحار (ص ۶۳۳ ج ۸): الجلباب: الإزار، و الرّداء أو الملحفه، أو المقنعه. انتهى، و قال الفيّومى فى المصباح: الجلباب ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء، و قال ابن الأعرابى: الجلباب إزار، و قال ابن فارس:

الجلباب ما يغطى به من ثوب و غيره، و الجمع جلابيب، و تجلببت المرأه لبست الجلباب، انتهى ما فى المصباح، قال الجوهرىّ فى الصحاح: الجلباب: الملحفه، قالت امرأه من هذيل ترثى قتيلا:

تمشى النّسور إليه و هى لاهيه مشى العذارى عليهنّ الجلابيب

و المصدر الجلببه و لم تدغم لأنّها ملحقه، و فى منتهى الأرب فى لغه العرب:

جلباب كسرداب و سنمّار: پيراهن و چادر زنان، و معجر يا چادرى كه زنان لباس خود را بدان از بالا بپوشند جلابيب جمع.

(تشوبه) أى تخلطه، يقال: شاب الشيء يشوبه شوبا و شيابا من باب نصر أى خلطه، و فى المثل هو يشوب و يروب يضرب لمن يخلط فى القول و العمل.

ص:۳۲۶

(طرف) بالتحريک طائفه من الشیء و قطعه منه، قال تعالی: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ » (آل عمران - ۱۲۴) قال فی الکشاف:

لیهلک طائفه منهم بالقتل و الأسر و هو ما کان من یوم بدر من قتل سبعین و أسر سبعین من رؤساء قریش و صنادیدهم.

(داول) امر من المداوله، فی القرآن الکریم: «وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ » (آل عمران - ۱۲۴) قال البیضاویّ أی نصرفها بینهم ندیل لهؤلاء تاره و لهؤلاء اخری کقوله:

فیوما علینا و یوما لنا و یوما نساء و یوما نسرّ

و المداوله کالمعاوره یقال: داولت الشیء بینهم فتداولوه، انتهی، دالت الأیّام أی دارت، و اللّه یداولها بین النّاس أی یدیلها، و الإداله الإداره، الماشی یداول بین قدمیه أی یراوح بینهما، و فی البحار: المداوله: المناوبه.

(الرأفه): الرحمه، قال تعالی: «لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ » (النور - ۳) (امزج) امر من مزج الشیء بالشیء مزجا و مزاجا إذا خلطه به، و الادناء أشدّ قربا من التقریب، و الإقصاء أکثر بعدا من الإبعاد.

الاعراب

(فلم أرهم) أر، فعل للمتکلّم وحده مجزوم بلم أصله أرأی من رأی یرأی لکنّ الهمزه هذه لا تستعمل فی غیر الماضی و یقال: یری فالمتکلّم وحده أری و إذا اسقطت لامه بالجازمه صار أر، قال تعالی: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ » و الأمر منه: ر، ریا، روا، ری، ریا، رین؛ و قد یستعمل غیر الماضی علی الأصل، و الماضی علی غیر الأصل للضّروره کقوله: و من یتملّی العیش یرأی و یسمع، و قول آخر: صاح هل ریت أو سمعت براع.

(أهلا) مفعول ثان لقوله لم أر، (لأن) الجار متعلّق بالأهل، (لشرکهم) اللاّم للتعلیل، و کذا لعهدهم، و الأفعال الثلاثه منصوبه بحذف النون بأن، (فالبس)

الفاء فصيحه أى إذا كان أمرهم على هـذا المنوال من الشـرک و العهد فالبس - إلخ جمله (تشوبه...) صـفه لقوله جلبابا، (داول) معطوف على البس و کذلک امزج.

(إن شاء اللّه) متعلّق بکلّ واحد من أفعال الأمر الثلاثه.

المعنى

تقـدّم فى المصـدر أنّ عمر بن أبى سلمه کـان أميرا على فـارس من قبـل أمير المـؤمنين عليه السّـلام و کـان أهـل فـارس يومئذ مشـرکين؛ و شـکا أکابرهم و أرباب أملاکهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام غلظته و خشونته عليهم و احتقاره و استصغاره إيّاهم فکتب عليه السّـلام إليه أن يسـلک معهم مسـلکا متوسـطا بـأن تکـون منزلته معهم بين منزلـتين جلبـاب لين بطرف من الشـدّه فلا يـدنيهم کـلّ الـدنوّ لأنّهم ليسوا لـذلک أهلا لکونهم مشـرکين و لا يبعـدهم کـلّ الإبعـاد و لا يجفوهم لکونهم معاهـدين، فإنّ معاملتهم بـذلک النهـج يمنعهم عن التمرّد و الطغيان عن المعاهـده و الـذمّه، و يحفظ عظمه الدّين و صولته و قوّته فى أعينهم، و يوجب تأليف قلوبهم و مراعاه شرائط المعاهده فى حقّهم و عدم خلل فى انتظام امورهم.

و جعل عليه السّـلام الاتّصاف بهذا النهج الوسط جلبابا على التجسيم و التشبيه تصويرا له کقوله تعالى: «فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ » (النحل - ۱۱۴).

و کلامه هذا وزان ما قاله لمعقل بن قيس فى الکتاب الثانى عشـر: فقف من أصحابک وسطا و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم من يهاب البأس، و وزان قوله: الفقيه کلّ الفقيه من لم يقنط النّاس من رحمه اللّه و لم يؤيسهم من روح اللّه و لم يؤمنهم من مکر اللّه.

ثمّ قيّد أوامره بالمشيّه إمّا تحريضا له إلى العمل المطابق لأوامره، کأنّه قال أرجو منک أن تفعل بما أشـرنا عليک؛ و إمّا تنبيها له على أنّ ما أشـرنا عليک من المماشاه معهم و معاملتهم بذلک النحو انّما يجب أن يکون على وجه يرضاه اللّه و يشاءه، کأنّه عليه السّلام يقوله: إنّى و إن کنت أمرتک بها و لکنّک تعاشرهم و تعيش

فیهم و تری أحوالهم و أفعالهم فعلیک بعمل معهم یحبّه اللّه و یرضاه و إمّا طلبا من اللّه تعالی المدد و التوفیق له بعمل ما أمره بها.

الترجمه

این نامه ایست که أمیر المؤمنین علی علیه السّلام به عمر بن أبی سلمه که از جانب آن حضرت حاکم فارس بود نوشته است - و آن کتاب نوزدهم از باب کتب و رسائل نهج البلاغه است:

أمّا بعد دهقانان شهر تو از درشتی و سنگ دلی و خوار داشتن و بدی تو شکایت کرده اند پس در بارۀ شان نگریستم و اندیشه کردم نه آنانرا شایستۀ نزدیک گردانیدن دیدم زیرا که مشرکند. و نه سزاوار دور گردانیدن و طرد کردن از آن روی که با ایشان عهد بستیم و در ذمۀ ما هستند و چون أمرشان بدین منوال است پس بپوش برایشان جامۀ نرمی که پود آن پاره ای از درشتی باشد و روزگار را برایشان میان سخت دلی و مهربانی بگردان، و بیامیز با ایشان میان نزدیک گردانیدن و بنهایت نزدیکی رساندن، و میان دور ساختن و بغایت دور ساختن اگر خدا بخواهد (یعنی با این همه چون تو نزدیکی و با آنها حشر داری و کارشان را از نزدیک می نگری آن چنان با آنها رفتار کن که خدا بخواهد و مرضیّ او باشد).

ص:۳۲۹

و من كتاب (كلام – خ ل) له عليه السّلام الى زياد بن ابيه

اشاره

و هو خليفه عامله عبـد اللّه بن العباس على البصـره (و عبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السـلام يومئذ عليها و على كور الاهواز و فارس و كرمان – نسخه).

و هو المختار العشرون من باب الكتب و الرسائل:

و إنّى أقسم باللّه قسـما صادقا لئن بلغنى أنّك خنت من فيىء المسـلمين شـيئا صـغيرا أو كبيرا لأشـدّنّ عليك شـدّه تـدعك قليل الوفر، ثقيل الظّهر، ضئيل الأمر، و السّلام.

المصدر

أتى بالكتاب ابن واضـح الأخبارى الكاتب المعروف باليعقوبى فى تاريخه (ص ١٨٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ ه ق)، قال: كتب – يعنى أمير المؤمنين عليه السّـلام – إلى زياد و كان عامله على فارس: أمّا بعـد فإنّ رسولى أخبرنى بعجب، زعم أنّك قلت له فيما بينـك و بينه إنّ الأـكراد هـاجت بك فكسـرت عليك كثيرا من الخراج و قلت له: لا تعلم بـذلك أمير المؤمنين؛ يا زياد و اقسـم بـاللّه إنّك لكاذب و لئن لم تبعث بخراجك لأشـدّنّ عليك شـدّه تـدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر؛ إلّا أن تكون لما كسـرت من الخراج محتملا، انتهى.

و الظّاهر أنّهما كتاب واحد روى على نسختين، و إن أمكن أن يكون كلّ واحد منهما كتابا على حياله.

اللغه

(خنت) مشتق من الخيانه بمعنى نقيض الأمانه، يقال: خانه فى كذا يخونه خونا و خيانه و خانه و مخانه من باب نصر: إذا اوتمن فلم ينصح، قال الراغب فى المفردات: الخيانه و النّفاق واحد إلاّ أنّ الخيانه تقال اعتبارا بالعهد و الأمانه، و النّفاق يقال اعتبارا بالدّين ثمّ يتداخلان، فالخيانه مخالفه الحق بنقض العهد فى السر، و نقيض الخيانه: الأمانه، يقال: خنت فلانا و خنت أمانه فلان و على ذلك قوله: «لا تخونوا اللّه و الرّسول و تخونوا أماناتكم».

(فيىء) و قد تقدّم معناه و الفرق بينه و بين الغنيمه و الأنفال على التفصيل فى شرح المختار ۲۳۰ من باب الخطب (ج ۱۵ ص ۲۳).

(لأشدّنّ عليك) شدّ على العدوّ شدّا و شدّه و شدودا من بابى نصر و ضرب أى حمل عليه؛ يقال: شدّوا عليهم شدّه صادقه. (تدعك) أى تترکک.

(الوفر) بالفتح فالسكون: المال الكثير الواسع، و الغنى، و اليسار؛ قال مالك بن الحارث الاشتر النخعى رضوان اللّه عليه (الحماسه ۲۵):

بقيت وفرى و انحرفت عن العلا و لقيت أضيافى بوجه عبوس

و قال آخر (البيان و التبيين ص ۳۵۹ ج ۲):

رأيت النّاس لمّا قلّ مالى و أكثرت الغرامه ودّعونى

فلمّا أن غنيت و ثاب وفرى إذاهم - لا أبا لک - راجعونى

(الظهر) خلاف البطن، و هو من الحيوان اعلاه و من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، و من الأرض ظاهرها يجمع على أظهر و ظهور و ظهران.

(ضئيل) فى النهايه لابن الأثير: فى حديث إسرافيل(۱) و إنّه ليتضاءل من خشيه اللّه، و فى روايه لعظمه اللّه أى يتصاغر تواضعا له، و يقال: تضاءل الشيء إذا

۱- (۱) قال الطريحى فى المجمع: فى حديث جبرائيل - إلخ، منه.

تقبض و انضمّ بعضه إلى بعض فهو ضئيل أى نحيف دقيق حقير، و قال الطريحى فى مجمع البحرين: و مثله حديث وصفه تعالى: هو إله يتضاءل له المتكبرون(۱) ، وضؤل الشىء بالهمز و زان قرب فهو ضئيل كقريب: صغير الجسم قليل اللّحم، انتهى.

قال جوّاس الكلبىّ (الحماسه ۶۳۲):

و كنت إذا أشرفت فى رأس رامه تضاءلت إنّ الخائف المتضاءل

يقول: إنّك حينئذ متى أشرفت فى رأس هذه الهضبه تخاشعت و تذلّلت لاستشعارك الخوف الشديد و استظهارك بالإتّقاء من أعدائك البليغ؛ و الخائف هذا دأبه و عادته قاله المزروقى فى الشرح.

الاعراب

(لإن) اللّام للإيذان و تسمّى اللّام المؤذنه و الموطّئه أيضا و هى تؤذن من أوّل الأمر بأنّ الجواب بعدها مبنىّ على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلك القسم مذكورا كما نحن فيه أو مقدرا كقوله تعالى: «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » (المائده - ۷۸) فقوله تعالى «ليمسّنّ» جواب قسم محذوف و سدّ مسدّ جواب الشرط الّذى هو «و إن لم ينتهوا».

و كقوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ » (الحشر - ۱۴) فاللاّم فى لئن الأربعه للقسم و فى ليولنّ جواب القسم و استغنى به عن جواب الشرط فى المواضع الخمسه.

۱- (۱) فى خطبه العيدين لامير المؤمنين على عليه السلام كما رواه الصدوق فى الفقيه و أتى به الفيض فى الوافى (ص ۱۹۶ ج ۵): و هو اله لها و قاهر يذل له المتعززون و يتضاءل له المتكبرون - إلخ، منه.

(لأشدّنّ) اللاّم لام جواب القسم نحو قوله تعالى فى سوره يوسف:

«تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا »، و فى سوره الأنبياء: «وَ تَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ » و كلامه عليه السّلام كان وزان قوله تعالى: «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ » (يس - ١٩) و هذا الجواب للقسم سدّ مسد جواب الشرط الّذى هو: لئن بلغنى فاستغنى به عن جواب الشرط.

و حرف إن فى لإن من أداه الشرط، و جمله بلغنى فعل الشرط، أنّك خنت - إلخ - مأوّل بالمصدر فاعل بلغنى، شيئا مفعول به لقوله خنت، صغيرا و كبيرا صفتان له، جمله (تدعك) صفه للمصدر و يرجع ضمير الفعل إليه و كلّ واحد من قليل الوفر و أخويه حال للضمير المنصوب فى تدعك، خبر السّلام محذوف أى و السلام على من اتّبع الهدى، أو السلام لأهله ككتبه اللاتيه.

المعنى

زياد بن أبيه هو زياد بن أبى سفيان صخر بن حرب بن اميّه، و يقال زياد بن أبيه و زياد بن امّه و زياد بن سميّه، و امّه سميّه هى جاريه الحارث بن كلده و كان يطؤها بملك اليمين كما فى الاستيعاب لابن عبد البرّ، و اسد الغابه لابن الأثير، و الاصابه لابن حجر.

كان يكنّى أبا المغيره، ليست له صحبه و لا روايه و كان رجلا عاقلا فى دنياه، داهيه خطيبا له قدر و جلاله عند أهل الدّنيا، كما فى الاستيعاب و روى بإسناده عن أبى صالح عن ابن عبّاس قال: بعث عمر بن الخطّاب زيادا فى اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه، و خطب خطبه لم يسمع النّاس مثلها فقال عمرو بن العاصى: أما و اللّه لو كان هذا الغلام قرشيّا لساق العرب بعصاه؛ فقال أبو سفيان: و اللّه إنّى لأعرف الّذى وضعه فى رحم امّه، فقال له علىّ بن أبى طالب: و من هو يا أبا سفيان؟ قال:

أنا إلخ -.

و قال: قال الشاعر:

زياد لست أدرى من أبوه و لكن الحمار أبو زياد

و قال ابن النديم فى أوّل الفن الأول من المقاله الثالثه من الفهرست (ص ١٣١ طبع مصر): قال محمّد بن إسحاق: قرأت بخطّ أبى الحسن ابن الكوفى أوّل من ألّف فى المثالب كتابا زياد بن أبيه فإنّه لما ظفر عليه و على نسبه عمل ذلك و دفعه إلى ولده و قال: استظهروا به على العرب فإنّهم يكفون عنكم انتهى كلامه.

و قد روى أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عائشه حين سئلت لمن يدعى و سيأتى إن شاء اللّه تعالى تمام الكلام فى ذلك فى شرح المختار ۴۴ من باب الكتب المعنون بقول الرّضى و من كتاب له عليه السّلام إلى زياد بن أبيه و قد بلغه أنّ معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

ثمّ إنّ ما جعلناه بين الهلالين فى عنوان الكتاب ليس بمذكور فى نسخه الرضى و كانّه هامشه الحقت بالمتن.

و قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: أمّر علىّ عليه السّلام ابن عبّاس على البصره و ولّى زيادا الخراج و بيت المال، و أمر ابن عبّاس أن يسمع منه - إلى آخر ما تقدّم فى شرح المختار الثّانى من باب الكتب و الرسائل (ص ۹۶ ج ۱۷).

و قال ابن قتيبه فى الإمامه و السياسه (ص ۸۵ ج ۱): ذكروا أنّ عليّا لما صار من البصره بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد اللّه بن عبّاس - و قال له: اوصيک بتقوى اللّه - إلى أن قال: فلم يلبث علىّ عليه السّلام حين فدم الكوفه و أراد المسير إلى الشام أن أنضمّ إليه ابن عبّاس، و استعمل على البصره زياد بن أبى سفيان.

و حاصل الفصل أنّ الامير عليه السّلام لما اطّلع على أنّ زيادا خان بيت المال و فيىء المسلمين كما فى تاريخ اليعقوبى هدّده و رغّبه بأنّه إن لم يبعث إليه ما خان ليحملنّ عليه حمله صادقه تدعه قليل المال بطرده عن المناصب، أو بأخذه ماله من يده تقاصّا، و تدعه ثقيل الظهر بأعمال شاقّه و امور مزمنه مفضحه لا يقدر بها على

القيام و الارتقاء إلى معالى الامور و كأنّ من هذا القبيل قول سعد بن أبى وقاص فى جواب معاويه:

فانّ الشرّ أصغره كثير و إنّ الظهر تثقله الدّماء

أو يفقره على حدّ يصعب عليه مؤنه عياله فإنّ كون ثقل الظهر كنايه عن نحو هذا المعنى غير عزيز فى محاوراتهم، و منه حديث أمير المؤمنين عليه السّلام: من أراد البقاء و لا بقاء فليباكر بالغداء، و ليجود الحذاء، و ليخفّف الرّداء، و ليقلّ من مجامعه النساء؛ قيل: و ما خفّه الرداء؟ قال: قلّه الدين، و لكنّ إراده هذا الوجه من كلامه هذا لا يخلو من بعد فتأمّل.

أو تدعه ثقيل الظهر بأوزاره و آثامه أى على أنّه لا مال له ينتفع به، كانت عليه تبعاته و ذنوبه فهو فى الدّنيا و الاخره من الخاسرين.

و تدعه ضئيل الأمر أى حقيرا خامل الذكر، دنىّ المرتبه، لا منزله و لا قدر له عند النّاس؛ لأنّه إنّما كان له شأن و نباهه بتولّيه معالى الامور من قبل الأمير عليه السّلام فإذا عزله عن منصبه مع كونه قليل المال و معروفا بالخيانه فلا قدر له عندهم، بل لا يساوى فردا خامل الذكر لاشتهاره بالخيانه و عزله عن منصبه بخيانته.

الترجمه

اين نامه ايست كه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام به زياد بن أبيه نوشت در حالى كه از طرف عبد اللّه بن عبّاس عامل أمير المؤمنين عليه السّلام بر بصره حكومت داشت:

و من سوگند راست بخدا ياد ميكنم كه اگر بمن خبر رسد تو از غنيمت مسلمانان چيزى خرد يا بزرگ خيانت كرده اى چنان بر تو سخت بگيرم كه كم مال و گران پشت و ناچيز بمانى، و السلام.

ص:۳۳۵

و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

اشاره

و هو المختـار الحادى و العشـرون من باب الكتب و الرسائل فـدع الاسـراف مقتصـدا، و اذكر فى اليوم غـدا، و أمسك من المال بقـدر ضـرورتك، و قـدّم الفضل ليوم حاجتك. أ ترجو أن يعطيك اللّه أجر المتواضـعين و أنت عنده من المتكبّرين؟ و تطمع و أنت متمرّغ فى النّعيم تمنعه الضّـعيف و الأرمله أن يوجب لك ثواب المتصدّقين؟ و إنّما المرأ مجزىّ بما أسـلف، و قادم على ما قدّم. و السّلام.

المصدر

هـذا الكتـاب بعض مـا كتبه الأـمير عليه السّـلام إلى زياد بن أبيه و نقله كاملا الفاضل الشارح المعتزلى فى شـرح المختار ۴۴ من بـاب الكتب و الرسائـل من الجزء السادس عشـر من شـرحه و هو المختار المعنون بقول الرّضـى: و من كتاب له عليه السّـلام إلى زياد بن أبيه و قد بلغه أنّ معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

قال: كان علىّ عليه السّـلام أخرج إليه - يعنى إلى زياد - سـعدا مولاه يحثّه على حمل مال البصره إلى الكوفه، و كان بين سعد و زياد ملاحاه و منازعه؛ و عاد سعد و شكاه إلى علىّ عليه السّلام و عابه فكتب علىّ عليه السّلام إليه:

أمّا بعد فانّ سعدا ذكر أنّک شتمته ظلما، و هدّدته و جبهته تجبّرا و تکبرا، فما دعاک إلی التکبر؟ و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: «الکبر رداء اللّه فمن نازع اللّه رداءه قصمه»، و قد أخبرنی أنّک تکثر من الألوان المختلفه فی الطعام فی الیوم الواحد و تدّهن کلّ یوم، فما علیک لو صمت للّه أیّاما، و تصدّقت ببعض ما عندک محتسبا، و أکلت طعامک مرارا قفارا؟ فإنّ ذلک شعار الصّالحین؛ أ فتطمع و أنت متمرّغ فی النّعیم تستأثر به علی الجار، و المسکین، و الضّعیف، و الفقیر، و الأرمله و الیتیم أن یحسب لک أجر المتصدّقین؟ و أخبرنی أنّک تتکلّم بکلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئین فإن کنت تفعل ذلک فنفسک ظلمت، و عملک أحبطت فتب إلی ربّک یصلح لک عملک؛ و اقتصد فی أمرک و قدّم إلی ربّک(۱) الفضل لیوم حاجتک و ادّهن غبّا فإنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله یقول: «ادّهنوا غبّا و لا تدّهنوا رقما».

فکتب إلیه زیاد: أمّا بعد یا أمیر المؤمنین فإنّ سعدا قدم علیّ فأساء القول و العمل فانتهرته و زجرته و کان أهلا لأکثر من ذلک، و أمّا ما ذکرت من الإسراف و اتّخاذ الألوان من الطعام و النعم، فإن کان صادقا فأثابه اللّه ثواب الصالحین، و إن کان کاذبا فوقاه اللّه أشدّ عقوبه الکاذبین، و أمّا قوله: إنّی أصف العدل و اخالفه إلی غیره، فإنّی إذن من الأخسرین؛ فخذ یا أمیر المؤمنین بمقال قلته(۲) فی مقام قمته: «الدعوی بلا بیّنه کالسّهم بلا نصل» فإن أتاک بشاهدی عدل، و إلّا تبیّن لک کذبه و ظلمه.

أقول: قد تعرّض الفاضل الشارح بأنّ ما فی النهج بعض هذا الکتاب، و لا یخفی علیک أنّه لا یتضمّن ما فی النهج علی صورته و ألفاظه، و أنّ بین النسختین تفاوتا ظاهرا و نحن لم نظفر به فی الماخذ الّتی حضرتنا، و الظاهر أنّهما کتاب واحد، بل ما فی النهج بعض ذلک الکتاب إلّا أنّهما رویا علی روایتین کما أنّ الرّضیّ نقل فی غیر موضع فی النهج کلاما له علیه السّلام علی روایتین.

۱- (۱) فی الطبع الرحلی: و قدم ربک.

۲- (۲) فی الطبع المذکور: بمقاله قلته.

اللغه

(الاسراف) السّرف: ضدّ القصد، و قال الراغب: السّرف تجاوز الحدّ فی کلّ فعل یفعله الإنسان و إن کان ذلک فی الانفاق أشهر، قال تعالی: «وَ الَّذِینَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا »... - «وَ لا تَأْکُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً »، و یقال: تاره اعتبارا بالقدر، و تاره بالکیفیّه؛ و لهذا قال سفیان: ما أنفقت فی غیر طاعه اللّه فهو سرف و إن کان قلیلا، قال اللّه تعالی: «وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ »... - «وَ أَنَّ الْمُسْرِفِینَ هُمْ أَصْحابُ النّارِ » أی المتجاوزین الحدّ فی امورهم، و سمّی قوم لوط مسرفین من حیث إنّهم تعدّوا فی وضع البذر فی الحرث المخصوص له المعنیّ بقوله تعالی: «نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ »، و قوله فی القصاص «فَلا یُسْرِفْ فِی الْقَتْلِ » فسرفه أن یقتل غیر قاتله إمّا بالعدول عنه إلی من هو أشرف منه أو بتجاوز قتل القاتل إلی غیره حسبما کانت الجاهلیّه تفعله.

قال السیّد نعمه اللّه الجزائری فی فروق اللّغات: الإسراف و التبذیر: قیل التبذیر إنفاق المال فیما لا ینبغی، و الإسراف صرفه زیاده علی ما ینبغی، و بعباره اخری الإسراف تجاوز الحدّ فی صرف المال و التبذیر اتلافه فی غیر موضعه فهو أعظم من الإسراف و لذا قال تعالی: «إِنَّ الْمُبَذِّرِینَ کانُوا إِخْوانَ الشَّیاطِینِ » قیل: و لیس الإسراف متعلّقا بالمال فقط بل بکلّ شیء وضع فی غیر موضعه اللاّئق به، ألا تری أنّ اللّه وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر فی غیر المحرث فقال: «إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ » و وصف فرعون بالإسراف بقوله: «إِنَّهُ کانَ عالِیاً مِنَ الْمُسْرِفِینَ » أقول: و یفهم من بعض الأخبار أنّ الإسراف علی ضربین: حرام و مکروه فالأوّل مثل إتلاف مال و نحوه فیما هو فوق المتعارف، و الثانی إتلاف شیء ذی نفع بلا غرض و منه إهراق ما بقی من شرب ماء الفرات و نحوها خارج الماء و قد روی ذلک عن علیّ علیه السّلام. انتهی قوله.

فتحصّل أنّ الإسراف تجاوز الحدّ فی کلّ ما یفعلها الإنسان من أفعاله سواء

ص:۳۳۸

كـان متعلّقه مالاـ أو غير مـال، و التبـذير إتلافه و تضـييعه فى غير موضـعه و إذا لم يكن على سبيل الإتلاف و الإفساد بأن يكون صرفه على الإصلاح لا يسمّى تبذيرا.

(مقتصدا) القصد و الاقتصاد واسطه الامور، قال سالم بن وابصه (الحماسه ۲۴۴):

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إنّ التخلّق يأتى دونه الخلق

قـال المرزوقىّ فى الشـرح: القصـد: واسـطه الامور، فما تعـدّاه سـرف و ما انحطّ عنه قصور، و لـذلک قيل لمن ليس بجسـيم و لا ضئيل، و ليس بقصير و لا طويل:

هو قصد و مقتصد، و قال فى شرح الحماسه ۹: القصد ما لا سرف فيه، و لذلک قيل: اقتصد فى كذا، و طريق قاصد إذا كان على حدّ الإستواء، و من كلامهم: ضلّ عن قصد الطريق، كما قيل: ضلّ عن سواء السبيل قال الراجز الحصين بكير الربعى:

إنّى إذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد الطريق منجره

قال ابن الأثير فى النهايه: فى الحديث ما عال مقتصد و لا يعيل أى ما افتقر من لا يسرف فى الإنفاق و لا يقتر، انتهى و قال الأمير عليه السّلام لهمّام فى الخطبه ۱۹۱ من النهج فى وصف المتقين: منطقهم الصواب، و ملبسهم الإقتصاد.

(متمرّغ)فى الصـحاح: مرّغته فى التراب تمريغـا فتمرّغ أى معّكته و تمعّک، قال ابن الأثير فى النهايه: التمرّغ: التقلّب فى التراب، و منه حـديث عمّار:«أجنبنا فى سـفر و ليس عنـدنا ماء فتمرّغنا فى التراب» ظنّ أنّ الجنب يحتاج أن يوصل التراب إلى جميع جسده كالماء.

قال الزمخشرىّ فى الأساس: مرّغ دابّته فتمرّغ و هذا مراغ الدوابّ و مراغتها و متمرّغها، و مرّغته تمريغا إذا أشبعت رأسه و جسده دهنا، و تمرّغ بالدّهن و من المجاز فلان يتمرّغ فى النّعيم؛ يتقلّب فيه.

(الأرمله) قال الجوهرىّ فى الصـحاح: الأرمل: الرّجل الّذى لا امرأه و الأرمله: المرأه الّتى لا زوج لها، و قد أرملت المرأه إذا مات عنها زوجها قال الشاعر - و هو جرير -:

هذی الأرامل قد قضیّت حاجتها فمن لحاجه هذا الأرمل الذّکر

قال ابن السکّیت: الأرامل: المساکین من نساء و رجال، قال و یقال لهم و إن لم یکن فیهم نساء، و یقال: قد جاءت أرمله من نساء و رجال محتاجین، قال و یقال للرجال المحتاجین الضعفاء: أرمله و إن لم یکن فیهم نساء، انتهی ما فی الصحاح.

و قال المرزوقیّ فی شرح الحماسه (۵۷۷) عند قول زیاد بن حمل:

تری الأرامل و الهلّاک تتبعه یستنّ منه علیهم وابل رذم

الأرامل: جمع الأرمل و الأرمله لأنّه یقع علی الذکر و الانثی و هم الّذین قد انقطع زادهم و ضاقت الأحوال بهم.

و قال عند قول کعب بن زهیر (الحماسه ۳۴۸):

ألا لهف الأرامل و الیتامی و لهف الباکیات علی ابیّ

الأرامل: جمع أرمل، و هذه الصفه یشترک فیها المؤنّث و المذکّر، و اشتقاقه من أرمل القوم إذا نفدت نفقاتهم، و حقیقته صاروا من الفقر فی الرّمل، کما یقال أترب الرّجل، و الشّهاده فی اشتراک الرّجل و المرأه فی هذه الصفه قول جریر: هذی الأرامل - البیت.

و قال الزمخشریّ فی الأساس: أرمل: افتقر و فنی زاده و هو من الرمل کادقع من الدّقعاء، و منه الأرمله و الأرامل، قال: و فی کتاب العین: و لا یقال شیخ أرمل إلّا أن یشاء شاعر فی تملیح کلامه کقول جریر: هذی الأرامل - البیت. و أرملت المرأه و رملت من زوجها و لا یکون إلّا مع الحاجه.

ثمّ فی نسخ خطیّه عندنا قد ضبط قوله علیه السّلام هکذا: (أ ترجو أن یؤتیک اللّه) و: (مجزیّ بما سلف) و لکنّ ما اخترناه فی المتن مطابق لنسخه الرضیّ رضوان اللّه علیه.

الاعراب

(مقتصدا) حال لضمير دع، (غدا) مفعول لقوله اذكر، قوله أن يعطيك مأوّل منصوب مفعول لقوله ترجو، (و أنت) الواو حاليه و الجمله حال لضمير ترجو، (و تطمع) عطف على قوله ترجو، و الجمله استفهاميّه على سبيل الانكار كالمعطوف عليها (و أنت) الواو حاليه و الجمله حال لضمير تطمع، قوله (أن يوجب) مأوّل منصوب مفعول لقوله تطمع اخر عن الحال بعكس الاولى، و ضمير الفعل يرجع إلى اللّه.

المعنى

لمّا أخبر سعد أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام بأنّ زياد بن أبيه يكثر من الألوان المختلفه فى الطعام فى اليوم الواحد و تدّهن كلّ يوم - إلى آخر ما رواه اليعقوبىّ كما مرّ آنفا - أمره أن يترك رذيله الإسراف، و يتّصف بفضيله الاقتصاد الّذى هو واسطه الامور.

و أقول: إنّ لكلّ شىء حدّا هو بمنزله قاعدته فإذا كان على قاعدته فله ثبات و قرار، و إذا جاوز عن حدّه إمّا إلى الإفراط و إمّا إلى التفريط فلا بدّ له من أن يسقط منكوسا و منكوبا و قد قال الأمير عليه السّلام: اليمين و الشمال مضلّه و الوسطى هى الجادّه.

و كما أنّ اللّه الحكيم خلق كلّ واحد من قاطبه الأشياء على قدر لائق به لو عدل عنه لا ختلّ نظام العالم كذلك جعل لكلّ ما يتعلّق بأفعال بنى آدم و امور صالح الانسانيّه حدّا لو خرج الاجتماع الانسانى عنه لاختلّ نظامه و هو من الهالكين و ذلك الحدّ المتعلّق بهذا النوع هو ما يحتويه الذكر الحكيم و قد قال عزّ من قائل:

«إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ »، و ذلك الحدّ هو الوسط و القسط و العدل و الحقّ كما قال تعالى: «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » (البقره - ١٣٩) و قال: «لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ »

«وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ »، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: بالعدل قامت السماوات و الأرض، و قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: بالحقّ قامت السماوات و الأرض.

و من تفحّص فى ما أتى به خاتم الأنبياء درى أنّ اللّه تعالى كتب على النّاس الإقتصاد فى مطلق الامور حتّى فى العبادات ففى القرآن الكريم: «لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً » (الأسرا - ٣٢).

و قد روى الصّدوق قدّس سرّه فى الفقيه (ص ١٢ ج ١٣ من الوافى):

بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال علىّ عليه السّلام: الحيف فى الوصيّه من الكبائر.

و روى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام: أنّ رجلا من الأنصار توفّى و له صبيه صغار و له ستّه من الرقيق فأعتقهم عند موته و ليس له مال غيرهم فأتى النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فاخبر فقال: ما صنعتم بصاحبكم؟ قالوا دفنّاه، قال: لو علمت ما دفنّاه مع أهل الإسلام ترك ولده يتكفّفون النّاس؟ و فى باب الاقتصاد فى العباده من الوافى (ص ٦٩ ج ٣) نقلا عن الكافى باسناده عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق، و لا تكرهوا عباده اللّه إلى عباد اللّه فتكونوا كالراكب المتبّت الّذى لا سفرا قطع و لا ظهرا أبقى.

ثمّ إنّه عليه السّلام أتى بالحال أعنى مقتصدا إشاره إلى أنّ زيادا كما يجب عليه الإعراض عن الإسراف الّذى هو إفراط كذلك يجب عليه أيضا الإمساك الّذى هو تفريط، بل يجب عليه بعد ترك الاسراف الإقتصاد الّذى هو وسط الإفراط و التفريط.

قوله عليه السّلام:(و اذكر فى اليوم غدا)نبّهه بأن لا تلهيه الامال و لا تشغله المشاغل فى الدّنيا عن التأهّب و التزوّد لغده و كنّى بالغد عن بعد حياته فى هذه الدار من البرزخ و يوم البعث، كما أراد باليوم هذه الدّنيا.

قوله عليه السّلام:(و امسک - إلی قوله: ليوم حاجتك) روی اليعقوبی فی تاريخه (ص ۲۰۲ ج ۲): أنّ رجلا قال للحسن بن علیّ عليهما السّلام: إنّی أخاف الموت؛ قال. ذاک أنّك أخّرت مالك و لو قدّمته لسرّك أن تلحق به.

قوله عليه السّلام:(أ ترجو - إلخ) استفهام علی سبيل الإنكار أی كيف ترجو أن يعطيك اللّه ذلك الأجر و الحال أنت عنده كذلك، و كيف تطمع أن يوجب اللّه لك ذلك الثواب و الحال أنت تتقلّب و تتمعّك فی النعيم تمنعه الضعيف و الأرمله، و هذا تحريض له علی التّواضع و شركه الضعيف و الأرمله فی عيشه و تنعّمه.

قوله عليه السّلام:(و إنّما المرء - إلخ) بين الانسان و عمله خيرا كان أو شرّا ارتباط خاصّ لا يرجع إلّا إليه و لا يجزی إلّا به و لا يقدم إلّا إليه و نعم ما قيل بالفارسيه:

نيک و بد هر چه كنی بهر تو خوانی سازند جز تو بر خوان بد و نيک تو مهمانی نيست

قال الشارح المعتزلی فی المقام: قلت قبّح اللّه زيادا كافأ إنعام علیّ عليه السّلام و إحسانه إليه و اصطناعه له بما لا حاجه إلی شرحه من أعماله القبيحه بشيعته و محبّيه و الإسراف فی لعنه، و تهجين أفعاله، و المبالغه فی ذلك بما قد كان معاويه يرضی باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاويه كلّا بل يفعله بطبعه و يعاديه بباطنه و ظاهره و أبی اللّه إلّا أن يرجع إلی امّه و يصحّح نسبه و كلّ إناء ينضح بما فيه، ثمّ جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السّيّئه بما ختم و إلی اللّه ترجع الامور. انتهی.

و سيأتی كلامنا أيضا فی قاتلی حجج اللّه و معانديهم فی شرح المختار ۴۴ من هذا الباب إن شاء اللّه تعالی.

الترجمه

اين نيز نامه ايست كه أمير عليه السّلام به زياد بن أبيه نوشت:

پس ترک إسراف گوی و ميانه رو باش، و در امروز ياد فردا كن و از مال بقدر ضرورت زندگی نگه دار و زيادی را برای روز نيازت پيش فرست آيا،

امید داری که خدا بتو پاداش فروتنان دهد با این که نزد او از خود بینانی، و آیا آزمندی که برایت ثواب صدقه دهندگان واجب گرداند با این که در نعمت غلطیده ای و آنرا از ناتوان و بیچارگان و بیوه زنان باز می داری، و همانا که مرد به آن چه کرده است پاداش یابد، و بسوی آنچه پیش فرستاده است روی آورد. و السّلام.

و من كتاب له عليه السّلام الى ابن عباس

اشاره

و كان يقول عبد اللّه:

ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله كانتفاعى بهذا الكلام.

و هذا هو المختار الثانى و العشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السّلام و رسائله:

أمّا بعد فإنّ المرأ، يسرّه درک ما لم يكن ليفوته، و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه؛ فليكن سروركَ بما نلت من آخرتک، و ليكن أسفک على ما فاتک منها. و ما نلت من دنياک فلا تكثر به فرحا، و ما فاتک منها فلا تأس عليه جزعا، و ليكن همّک فيما بعد الموت.

المصدر

رواه مسندا أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقرى المتوفّى ٢١٢ ه فى كتاب صفين (ص ٥٨ من الطبع الناصرى) قال: و فى حديث عمر بن سعد قال: و كتب علىّ عليه السّلام

إلى عمّاله فكتب: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن عبّاس أمّا بعد فإنّ الإنسان قد يسرّه ما لم يكن ليفوته و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه و إن جهد؛ فليكن سرورك فيما قدّمت من حكم أو منطق أو سيره، و ليكن أسفك على ما فرّطت للّه فيه من ذلك، و دع ما فاتك من الدّنيا فلا تكثر به حزنا، و ما أصابك فيها فلا تبغ به سرورا؛ و ليكن همّك فيما بعد الموت، و السّلام.

و نقله اليعقوبى المتوفّى حدود ۳۰۰ من الهجره فى تاريخه (ص ۱۸۱ ج ۲) و قال:

كتب أبو الأسود الدئلى – و كان خليفه عبد اللّه بن عبّاس بالبصره – إلى عامله عليّ عليه السّلام يعلمه أنّ عبد اللّه أخذ من بيت المال عشره آلاف درهم فكتب إليه يأمره بردّها فامتنع فكتب يقسم له باللّه لتردنّها فلمّا ردّها عبد اللّه بن عباس أو ردّ أكثرها كتب إليه عليّ عليه السّلام: أمّا بعد فإنّ المرأ يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدّنيا فلا تكثر به فرحا، و ما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعا و اجعل همّك لما بعد الموت، و السلام.

قال اليعقوبيّ: فكان ابن عبّاس يقول: ما اتّعظت بكلام قطّ اتّعاظى بكلام أمير المؤمنين عليه السّلام. انتهى.

و رواه ثقه الإسلام الكلينيّ المتوفّى ۳۲۹ ه فى الروضه من الكافى (ص ۲۱۹ الطبع الحجرى ۱۳۰۱ ه) و هو حديث ۳۲۷ منها، قال: عدّه من أصحابنا، عن سهل ابن زياد، عن عليّ بن أسباط رفعه قال: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى ابن عبّاس أمّا بعد فقد يسرّ المرأ ما لم يكن ليفوته، و يحزنه ما لم يكن ليصيبه أبدا و إن جهد؛ فليكن سرورك بما قدّمت من عمل صالح أو حكم أو قول، و ليكن أسفك فيما فرّطت فيه من ذلك ودع ما فاتك من الدّنيا فلا تكثر عليه حزنا و ما أصابك منها فلا تنعم به سرورا و ليكن همّك فيما بعد الموت، و السلام.

و أتى الفيض بروايه الكلينيّ فى الوافى (ص ۶۳ ج ۱۴) فى باب مواعظ أمير المؤمنين عليه السّلام، و المجلسيّ فى مرآه العقول (ص ۳۵۴ ج ۴ من المطبوع على الحجر).

و رواه علیّ بن شعبه المتوفّی ۳۳۲ ه فی تحف العقول (ص ۴۶ الطبع الحجری ۱۲۹۷ ه و ص ۱۹۷ من الطبع المترجم بالفارسی فی طهران ۱۳۸۴ ه) و ما رواه قریب من النهج و یخالفه قوله: فلیکن سرورک بما نلته من آخرتک و لیکن أسفک علی ما فات منها، و ما نلته من الدّنیا و لا تکثرنّ به فرحا، و ما فاتک منها و لا تأسفنّ علیه حزنا، و لیکن همّک فیما بعد الموت، انتهی.

و رواه أبو علیّ إسماعیل بن القاسم القالی البغدادی المتوفّی ۳۵۶ ه فی الأمالی (ص ۹۴ ج ۲ طبع مصر) المعنون بقوله: کتاب علیّ بن أبی طالب إلی ابن عبّاس رضی اللّه عنهما بموعظه من أحسن المواعظ، و حدّثنا أبو بکر بن درید رحمه اللّه قال حدّثنا العکلی عن أبیه قال: بلغنی عن ابن عبّاس أنّه قال: کتب إلیّ علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه بموعظه ما سررت بموعظه سروری بها! أمّا بعد، فإنّ المرء یسرّه درک ما لم یکن لیفوته، و یسوؤه فوت ما لم یکن لیدرکه، فما نالک من دنیاک فلا تکثر به فرحا، و ما فاتک منها فلا تتبعه أسفا، فلیکن سرورک بما قدّمت، و أسفک علی ما خلّفت، و همّک فیما بعد الموت.

و نقله القاضی أبو بکر الباقلانی المتوفّی ۴۰۳ ه فی کتاب اعجاز القرآن (هامش الاتقان للسیوطی ج ۱ ص ۱۹۵ طبع مصر ۱۳۱۸ ه) قال: کتب علیّ إلی عبد اللّه بن عبّاس و هو بالبصره: أمّا بعد فإنّ المرء یسرّ بدرک ما لم یکن لیحرمه و یسوؤه فوت ما لم یکن لیدرکه فلیکن سرورک بما قدّمت من أجر أو منطق، و لیکن أسفک فیما فرّطت فیه من ذلک و انظر ما فاتک من الدّنیا فلا تکثر علیه جزعا، و ما نلته فلا تنعم به فرحا و لیکن همّک لما بعد الموت.

و نقله العلاّمه الشیخ بهاء الدّین العاملی فی المجلّد الثالث من الکشکول (ص ۲۸۴ طبع نجم الدوله، و ص ۵۶۲ من طبع قم) قال: قال ابن عبّاس ما اتّعظت بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله بمثل کتاب کتبه إلیّ علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: أمّا بعد فإنّ الإنسان یسرّه درک ما لم یکن لیفوته، و یسؤوه فوت ما لم یکن لیدرکه فلا تکن بما نلت من دنیاک فرحا، و لا بما فاتک منها ترحأ؛ و لا تکن ممّن یرجو الاخره

بغیر عمل، و یرجو التّوبه بطول الأمل، فکان و قد، و السّلام.

و رواه سبط ابن الجوزی فی التذکره (ص ۸۹ من الطبع الرّحلی الناصری ۱۲۸۵ ه) قال: «فصل» فی ذکر قصه جرت له علیه السّلام مع عبد اللّه بن عبّاس رضی اللّه عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النجّار المقریّ قال: حدّثنا محمّد بن أبی منصور قال:

حدّثنا أحمد بن علیّ بن سوار قال: حدّثنا أحمد بن عبد الواحد بن محمّد الحریریّ قال: حدّثنا أحمد بن محمّد الجندیّ قال: حدّثنا أبو حامد محمّد بن هارون الخضرمی قال: حدّثنا إبراهیم بن سعد الجوهریّ قال: حدّثنا المأمون عبد اللّه بن هارون عن أبیه هارون، عن أبیه محمّد المهدیّ، عن أبیه أبی جعفر المنصور، عن أبیه محمّد بن علیّ، عن أبیه علیّ بن عبد اللّه، عن أبیه عبد اللّه بن عبّاس قال: ما انتفعت بکلام أحد بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله کانتفاعی بکلام کتب به أمیر المؤمنین کتب إلیّ:

سلام علیک أمّا بعد فإنّ المرء یسوؤه فوت ما لم یکن لیدرکه و یسرّه درک ما لم یکن لیفوته فلیکن سرورک بما نلت من أمر آخرتک و لیکن أسفک علی ما فاتک منها و ما فاتک من الدّنیا فلا تأسفنّ علیه و لیکن همّک فیما بعد الموت، و السلام.

قال السبط: و قد روی السدیّ هذا عن أشیاخه و قال عقیبه: کان الشیطان قد نزع بین ابن عبّاس و بین علیّ علیه السّلام مدّه ثمّ عاد إلی موالاته - إلخ. انتهی.

و قد نقله الرضیّ رضوان اللّه علیه فی أواخر هذا الباب بروایه اخری و هو المختار السادس و السّتّون منه، قال: و من کتاب کتبه علیه السّلام إلی عبد اللّه بن العبّاس رحمه اللّه و قد مضی هذا الکتاب فیما تقدّم بخلاف هذه الرّوایه: أمّا بعد فإنّ العبد یفرح بالشیء الّذی لم یکن لیفوته، و یحزن علی الشیء الّذی لم یکن لیصیبه، فلا یکن أفضل ما نلت فی نفسک من دنیاک بلوغ لذّه أو شفاء غیظ و لکن إطفاء باطل أو إحیاء حقّ، و لیکن سرورک بما قدّمت، و أسفک علی ما خلّفت و همّک فیما بعد الموت.

و قد نقل المجلسیّ رحمه اللّه روایتی النّهج فی المجلّد الثامن من البحار

(ص ۶۳۳ و ۶۳۴ من الطبع الكمبانى)، و سيأتى ذكر القصّه الّتى أشار إليها اليعقوبى و سبط ابن الجوزى فى شرح المختارين ۴۰ و ۴۱ من هـذا الباب، الأوّل منهما معنون بقول الرّضـى و من كتاب له عليه السّـلام إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فقد بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك - إلخ، و الثانى و من كتاب له عليه السّلام إلى بعض عمّاله:

أمّـا بعـد فإنّى كنت أشـركتك - إلـخ، و إنّما نقلت النسخ الّتى وجـدتها بحـذافيرها لما رأيت من الاختلاف فيها، و من أنّ ذكر مواقع الاختلاف كان أطول من نقلها.

اللغه

(درك) بالتحريـك و يسـكن أيضـا: اللحـاق و الوصول إلى الشـىء بعـد طلبه، قـال الزمخشـرىّ فى الأساس: و «اللّهمّ أعنّى على درك الحاجه» أى على إدراكها و قال ابن الأثير فى النّهايه: فى الحديث «أعوذ بك من درك الشقاء» الدّرك:

اللحاق و الوصول إلى الشيء و أدركته إدراكا و دركا، و منه الحديث: لو قال إن شاء اللّه لم يحنث و كان دركا له فى حاجته.

و قال الفيّومى فى المصباح: الدرك بفتحتين و سكون الراء لغه من أدركت الشيء و أدركته إذا طلبته فلحقته.

(نلت) من النيل يقال: نال من عدوّه ينال و ينيل من بابى ضرب و علم نيلا و نالا و ناله بلغ منه مقصوده و منه قيل: نال من امرأته ما أراد و نال من مطلوبه المراد و يتعدّى بالهمزه إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله و المطلوب منيل، و الرّجل نائل.

(فلا تأس عليه) أى لا تحزن، يقال: أسـى عليه أسـى من باب علم أى حزن فهو آس و أسـيان و هى آسيه و أسيانه، و أسى لفلان أى حزن له.

(ترحا) على روايه الشيخ فى الكشكول، بفتحتين: ضدّ الفرح.

ص:۳۴۸

الاعراب

الضمير فی لم یکن فی الموضعین یرجع إلی ما و کذا ضمیر الفعلین یفوت و یدرک، و الضمیر المنصوب فیهما یرجع إلی المرء بقرینه قوله ما فاتک، و أمکن أن یرجع ضمیر الأفعال إلی المرء، و الضمیران المنصوبان إلی ما.

المعنی

قد شرحه العالم الجلیل المولی محمّد صالح المازندرانی فی شرحه علی روضه الکافی بقوله: یعنی أنّ المرأ یکون من هذه الحاله و هی أنّه تسرّه إصابه ما ینفعه، و یحزنه فواته، و ما ینفع علی قسمین: أحدهما ما ینفع فی الاخره، و ثانیهما ما ینفع فی الدّنیا؛ و العاقل اللّبیب ینبغی أن یسرّ بإصابه الأوّل، و یحزن بفواته و إلیه أشار بقوله: فلیکن سرورک بما قدّمت من عمل صالح أو حکم بالعدل أو قول بالحقّ و لیکن أسفک و حزنک فیما فرّطت فیه من ذلک فانّ هذا السرور أبدیّ و هذا الحزن مع کونه ندامه و عباده موجب للزیاده و التدارک، و أن لا یحزن بفوات الثانی و لا یسرّ باصابته و إلیه أشار بقوله: و دع ما فاتک من الدّنیا فلا تکثر علیه حزنا و ما أصابک منها فلا تنعم به سرورا کما یسرّ و ینعم أهل الدّنیا یقال: نعم العود کفرح إذا اخضرّ و نضر، ثمّ أمر بما هو کالسبب بجمیع ذلک بقوله: و لیکن همّک فیما بعد الموت و السلام لأنّ التذکیر بهادم اللّذات و التخویف بذکره تنفیر عن محبّه الدّنیا و الحزن بفواتها و ترغیب فی محبّه الاخره و العمل لها و الحزن بفواتها. انتهی.

و أقول: هذا الکتاب مقتبس من قول اللّه عزّ و جلّ: «ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ » (التغابن - ١٢)، و قوله تعالی: «ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی أَنْفُسِکُمْ إِلاّ فِی کِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیرٌ لِکَیْلا تَأْسَوْا عَلی ما فاتَکُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاکُمْ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ » (الحدید - ٢۴)، نعم

كلّ ما أفاده رسول اللّه و أهل بيته إنّما هو مقتبس من القرآن الكريم و ما روى عنهم عليهم السّلام فإنّما هو بيان بطون الايات و حقائقها المستوره عن غيرهم، و أصل الجميع القرآن و لا بدّ من أن يرجع المروى عنهم إليه، إنّ اللّه تعالى يقول: «وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ ءٍ » (النحل - ٩٢) و فى الكافى بإسناده عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل فى كتاب اللّه و لكن لا تبلغه عقول الرّجال، (الوافى ص ۶۱ ج ۱).

و فيه بإسناده عن أبى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السّلام إذا حدّثتكم بشيء فاسألونى من كتاب اللّه، ثمّ قال فى بعض حديثه إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله نهى عن القيل و القال و فساد المال و كثره السؤال فقيل له: يا ابن رسول اللّه أين هذا من كتاب اللّه؟ قال: إنّ اللّه تعالى يقول: «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النّاسِ » و قال: «وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً »، و قال: «لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ » (الوافى ص ۶۱ ج ۱).

و حاصل الفصل أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أشار فيه إلى حقيقه و فرّع عليها أمرين، و الحقيقه: أنّ ما يناله الإنسان أو يفوته فانّما كان بقضاء اللّه المحتوم المقطوع أن يناله أو يحرمه فلا يصحّ الفرح و الجزع بما كان حصوله و فواته كذلك، و قد قال عليه السّلام كما يأتى فى الحكمه ۴۳۹: الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال اللّه سبحانه: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » و من لم يأس على الماضى و لم يفرح بالاتى فقد أخذ الزهد بطرفيه.

و نحوه ما رواه ثقه الإسلام الكلينى فى الكافى بإسناده، عن زراره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام على المنبر: لا يجد أحدكم (أحد - خ ل) طعم الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه، (الوافى ص ۵۴ ج ۳).

و بإسناده عن صفوان الجمّال، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن

ليخطئه و أنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه و أنّ الضارّ النّافع هو اللّه تعالى (الوافى ص ۵۴ ج ۳).

و روى بإسناده عن الثمالى، عن سعيد بن قيس الهمدانى قال: نظرت يوما فى الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين عليه السّلام فقلت:

يا أمير المؤمنين فى مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنّه ليس من عبد إلاّ و له من اللّه تعالى واقيه معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع فى بئر فإذا نزل القضاء خلّيا بينه و بين كلّ شىء (الوافى ص ۵۴ ج ۳).

و روى نصر بن مزاحم المنقرى فى كتاب صفين (ص ۱۲۸ من الطبع الناصرى) عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى إسحاق قال: خرج علىّ يوم صفين و فى يده عنزه فمرّ على سعيد بن قيس فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد و أنت قرب عدوّك؟ فقال له علىّ عليه السّلام: إنّه ليس من أحد إلاّ عليه من اللّه حفظه يحفظونه من أن يتردّى فى قليب أو يخرّ عليه حائط أو تصيبه آفه فإذا جاء القدر خلّوا بينه و بينه.

و قال ابن قتيبه الدينورىّ فى الإمامه و السياسه (ص ۱۶۲ ج ۱) فى مقتل أمير المؤمنين عليه السّلام جاء رجل من مراد إلى علىّ عليه السّلام فقال له يا أمير المؤمنين احترس فإنّ هنا قوما يريدون قتلك، فقال: إنّ لكلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خلّياه.

و هذه الأخبار فى الحفظه مأخوذه من قول اللّه عزّ و جلّ: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ » (الرّعد - ۱۳) و قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » (الانفطار ۱۱-۱۳)، و قوله عزّ من قائل: «وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ » (الأنعام - ۶۲).

و المروىّ أيضا عن الباقر عليه السّلام فى قوله: له معقّبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر اللّه: من أمر اللّه يقول بأمر اللّه من أن يقع فى ركىّ، أو يقع عليه

حائط أو يصيبه شىء حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه و بينه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه باللّيل و ملكان بالنهار يتعاقبانه.

و المؤمن العارف بسرّ القدر لا يفرح بما ناله و لا يحزن على ما فاته لعلمه بأنّ قضاء اللّه و قدره فى نظام العالم أوجبا وقوع الأوّل و فوت الثانى فلم يكن الأوّل ليفوته و لا الثانى ليدركه و قد قال صلّى اللّه عليه و اله: جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم الدّين فالحزن على فوات شىء محتوم عليه أن يفوته، و الفرح بحصول شىء مقطوع الحصول لما ذا؟ و للعارف قلب مطمئنّ لا يرى إلاّ اللّه و لا يرجو إلاّ إيّاه و لا يخاف إلاّ منه، و لا يحسد و لا يعادى أحدا و لا يحزن و لا يبطر، و قد ورد فى الخبر كما فى تفسير النيسابورى فى سوره الحديد: من عرف سرّ اللّه فى القدر هانت عليه المصائب، و نعم ما فى تفسير المجمع من أنّ فى قوله تعالى: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » إشاره إلى أربعه أشياء: الأوّل حسن الخلق لأنّ من استوى عنده وجود الدّنيا و عدمها لا يحسد و لا يعادى و لا يشاحّ فإنّ هذه من أسباب سوء الخلق و هى من نتائج حبّ الدّنيا، و ثانيها استحقار الدّنيا و أهلها إذا لم يفرح بوجودها و لم يحزن لعدمها، و ثالثها تعظيم الاخره لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب، و رابعها الافتخار باللّه دون أسباب الدّنيا.

قال: و يروى أنّ علىّ بن الحسين عليهما السّلام جاءه رجل فقال له: ما الزّهد؟ قال:

الزّهد عشره أجزاء: فأعلى درجه الزهد أدنى درجه الورع، و أعلى درجه الورع أدنى درجه اليقين، و أعلى درجه اليقين أدنى درجه الرضا؛ و أنّ الزهد كلّه فى آيه من كتاب اللّه: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » قال: و قيل لبزرجمهر: مالك أيّها الحكيم لا تأسف على ما فاتك و لا تفرح بما هو آت؟ فقال: إنّ الفائت لا يتلافى بالعبره، و الاتى لا يستدام بالحبره.

و عن عبد اللّه بن مسعود قال: لئن الحسن جمره أحرقت ما أحرقت و أبقت ما أبقت أحبّ

إليّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته كان. انتهى.

و نعم ما قيل:

لا تطل الحزن على فائت فقلّما يجدى عليك الحزن

سيّان محزون على ما مضى و مظهر حزنا لما لم يكن

و المروى عن الإمام الصّادق عليه السّلام: يا ابن آدم ما لك تأسو على مفقود لا يردّه إليك الفوت، و مالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت.

و التّفريع الأوّل أنّ ما ينبغى أن يسرّ المرء به هو ما ناله من الحقائق الّتى تفيده فى ما بعد موته و ينبغى له أن يأسف على فوتها، و الثانى أنّ ما ناله من الدّنيا و ما فاته منها هو ما لا قدر له أن يفرح به أو يجزع عليه، ثمّ أكّد الأوّل بقوله و ليكن همّك فيما بعد الموت.

قال الفاضل الشارح المعتزلى فى المقام: و لقائل أن يقول: هب أنّ الامور كلّها بقضاء و قدر فلم لا ينبغى للإنسان أن يفرح بالنفع و إن وقع بالقدر، و يساء بفوته أو بالضرر و إن وقعا بقدر؟ أليس العريان يساء بقدوم الشتاء و إن كان لا بدّ من قدومه، و المحموم غبّا يساء بتجدّد نوبه الحمّى و إن كان لا بدّ من تجدّدها؟ فليس سبب الإختيار فى الأفعال ممّا يوجب أن يسرّ الإنسان و لا يساء بشيء منها.

قال: و الجواب ينبغى أن يحمل هذا الكلام على أنّ الإنسان ينبغى أن لا يعتقد فى الرزق أنّه أتاه بسعيه و حركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا أنّ ذلك الرزق ثمره حركته و اجتهاده، و كذلك ينبغى أن لا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لائما نفسه فى ذلك ناسبا لها إلى التقصير و فساد الحيله و الاجتهاد لأنّ الرزق هو من اللّه تعالى لا أثر للحركه فيه و إن وقع عندها و على هذا التأويل ينبغى أن يحمل قوله تعالى: ما أصاب من مصيبه - إلخ، انتهى كلامه.

و أقول: الظاهر أنّ المراد من الأسى و الفرح المنهيّين ما بلغ حدّ الجزع و البطر و الاختيال المنسيه عن ذكر اللّه بقرينه قوله تعالى فى ذيل الايه: «وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ». لا ما لا يملك ردّه و لا يستطاع دفعه من الأسى و الفرح

لا یخلو منهما بشر علی الغریزه و الفطره تکوینا، نظیر ما رواه الکلینیّ فی الکافی و الصّدوق فی الفقیه: لمّا مات إبراهیم ابن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله هملت عین رسول اللّه بالدّموع ثمّ قال النبیّ صلّی اللّه علیه و اله: تدمع العین و یحزن القلب (یحزن القلب و تدمع العین - کما فی الفقیه) و لا نقول ما یسخط الربّ (ص ۸۸ ج ۱۳ من الوافی).

ثمّ إنّ الأسی و الفرح فی کلامه علیه السّلام و فی قوله عزّ و جلّ یعمّان حصول الرزق و فوته و غیره ممّا لم یکن برزق فلا وجه لاختصاصهما بالرزق فقط، اللّهمّ إلّا أن یقال: إنّ الشارح المذکور أراد من الرزق أعمّ ممّا تربّی به الحیوان من الأغذیه و الأشربه کما هو مذهب الاعتزال و الشارح منهم فإنّ الرزق عند المعتزله هو کلّما صحّ انتفاع الحیوان به بالتغذّی أو غیره کما أشار إلیه العلّامه الشیخ البهائی فی شرح الحدیث الثالث عشر من کتابه الأربعین.

و لیعلم أنّ ما مضی من القول بأنّ قضاء اللّه و قدره أوجبا ما أوجبا و أنّ ما أصاب المرأ لم یکن لیخطئه، و ما أخطأه لم یکن لیصیبه و نظائرها لا تنافی ما ورد فی القرآن و الأخبار من الحثّ علی الدّعاء و الطلب إلی اللّه تعالی و إلّا لما أمرنا اللّه تعالی و رسوله و أهل البیت بالسؤال و الدّعاء و قد قال عزّ من قائل: «ما یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لا دُعاؤُکُمْ » (آخر الفرقان)، و قال: «وَ قالَ رَبُّکُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ » (المؤمن، الغافر - ۶۰) و قال تعالی: «اُدْعُوا رَبَّکُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَهً إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ » (الأعراف - ۵۵ و ۵۶)، و قال تعالی: «وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ » (البقره - ۱۸۴).

و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: ألا أدلکم علی سلاح ینجیکم من أعدائکم و یدرّ أرزاقکم؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه، قال: تدعون ربّکم باللّیل و النّهار فإنّ سلاح المؤمن الدّعاء.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: الدّعاء ترس المؤمن و متى تكثر قرع الباب يفتح لك.

و قال الصّادق عليه السّلام: الدّعاء أنفذ من السنان الحديد.

و قال الكاظم عليه السّلام: إنّ الدّعاء يردّ ما قدّر و ما لم يقدّر، قلت (أى قال الراوى) ما قدّر فقد عرفته فما لم يقدّر؟ قال عليه السّلام حتّى لا يكون.

و قال عليه السّلام: عليكم بالدّعاء فإنّ الدّعاء و الطلب إلى اللّه. تعالى يردّ البلاء و قد قدّر و قضى فلم يبق إلّا إمضاؤه فإذا دعى اللّه و سئل صرفه صرفه.

و روى زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ألا أدلكم على شىء لم يستثن فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله؟ قلت: بلى، قال: الدّعاء يردّ القضاء و قد أبرم إبراما و ضمّ أصابعه.

و عن سيّد العابدين عليه السّلام: إنّ الدّعاء و البلاء ليتوافقان إلى يوم القيامه إنّ الدّعاء ليردّ البلاء و قد أبرم إبراما.

و عنه عليه السّلام: الدّعاء يدفع البلاء النازل و ما لم ينزل.

و قد أتى بهذه الروايات الفقيه الحبر المحقّق أحمد بن فهد الحلّى قدّس سرّه فى أوّل كتاب عدّه الدّاعى و نجاح الساعى و الروايات فى ذلك كثيره جدّا و الكتب المؤلّفه فيه غير عزيزه، نعم إنّ القضاء ينقسم إلى قضاء ثابت محتوم لا يتغيّر و قضاء متغيّر و ما نحن فيه من الثّانى فإيّاك أن تظنّ أنّ الدّعاء ينافى القول بالقضاء فإنّه «يَمْحُوا اللّٰهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» (الرّعد - ۴۱)، و فى ضمن هذه الايه روايات دقيقه و مطالب أنيقه لعلّنا نبحث عنها فى شروحنا الاتيه فى فصل نعقد فى ذلك إن شاء اللّه تعالى. و قد قدّمنا نبذه من البحث عن استجابه الدّعاء فى شرحنا على المختار ۲۳۶ من باب الخطب (ص ۳۵۹-۳۶۲ ج ۱۵) فراجع.

الترجمه

اين نامه ايست كه أمير عليه السّلام به عبد اللّه عبّاس نوشت و او مى گفت كه من بعد از گفتار رسول خدا به هيچ گفتارى چون اين كلام أمير بهره نبردم:

ص:۳۵۵

أمّا بعد براستی مرد را رسیدن چیزی باو که نمی بایستی از او فوت شود شاد میکند، و فوت چیزی که نمی بایستی آن را بدست آورد اندوهگین می سازد، پس باید شادی تو به آن چه باشد که برای آخرتت اندوختی، و اندوه تو بفوت چنان چیزی، و آنچه که از دنیا عایدت شده بسیار بان شادمانی مکن، و آنچه که از آن از تو فوت شد بی تابی مکن، و باید همّت برای بعد از مرگت مصروف باشد.

و من کلام له علیه الصلاه و السلام قبیل موته لما ضربه

اشاره

ابن ملجم لعنه اللّه علی سبیل الوصیه

و هو المختار الثالث و العشرون من باب کتب أمیر المؤمنین علیه السّلام و رسائله:

وصیّتی لکم أن لا تشرکوا باللّه شیئا، و محمّد صلّی اللّه علیه و اله فلا تضیّعوا سنّته. أقیموا هذین العمودین. و خلاکم ذمّ - أنا بالأمس صاحبکم، و الیوم عبره لکم، و غدا مفارقکم، إنّ أبق فأنا ولیّ دمی، و إن أفن فالفناء میعادی، و إن أعف فالعفو لی قربه و هو لکم حسبه فاعفوا «أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللّهُ لَکُمْ ». و اللّه ما فجأنی من الموت وارد کرهته، و لا طالع أنکرته؛ و ما کنت إلاّ کقارب ورد، و طالب وجد، «وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرارِ ».

قال الرّضىّ رضوان اللّه عليه: أقول: و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلاّ أنّ فيه ههنا زياده أوجبت تكريره، انتهى.

أقول: و العباره فى بعض نسخ النهج فى المقام هكذا: «أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين» كما أنّها فى نسخه الكافى كذلك، و فى بعض نسخ النهج: «و هو لكم حسنه» كما أنّها مطابق لنسخ الكافى أيضا، و لكن ما فى المتن فى كلا الموضعين مطابق لنسخه الرضىّ.

المصدر

كلامه هذا قد روى فى الجوامع الروائيه و غيرها على صور مختلفه و وجوه كثيره و قد مضى بعضه فيما تقدّم من الخطبه ۱۴۷ أوّلها: أيّها النّاس كلّ امرىء لاق ما يفرّ منه فى فراره، و الأجل مساق النفس، و الهرب منه موافاته - إلخ، و هى فى شرح الخوئى رحمه اللّه أعنى منهاج البراعه جعلت الخطبه ۱۴۹ فراجع إلى ص ۱۱۱ من المجلّد التاسع منه، و هذه الخطبه مرويه فى الجامع الكافى لثقه الإسلام الكلينىّ قدّس سرّه، و نقلها الفيض رضوان اللّه عليه فى باب الإشاره و النصّ على الحسن بن علىّ عليهما السّلام (ص ۸۰ ج ۲)، و تجدها فى مرآه العقول فى ص ۲۲۲ من المجلّد الأوّل منه، و قد أتى بها الشارح الخوئى فى شرح الخطبه المتقدّمه من النهج ص ۱۲۷ ج ۹ من المنهاج فلا حاجه إلى تكريرها.

و قال المسعودىّ فى مروج الذّهب (ص ۴۸ ج ۲): و قد ذكر جماعه من أهل النقل عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ عليهم السّلام أنّ عليّا عليه السّلام قال فى صبيحه اللّيله الّتى ضربه فيها عبد الرّحمن بن ملجم بعد حمد اللّه و الثناء عليه و الصلاه على رسوله صلّى اللّه عليه و اله: كلّ امرىء ملاقيه ما يفرّ منه و الأجل تساق النفس إليه، و الهرب منه موافاته، و كم اطردت الأيام أتحينها(۱)

ص:۳۵۷

۱- (۱) كذا فى مروج الذهب، و فى الكافى و الخطبه ۱۴۷ من النهج الماضيه: كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر. منه.

عن مكنون هذا الأمر فأبى اللّه عزّ و جلّ إلّا إخفاءه هيهات علم مكنون، أمّا وصيّتى فلا تشركوا به شيئا، و محمد لا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، حمل كلّ امرىء منكم مجهوده، و خفّف عن الحمله(۱) ربّ رحيم و دين قويم و إمام عليم؛ كنّا فى أعصار ودى رياح تحت ظلّ غمامه اضمحل راكدها فحطها من الأرض(۲) حيا و بقى من بعدى خيرها و استكنه بعد حركه كاظمه بعد نطق لبعضكم هدوئى و خفوت أطرافى إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، و دعتكم وداع امرىء مرصد لتلاق و غدا ترون و يكشف عن ساق عليكم السلام إلى يوم المرام كنت بالأمس صاحبكم، و اليوم عظه لكم، غدا أفارقكم إن افق فأنا ولىّ دمى، و إن أمت فالقيامه ميعادى و العفو أقرب للتقوى «أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »، انتهى ما فى المروج.

و سنأتى بطائفه من وصاياه عليه السّلام مع بيان مصادرها و ماخذها، و بيان ما فيها من غريب الحديث إن شاء اللّه تعالى فى شرح المختار السابع و السبعين المعنون بقول الرّضى: و من وصيّته عليه السّلام للحسن و الحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه:

أوصيكما بتقوى اللّه و أن لا تبغيا الدّنيا و إن بغتكما - إلخ، و لم نظفر بعد فى جامع روائىّ على روايه شامله على قوله عليه السّلام: و اللّه ما فجأنى من الموت - إلخ، و إن كان الرّضىّ فى نقله ثقه ثبتا و كفى بالنهج سندا أنّ مثل الرّضى أسنده إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و لا إخال أنّ من كان عارفا بمقامه الشامخ و جلاله قدره علما و عملا أن يتفوّه بنسبه الوضع و الاختلاق إليه.

و لا يخفى أنّ الماخذ الّتى كانت للرّضى لم يصل إلينا إلّا نبذه منها، و بعد نقول إنّا لم نظفر عليه و عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود و لعلّ اللّه يحدث

۱- (۱) كذا فى مروج الذهب، و فى الكافى و الخطبه المتقدمه، و خفف عن الجهله. منه

۲- (۲) كذا فى المروج و فى الكافى و الخطبه المذكوره: فانا كنا فى أفياء أغصان و ذرى رياح و تحت ظل غمامه اضمحل فى الجو متلفقها، و عفى فى الارض مخطها، و بين ما فى نسخه المسعودى و ما فى النهج و الكافى يوجد اختلاف كثير، منه.

بعد ذلک أمرا و یوفّقنا بالظفر علیه فنذکره فی شرح وصیّته الاتیه لابنیه علیهم السّلام.

علی أنّ ابن الأثیر فی لغه قرب من النهایه قال: القارب: الّذی یطلب الماء و منه حدیث علیّ علیه السّلام: و ما کنت إلّا کقارب ورد، و طالب وجد.

المعنی

قوله علیه السّلام:(و هو لکم حسبه) و من کلامه علیه السّلام کما أتی به أبو عثمان الجاحظ فی البیان و التبیین (ص ۷۴ ج ۴ طبع مصر) و سنذکره إن شاء اللّه تعالی بتمامه فی شرح المختار ۱۹۱ فی باب المختار من حکمه علیه السّلام: إنّما المرء فی الدّنیا غرض تنتضل فیه المنایا، و هو قوله علیه السّلام: فاستقبل المصیبه بالحسبه تستخلف بها نعمی، و الحسبه بکسر الحاء إذا کانت عند المکروهات هی البدار إلی طلب الأجر و تحصیله بالتسلیم و الصبر، اسم من الاحتساب، قال الجوهریّ فی الصحاح:

احتسب بکذا أجرا عند اللّه و الاسم الحسبه بالکسر و هی الأجر و الجمع الحسب، انتهی.

و قال ابن الأثیر فی النهایه: و فیه (یعنی فی الحدیث) من صام رمضان إیمانا و احتسابا أی طلبا لوجه اللّه و ثوابه، و الاحتساب من الحسب کالاعتداد من العدّ؛ و إنّما قیل لمن ینوی بعمله وجه اللّه أحتسبه لأنّ له حینئذ أن یعتدّ عمله فجعل فی حال مباشره الفعل کأنّه معتدّ به، و الحسبه اسم من الاحتساب کالعدّه من الاعتداد، و الاحتساب فی الأعمال الصالحات و عند المکروهات هو البدار إلی طلب الأجر و تحصیله بالتسلیم و الصبر أو باستماع أنواع البرّ و القیام بها علی الوجه المرسوم فیها طلبا للثواب المرجوّ منها، و منه حدیث عمر: أیّها النّاس احتسبوا أعمالکم فإنّ من احتسب عمله کتب له أجر عمله و أجر حسبته، و منه الحدیث من مات له ولد فاحتسبه أی احتسب الأجر بصبره علی مصیبته یقال: احتسب فلان ابنأله إذا مات کبیرا و افترطه إذا مات صغیرا و معناه اعتدّ مصیبته فی جمله بلایا اللّه الّتی یثاب علی الصبر علیها.

ص:۳۵۹

و لا یخفی علی البصیر بأسالیب الکلام، و العارف بمواقع اللّغه أنّ لکلمه الحسبه بالباء فی المقام شأنا لیس للحسنه بالنّون، و التشابه بین الکلمتین أوجب تصحیف الاولی بالثانیه، و لم یتعرّض أحد من شراح النهج و الکافی لهذه الدقیقه و إنّما کانت نسخهم حسنه بالنون.

قوله علیه السّلام:(إن أبق فأنا ولیّ دمی) کانت العباره علی نسخه المسعودی فی مروج الذّهب: «إن أفق فأنا ولیّ دمی» و کلمه أفق مشتقه من الإفاقه أصله من ف و ق، قال ابن الأثیر فی النهایه: أفاق إذا رجع إلی ما کان قد شغل عنه و عاد إلی نفسه و منه إفاقه المریض و المجنون و المغشی علیه و النائم.

قوله علیه السّلام:(و إن أفن فالفناء میعادی) و ذلک لأنّ کلّ نفس ذائقه الموت، و کلّ من علیها فان و لا یبقی إلاّ وجه ربّک ذو الجلال و الإکرام، و أنّ الموت ضروریّ أمره و الوجه فیه هو کما أفاده المحقق الطوسی قدّس سرّه قال: إنّ السبب الموجب للموت فی جمیع الحیوانات هو أنّ البدل الّذی تورده الغاذیه و إن کان کافیا فی قیامه بدلا عمّا یتحلّل فاضلا عن الکفایه بحسب الکمیّه لکنّه غیر کاف بحسب الکیفیّه، و بیان ذلک أنّ الرطوبه الغریزیّه الأصلیّه إنّما تخمّرت و نضجت فی أوعیه الغذاء أوّلا، ثمّ فی أوعیه المنی ثانیا، ثمّ فی الأرحام ثالثا؛ و الّذی تورده الغاذیه لم یتخمّر و لم ینضج إلاّ فی الأوّل دون الأخیرین فلم یکمل امتزاجها، و لم یصل إلی مرتبه المبدل عنها فلم یقم مقامها کما یجب بل صارت قوتها أنقص من قوه الاولی و کان کمن یفقد زیت سراج فأورد بدله ماء فما دامت الکیفیّه الاولی الأصلیّه غالبه فی الممتزج علی الثانیه المکتسبه کانت الحراره الغریزیّه آخذه فی زیاده الاشتغال مورده علی الممتزج أکثر ممّا یتحلّل فینمو الممتزج، ثمّ إذا صارت مکسوره السوره بظهور الکیفیّه الثانیه وقفت الحراره الغریزیّه و ما قدرت علی أن یورد أکثر ممّا یتحلّل و إذا غلبت الثّانیه انحطّ الممتزج و هرم و ضعفت الحراره إلی أن یبقی له أثر صالح الکیفیّه الاولی فیقع الموت ضروره، و ظهر من ذلک أنّ الرطوبه الغریزیّه الأصلیّه من أوّل تکوّنها

آخذه فی النقصان بحسب الکیفیّه، و ذلک هو السبب الموجب لفساد الممتزج لا غیر فحصل المرام و ذلک ما أردنا بیانه. انتهی.

و قیل بالفارسیه:

جان قصد رحیل کرد و گفتم که مرو گفتا چه کنم خانه فرو می آید

و قال الشیخ العارف السعدیّ:

چار طبع مخالف سرکش چند روزی بوند با هم خوش

چون یکی زین چهار شد غالب جان شیرین بر آید از قالب

قوله علیه السّلام:(و اللّه ما فجئنی من الموت - إلخ) و ذلک لأنّ أولیاء اللّه لا خوف علیهم و لا هم یحزنون، و إنّما یکره الموت من تعلّق بالدّنیا و نسی حظّه الأوفر فی العقبی و أمّا أولیاء اللّه فهم فی الدّنیا کمن لیس منها کما قاله علیه السّلام فی بعض الخطب الماضیه؛ و لو لا الأجل الّذی کتب اللّه علیهم لم تستقرّ أرواحهم فی أجسادهم طرفه عین شوقا إلی الثواب و خوفا عن العقاب کما ألقاه علیه السّلام علی همّام، و قد أخذ من مأدبته الشیخ الرّئیس فی قوله فی النمط التاسع من الاشارات فی مقامات العارفین فکأنّهم و هم فی جلابیب من أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها إلی عالم القدس.

و قال الشیخ العارف السعدیّ:

از هر چه می رود سخن دوست خوشتر است پیغام آشنا سخن روح پرور است

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

ابنای روزگار بصحرا روند و باغ صحرا و باغ زنده دلان کوی دلبر است

ثمّ عقّب علیه السّلام کلامه بقوله:«وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرارِ »و کأنّه بیان العلّه فی عدم خوفه من الموت و هذا اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ«لکِنِ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرارِ »(آل عمران-۱۹۹)فقد أشار علیه السّلام إلی أنّه من الأبرار و أنّ الایه شامله علیه، و قد وصف اللّه الأبرار فی عدّه مواضع من القرآن الکریم:

«رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ کَفِّرْ عَنّا سَیِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ » (آل عمران - ۱۹۳) «إِنَّ الْأَبْرارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کانَ مِزاجُها کافُوراً » (هل أتی - ۶)، «إِنَّ »

«اَلْأَبْرارَ لَفِی نَعِیم » (الانفطار - ۱۴) ، «كَلاّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّيِّينَ وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِيمٍ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِی ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا » (المطففين).

فمن كان من الأبرار بل قدوتهم و إمامهم و كانت له بعد ارتحاله من سجن الدّنيا تلك المقامات المنيعه الخالده و الدّرجات الرفيعه الدائمه فكيف لا يكون مع الموت كقارب ورد و طالب وجد، و حقّ له أن يقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی تا در آغوشش بگیرم تنگ تنگ

من از او ملكی ستانم جاودان او زمن دلقی بگیرد رنگ رنگ

و نعم ما نظمه العارف الرّومی فی المثنویّ:

چون بلال از ضعف شد همچون هلال رنگ مرگ افتاد بر روی بلال

جفت او دیدش بگفتا وا حرب پس بلالش گفت نی نی وا طرب

تا كنون اندر حرب بودم ز زیست تو چه دانی مرگ چه عیشست و چیست

این همی گفت و رخش در عین گفت نرگس و گلبرگ و لاله می شكفت

تاب رو و چشم پر أنوار او می گواهی داد بر گفتار او

گفت جفتش الفراق ای خوش خصال گفت نی نی الوصالست الوصال

گفت جفت امشب غریبی می روی از تبار و خویش غائب می شوی

گفت نی نی بلكه امشب جان من می رسد خوش از غریبی در وطن

گفت ای جان و دلم وا حسرتا گفت نی نی جان من یا دولتا

گفت آن رویت كجا بینیم ما گفت اندر حلقهٔ خاص خدا

گفت ویران گشت این خانه دریغ گفت اندر مه نگر منگر بمیغ

كرد ویران تا كند معمورتر قوم أنبه بود و خانه مختصر

انبیا را تنگ آمد این جهان چون شهان رفتند اندر لا مكان

مردگان را این جهان بنمود فرّ ظاهرش زفت و بمعنی تنگتر

روح از ظلم طبیعت باز رست مرد زندانی ز فکر حبس جست

و قد مضی بیان باقی کلامه هذا فی شرح الخطبه المقدّم ذکرها من الشارح الخوئی رحمه اللّه، و سیأتی فی شرح المختار ۷۷ من هذا الباب مباحث متعلّقه بالمقام إن شاء اللّه تعالی.

الترجمه

از سخنان أمیر المؤمنین علیه السّلام که پیشترک از بدرود زندگانی، زمانی که از ضربت پسر ملجم در بستر بیماری افتاده بود بر سبیل وصیت فرموده است:

وصیّتم بشما این است که چیز را همتای خدا ندانید (شرک بخدا نیاورید) و سنّت پیمبر را تباه نکنید، و این دو ستون دین را که توحید و حفظ سنت پیمبر است بر پا بدارید، از شما نکوهش دور باد - من دیروز یار شما بودم و امروز مایۀ پند برای شما و فردا از شما جدا میشوم، اگر از بیماری نجات یافتم و در این جهان باقی ماندم من خود ولیّ خونم می باشم و اگر نماندم مرگ میعاد من است، اگر قاتلم را عفو کنم پس عفو برای من موجب قربت است و برای شما موجب پیشگیری بطلب أجر و تحصیل آن بتسلیم و صبر است(۱) پس عفو کنید آیا دوست ندارید که خدا شما را بیامرزد؟ بخدا قسم از پیش آمد مرگ واردی که آنرا ناخوش داشته باشم بمن روی نیاورد، و چیزی که آنرا بد داشته باشم بر من ظاهر نشد، و نیستم من مگر چون جویای آب که باب برسد، و چون طالبی که مطلوبش را یافته است و آنچه که نزد خدا است بهتر است برای نیکوکاران.

۱- (۱) شراح و مترجمین نهج البلاغه همه عبارت نهج را چنین نقل کرده اند: و هو لکم حسنه، و این گونه ترجمه کرده اند که: آن برای شما نیکوکاری و مثوبت است ولی نسخۀ رضی همان است که در متن اختیار کردیم که حسبه بود و ترجمۀ ما مطابق نسخۀ رضی است و همین با مقام مناسب است.

سیّد رضی گوید: که پارهٔ از این گفتار در باب خطب گذشت، جز این که در اینجا کلامی بیشتر بود که در پیش نیاوردیم از این روی تکرار آن واجب شد.

و من وصیه له علیه الصلاه و السلام بما یعمل فی

اشاره

أمواله، کتبها بعد منصرفه من صفین.

و کلامه هذا هو المختار الرابع و العشرون من باب کتبه علیه السّلام و رسائله:

هذا ما أمر به عبد اللّه علیّ بن أبی طالب فی ماله ابتغاء وجه اللّه لیولجه به الجنّه، و یعطیه به الأمنه. منها: و إنّه یقوم بذلک الحسن بن علیّ یأکل منه بالمعروف و ینفق منه فی المعروف، فإن حدث بحسن حدث و حسین حیّ قام بالأمر بعده و أصدره مصدره.

و إنّ لابنی فاطمه من صدقه علیّ مثل الّذی لبنی علیّ.

و إنّی إنّما جعلت القیام بذلک إلی ابنی فاطمه ابتغاء وجه اللّه و قربه إلی رسول اللّه، و تکریما لحرمته، و تشریفا لوصلته. و یشترط علی الّذی یجعله إلیه أن یترک المال علی أصوله و ینفق من ثمره حیث أمر به، و هدی له؛ و أن لا یبیع من أولاد نخیل

ص:۳۶۴

هذه القری ودیّه حتّی تشکل أرضها غراسا. و من کان من إمائی الّلاتی أطوف علیهنّ لها ولد أو هی حامل فتمسک علی ولدها و هی من حظّه فإن مات ولدها و هی حیّه فهی عتیقه قد أفرج عنها الرّقّ، و حرّرها العتق. قال الرّضیّ رضوان اللّه علیه: قوله علیه السّلام فی هذه الوصیّه: «و ألاّ یبیع من نخلها ودیّه» فإنّ الودیّه الفسیله و جمعها ودی. و قوله علیه السّلام: «حتّی تشکل أرضها غراسا» هو من أفصح الکلام و المراد به أنّ الأرض یکثر فیها غراس النخل حتّی یراها النّاظر علی غیر تلک الصفه الّتی عرفها به فیشکل علیه أمرها و یحسبها غیرها. انتهی.

المصدر و نقل الوصیه علی صورتها الکامله

رواها ثقه الاسلام الکلینیّ قدّس سرّه فی کتاب الوصایا من الجامع الکافی (ص ۲۴۷ من الطبع الحجری، باب ۳۵ من کتاب الوصایا) عن أبی علیّ الأشعری عن محمّد بن عبد الجبار و محمّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن یحیی، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج.

و شیخ الطائفه الطوسی قدّس سرّه فی کتاب الوقوف من التهذیب (ص ۳۱۹ من الطبع علی الحجر) عن الحسین بن سعید، عن صفوان، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج و بینهما اختلاف فی الجمله و دونک الوصیّه علی نسخه الکافی قال عبد الرّحمن ابن الحجّاج: بعث إلیّ أبو الحسن علیه السّلام بوصیّه أمیر المؤمنین علیه السّلام و هی:

بسم اللّه الرحمن الرحيم هـذا ما أوصـى به فى ماله عبـد اللّه علىّ ابتغاء وجه اللّه ليـدخلنى(۱) به الجنّه و يصـرفنى به عن النّـار، و يصرف النّار عنّى «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ ».

انّه ما كان لى من مال بينبع يعرف لى فيها و ما حولها صـدقه، و رقيقها غير أنّ رباحا، و أبا نيزر، و جبيرا عتقاء ليس لأحـد عليهم سبيل فهم موالىّ يعملون فى المال خمس حجج و فيه نفقتهم و رزقهم و أرزاق أهاليهم. و مع ذلك ما كان لى بوادى القرى كلّه من مـال لبنى فـاطمه و رقيقهـا صـدقه، و ما كان لى بـديمه و أهلها صـدقه غير أنّ زريقا له مثل ما كتبت لأصـحابه، و ما كان لى بادنيه و أهلها صدقه، و الفقيرين كما قد علمتم صدقه فى سبيل اللّه.

و انّ الّـذى كتبت من أموالى هـذه صـدقه واجبه بتله حيّا أنا أو ميّتا ينفق فى كلّ نفقه يبتغى بها وجه اللّه فى سبيل اللّه، و وجهه و ذوى الرّحم من بنى هـاشم و بنى المطّلب و القريب و البعيـد فـانّه يقوم على ذلـك الحسن بن علىّ يأكـل منه بالمعروف و ينفقه حيث يراه اللّه عزّ و جـلّ فى حـلّ محلّـل لا حرج عليه فيه فإن أراد أن يبيع نصـيبا من المال فيقضـى به الـدّين فليفعل إن شاء و لا حرج عليه فيه، و إن شاء جعله سرى الملك.

و انّ ولد علىّ و مواليهم و أموالهم إلى الحسن بن علىّ بن و إن كانت دار الحسن ابن علىّ غير دار الصدقه فبدا له أن يبيعها فليبع إن شـاء لاـ حرج عليه فيه، و إن بـاع فـإنّه يقسم ثمنهـا ثلاـثه أثلاـث: فيجعل ثلثها فى سبيل اللّه، و يجعل ثلثا فى بنى هاشم و بنى المطّلب، و يجعـل الثلث فى آل أبى طـالب، و انّه يضـعه فيهم حيث يراه اللّه، و إن حـدث بحسن حـدث و حسين حىّ فـإنّه إلى حسين بن علىّ.

و انّ حسينا يفعل فيه مثل الّذى أمرت به حسنا له مثل الّذى كتبت للحسن و عليه مثل الّذى على الحسن.

ص:۳۶۶

۱- (۱) ليولجنى كما فى التهذيب.

و انّ لبنی ابنی فاطمه من صدقه علیّ مثل الّذی لبنی علیّ و إنّی إنّما جعلت الّذی جعلت لبنی فاطمه ابتغاء و اللّه عزّ و جلّ و تکریم حرمه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و تعظیمها و تشریفها و رضاها، و إن حدث بحسن و حسین حدث فإنّ الاخر منهما ینظر فی بنی علیّ فان وجد فیهم من یرضی بهداه و إسلامه و أمانته فإنّه یجعله إلیه إن شاء، و إن لم یرفیهم بعض الّذی یریده فإنّه یجعله إلی رجل من آل أبی طالب یرضی به، فإن وجد آل أبی طالب قد ذهب کبراؤهم و ذوو رأیهم فإنّه یجعله إلی رجل یرضاه من بنی هاشم.

و انّه یشترط علی الّذی یجعله إلیه أن یترک المال علی اصوله و ینفق ثمره حیث أمرته به من سبیل اللّه و وجهه و ذوی الرّحم من بنی هاشم و بنی المطّلب و القریب و البعید، لا یباع منه شیء و لا یوهب و لا یورث.

و انّ مال محمّد بن علیّ علی ناحیه و هو إلی بنی فاطمه.

و انّ رقیقی الّذین فی صحیفه صغیره الّتی کتبت لی عتقاء.

هذا ما قضی به علیّ بن أبی طالب فی أمواله هذه الغد من یوم قدم مسکن ابتغاء وجه اللّه و الدار الاخره و اللّه المستعان علی کلّ حال و لا یحلّ لامریء مسلم یؤمن باللّه و الیوم الاخر أن یقول فی شیء قضیته من مالی و لا یخالف فیه أمری من قریب و لا بعید.

أمّا بعد فإنّ و لائدی اللّاتی أطوف علیهنّ السبعه عشر منهنّ أمّهات أولاد معهنّ أولادهنّ، و منهنّ حبالی، و منهنّ من لا ولد له فقضائی فیهنّ إن حدث بی حدث انّه من کان منهنّ لیس لها ولد و لیست بحبلی فهی عتیق لوجه اللّه عزّ و جلّ لیس لأحد علیهنّ سبیل، و من کان منهنّ لها ولد أو حبلی فتمسک علی ولدها و هی من حظّه (حصّته - خ ل) فإن مات ولدها و هی حیّه فهی عتیق لیس لأحد علیها سبیل، هذا ما قضی به علیّ فی ماله الغد من یوم قدم مسکن شهد أبو سمر بن أبرهه و صعصعه بن صوحان و یزید بن قیس و هیّاج بن أبی هیّاج و کتب علیّ بن أبی طالب بیده لعشر خلون من جمادی الاولی سنه سبع (تسع - خ ل) و ثلاثین.

(ليولجه) أي ليدخله، و منه الولجه بالتحريك موضع أو كهف تستر فيه المارّه من مطر و غيره.

(الابتغاء): الطلب، قال الجوهريّ في الصحاح: ابتغيت الشيء و تبغّيته إذا طلبته و بغيته (حدث) بالتحريك: الحادث.

(أصدره مصدره) يصح المصدر بفتح الميم و ضمّه معا، و الفتح أصحّ و اختاره الرّضيّ رضوان اللّه عليه، كما في النسخه الّتي قوبلت على نسخته، ففي الصحاح: أصدرته فصدر أي رجعته فرجع، و الموضع مصدر و منه مصادر الأفعال.

(الوصله) بالضمّ: الصله و القرابه.

و فيه (الوديّ) على فعيل صغار الفسيل، الواحده و ديّه، و الفسيله و الفسيل على فعيله و فعيل صغار النخل و الجمع الفسلان، انتهى، و في العباره كنايه حسنه عن النخيلات الّتي تنبت من النوى تحت أشجار النخل، أو تنبت من اصولها، و كأنّ حملها على ما تنبت من اصولها أولى و أنسب.

(تشكل) قال ابن الأثير في النهايه: و في وصيّه عليّ عليه السّلام: «و أن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى وديّه حتّى تشكل أرضها غراسا» أي حتّى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفه التى عرفها به فيشكل عليه أمرها. انتهى.

و قال الكسائي: أشكل النخل طاب رطبه و أشكل العنب أينع بعضه.

(الغراس) بالكسر: فصيل النخل، و يقال للنخله أوّل ما ينبت غريسه، و يقال: للجلده الرقيقه الّتي تخرج مع الولد إذا خرج من بطن امّه غرس بالكسر.

(قد أفرج عنها الرقّ) كلمه أفرج مشكوله في أكثر النسخ المطبوعه و شروحها بضمّ الهمزه و كسر الراء و لكنّها في نسخه الرضيّ بفتحهما و لذا اخترناه في المتن و هذا هو الصحيح ففي الصحاح للجوهريّ: أفرج الناس عن طريقه أي انكشفوا.

ص:۳۶۸

الاعراب

(ابتغاء) منصوب فى كلا الموضعين لأنّه مفعول له للفعلين: أمر و جعلت و كلّ واحد من قربه و تكريما و تشريفا منصوب معطوف على الابتغاء الثّانى مفعول له.

(ليولجه) منصوب بأن الناصبه المقدّره، و يعطيه منصوب معطوف على يولج، و ضمير الفعلين يرجع إليه عليه السّلام، و فى بعض النسخ من المخطوطه و غيرها ليولجنى و يعطينى ففيه التفات من ضمير الغيبه إلى ضمير المتكلّم و ما فى المتن مطابق لنسخه الرضى و مختاره، و ضمير به فى كلا الموضعين الأخيرين يصح أن يرجع إلى ما كالأوّل أو إلى الابتغاء.

(يأكل منه بالمعروف) حال للحسن عليه السّلام فانّ الجمله الفعليّه إذا كانت مبدوءه بمضارع مثبت بدون قد فلا بدّ من ضمير رابط وحده أو معها فمع الواو، و الاولى كما نحن فيه، و الثانيه كقوله تعالى: «لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ ».

(و ينفق) معطوف على يأكل.

(و حسين حيّ) جمله اسميّه حاليّه و الرابط هو الواو، (قام) جواب إن، (أصدر) عطف على قام، و الضميران فى أصدره و مصدره يرجعان إلى الأمر، (مثل) منصوب اسم لانّ (لابنى) ظرف مستقرّ خبر لها.

الظاهر أن ضمير (يشترط) يرجع إلى الأمير عليه السّلام غايه الأمر أنّ فى الكلام التفاتا من التكلّم إلى الغيبه، أو عطف على أمر به فلا يلزم التفات و يؤيّده ما فى النسخه الاتى نقلها من الاتيان بالفعل الماضى: و انّه شرط، و جاز أن يرجع إلى الامام الحسن عليه السّلام بقرينه يقوم و يأكل أو إلى الامام الحسين عليه السّلام فانّه أقرب المراجع أو أنّه راجع إلى من يتفوّض الامور إليه خلفا بعد سلف، و لكنّ الصواب هو الأوّل كما يدلّ عليه اسلوب الكلام و صوره الوصيّه.

ص:۳۶۹

جمله (أن يترک) مفعول يشترط، و ينفق عطف على يترک، و أن لا يبيع عطف على أن يترک.

(تشكل) منصوب بأن الناصبه المقدّره وجوبا، (أرضها) مرفوعه على الفاعليّه لتشكل، (غراسا) منصوب على التميز، من موصول اسمى يستوى فيه المذكر و المؤنث من جاره بيانيّه لمن، (لها ولد) حال للإماء و كذلک جمله هى حامل، و لم يقل حامله لكونها صفه خاصّه للانثى، فتمسک خبر الموصول الاسمى و قد دريت فى المباحث السالفه أنّ الفاء يدخل فى خبر الموصول الاسمى فى عدّه مواضع و هذا منها و هى من حظّه حاليّه لضمير تمسک، و هى حيّه أيضا حال لها، فهى عتيقه جواب إن، و ادخل الفاء لكون الجمله اسميّه، (قد أفرج) صفه للعتيقه لكونها نكره و كذلک التاليه.

المعنى

هذه الوصيّه قد رويت فى الجوامع الروائيّه بصور مختلفه فى الجمله و لعلّنا نأتى بها و نبيّنها مع ذكر مصادرها و أسانيدها فى شرح وصيّته الاتيه للإمامين الحسن و الحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم، كما وعدناه فى شرح المختار المقدّم و ما أتى بها الرّضىّ رضوان اللّه عليه ملتقط منها كما هو دأبه و عنايته فى كلام الأمير عليه السّلام.

و اعلم أنّ جميع وصاياه عليه السّلام لأولاده و بما يعمل فى أمواله على ما استقصيناه إنّما هى كانت بعد منصرفه من صفّين، و ذلک لما كان يعلم من دنوّ شهادته، و لعلّک تقول إن كان علم الإمام فى زعمک على هذا المنوال فلم قال عليه السّلام:«فإن حدث بحسن حدث و حسين حىّ» و لم يجزم بما هو آت و جار فى مستقبل الزّمان؟ قلت:

إنّه عليه السّلام تكلّم بما هو متعارف النّاس فى محاوراتهم و قد مضى بحثنا عن طور علم الإمام فى المجلّد الخامس عشر فى شرح قوله عليه السّلام:«فجعلت أتّبع مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج» على أنّه يأتى البحث عن

ص:٣٧٠

ذلک فی شرح الوصیّه الاتیه زیاده إیضاح فی ذلک إن شاء اللّه تعالی.

قوله علیه السّلام:(یأکل منه بالمعروف - إلخ) لعلّ کلامه هذا لدفع ما عسی یتوّهم من أنّ هذه الصدقه حرام علی الحسن بن علیّ علیهما السّلام کالزکاه فقال علیه السّلام:

انّه یأکل منها بالمعروف و ینفق منها بالمعروف فإنّها مال أبیه وقف علیه قوله علیه السّلام:

«فان حدث بحسن حدث» أی إن أدرکه الموت بقرینه قوله: و حسین حیّ.

قوله:(و إنّ لابنی فاطمه من صدقه - اه) یعنی أنّهم فیها شرع واحد، لا تختصّ ببعض دون بعض و لا مزیّه لابنی فاطمه فی منافعها علی غیرهما؛ نعم إنّما جعلت القیام بـذلک أی من یتولّی أمرها و یتصدّی علیها إلیهما بتلک الوجوه الأربعه من ابتغاء وجه اللّه - إلخ، أو المراد منه دفع التوهّم المتقدّم.

قال الشارح المعتزلی: ثمّ بیّن لما ذا خصّهما بالولایه؟ فقال: إنّما فعلت ذلک بشرفهما برسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله فتقرّبت إلی رسول اللّه بأن جعلت لسبطیه هـذه الرّیاسه و فی هذا رمز و إزراء بمن صرف الأمر عن أهل بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله مع وجود من یصلح للأمر أی کان الألیق بالمسلمین و الأولیّ أن یجعلوا الرّیاسه بعده لأهله قرابه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله، و تکریما لحرمته و طاعه له و أنفه لقـدره صلّی اللّه علیه و اله أن تکون ورثته سوقه یلیهم الأجانب و من لیس من شجرته و أصله، ألا تری أنّ هیبه الرساله و النبوّه فی صدور النّاس أعظم إذا کان السلطان و الحاکم فی الخلق من بیت النبوّه، و لیس یوجد مثل هـذه الهیبه و الجلال فی نفوس النّاس للنبوّه إذا کان السلطان الأعظم بعید النسب من صاحب الدّعوه علیه السّلام، انتهی، و نعم ما قال.

و کان لأمیر المؤمنین علیه السّلام فیهما شأن خاصّ و قصد تامّ و مزیـد اهتمام و زیاده عنایه یخصّهما بها دون سائر بنیه تشریفا لوصله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و تنبیها و اعلاما بمقامهما الشامخ و منزلتهما السامیه حتّی أنّه علیه السّلام کان یضنّ بهما علی الحرب و القتال لئلاّ ینقطع نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله من هـذه الامّه فإنّ نسله من الحسن و الحسین و تسعه من أولاد الحسین بعد أبیهم أبی الأئمّه علیّ علیه السّلام هم حجج اللّه تعالی واحدا بعد واحد علی عباده و لم تخل الأرض من حجّه للّه علی عباده قطّ و لا یخرج

الحجّه من بيت النبوّه قطّ، و قد روى نصر بن مزاحم فى أواخر صفّين عن عبد الرّحمن بن جندب قال: لما أقبل علىّ عليه السّلام من صفّين أقبلنا معه فأخذ طريقا غير طريقنا الّذى أقبلنا فيه، ثمّ أخذ بنا طريق البرّ على شاطىء الفرات حتّى انتهينا إلى هيت و أخذنا على صندودا فبات بها ثمّ غدا و أقبلنا معه حتّى جزنا النخيله و رأينا بيوت الكوفه - إلى أن قال: ثمّ مضى غير بعيد فلقيه عبد اللّه بن وديعه الأنصارى فدنى منه و سأله فقال: ما سمعت النّاس يقولون فى أمرنا هذا؟ قال:

منهم المعجب به، و منهم الكاره له؛ و النّاس كما قال اللّه تعالى: «وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ » فقال له: فما يقول ذوو الرأى؟ قال: يقولون: إنّ عليّا كان له جمع عظيم ففرّقه، و حصن حصين فهدمه و حتّى متى يبنى مثل ما قد هدم، و حتّى متى يجمع مثل ما قد فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّى يظهره اللّه أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم.

فقال علىّ عليه السّلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرّقت أم هم فرّقوا؟ و أمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّى يظفر أو يهلك إذا كان هو الحزم، فو اللّه ما غفلت عن ذلك الرأى و إن كنت سخىّ النفس بالدّنيا طيّب النفس بالموت و لقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدمانى فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد صلّى اللّه عليه و اله من هذه الامّه فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا و لو علمت أنّ هؤلاء مكانى لم يستقد ما - يعنى بذلك ابنيه الحسن و الحسين - و أيم اللّه لئن لقيتهم بعد يومى لقيتهم و ليس هما معى فى عسكر و لا دار.

قوله عليه السّلام:(و يشترط - إلخ) شرط عليه السّلام على من يفوّض الأمر إليه و يتولّى امور أموال الصدقه شرطين: الأوّل أن لا يبيعها و لا يوهبها و لا يتصرّف فيها تصرفات اخرى تخرجها عن أصلها بل يتركها على أصلها و ينفق ثمرها حيث أمره اللّه من سبيل اللّه و وجوهه و ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطّلب و القريب و البعيد فانّ الوقف تحبيس الأصل و تسبيل الثمره.

ص:۳۷۲

و الثانی أن لا- یبیع من صغار النخیل ما لم یکثر غراسها و ذلک لأنّ الحاجه ربّما تسوق إلیها بحدوث آفه فی النخیل فتغرس الفسیله مکانها، أو لأنّ قلع الفسلان ما لم تکثر النخیل و لم تکامل بعد یضرّها بخلاف ما إذا بلغت إلی حدّ تشکل أرضها غراسا، سیّما إذا قلنا أنّ المراد من أولاد النخیل و فصیلها و غراسها نخیلات تنبت من أصولها کما هو الظاهر من العباره، لا ما تنبت من النوی، أو لأنّ النخیل قبل أن تشکل أرضها غراسا مظنه للفساد من حیث قلّتها و عدم التفافها، و إذا کثرت و کثفت و التفّت لا تسلط علیها آفات من البرد و الحرّ و الجدب و نحوها و لا تضرّها عندئذ قلع الفسلان.

قوله علیه السّلام:(و من کان من إمائی-إلخ)الطواف علیهنّ کنایه عن غشیانهنّ أی نکاحهنّ یعنی أنّ الأمه الّتی لها ولد منّی کسائر الإماء من الترکهفمن کان من إمائی اللاّتیلها ولد منّی، أو هی حامل منّی فهی تتعلّق بولدها لا یجوز لسائر الورثه التصرّف فیها مطلقا کما تدلّ علیه قوله علیه السّلامفتمسک علی ولدها،فإذا صارت من میراث ولدها من ترکتی تقوّم و تباع علی الولد فتتحرّر قهرا لأنّ الولد لا یملک العمودین و متی ملکهما عتقا و لا یحتاج فی ذلک إلی عتق الولد کما تحکم به الرّوایات الوارده عنهم علیهم السّلام فی البابنقلها و البحث عنها یجرّنا إلی الأطناب و الخروج عن موضوع الکتاب و کلامه هذا صریح فی أنّ امّ الولد لا تتحرّر بمجرّد موت مولاها المستولد بل تنعتق من نصیب ولدها من ترکه أبیه، و هذا من مذهبنا الإمامیه، و للعامّه فیها اختلاف.

قوله علیه السّلام:(فإن مات ولدها - إلخ) و اعلم أنّ امّ الولد قبل موت مولاها المستولد مملوکه له لا تخرج بمجرّد صیرورتها امّ الولد عن الرقیّه و یجوز له التصرّف فیها بما شاء من وطیها و استخدامها و عتقها فی کفّاره و غیرها سوی التصرف الّذی یخرجها عن ملکه بغیر العتق فلا یجوز له بیعها و لا هبتها و لا نحوهما من الناقلات، ثمّ إن مات ولدها قبل موت مولاها رجعت طلقا فتعود إلی حکمها

الأوّل الّذی کان لغیر امّ ولد فیجوز لمولاها التصرّف فیها مطلقا، و إن مات ولدها بعد موت مولاها و لو کانت حیاته برهه قلیله من الزّمان کما أنّها کانت حاملا به و وضعته حیّا و مات بعد ساعه فحکمها حکم امّ الولد الّتی قد دریت آنفا أنّها تجعل من حظّه من ترکه أبیه و تعتق علیه لا أنّها ترجع بموته حینئذ طلقا کالصّوره المتقدّمه حتّی تعود مملوکه إلی الورثه نعم إن ولدته میّتا بعد موت مولاها سقطا کان أو غیر سقط فلا یصدق به أنّها أمّ ولد و أنّ ولدها مات.

فنقول: إنّه علیه السّلام أراد بقوله فإن مات ولدها و هی حیّه فهی عتیقه - إلخ دفع ما عسی یتوهّم بأنّ امّ الولد إذا مات ولدها بعد موت مولاها سیّما إذا کانت حاملا به و وضعته بعد موت مولاها ثمّ مات ترجع طلقا کما إذا مات فی حیاته فقال علیه السّلام: لیس حکمها فی هذه الحاله کالصوره المتقدّمه بل إنّها عتیقه قد أفرج عنها الرّق و حرّرها العتق و ذکر الفعلین علی هیئه الماضی إشاره لطیفه إلی أنّها کانت عتیقه منذ موت مولاها فتأمّل(۱) ، و فی ما أشرنا إلیها أحکام اخری خاصّه و مباحث فقهیّه تطلب فی الکتب الفقهیّه.

ثمّ إنّ فی أصل الوصیّه مواقع للبحث عن مسائل فقهیّه و غیرها أعرضنا عنه خوفا للإطاله و لعلّنا نأتی بطائفه منها فی شروح الوصایا الاتیه و نکتفی الان ببیان بعض اللّغات و العبارات:

(ینبع): قال فی القاموس: ینبع کینصر حصن له عیون و نخیل و زرع بطریق حاج مصر، و قال یاقوت فی معجم البلدان: ینبع بالفتح ثمّ السکون و الباء الموحّده مضمومه و عین مهمله بلفظ ینبع الماء قال عرّام بن الأصبغ السلمی هی عن یمین رضوی لمن کان منحدرا من المدینه إلی البحر علی

۱- (۱) وجه التأمل أن هذه الاشاره تفید اذا کانت هی ذات ولد عند موت مولاها و أما اذا کانت حاملا عندئذ فلا و ان لم تکن رقا محضا. نعم ان حمل الفعلین علی تأکید الحکم و تشدیده فالاشاره تشملهما. منه.

لیله من رضوی من المدینه علی سبع مراحل و هی لبنی حسن بن علیّ و کان یسکنها الأنصار و جهینه و لیث و فیها عیون عذاب غزیره و وادیها یلیل و بها منبر و هی قریه غنّاء و وادیها یصبّ فی غیقه، و قال غیره: ینبع حصن به نخیل و ماء و زرع و بها وقوف لعلیّ بن أبی طالب علیه السّلام یتولاّها ولده، و قال ابن درید: ینبع بین مکّه و المدینه، و قال غیره: ینبع من أرض تهامه غزاها النبیّ صلّی اللّه علیه و اله فلم یلق کیدا و هی قریبه من طریق الحاج الشامی أخذ اسمه من الفعل المضارع لکثره ینابیعها، و قال الشریف بن سلمه بن عیّاش الینبعی: عددت بها مائه و سبعین عینا، و عن جعفر ابن محمّد علیهما السّلام قال: أقطع النبیّ صلّی اللّه علیه و اله علیّا علیه السّلام أربع أرضین الفقیران و بیرقیس و الشجره و أقطع عمر ینبع و أضاف إلیها غیرها انتهی ما فی المعجم.

(حجج) أی سنوات جمع الحجّه أی السنه، (بدیمه) و فی التهذیب: بدعه و هی بالعین المهمله عین قریب المدینه، (غیر أن زریقا له مثل ما کتبت لأصحابه) و فی التهذیب: غیر أن رقیقها لهم مثل ما کتبت لأصحابهم، و فی أوّل کتاب الوقوف من التهذیب بإسناده عن ربعی بن عبد اللّه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: تصدّق أمیر المؤمنین علیه السّلام بدار له بالمدینه فی بنی زریق فکتب: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما تصدّق به علیّ بن أبی طالب و هو حیّ سویّ تصدّق بداره الّتی فی بنی زریق صدقه لاتباع و لا توهب حتّی یرثها اللّه الّذی یرث السماوات و الأرض، و أسکن هذه الصدقه خالاته ما عشن و عاش عقبهنّ فإذا انقرضوا فهی لذوی الحاجه من المسلمین، انتهی، و بنی زریق بالتصغیر بطن من الأنصار (بادنیه) و فی التهذیب:

بأذینه.

(و الفقیرین کما قد علمتم) و فی التهذیب: و القصیره کما قد علمتم، و قال المجلسیّ رحمه اللّه فی کتاب الوصایا من مرآه العقول (ص ۱۳۵ ج ۴ من الطبع الحجری) قوله علیه السّلام: العفرتین، و فی بعض النسخ الفقیرتین، و فی بعضها الفقرتین قال فی تاریخ المدینه: موضعان بالمدینه یقال لهما الفقران، عن جعفر الصادق علیه السّلام

ص:۳۷۵

أقطع النبىّ صلّى اللّه عليه و اله عليّا عليه السّلام أربع أرضين الفقرين و بئر قيس و الشجره، و قال:

الفقير اسم حديقه بالعاليه قرب بنى قريظه من صدقه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، قال ابن شبه فى كتاب علىّ عليه السّلام: الفقير لى كما قد علمتم صدقه فى سبيل اللّه؛ و أهل المدينه ينطقون مفردا مصغرا. انتهى ما فى المرآه.

(واجبه بتله) بتقديم الباء، قال فى القاموس: صدقه بتله منقطعه عن صاحبها (سرى الملك) السرىّ، النفيس و الشريف، و فى نسخه التهذيب: شراء الملك (ولد علىّ) جمع الولد كاسد و أسد.

قوله عليه السّلام: (فليبع إن شاء لا حرج عليه) قال فى مرآه العقول: ظاهره جواز اشتراط بيع الوقف متى شاء الموقوف عليه و هو خلاف ما هو المقطوع به فى كلام الأصحاب إلّا أن يحمل على أنّه عليه السّلام إنّما وهبها لهما و كتب الوقف لنوع من المصلحه قال: قال فى الدروس: لو شرط بيعه متى شاء أو هبته أو نقله بوجه من وجوه التملّك بطل.

قوله عليه السّلام (و إن حدث بحسن و حسين حدث - إلى قوله: يرضى به) و فى التهذيب: و ان حدث بحسن و حسين حدث فإنّ الاخر منهما ينظر فى بنى علىّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه (بهداه - خ ل) و إسلامه و أمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء و إن لم يرفيهم بعض الّذى يريد فانّه فى بنى ابنى فاطمه فإن وجد فيهم من يرضى بهديه و إسلامه و أمانته فانّه يجعله إليه إن شاء، و إن لم ير فيهم بعض الّذى يريد فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبى طالب يرضى به.

قوله عليه السّلام: (و انّ مال محمّد بن علىّ على ناحيه) قال بعض شرّاح الحديث:

يمكن أن يقرأ انّ مشدّده و يكون المراد انّ مال محمّد ابن الحنفيّه ليس داخلا فيما سبق من أنّ ولد علىّ و أموالهم إلى الحسن، و لعلّه عليه السّلام علم أنّه لم يتابع الحسن كباقى أولاده، أو أنّه لا يحتاج إلى معاونه الحسن لرشده و كمال عقله، و يمكن أن يقرأ إن المخففه و يكون المراد أنّ الأمر إلى الحسن و الحسين عليهما السّلام فى جميع ما سبق و إن مال محمّد ابن الحنفيّه إلى جانب و لم يرض بذلك. و قوله: و هو إلى ابنى

فاطمه أى النظر فى الامور المذكوره إليهما و هو تأكيد لما سبق و اللّه اعلم، انتهى كلامه.

قوله عليه السّلام: (كتبت لى عتقاء) و فى التهذيب: كتبت عتقاء، بدون كلمه لى (مسكن) بكسر الكاف موضع من أرض الكوفه، كما فى الصحاح، و قوله عليه السّلام:

(هذا ما قضى به علىّ فى ماله الغد من يوم قدم مسكن) يعنى أن ذلك كان فى غد من يوم ورودنا و قدومنا الموضع الذى يقال له مسكن، أرّخ الكتابه و ذكر الشهور و سائر الخصوصيات لأنّها توجب زياده الوثوق بها.

قوله عليه السّلام: (أبو سمر) فى نسخه الكافى كان بالسين المهمله، و فى التهذيب بالمعجمه، و قال فى مرآه العقول: قال ابن حجر فى التقريب فى حرف الشين المعجمه: أبو شمر بكسر أوّله و سكون الميم الضبعى المصرى.

و ليعلم أنّ فى العتق فضلا كثيرا و ثوابا جزيلا، و الشارع تعالى جعل لعتق العبيد و الإماء أسبابا عديده لكى يخرج عباد اللّه عن الرقيه و يكونوا أحرارا، منها: التدبير، و منها المكاتبه بقسميها، و منها العتق فى كفّاره، و منها التحرير و هذه الأقسام تعمّهم، و منها ما يخصّ الإماء و هو صيروتهنّ امّهات أولاد.

و قد قال اللّه تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَ ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ » - الايه، و قد روى شيخ الطائفه فى أوّل كتاب العتق من التهذيب بإسناده عن حفص بن البخترى عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام انّه قال فى الرّجل: يعتق المملوك قال: يعتق اللّه بكلّ عضو منه عضوا من النار، و قال: يستحب للرّجل أن يتقرّب عشيه عرفه و يوم عرفه بالعتق و صدقه.

و بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله:

من أعتق مسلما أعتق اللّه العزيز الجبّار بكلّ عضو منه عضوا من النّار.

و بإسناده عن إبراهيم بن أبى البلاد، عن أبيه رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله:

من أعتق مؤمنا أعتق اللّه العزيز الجبّار بكلّ عضو له (منه - خ ل) عضوا من النّار

فـإن کـانت انثی أعتق اللّه العزیز الجبّار بکلّ عضوین منها عضوا من النّار لأنّ المرأه نصف الرّجل، و غیرها من النصوص المرویّه فی الجوامع الروائیّه من الفریقین.

الترجمه

از جملهٔ وصیّت أمیر المؤمنین - علیه الصلاه و السلام - است به آن چه که در أموال او عمل شود، و این وصیّت را بعد از برگشتن از جنگ صفّین فرموده است:

این است آنچه که بندهٔ خدا علیّ بن أبی طالب در مال خود برای طلب وجه اللّه فرموده و حکم کرده است تا خداوند وی را بدین کار ببهشت برد، و أمن و آسایش بخشد.

از جملهٔ آن وصیّت این که: حسن بن علی باید متصدّی آن باشد و بمضمون وقف عمل نماید، از آن بوجه پسندیده و مطابق دستور شرع بخورد و ببخشد، پس اگر برای حسن پدیدهٔ مرگ پیش آمد و حسین زنده است باید حسین مانند او بانجام کار آن قیام کند و تولیت را در عهده بگیرد، و همانا که برای این دو فرزند فاطمه (حسن و حسین) از مال وقف علی مثل آن چیزیست که برای دیگران فرزندان علی است - یعنی باید همه از آن بهره ببرند نه این که چون صدقه و زکاه بر حسن و حسین حرام باشد و یا آن دو را بر دیگری مزیّتی از این حیث باشد - و همانا که تولیت و تصدّی وقف را بدو فرزند فاطمه از جهت طلب وجه اللّه، و تقرّب برسول خدا، و گرامی داشتن حرمت او، و بزرگ داشت و تشریف به وصلت او قرار داده ام، و آنکه تولیت را عهده دار است باید که أصل مال را بهیچ وجه منتقل نسازد و آنرا بهمانطور باقی بگذارد و در آمد و ثمرهٔ آنرا مطابق دستور مصرف کند، و باید که أولاد نخل را (نهالهای ریزی که از ریشهٔ درختهای بزرگ یا از هسته خرما می روید) نفروشد تا این که درختها بزرگ و انبوه شوند بحدّی که کثرت أشجار سبب اشتباه و عدم معرفت

بحال سابق آن زمین شود.

و کنیزکانی که به آنها مباشرت کردم آنکه از من فرزندار یا باردار است بایـد از مال فرزنـدش که از ترکـهٔ من ارث می برد محسوب شود و آزاد گردد، و اگر فرزندش مرد و خود زنده است آزاد است.

و من وصیه له علیه السّلام کان یکتبها لمن یستعمله علی الصدقات

اشاره

و انما ذکرنا هنا جملاـ منها لیعلم بها أنه علیه السّـلام کان یقیم عماد الحق، و یشرع أمثله العدل فی صغیر الامور و کبیرها، و دقیقها و جلیلها:

انطلق علی تقوی اللّه وحده لا شریک له، و لا تروعنّ مسلما، و لا تختارنّ علیه کارها، و لا تأخذنّ منه أکثر من حقّ اللّه فی ماله، فإذا قدمت علی الحیّ فانزل بمائهم من غیر أن تخالط أبیاتهم، ثمّ امض إلیهم بالسّـکینه و الوقار حتّی تقوم بینهم فتسلّم علیهم. و لا تخدج بالتّحیّه لهم ثمّ تقول: عباد اللّه أرسلنی إلیکم ولیّ اللّه و خلیفته لاخذ منکم حقّ اللّه فی أموالکم، فهل للّه فی أموالکم من حقّ فتؤدّوه إلی ولیّه؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجعه، و إن أنعم

لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه؛ فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّه؛ فإن كان له ماشيه أو إبل فلا تدخلها إلّا بإذنه فإنّ أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه و لا عنيف به. و لا تنفّرنّ بهيمه و لا تفزّعنّها (و لا ـ تفزّعنّها – معا) و لا ـ تسوءنّ صاحبها فيها. و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره. ثمّ اصدع الباقى صدعين ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار، فلا تزال بذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه فى ماله؛ فاقبض حقّ اللّه منه فإن استقالك فأقله، ثمّ اخلطها (اخلطهما – نسخه) ثمّ اصنع مثل الّذى صنعت أوّلا حتّى تأخذ حقّ اللّه فى ماله. و لا تأخذنّ عودا، و لا هرمه، و لا مكسوره، و لا مهلوسه ذات عوار، و لا تأمننّ عليها إلّا من تثق به، رافقا بمال المسلمين حتّى توصّله (بالتاء و الياء – معا) إلى وليّهم فتقسمه (بالياء نسخه) بينهم، و لا توكّل بها إلّا ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا غير معنف و لا مجحف و لا ملغب و لا متعب. ثمّ احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر اللّه به فإذا،

ص:٣٨٠

أخذها أمينك فأوعز إليه ألّا يحول بين ناقه و بين فصيلها، و لا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها، و لا يجهدنّها ركوبا، و ليعدل بين صواحباتها فى ذلك و بينها، و ليرفّه على اللاّغب، و ليستأن بالنّقب و الظّالع، و ليوردها ما تمرّ به من الغدر، و لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق، و ليروّحها فى السّاعات، و ليمهلها عند النّطاف و الأعشاب، حتّى يأتينا بإذن اللّه بدّنا منقيات، غير متعبات و لا مجهودات، لنقسمها على كتاب اللّه، و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و اله فإنّ ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك إن شاء اللّه.

اللغه

(و لا تروعن) من الروع بالفتح بمعنى الفزع، و الكلمه مشكوله فى أكثر النسخ بضمّ التاء و فتح الراء و كسر الواو المشدّده من الترويع، و فى نسخه الرّضى بفتح التاء و ضمّ الراء من الرّوع كما اخترناها فى المتن، و معناها على الوجهين واحد ففى الصحاح: رعت فلانا و روّعته فارتاع أى أفزعته ففزع.

(و لا تختارنّ) بالخاء المعجمه و الراء المهمله من الاختيار على نسخه الرّضى رضوان اللّه عليه، و فى نسخ (تجتازنّ) بالجيم و الزاى المعجمه من الاجتياز بمعنى السلوك من قولك جزت الموضع أجوزه جوازا أى سلكته و سرت فيه.

(الحيّ) واحد أحياء العرب أصله من ح ى و.

(تخدج) بالخاء المعجمه و الجيم، قال ابن الأثير فى النهايه: خدجت الناقه إذا ألقت ولدها قبل أوانه و إن كان تام الخلق و أخدجته إذا ولدته ناقص الخلق

و إن كان لتمام الحمل؛ و منه حديث سعد «انّه أتى النبیّ صلّی اللّه علیه و اله بمخدج سقیم» أی ناقص الخلق، و منه حدیث علیّ علیه السّلام: «تسلّم علیهم و لا تخدج التحیّه لهم» أی لا تنقصها، انتهی، و قال الجوهریّ فی الصحاح: و فی الحدیث کلّ صلاه لا یقرأ فیها بامّ الکتاب فهی خداج أی نقصان، و أخدجت الناقه إذا جاءت بولدها ناقص الخلق و إن کانت أیّامه تامّه فهی مخدج و الولد مخدج، و منه حدیث علیّ علیه السّلام فی ذی الثدیه مخدج الید أی ناقص الید. انتهی.

(تخیفه) من الإخافه بمعنی التخویف و أصلها الخوف، یقال: وجع مخیف أی یخیف من رءاه.

(توعده) من الإیعاد یستعمل فی الشرّ، قال الجوهریّ فی الصحاح: الوعد یستعمل فی الخیر و الشرّ، قال الفرّاء یقال: وعدته خیرا، و وعدته شرّا، قال الشاعر:

ألا علّلانی کلّ حیّ معلّل و لا تعدانی الشرّ و الخیر مقبل

فإذا أسقطوا الخیر و الشرّ قالوا فی الخیر: الوعد و العده و فی الشر: الإیعاد و الوعید، قال الشاعر:

و إنّی و إن أوعدته أو وعدته لمخلف إیعادی و منجز موعدی

(تعسفه) من العسف بمعنی الأخذ علی غیر الطّریق، کما فی الصحاح، و قال ابن الأثیر فی النهایه: العسف: الجور، و فی الحدیث: لا تبلغ شفاعتی إماما عسوفا أی جائرا ظالما، و العسف فی الأصل أن یأخذ المسافر علی غیر طریق و لا جادّه و لا علم، و قیل: هو رکوب الأمر من غیر رویّه فنقل إلی الظلم و الجور، انتهی.

(ترهقه) من الإرهاق، یقال: أرهقه طغیانا أی أغشاه إیّاه، و یقال:

أرهقنی فلان إثما حتّی رهقته أی حمّلنی إثما حتّی حملته، قال أبو زید: أرهقه عسرا أی کلّفه أیّاه، یقال: لا ترهقنی لا أرهقک اللّه أی لا تعسرنی لا أعسرک اللّه، قاله فی الصحاح.

(الماشيه) جمعها المواشى و هى اسم يقع على الإبل و البقر و الغنم و أكثر ما يستعمل فى الغنم، قاله فى النهايه.

(عنيف به) العنف بالضمّ فالسكون - ضدّ الرفق تقول: منه عنف عليه بالضمّ و عنف به أيضا، و العنيف الّذى ليس له رفق بركوب الخيل و الجمع عنف، قاله فى الصحاح.

و فى النهايه: فى الحديث إنّ اللّه يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف هو بالضمّ: الشدّه و المشقّه و كلّ ما فى الرفق من الخير ففى العنف من الشرّ مثله.

(تنفّرن) نفرت الدابّه من كذا نفورا و نفارا من بابى نصر و ضرب: جزعت و تباعدت فهى نافر و نفور و نفّره جعله نافرا.

(لا تفز عنّها) أصلها من الفزع بمعنى الذّعر، و رويت فى نسخه الرّضى على وجهين بضمّ التاء و كسر الزاء من الإفزاع و بضمّ التاء و فتح الفاء و كسر الزاء المشدّده من التفزيع، و الإفزاع بمعنى الإخافه و الاغاثه من الأضداد و كذلك التفزيع، يقال: فزّعه أى أخافه، و فزّع عنه أى - كشف عنه الخوف، و منه قوله تعالى: «حَتّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ » أى كشف عنها الفزع، قاله فى الصحاح.

(و اصدع) الصدع: الشقّ، (استقالك) الاستقاله طلب الإقاله أصلها من ق ى ل، يقال: أقاله يقيله إقاله و تقايلا إذا فسخا البيع و عاد المبيع إلى مالكه و الثمن إلى المشترى إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما.

(عودا) بفتح العين المهمله و سكون الواو، قال فى الصحاح: العود: المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل و المخلف، و جمعه عوده، و قد عوّد البعير، و فى المثل: إن جرجر العود فزده و قرا، و الناقه عوده، و يقال: راحم بعود أودع أى استعن على حربك بأهل السنّ و المعرفه فإنّ رأى الشيخ خير من مشهد الغلام، انتهى.

(هرمه) مؤنثه هرم من الهرم بالتسكين بمعنى كبر السنّ.

(مهلوسه) الهلاس بالضمّ السّلّ و قد هلسه المرض يهلسه هلسا أى أضعفه

ص:٣٨٣

و رجل مهلوس العقل أى مسلوبه، و يقال: السلاس فى العقل و الهلاس فى البدن.

(عوار) قال فى النهايه فى حديث الزكاه: «لا يؤخذ فى الصدقه هرمه و لا ذات عوار» العوار بالفتح: العيب و قد يضمّ.

(ملغب) فاعل من الإلغاب بمعنى الإتعاب و الإعياء.

(أو عز إليه) و عز إليه فى كذا أن يفعل أو يترك يعز و عزا - من باب ضرب - تقدّم و أشار، و أوعز إليه إيعازا بمعنى و عز إليه.

(الفصيل) ولد الناقه إذا فصّل عن امّه و الجمع فصلان و فصال.

(و لا يمصر لبنها) قال فى الصحاح: المصر: حلب بأطراف الأصابع، قال ابن السّكّيت: المصر حلب كلّ ما فى الضرع، و التّمصّر حلب بقايا اللّبن فى الضرع.

و قال ابن الأثير فى النهايه: و فى حديث علىّ عليه السّلام «و لا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها» و المصر الحلب بثلاث أصابع يريد لا يكثر من أخذ لبنها.

(لا يجهدنّها) من الجهد بالفتح أى المشقّه يقال: جهد دابّته و أجهدها إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها.

(اللاغب) فاعل من اللّغوب بمعنى التعب و الاعياء.

(و يستأن) من الأناه أصلها الونى يقال: أستأنيت بكم أى انتظرت و تربّصت.

(النقب) يقال: نقب البعير بالكسر إذا رقّت أخفافه، و قال ابن الأثير فى النهايه: النّقب: رقّه الأخفاف و منه حديث علىّ عليه السّلام «و يستأن بالنقب و الضالع» أى يرفق بهما و يجوز أن يكون من الجرب.

أقول: يعنى أن يكون النقب مشتقّا من النقبه بالضمّ و هى أوّل ما يبدو من الجرب

ص:٣٨۴

و قال فی مادّه ظلع منها: الظلع بالسکون العرج و قد ظلع یظلع ظلعا فهو ظالع، و منه حدیث الأضاحی: و لا العرجاء البیّن ظلعها، و فی حدیث علیّ علیه السّلام: و لیستأن بذات النقب و الظالع أی بذات الجرب و العرجاء، انتهی، و سیأتی البحث عن ذلک فی المعنی.

(الغدر) بضمّتین جمع الغدیر، و فی الصحاح الغدیر: القطعه من الماء یغادرها السیل و هو فعیل فی معنی مفاعل من غادره، أو مفعل من أغدره، و یقال:

هو فعیل بمعنی فاعل لأنّه یغدر بأهله أن ینقطع عند شدّه الحاجه إلیه، قال الکمیت:

و من غدره نبز الأوّلون إذ لقّبوه الغدیر الغدیر

و الجمع غدران و غدر.

(جوادّ) بتشدید الدال جمع الجادّه بتشدیدها أیضا بمعنی معظم الطّریق.

(النّطاف) جمع النطفه بمعنی الماء الصافی قلّ أو کثرّ، و أما النطفه بمعنی ماء الرّجل فجمعها نطف.

(الأعشاب) جمع العشب بالضمّ فالسکون و هو الکلاء الرطب.

(بدّنا) البدّن کطلّب جمع بادن کطالب، یقال: بدن بدنا و بدنا و بدونا من باب نصر إذا عظم بدنه بکثره لحمه فهو بادن للمذکّر و المؤنث، و قد یقال فی المؤنث بادنه، و البدن: السمن، و البدنه بالفتحات ناقه أو بقره تنحر بمکّه سمیّت بذلک لأنّهم کانوا یسمّنونها.

الاعراب

(علی تقوی اللّه) متعلّق بمقدّر أی اذهب معتمدا علی تقوی اللّه، مثلا، (وحده) حال للّه أی موحّدا، (امض إلیهم) فی بعض النسخ: امض علیهم (بالتحیه) قرئت

ص:۳۸۵

بالوجهين بالباء و عدمها (صدعين) مفعول مطلق عددىّ (بذلک) فى أكثر النسخ:

كـذلک، و مـا فى المتن مطـابق لنسـخه الرّضـى، (و لاـ يمصـر) منصوب بأن لأنّه معطوف على قوله لا يحول أى أو عز إليه أن لا يمصـر لبنها و فى سائر النسخ مجزومه و هى و هم (ركوبا) بضمّ الراء و فتحها تميز (منقيات) و أخواتها صـفات للبدن لأنّها تذكّر و تؤنّث.

هذا آخر المجلد الثامن عشر من هذه الطبعه النفيسه، و قد تم تصحيحه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى الرابع من ذى القعده - ۱۳۸۶ - و يليه انشاء اللّه الجزء التاسع عشر و أوله فى معنى المختار الخامس و العشرين.

و الحمد لله رب العالمين.

ص:۳۸۶

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشـانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹